

مختصر سيرة الرسول ﷺ

تأليفه

الإمام ، بدر الأعلام

الشيخ عبد بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ

نشره

مكتبة محمد بن عبد الوهاب

طبع بمطبعتنا السلفية :

الطبعة الأولى : ١٣٧٩

و الثانية : ١٣٩٦

المطبعة السلفية - ومكاتبها

٢١ شارع الفتح بالروضة ٨٤٠٣٦٤

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أتم نعمته على الإنسانية ببعثه خاتم رُسل الله ، وحامل أكل رسالاته ، محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه ومن سار في طريقهم الخير الواسع المستقيم إلى يوم الدين وبعد فلما أخذ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وبنوه السكرام على مسئوليتهم بذل الجهد لتجديد شباب الإسلام ، وردّ العرب والمسلمين عن بُذَيّات الطريق إلى الطريق الحمديّ الأعظم ، كان مما استعانوا به على ذلك توضيح السيرة المحمدية الشريفة للناس بحسب منازلهم ، وعلى طبقاتهم في العلم والفهم والإدراك ، فكان أهل الفضل والعلم من تلاميذهم ومريديهم يتدبرونها بالتوسع من أمهات الكتب المفصلة ، والمبتدئون منهم يتلقونها من المختصر الذي ألفه شيخ الإسلام وطبع قبل بضع سنوات . والمتوسطون منهم ألف لهم الإمام بدر الأعلام الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه السيرة المتوسطة ، وهي أصغر من السيرة التي ألفها ابن هشام ، وأكبر من المختصر الذي ألفه والده رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة . والغرض من تعدّد هذه الكتب في السيرة النبوية أن ينهل من فراثها العذب كل فريق بحسب منزلته وعلى قدر استعداده

والخطوطة التي جاءتنا من الرياض لعتمدها في الطبع ، مكتوبة بخط مبارك بن عبد الله ابن مبارك . فرغ من كتابتها لسبع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة ١٢١٣ ، أي في حياة الإمام المؤان رحمه الله . ولعله كان من تلاميذ الشيخ ، وكتبها لنفسه لدراستها ، غير أن فيها خروما وبعض التحريف ، فنستعين الله على استدراك ذلك بقدر الطاقة . والله المعين

محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة .

الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمهما الله تعالى

هو الإمام ، الخبيرُ الهام ، بدرُ الأعلام ، مفتي الأنام ، حجةُ الإسلام ، قرُّ الدجى ،
وشمس الضحى ، الثقة الثابت ، العلم الحجة البارِع . التقى النقى الورع ، الفارس فى العلوم .
والسيفُ الصارم المسلول على المبتدعين ، والخبر القائم بأمر الدين . ذو الهمة والشجاعة
والإقدام ، فائق علماء زمانه ، مجتهد أوّانه . فنكّ هو قطبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على
البدر . إذا ذكر الكلام على المسألة بهت الناس من كثرة نقوله ومقوله ، بجودة إirاده ،
وإعطائه كل قول ما يستحقّه . يقول الحق الذى أدّى إليه اجتهاده . إلى ما اشتهر عنه من
الورع وكمال الفكر وسرعة الفهم ، مع الخوف من الله والتعظيم لحُرّماته . لم يُر تبحر أديم
السماء بعد والده مثله فى وقته علماء وعملًا وحالًا ومقالًا وحلمًا وخلقًا واتباعًا وكرمًا وقيامًا
فى حق الله . هو عالم يُجِد ومفتيًا بعد والده

ولد فى بلد الدرعية ، وأخذ العلم عن والده وفائق ، وتفقه فى المذاهب وأدرك فى الأصول
والفنون أعلاها . وتفنن فى علوم الإسلام حتى باغ علاها . كان عارفا بالتفسير لا يخارى ،
وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفهمه ودقائق الاستنباط منه لا ينشق
فى ذلك . وبالفقه وأصوله ، وبالعبودية . وبالجملة له اليد الطولى فى كل فن من فنون العلم .
له المصنفات المشهورة المقبولة ، والفتاوى القاطعة غير المعلولة ، والرسائل والنصائح الفافعة
المرورة . منها (جواب أهل السنة ، فى نقض كلام الشيعة والزيدية) مجلد . و (مختصر

السيرة) مجلد ، وهو هذا . وله مشاركة في كتاب (التوضيح عن توحيد الخلائق ^(١))
وله (السكبات النافعة في المكفرات الواقعة ^(٢)) و (منسك في الحج) ورسائل وفتاوى
تبلغ مجلداً

وله مجالس في التدريس مشهورة ، بإحياء علوم أصول الدين معمورة . تأتي إليه العلماء
من الأمصار ، والسؤالات تتوالى عليه من جميع النواحي والأقطار . فيفهم السائلين أحسن
إفهام . ويحيب بأحسن جواب بإيجاز وانتظام . أثنت عليه أهل نجد بأسرها وأهل الخبرة من
شرقها وغربها . وقد قال الشيخ حسين بن غنام يثنى عليه وعلى إخوانه من علماء الدرعية :
مدرسهم معمورة بعلمهم وما ثبتوا عن نشر أحكامهم ضبطاً
فلست ترى إلا منقداً وعادياً عكوفاً على جمع الحديث له ضبطاً
وأمرأً معروف وتنكير منكر وتنكيل من قد قارف الحوب والسخطا
وحنأً على فعل الصلاة . جماعة وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطأ
وقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بعد ثنائه عن الشيخ :

وأبناؤه الغر الكرام قد اقتفوا محبته المثلى وفي نصرها جدوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم فكم قد أفادوا من يروح ومن يغدو
وكم سنة أحيوا وكم بدع نفوا وكم شبهة أجلوا وأبوابها سدوا
وقال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي :

وحف بآل الشيخ أعلام مكة على حلقات الذكر والعلم هاديا
مدارس في التوحيد تصنيف والد لما طالما غطت عليها العوافيا
فأصبح توحيد العبادة ظاهراً على الأرض والشرك المحرم خازيا

(١) المطبوع في القاهرة سنة ١٣١٩

(٢) طبعت مراراً ، أجودها بالمطبعة السلفية بالقاهرة

أئمة حق والنصوص طريقهم وأحمد خريّت الطريق وحاديا
على مذهب الخبر الإمام ابن حنبل عليهم من المولى سلام موافيا
عقائدهم سنية أجمع الملا عليها خصوصاً تابعاً وصحابيا

أخذ عنه العلم الخلق الكثير والجم الفقير من الجهابذة النبلاء . منهم بنوه الشيخ
سايان وعلى وعبد الرحمن ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبد اللطيف ، والشيخ
حسن بن حسين الفقيه والشيخ عبد الرحمن بن حسين وحمد وعلى بنو الشيخ حسين ابن
الشيخ ، والشيخ محمد بن سلطان والشيخ محمد بن عبد العزيز والشيخ أحمد الوهبي والشيخ
عبد العزيز ابن معمر والشيخ مسعد بن حجي والشيخ جمعان ومسفر بن عبد الرحمن من
أهل عسير والشيخ محمد بن مقرن والشيخ عثمان بن عبد الجبار والشيخ ابراهيم بن سيف
وغيرهم . وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول قيام ولهج بالذكر وشغف بالحجة والإنابة
والافتقار إلى الله والانكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته ، لم يرفى زمانه مثله .
وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً ذكر عنه في حرب الدرعية حين حاصرتها العساكر أنه
وقف في باب سمحان المعروف في الدرعية شاهراً سيفه يقاتل حتى كسر العساكر وهو
يقول لأهل الدرعية : بطن الأرض على عز ولا ظمرها على ذل ، وأنا أبو سليمان . هكذا
يقول رحمه الله . فلما نقلت العساكر أهل الدرعية من آل مقرن وآل الشيخ رحلوا به
معهم إلى مصر في سنة ١٢٣٣ ، وتوفي فيها سنة ١٢٤٢ . رحمه الله وعفا عنه وأسكنه
الفردوس الأعلى .

مُخْتَصَرٌ
سِبْطُ السُّلُوكِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

أما بعد فأنا أذكر لك شيئاً من نسب رسول الله محمد سيد البشر ، وشيئاً من أحواله وآياته وأخباره وآدابه إلى أن توفي بالاختصار . وأذكر فيه خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم

أما نسبه فهو : أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . هذا متفق على صحته ، وما فوق عدنان مختلف فيه . ولا خلاف أن عدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم ، وإبراهيم هو الذي ، على القول الصحيح ، والقول بأنه إسحاق باطل

ولا خلاف أنه ﷺ ولد بمكة عام الفيل ، وكانت وقعة الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته ، وإلا فأهل الفيل نصارى أهل كتاب . دينهم خير من دين أهل مكة لأنهم عباد أوثان ، فنصرهم الله نصراً لا صنع للبشر فيه ، تقدمت للنبي الذي خرج من مكة ، وتعظيماً للبلد الحرام

وولد عليه السلام يوم الإثنين لثمان خلون من ربيع الأول ، اختاره (١)

وقيل لعشر منه ، وقيل لاثنتي عشرة خلت منه . ونبيّ يوم الإثنين لأيام خلت من ربيع (١) ، ومات لثمان خلون من ربيع الأول

وفي عبد المطلب يجتمع معه بنو علي وبنو جعفر و [بنو عقيل (٢)] بنو أبي طالب ، وبنو العباس وبنو الحارث وبنو أبي لهب

وفي عبد مناف يجتمع معه [بنو أمية (١)] وسائر بني عبد شمس ، وبنو المطلب وبنو نوفل وفي قُصَيّ يجتمع معه عليه السلام بنو عبد العزّي وبنو عبد الدار ، منهم حَبِيبَةُ السكبة ، ومنهم النضر بن الحارث . ومن بني عبد العزّي الزبير بن العوام وخديجة وورقة بن نوفل

وفي كلاب يجتمع معه عليه السلام بنو زهرة بن كلاب ، وأمه منهم ، ومنهم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف

وفي مُرَّة يجتمع معه عليه السلام بنو تميم بن مرّة وبنو مخزوم بن يَكْظَةَ بن مرّة فبن تميم بن مرّة أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله . ومن بني مخزوم خالد بن الوليد وأبو جهل بن هشام .

وفي كعب يجتمع معه عليه السلام بنو عدى بن كعب ، ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد ابن زيد ، وبنو جُحج ومشايرهم أمية بن خلف عدو رسول الله ، وأخوه أبيّ بن خلف مثله في العداوة لرسول الله ، وبنو سُهيم ومنهم عمرو بن العاص

وفي لؤي يجتمع معه عليه السلام بنو عامر بن لؤي ، ومنهم عمرو بن عبد ود فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب ، ومنهم سهيل بن عمرو

وفي غالب يجتمع بنو تميم الأدرم ، والأدرم الناقص . وفي فهر يجتمع معه بنو محارب وبنو الحارث ابني فهر ، ومن بني الحارث بنو الخلج ومنهم أبو عبيدة بن الجراح (٢) . وفهر

(١) الأصل مخزوم

(٢) أبو عبيدة من بني ضبة بن الحارث ، والخلج يفتسبون إلى إخوتهم بني قيس ابن الحارث

هذا هو أبو قريش كلها ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده
فليس قرشيا

وفي كنانة يجتمع معه عليه السلام كل من ينتمي إلى كنانة من بني عبد مناة وملكان
وملك وعمر و عامر أولاد كنانة ، فصار من بني عبد مناة بنو بكر ومن بني بكر بنو
الدَّيْل رهط أبي الأسود الدؤلي ، وبنو مدلج وبنو ليث وبنو ضمرة . ومن بني الحارث
الأحايش

وقد قيل : إن النضر بن كنانة هو قريش ، والصحيح أنه فهو بن مالك

وفي خزيمية يجتمع معه عليه السلام بنو أسد والقارة ، وهم الهون بن خزيمية ، فمن الهون
عضل وهي قبيلة أبوهم عضل بن الهون ، ومنهم الدَّيْش أخو عضل . ويقال لهاتين
القبيلتين القارة

وفي مدركة يجتمع معه عليه السلام بنو هذيل بن مدركة ، ومنهم عبد الله بن مسعود
صاحب رسول الله ﷺ

وفي الياس يجتمع معه بنو تميم بن مُسَرِّ بن أَدَّ بن طابخة بن الياس ، وبنو ضبة بن أد ،
والرَّباب ومزينة ، وهم بنو عمرو بن أد ، ويقال لهم مزينة نسبة إلى أمهم مزينة ابنة
كلب بن وبرة

وفي مضر يجتمع معه عليه السلام بنو قيس عيلان بن مضر ، وهو بالعين المهملة ، قيل
إن عيلان فرسه وقيل كلبه ، وقد جعل الله لقيس من السكينة أمرا عظيما ، فمن ولده جميع
قبائل غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وجميع قبائل هوازن ، ومُسلم ومازن ابنا منصور بن
عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، ومن هوازن بنو سعد بن بكر ، وبنو كلاب ، وبنو
كعب ، وبنو جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومن جُشم دريد بن الصَّمة من غزيرة بن
جُشم بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، منهم بنو كعب بن ربيعة وبنو هلال وبنو
نمير وبنو جعدة وبنو قشير ، وبنو عَقِيل بن كعب بن ربيعة منهم بنو المنتفق بن عامر بن
عَقِيل ، ومنهم بنو خفاجة بن عمرو بن عَقِيل ، ومن هوازن بنو سُلَول وبنو ثقيف بن منبه

ابن بكر بن هوازن ، ومن قيس عيلان بنو عيس وذبيان ، ومن ذبيان بنو فزارة بن ذبيان ابن بغيض ، ومنهم عدوان وباهلة ، ومن بنى سليم بن منصور رعل وذكوان وعصية بن خفاف بن امرى القيس بن بهثة بن سليم ، وزعب بن مالك بن خفاف بن امرى القيس . وقد قيل إن ثقيفا من إياد ، وقيل من بقايا ثمود . ومن بنى ذبيان النابغة الشاعر المشهور

وفي نزار يجتمع معه ﷺ بنو ربيعة بن نزار ، منهم بنو أسد وضبيعة ابني ربيعة ، ومن بنى أسد بكر وتغلب ونزأبناء وائل بن قاسط بن هذب بن أفضى بن دُعَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، ومنهم بنو عبد القيس بن أفضى والنمر بن قاسط ، ومنهم بنو حنيفة بن لجيم ابن صعب بن على بن بكر بن وائل ، ومنهم بنو عجل بن لجيم ، ومن رجال بكر مرة وابناه هام وجساس قاتل كليب ، وطرفة بن العبد الشاعر . ومن بنى تغلب كليب بن ربيعة ملك بنى وائل الذى قتله جساس فهاجت بسببه تلك الحرب المعروفة بحرب البسوس بين بنى بكر وبنى تغلب ، ومن ربيعة عنزة بن أسد بن ربيعة فمنهم بنو عنزة وهم أهل خيبر ، ومن بنى عنزة القارضان ، ومن ربيعة سدوس واللاهزم

ويجتمع معه ﷺ أيضا فى نزار بنو إياد بن نزار وبنو أنمار بن نزار ، فمن بنى إياد كعب بن مامة الذى يضرب بجوده المثل ، وقس بن ساعدة وكان يضرب بفصاحته المثل . والله أعلم

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا ، حتى كنت من القرن الذى كنت منه » . وفى صحيح مسلم عن وائلة ابن الأسقع قال رسول الله ﷺ « إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خالق الخلق فجعلنى فى خير فرقتهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نقسا وخيرهم بيتا » رواه الترمذى وقال : حديث حسن

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الله اختار خاتمه فاختار منهم بنى آدم ، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختارني من العرب ، فلم أزل من خيار من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم

وأما عبد الله أبو رسول الله ﷺ فهو ابن عبد المطلب المذكور ، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم ، وكان أبوه يحبه ، والأكثر يقولون إنه توفي وهو حمل ، وقيل إنه مات ولرسول الله ﷺ شهران ، وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجيال وجارية حبشية اسمها أم أين ، وهي حاضنته

وأمه عليه السلام أمينة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

ولد عليه السلام ثمان خلون من ربيع الأول ، وقيل لعشر ، وقيل لاثنتي عشرة ، يوم الإثنين وروى البيهقي أنه ﷺ ولد مختونا مسروراً . قال العباس : فأعجب عبد المطلب جده وحظى عنده ، وقال : ليكون لهذا شأن . وذكر البيهقي أيضاً أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجح إيوان كسرى وسقط منه أربع عشر شرفة ، وخذت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك من أنف عام ، وغاضت بحيرة ساوة . وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بمدد الشرفات ، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة وملك الباقيون إلى خلافة عثمان ، وروى أحمد وغيره عن العرياض بن مسارية عن النبي ﷺ قال « إني عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » وكذلك أمهات المؤمنين يرين . وعن ميسرة الضبي قال : قلت يارسول الله متى كنت نبيا ؟ وفي رواية متى كتبت نبيا ؟ قال « وآدم بين الروح والجسد » وروى ابن سعد أن أم رسول الله ﷺ قالت : لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءت له قصور الشام ، وولده نظيفا مابها قدر ، وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال :

وأنت لما ولدت أشرقَت الأرض وضاعت بنورك الأفق
ونحن في ذلك الضياء وفي النور فسبل الرشاد تخترق

وقال في اللطائف : وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يحيى به من النور الذي
اعتدى به أهل الأرض ، وزالت به ظلمة الشرك . كما قال تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ الآية . وأما إضاءة بصرى
بالنور الذى خرج منه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته ، فانها دار ملكه كما
ذكر كعب : إن في السكتب السافعة « محمد رسول الله ، مولده بمكة ، ومهاجره يثرب ،
وملكه بالشام » ولهذا أسرى به إلى الشام إلى بيت المقدس ، كما هاجر ابراهيم عليه
السلام إلى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهى أرض الحشر والمنشر

وأرضته عليه السلام ثوية عتيمة أبى لُهب ، أعقبها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم . وقد روى
أبو لُهب بعد موته في النوم قتيلا له : ما حالك ؟ فقال : في النار ، إلا أنه خُفف عنى كل
اثنين ، وأمص من بين إصبعيَّ هاتين ماء - وأشار برأس إصبعة - وإن ذلك بإعتاقى
ثوية عندما بشرتنى بولادة النبی صلى الله عليه وسلم وإرضاعها له . قال ابن الجوزى : فاذا كان هذا
أبو لُهب الكافر الذى نزل القرآن بدمه جوزى بفرحه ليلة مولد النبی صلى الله عليه وسلم به فما حال
المسلم الموحد من أمته صلى الله عليه وسلم يسر بولده ؟ وثوية مولاة أبى لُهب أول من أرضعه بعد
أمه بلبن ابنها مسروح ، وأرضعت أيضا مع رسول الله بلبن ابنها مسروح حمزة عم رسول
الله . وأبا سلمة بن عبد الأسد الخزومي . ثم أرضعته صلى الله عليه وسلم حامية السعدية

وفي السنة الرابعة من مولده ذكر أن الملسكين شقا بطنه واستخرجوا قلبه وشقاه
فاستخرجوا منه علقة سوداء ثم غسلوا قلبه وبطنه بالتلج ، وقال أحدهما : زنه بعشرة من أمته .
فوزنه . ثم ما زال يزيد حتى بلغ الألف ، فقال : والله لو وزنته بأمتة لوزنها . وروى أنه
وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجىء جبرائيل له بالوحى في غار حراء ، ومرة
أخرى عند الإسراء ، وروى الشق أيضا وهو ابن عشر . وقد روى أنه ختم بخاتم النبوة

بين كتفيه ، وأنه يشم منه مسكا ، وأنه مثل زرة الحجلة ، ذكره البخارى . وفى مسلم : جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عبد تغض كتفه ، وروى : عبد غضروف كتفه اليسرى ، وروى الأيمن . وفى مسلم أيضا : كبيضة الجملة ، وفى الشائل : بضعة ناشزة ، وفى الترمذى ودلائل البيهقى : كالنفاحة . وقوله مثل زرة الحجلة بالزى والراء ، والحجلة بالخاء المهملة والجيم ، قال النووى : هى واحد الحجال ، وهى بيت كاقبة لها أزرار كباروعرى . هذا هو الصواب . وقوله « جمع » بضم الجيم وإسكان الميم أى جمع الكف ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها . وقوله خيلان بكسر الخاء وإسكان التحتية ، جمع خال ، وهو الشامة على الجسد . والتغض والناغض أعلى الكتف . وفى حديث عتبة بن عبد السامى عند أحمد والطبرانى : إن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر : خطه . فخطاه ، وختم عليه بخاتم النبوة

ومات أمه عليه السلام ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين ، حين انصرفت من زيارة أخواله بنى النجار . وكانت خرجت به معها ومعه دابته أم أيمن ، وقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد موتها ، فكفله جده عبد المطلب ، ورق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده ، فكان لا يفارقه ، وما كان يجلس على فراشه لإجلاله إلا رسول الله ﷺ . وقدم مكة قوم من بنى مدلج من القافة ، فلما نظروا إليه قالوا لجده : احتفظ به ، فلم نجد قدما أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدمه ، فقال لأبى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به .

وتوفى جده عبد المطلب فى السنة الثامنة من مولده وأوصى به إلى أبى طالب . قال ابن اسحاق : وكان عبد المطلب من سادات قريش ، محافظا على اليهود ، يتخلق بكمال الأخلاق ، يحب المساكين ، ويقوم بالحجيج ، ويطعم حتى الوحش والطير فى رموس الجبال ، ويطعم فى الأزمان ، ويقمع الظالمين

وأم عبد المطلب سامى بنت زيد من بنى النجار ، تزوجها أبره هاشم بن عبد مناف ، فخرج إلى الشام وهى عند أهلها وقد حمات بعبد المطلب ، فمات بغزة ، فولدت عبد المطلب وسمته « شيبه » . فلما ترعرع خرج إليه المطلب ليأتى به إلى مكة ، فأتت أمه فقال : إنه يلى ملك

أبيه ، فأذنت له فقدم به مكة ، فقال الناس هذا عبد المطلب . فقال : ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم . فولى عبد المطلب ما كان يلي أبوه ، وأقام لقومه ما أقام آبؤه ، وشرف فيهم شرفا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبوه ، وعظم خطره فيهم . وكان له أولاد عشرة ، أكبرهم الحارث توفي في حياة أبيه ، وأسلم من أولاد الحارث يوم بدر ربيعة وأبو سفيان وهو عبد الله . ومنهم الزبير بن عبد المطلب شقيق عبد الله ، ولم يدرك الإسلام ، وأسلم من أولاده عبد الله وضباعة ومنهم أبو طالب واسمه عبد مناف ، وقيل إنه شقيق عبد الله ، وحضر الإسلام ولم يسلم ، وله من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلى ، وبين كل واحد [وأخيه] عشر سنين ، أكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على . ومنهم أبو لهب مات عقيب بدر ، وله من الولد عتيبة الذي دعا عليه النبي ﷺ فقتله السبع ، وله عتبة ومعتب أساما يوم الفتح . ومنهم حمزة والعباس أساما رضي الله عنهما . ومن أولاد عبد المطلب عبد الله أبو النبي ﷺ ، ولم يولد لأبيه وأمه غيره ﷺ فيما ذكر . وله من البنات ست : البيضاء أم حكيم تزوجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامرا أبا عبد الله بن عامر الجواد المشهور ، وبنات منهن أروى تزوجها عفان بن أبي أمية فولدت له عثمان بن عفان ، ثم خلفه عليها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وعاشت إلى خلافة ابنها عثمان . ومنهن برة أم أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، ومنهن عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية واختف في إسلامها . ومنهن صفية أم الزبير أسامت وهاجرت ، وأروى أم آل جيش عبد الله وأبي أحمد وعبيد الله وزينب وحنمة

ومات جده عبد المطلب وله ثمان سنين - وقيل أكثر - وله من العمر عشر ومائة سنة ، وكفله عمه أبو طالب ، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله . قال الواقدي : أقام أبو طالب من سنة ثمان من مولد رسول الله ﷺ إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثا وأربعين سنة يحوطه ويقوم بأمره ويذب عنه ويلطف به ، وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفة قال : قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب أقطع الوادي وأجذب العميال . فسلم فاستسق . فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قما . حوله أغيلة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالسكبة ولاذ بإصبعه

الغلام وما في السماء قُرَاعَة ، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق ، وانفجر الودى وأخصب الغادى والبادى ، وفي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

والثمال بكسر المثلثة : الملبأ والغيات ، وقيل المطعم في الشدة ، وعصمة للأرامل أى

يمنعهم من الضياع والحاجة ، والأرامل المساكين من رجال ونساء

قال ابن اسحاق : وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة ومع جده عبد المطلب في

كَلَاءَةِ اللَّهِ وحفظه ، وينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من الكرامة . ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب حتى بلغ بصرى فركله بحيرا الراهب

— واسمه جرجيس — فعرفه بصفته ، فقال وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله

رحمة للعالمين . فقال : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرقتُم من العقبة لم يبق حجر

ولا شجر إلا وخرَّ ساجدا ، ولا تسجد إلا لى . وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل

غضروف كتفه مثل النفاحة ، وأنا نجدُه فى كتبنا . وسأل أبى طالب أن يردّه خوفا عليه

من اليهود . الحديث رواه ابن أبى شيبه ، وفيه أنه أقبِل عليه الصلاة والسلام وعليه غمامة

تظله . ثم خرج ﷺ مرة أخرى ، ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها ، حتى بلغ سوق

بصرى وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فنزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب :

ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلالانه من

الشمس ، فلما رجعوا إلى مكة ساعة الظهيرة وخديجة فى علية لما رأت رسول الله ﷺ وهو

على بعيره وملكانه يظلالانه . ذكره أبو نعيم

وتزوج رسول الله ﷺ خديجة بعد ذلك ، وكانت تحت أبى إهابة بن زرارة التميمى ،

ثم تزوجها عتيق بن عائذ الخزومي فولدت له هنداً ، وكان لها حين تزويجها برسول الله ﷺ

من العمر أربعون سنة فولدت لرسول الله ﷺ بنين وبنات ، وكل أولاده من خديجة ، حاشا

إبراهيم فإنه من مارية القبطية ، فالذكور من ولده : القاسم — وبه كان يكنى — وهو أكبر ولده

عاش أياما يسيرة ، ولد قبل النبوة . ولدان آخران اختلف فى اسمهما ، وعبد الله والطيب

والطاهر، وأما إبراهيم فولد له بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبل موته عليه السلام بثلاثة أشهر يوم كسوف . وبناته عليه السلام أربع : زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع وكانت خديجة خالته ، ومات أبو العاص في خلافة عمر وولدت له عليا مات مرافقا ، وأما تزوجها على رضى الله عنه بعد فاطمة ولم تلد له ، ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده ولم تلد له ، وماتت زينب في حياة أبيها عليه السلام . ولرسول الله ﷺ أيضا رقية وتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم يكن لها زوج غيره ، فولدت له ابنا مات وله أربع سنين ، ثم ماتت رقية بعد بدر بنحو ثلاثة أيام . وكان له عليه السلام فاطمة تزوجها على بن أبي طالب ، فولدت الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وابنا مات صغيرا اسمه الحسن رضى الله عنه ، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فولدت له على بن عبد الله له عقب ، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وماتت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر . وكان لرسول الله أيضا أم كلثوم وهي أصغر بناته كانت مملوكة بعقبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وطلقها ، فتزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه فماتت عنده في حياة رسول الله ولم تلد له

وخديجة أول امرأة تزوجها وأول امرأة ماتت من نسائه ولم ينكح عليها غيرها ، وأمره جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها . ثم حُبب اليه الخلوة والتعبد لربه فكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه ، وبغضت اليه الأوثان ودين قومه فلم يكن شيء أبغض اليه من ذلك . وأنبته الله نبأنا حسنا حتى كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأعزهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة والحاصل المرضية . ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة قامت قريش في بناء الكعبة

قال أهل السيرة : كان أمر البيت وولايته بعد اسماعيل عليه السلام إلى ولده ، ثم غلبهم أخوالهم من جُرهم ، فلم يزل في أيديهم حتى استحلوا حرمة وأكلوا ما يهدى اليه وظلموا من دخل مكة فرقاً أمرهم ، فلما رأَت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة

م - ٢ * مختصر السيرة

ذلك أجمعوا الحربهم وإخراجهم من مكة ، فأذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، وغابتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة . وكانت مكة في الجاهلية لا يقر فيها ظلم ولا بغي ، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجهم الله منها ، ولا يريد لها ملك يستعمل حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال ما سميت بككة إلا أنها تبك أعناني الجبارة إذا أحدثوا فيها . ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر ، وكان الذي يأنيه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثونه كبراً عن كبر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن مملول بن كعب بن عمرو بن ربيعة (وهو الحَيُّ الخزاعي)

ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل أبنته ، فرغب فيه فزوجه ، فولدت عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد . فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر البيت من خزاعة وبني بكر ، وأن قریشا صريح آل اسمعيل ، فكلهم رجالاً من قریش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة فأجابوه ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعوا إلى الصلح فحسبوا عمرو بن عوف أحد بني بكر ، ففضى بينهم أن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وكل دم أصابه منهم قصي موضوع تحت شدخه ، وما أصابت خزاعة وبني بكر ففيه الدية ، وأن يخلي بين قصي وبين الكعبة ومكة . فوليا قصي ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه . فأقر آل صفوان على الإجازة بالناس ، قال ابن اسحاق : فكان صفوان هو الذي يجيز للحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان . وأقر عدوان وكانت فيهم الإضافة من مزدلفة يتوارثون ذلك كبراً عن كبر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة . وأقر النساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم ذلك كله ، فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ما سكا أطاع له به قومه ، فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، وقطع مكة رباعاً بين قومه

فَنَزَلَ كُلُّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْزِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ . وَقِيلَ إِنَّ قُرَيْشًا هَابُوا قِطْعَ شَجَرِ الْحَرَمِ فِي مَنْزِلِهِمْ
فَقَطَعُوهَا تَصْغِيرًا بِيَدِهِ وَأَعْوَانِهِ ، فَسَمَّاهُ قُرَيْشَ « جَمْعًا » لِأَجْلِ جَمْعِ مَنْ أَمَرَهَا ، وَتَبِعْتِ بِأَمْرِهَا فَمَا
تَنَكَّحُ امْرَأَةً وَلَا يَزُوجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا يَتَشَاوِرُونَ فِي أَمْرِ نَزْلِ بِهِمْ وَلَا يَعْقِدُونَ لُؤَاءَ
لِحَرْبٍ غَيْرِهِ إِلَّا فِي دَارِهِ يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةً إِذَا بَلَغَتْ أَنْ تَدْرِعَ إِلَّا فِي
دَارِهِ بَشَقٍ عَلَيْهَا فِيهَا مَدْرَعُهَا ثُمَّ تَدْرِعُهُ ثُمَّ يَنْطَلِقُ بِهَا إِلَى أَهْلِهَا فَسَكَانُ أَمْرِهَا فِي قَوْمِهَا فِي
حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ كَالَّذِينَ الْمُتَّبِعِينَ

وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ (دَارَ النَّدْوَةِ) وَجَعَلَ بِأَبِهَا إِلَى مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ ، فَفِيهَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقْضِي
أُمُورَهَا . قَالَ السَّهْمِيُّ : وَاقْطَعُوهَا مَأْخُوذٌ مِنْ لَفْظِ النَّدَا ، وَالنَّادِي وَالْمُنْتَدِي هُوَ مَجْلِسُ الْقَوْمِ
الَّذِي يَنْدُونَ حَوْلَهُ أَيْ يَذْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ ثُمَّ يَرْجِعُونَ . وَهَذِهِ الدَّارُ تَصْبِرُ مِنْ بَنِي عَبْدِ
الدَّارِ إِلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، فَبِاعِثُهَا فِي الْإِسْلَامِ
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَذَلِكَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ ، فَلَامَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ : بَعَثَ مَكْرَمَةَ آبَائِكَ
وَشَرَفَهُمْ . فَقَالَ حَكِيمٌ : ذَهَبَتْ الْمَسْكَارُمُ إِلَّا التَّقْوَى ، وَاللَّهُ لَقَدْ اشْتَرَيْتَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِزُقِ
بَخْرٍ وَبِعْتَهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ ثَمَنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَيْنَا الْمَغْبُورُونَ ؟ ذَكَرَ هَذَا الْخَبِيرُ
الدَّارِقُطْنِيُّ فِي أَسْمَاءِ رِجَالِ الْمُوطَأِ لَهُ . انْتَهَى

فَلَمَّا كَبُرَ قُصَيٌّ ، وَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ بَكْرَهُ ، وَكَانَ عَبْدُ مَنْفٍ قَدْ شَرَفَ فِي زَمَانِ أَبِيهِ وَعَبْدُ
الْعَزْزِيِّ وَعَبْدُ ، قَالَ قُصَيٌّ لِعَبْدِ الدَّارِ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا بَنِي الْأَحْقَقِ بِالْقَوْمِ وَإِنْ شَرَفُوا عَلَيْكَ ،
لَا يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْكَعْبَةَ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَفْتَحُهَا لَهُ ، وَلَا يُعْقَدُ لِقُرَيْشٍ لُؤَاءُ لِحَرْبِهَا إِلَّا
بِيَدِكَ . وَلَا يَشْرَبُ رَجُلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا مِنْ مِقَائِكَ ، وَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ إِلَّا مِنْ
طَائِمِكَ ، وَلَا تَقْطَعُ قُرَيْشٌ أَمْرًا مِنْ أُمُورِهَا إِلَّا فِي دَارِكَ . فَأَعْطَاهُ الْحِجَابَةَ وَاللُّؤَاءَ وَالسَّقَايَةَ
وَالرَّفَادَةَ . وَكَانَتْ الرَّفَادَةُ خَرَجًا تَخْرُجُهُ قُرَيْشٌ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ أُمُورِهَا إِلَى قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ
فَيَصْنَعُ بِهِ طَعَامًا لِلْحِجَابِ فَيَأْكُلُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَعَةٌ وَلَا زَادٌ ، وَذَلِكَ أَنْ قُصَيًّا فَرَضَ عَلَى
قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَهْلُ الْحَرَمِ ، وَإِنْ الْحِجَابُ
ضَيْفُ اللَّهِ وَزُورُ بَيْتِهِ ، وَهُمْ أَحَقُّ الضُّيْفِ بِالْمَسْكِرَةِ ، فَاجْعَلُوا لَهُمْ طَعَامًا وَشَرَابًا أَيَّامَ الْحِجَابِ حَتَّى

يصدروا عنكم ، ففعلوا . فسكاتوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خراجا فيدفعونه اليه . فيصنع به طعاما للناس أيام منى ، فيجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج

وكان قصى لا يخالف ولا يُردّ عليه شئ . صفعه ، فلما هلك أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم . ثم إن بنى عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد بنى عبد الدار وأنهم أولى بذلك ، ففترقت قریش بعضهم مع بنى عبد مناف وبعضهم مع عبد الدار ، فعقد كل قوم حلفا مؤكدا على لا يتخذوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بلّ بجرّ صوفة . فأخرج بنو عبد مناف حفنة بماء طيبا ، أخرجهما لهم بعض نساءهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، فسموا المطيبين . ثم تداعوا للصالح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار . ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وثبت كل قوم مع من حالفوا ، حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله ﷺ « ما كان من حلف فى الجاهلية فان الإسلام لم يزد إلا شدة

وأما (حلف الفضول) فقال ابن اسحاق : اجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدعان ، وكان أكرم حلف سمع به العرب وأشرفه . وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، واشترادا منه العاص بن وائل . وكان ذا قدر بمكة وشرف . فبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيد الأَحلاف : عبد الدار ونخزوما وُجُجحا وسحما وعديّا ، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل ، فعلا جبل أبى قبيس . وقریش فى أُنْدَيتهم حول الكعبة . فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فشى فى ذلك [الزبير] بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك . فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاهدوا وتعاهدوا بالله ليكوننّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بلّ بجرّ صوفة . فسمت قریش ذلك الحلف « الفضول » وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر . ثم

مشوا إلى العاص بن وائل فأنزعوها منه . وقال الزبير بن عبد المطلب :

إن الفضول تحالفوا وتعافدوا ألا يقيم بطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعافدوا فالجار والمعتز فيهم سالم

قال ابن اسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ النيمى أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به خمر النعم ، ولرأدى به في الإسلام لأجبت » وعبد الله بن جدعان هذا تيمى يكنى أبا زهير ، ابن عم عائشة ، ولذلك قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم [الدين] ؟ فقال « لا ، لأنه لم يقل يوم رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ [قال] : كنت أستهطل بظل جفنة عبد الله بن جدعان (في) صكة عيسى يعنى في الهاجرة (١) قال ابن اسحاق : فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان سفاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مقلداً ذا وئد ، وكان هاشم موسراً ، وكان هاشم أول من سن الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة ، وكان اسمه عمرو فما سمي هاشماً إلا لهشم الخبز بمكة لقومه . قال الشاعر (٢) :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن اسحاق : ثم هلك هاشم بغزاة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في القوم وفضل ، وكانت قريش تسميه « القياض » لسماحته . ثم هلك المطلب . ثم ولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب ، فأقامهما للناس ، وأقام لقومه ما أقام آبؤده ، وشرف في قومه شرفاً لم يباغحه أحد من آبائه . ثم إن عبد المطلب أتى في المنام وأمر بحفر زمزم ، وذلك

(١) الصكة من الاصطكاك ، أى الازدحام ، إجابة لدعوة ابن جدعان . وعنى اسم رجل من عدوان كان يفيض بالناس عند الهاجرة (٢) هو مطرود بن كعب الخزاعي

لأن الجرهي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله وقِيضَ الله من آخر جهنم من مكة فعمد عمرو إلى نفائس [السكبة] فجعلها في زمزم وبائع في طمها وفر إلى اليمن ، فأتى عبد المطلب في المنام وأمر بحفرها ، ووُصف له موضعها بعلامات وأمارات ، ففعل ذلك ، فعدا بهوله ومعه الحارث ابنه ، ليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها . فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر . فسرقت قریش أنه قد أدرك حاجته فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها برأينا اسمعيل ، وإن لنا فيها حقاً . فأشركنا فيها . قال ما أنا بفاعل ، إنَّ هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم : فحاصموه إلى كاهنة بنى سعد . وقيل إنه لما حفر وجد فيها غزالين من ذهب وأدراعا وأسيفاً ، فقالت قریش : يا عبد المطلب ، لنا معك في هذا شرك وحق ، قال لا ، وهلم إلى أمر نصنع بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال أجعل للسكبة قَدَحِينَ ولى قَدَحِينَ والسكبة قَدَحِينَ ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . فقالوا : أنصفت . فجعل قَدَحِينَ أَصْفَرِينَ للسكبة . وقَدَحِينَ أَسْوَدِينَ لعبد المطلب ، وقَدَحِينَ أَبْيَضِينَ لقریش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذى يضرب عليها عند هُبَل ، وقام عبد المطلب يدعوه وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الأسودان على الأسيفاء والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاً قریش . فضرب عبد المطلب الأسيفابا بالسكبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليت به السكبة فيما يزعمون . ثم إن عبد المطلب [جعل] سقاية زمزم للناس ، فنذر الله لئن آتاه الله عشرة من الولد يمنعون به لينحرن أحدهم عند السكبة ، فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم يمنعونهم فأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء . فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منهم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم أتوني ففعلوا . فدخل بهم على هُبَل فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب بنى هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب ولده إليه ، فكان يرى أن السهم إذا أخطأ فقد أشوى ^(١) : فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبَل يدعوا الله ، ثم ضرب صاحب القداح

فخرج على عبد الله ، فأخذ بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل على أساف ونائلة ليذبحه (١) ، فقامت إليه قريش من أديتهم فنعوه ، وقال له انغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله ابن أخت القوم - والله لا تذبحه حتى تعذر فيه أبدا ، فان كان فداؤه بأموالنا فديناه . ثم أتوا عرافة فسألوها ، فقالت كم الدية فيكم ؟ قالوا عشرة من الإبل . وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا أصحابكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضروا عانيها وعليه بالقدح ، فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا أصحابكم . فقام عبد المطالب يدعو الله ، ثم قربوا عبد الله وقربوا عشرة من الإبل ، وعبد المطالب عند هبل يدعو الله ، فضربوا القدح على عبد الله ، فلم يزالوا يزيدون عشرةا والقدح يخرج على عبد الله إلى أن بلغوا مائة من الإبل ، وقام عبد المطالب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ، ثم أعادوا الثانية فخرج على الإبل ، ثم أعادوا الثالثة فضربوا فخرج على الإبل ، فنجرت وترك لا يصد عنها إنسان ولا يمنع ، فجرت الدية في قريش والعرب مائة من الإبل ، وأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » يعنى اسمعيل وأباه عبد الله . وروى الحاكم في المستدرک أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال : يا ابن الذبيحين ، فتبسم النبي ﷺ ولم ينسكرك عليه

وقد كان السيل هدم الكعبة فسرق منها لما أنهدمت غزال من ذهب وحلى وجوهر فنقضتها قريش ، وكان في حيطانها صور كثيرة بأنواع الأصناف عجبية ، منها صورة ابراهيم عليه السلام في يده الأزام ، ويقابلها صورة ابنه اسمعيل على فرس نجبر ، وبعد هذه الصور صور كثير من أولادهم إلى قصى بن كلاب وغيره في نحو ستين صورة ، في كل واحدة من تلك الصور آله صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله . ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سمكها وتأنى لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رعى بها البحر

(١) أساف ونائلة : صنان كانا عند الصفا والمروة

إلى ساحله التي بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر إلى الحبشة لينبئ بها هناك كنيسة ، وانتهوا إلى موضع الحجر على ما ذكرنا ، وتنازعوا أيهم بضعة ، اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطالع عليهم من باب بنى شيبه ، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي ﷺ من ذلك الباب ، وكانوا يعرفونه بالأمين لقاره وهديه وصدق لهجته واجتنبه القاذورات والأدناس ، فحكموه فيما تنازعوا فيه ، واتقادوا بقضائه ، فبسط ما كان عليه من رداء - وقيل كساء - وأخذ ﷺ الحجر فوضعه في وسطه ، ثم قال لأربعة رجال من قريش وأهل الرئاسة فيهم والزعماء منهم ، وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، والأسود بن المطالب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو حذيفة بن الغيرة بن عمرو بن مخزوم ، وقيس بن عمرو ابن مخزوم ، وقيس بن عدى السهمي : ليأخذ كل واحد منكم بحنية من جنبات هذا الرداء ، فشالوه حتى ارتفع من الأرض وأذنوه من موضعه ، فأخذ ﷺ الحجر ووضعه مكانه ، وقريش كلها حضور ، فكان ذلك أول ما ظهر من فعله وقضاياه وأحكامه ، فقال قليل ممن حضر من قريش تعجبا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنا : وأعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكمول عمدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالا ليجعلوه رأسا حاكما ، أما واللوات والعزى ليفوتنهم سبعا ، وليقسمن بينهم حظوظا وجدردا ، وليكونن له بعد هذا اليوم شأننا ونبا عظيما . وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم الحجارة وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به - أي طاح على وجهه - وفودى : استر عورتك ، فما رويت له عورة بعد ذلك . فلما بلغ خمسة عشر ذراعا سقفوه على ستة أعمدة . وكان البيت يكسى القباطي ، ثم كسى البرود ، ثم كسى النديماج . وأخرجت قريش الحجر لقلعة نفقهم ، ورفعوا بابها عن الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا ، وكان إذا أراد أن يدخلها من لا يريدون تركوه حتى يبلغ الباب ثم يرمونه

وقال ابن اسحق : إنها كانت قبل ذلك رضا فوق القامة . قال السهيلي : والرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط . وقوله «فوق القامة» كلام غير مبين لتقدير ارتفاعها إذ ذاك . وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد اسمعيل ، ولم يكن لها سقف ،

فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، قال . وكان بناؤها في الدهر خمس
مرات : الأولى حين بناها شيث بن آدم ، والثانية حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى والثالثة
حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير
بشرارة طارت من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت تجمرها
فطارت شرارة من الحجرة في أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ،
فهابوا هدمها وقالوا : نرى أن تصلح مانوحي ، لا تهدم . فقال : إن دار أحدكم إذا احترقت
لم يرض إلا بأكمل صلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن
يزبدوا في الحفر ، فحركوا حجرا منها فرأوا نارا وهولا أفزعهم ، فأمروا أن يقرروا
القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد
فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف ، حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير
اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم يوطئ بطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها ، فلما استتم
بنيانها ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفا - أي بابا آخر من درائها - وأدخل الحجر فيها ،
وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألم تر أن قومك حين
بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة » ثم قال « لولا حدثان
قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر » ،
أو كما قال عليه الصلاة والسلام . قال : ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على
مقتضى حديث عائشة ، فمما قام عبد الملك بن مروان قال : لسنا من تخليط أبي خبيب ،
فهدمها وبنها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ . فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث
ابن أبي ربيعة المعروف بالقناع ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثه
عن عائشة بالحديث المتقدم ، فندم وجعل ينكت في الأرض بمخصرة في يده ويقول وددت
أنى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك . فهذه المرة الخامسة . فلما قام أبو جعفر المنصور
أراد أن يبينها على ما بناها ابن الزبير فشاور في ذلك فقال له مالك بن أنس : أنشدك الله يا أمير
المؤمنين ، وإن يحمل الله هذا البيت ملعبة للملوك من بعدك لا يساء أحد منهم أن يغيره إلا

غيره ، فتذهب ديبته من قلوب الناس . فصرفه عن رأيه فيه

وكانت السكبة قبل أن يبنيا شيث خيمة من ياقوتة حراء يطوف بها آدم ونس بها ، لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند ، وقد قيل أيضا : إن آدم أول من بناها ، ذكره ابن اسحق في غير رواية البكائي . وذكر ابن اسحق أن الماء لم يعلمها حين الطوفان . ويذكر أن يعرب قال لمرد عليه السلام : ألا تدينه ؟ قال : إنما يدينه نبي كريم يأتي من بعدى يتخذة الرحمن خليلا . فلما نضح ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج إليه هود وصالح ومن آمن معها وهو كذلك . فلما بعث الله ابراهيم ونبأ اسمعيل بمكة أمر ابراهيم ببناء السكبة ، فدلته عليه السكينة وظلماته على موضع البيت ، فلما بلغ ابراهيم الركن جاءه جبريل بالخير الأسود من جوف أبي قبيس . وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « أنزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم » . وذكر أيضا عن عبد الله بن عمرو أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طمس من نورها لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أن الناس ضيقوا على السكبة وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن السكبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عابكم . فاشتري تلك الدور من أهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها . ثم كان عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فاشتري دور آخر وأعلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد . فلما كان ابن الزبير زاد في اتقائه لافى سعتة ، وجعل فيه عمدا من الرخام ، وزاد في أبوابه وحسنها . فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى في البحر إلى جدة ، واحتملت من جدة على العجل إلى مكة . وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج ، وكان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار . ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليها . فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زادا أيضا في اتقان المسجد وتحسين هيئته . انتهى كلام السهيلي ملخصا .

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله بشيرا ونذيرا « وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، إلى الأسود والأحمر ، ناسخا بشريعته جميع شرائع الأنبياء قبله . ونذكر قبل ذلك شيئا من أمور الجاهلية وما كانوا عليه قبل مبعثه

واعلم رحمك الله أن أهل الجاهلية لا عذر لهم في ترك رسالة الله ، لأن الرسالة عمت بني آدم ، كما قال تعالى ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ وقال تعالى ﴿ وقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطواغوت ﴾ . وأصل ذلك ما ذكر الله أنه لما أهبط آدم ومن معه من الجنة قال سبحانه ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإنما يأتيتمكم مني هدى ﴾ الآية . وفي الآية الأخرى ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ الآيات . وهذا الذي وعدنا به هو إرسال الرسل وإنزال الكتب : وقد وفي بما وعد سبحانه ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فتوارث بنو آدم العلم والهدى عن أبيهم آدم عليه السلام . قال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، فاختلقوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أول من بعث نوح . وهكذا قل مجاهد وغير واحد من السلف . وكان أول ما كادهم به الشيطان من تعظيم الصالحين ، كما ذكر الله ذلك في قوله تعالى ﴿ وقالوا لا تدرنَّ آلهتكم ، ولا تدرنَّ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ فروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وقالوا لا تدرنَّ آلهتكم ﴾ الآية أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبادت وصارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أما ود فكانت لسكب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمعاد ثم ابني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسرا فكانت لحجر لآل ذى الكلاع . وروى عبد الله بن حميد عن محمد بن كعب في قوله تعالى ﴿ ولا تدرنَّ ودا ولا سواعا ﴾ الآية ، قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح ، فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في

العبادة ، فقال لهم إبليس : لو صورتم صورهم تنظرون إليهم ، فصوروا ، ثم ماتوا . فنشأ قوم بعدهم ، فقال لهم إبليس : إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها ، فعبدوها . وروى ابن جرير عن محمد بن قيس أن يغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فلما ماتوا جاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يستقون المطر ، فعبدوهم . وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، وطال عليهم الأمد فعبدوهم . فهو لا . جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل . وهما اللتان أشار إليهما النبي ﷺ في قوله « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . وقال الكلبي : كان هؤلاء قوما صالحين ، فماتوا في شهر ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم فصوروا صورهم . قال : فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه ، حتى ذهب ذلك القرن ، ثم جاء قرن آخر فعظمهم أشد من تعظيم الأول . ثم جاء القرن الثالث فقالوا : ما عظم أولنا هؤلاء ، إلا وهم يرجون شفاعتهم ، فعبدوهم . فلما بعث الله نوحا وغرق من غرق أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض . جدة . فلما نضب الماء بقيت على الشط ، فسفت الريح حتى وارتها . قال : وكان عمرو بن لحي سيد خزاعة كانوا ، وكان له رأي من الجن فأتاه فقال : عجّل السير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة أنت جدة ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردتها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . فأتى جدة فاستنارها ثم حملها حتى أوردتها تهامة وحضر الحج ، فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه . انتهى ما ذكره هشام بن محمد الكلبي ملخصا . وقيل : إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب اللقاء وبها يومئذ العاليق قرآهم يعبدون الأصنام ، فاستحسن ذلك وطنه حقا فقال لهم : أفلا تعطوني صنما منها فأسير به إلى أرض العرب ؟ فأنعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته

وتعظيمه . قال السهيلي : وكان عمرو بن لُحى حين غابت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا ، لا يتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يعظم الناس ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى إن اللات الذي كان يات السوق للحاج على صخرة معروفة فسميت صخرة اللات ، ويقال إن الذي كان يات من ثقيف ، فها مات قال لهم : إنه لم يمت وإنما دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنى عليها بيت يسمى « اللات » وذكر أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة أن عمرو بن لُحى قفا عين عشرين زميرا ، وكانوا يلقأون عين الفحل إذا بانعت ألفا . فاذا بلغت ألفين قفاوا عينه الأخرى ، قال الشاعر :

وكان شكر القوم عند النعم كفى الصحاحات وفقء الأعين

وكانت التلبية من عهد ابراهيم عليه السلام « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » حتى كان عمرو بن لُحى . فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه . فقال « لبيك لا شريك لك » فقال الشيخ « إلا شريكا هو لك » فأذكر ذلك عمرو فقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ : قل « تملكه ومالك » فانه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو فدانت بها العرب

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال : حدثت أن رسول الله ﷺ قال « رأيت عمرو بن لُحى يجر قصبه في النار . فسأله عن يني وبينه من الناس فقال : هلكوا قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لا أكتم الخزعلي « يا أكتم رأيت عمرو بن لُحى يجر قصبه في النار » فقال أكتم : عسى ألا يضرني شبهه يانبي الله ؟ قال « إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين ابراهيم ، فنصب الأوثان ، وجر

البحيرة وسيب السائبة الوصيلة

وفي الصحيحين عن ابن المسيب قال : البحيرة التي يمنع دَرُها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة التي يسيبونها لألهتهم لا يحمل عليها شيء » قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ « رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، كان أول من سيب السوائب » . والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول انتاج الإبل ثم تنثني بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصات إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر . والحام الفحل يضرب الضراب الممدود ، فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحام

قال ابن إسحق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حتى ضاقت ، واثمتوا الفسح في البلاد ، فكان لا يظعن منهم ظاعن إلا حل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيث مازلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى يبلغ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان ، فصاروا إلى ما كانت عليه قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة ومزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم ما ليس فيه . فكانت قریش وكنانة إذا أهلوا قالوا « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، إلا شربكا هو لك ، تملكه وما ملك » فيوحدونه بالتلبية ، ويدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . انتهى كلام ابن اسحق . وروى الطبراني عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : كان يابى أهل الشرك « لبيك اللهم لا شريك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » فأنزل الله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ، فأنتم فيه سواء ﴾ الآية . قال المفسرون : والمعنى أيرضى أحد منكم أن يكون

عبد شريكاً له في ماله فهو وهو فيه سواء ؟ قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذاك ، كذلك الله لا شريك له . والمعنى إن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف يعملون لله الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى ﴿ ويعملون لله ما يكرهون ﴾ أى من البنات ، لأنهم جعلوا الملائكة بنات الله ، وقد كان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : وكان من أقدم أصنامهم مناة ، وكان منصوباً على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة ، وكانت العرب جميعاً تعظمه ، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج . قال هشام : وحدثننا رجل من قريش عن ابن عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : كانت الأوس ومن جاورهم من عرب يثرب وغيرها يحجون ، فيقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم ، فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تاماً إلا بذلك . وكانت مناة لذيذ وخزاعة ، فبعث رسول الله ﷺ عليها فهدمها عام الفتح

ثم اتخذوا اللات بالطائف ، وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة ، وكانت سدنهما من ثقيف ، وكانوا قد بنوا عليها ، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونها ، وبها كانت تسمى زيد اللات وتيم اللات . وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم ، فلم زل كذلك حتى بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه وأبا سفيان بن حرب لما أسلمت ثقيف فهدماها وحرقاها بالنار ، انتهى . وروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ أفرأيت اللات والعزى ﴾ قال كان يلت السويق للحاج فأت ، فسكفوا على قبره . وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج . رواه البخارى بنحوه

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات ، اتخذها ظالم بن سعد بوادى نخلة فوق ذات

عرق ، وبنوا عليها بيتا ، فكانوا يسمعون منها الصوت . قال هشام : وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كانت للعزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال : أتت بطن نخلة فأنك ستجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى . فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثانية ، فعضدها . ثم أتى النبي ﷺ قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : لا . قال فاعضد الثالثة . فإذا هو بحبشية زفشة شعرها واضعه يديها على عاتقها تضرب بأنيابها وخلفها سادنها . فقال خالد :

كفرانك لا سبحانه إنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها فتناق رأسها فاذا هي حمة ، ثم عضد الشجرة وقتل السادن ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال : تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب . انتهى

وقال بعض العلماء : وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات ، والعزى ، ومناة . كما ذكر الله ذلك في كتابه حيث يقول ﷻ أقرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب . والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف . فكانت اللات لأهل الطائف ، ذكروا أنه كان في الأصل رجلا صالحا يلبث السويق للحجاج ، فأتت فعكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ، ثم بنوا عليه بنيه . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد عقيب فتح مكة فأزالها ، وقسم النبي ﷺ مالها ، وخرجت منها شيطانة ، فبُعثت العزى أن تعبد . وأما مناة فكانت لأهل المدينة يهلون لها شركا بالله ، وكانت حذوقديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل . ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه ، حتى يتبين له تأويل القرآن ويعرف ما كرهه الله ورسوله ، فلينظر سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه ، وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء . ولما كان للمشركين سدرة يعلقون بها

أسلحتهم ويسمونها « ذات أنواط » فقال بعض الناس : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط فقال « الله أكبر ، قاتم كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم » فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أظم من ذلك وأعظم من مشابهتهم المشركين ، أو هو الشرك بعينه . انتهى . وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال . إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وذلك أنه إذا لم يعرف ما كان عليه أهل الجاهلية وقع فيه وهو لا يشعر

قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها ، وأعظمها عندهم هُبَل وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان ، وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا ، أتوه فاستقسموا عنه بالقِداح ، وهو الذي قال أبو سفيان يوم أحد : اعلُ هُبَل ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله أعلى وأجل

وكان لهم أساف ونائلة ، قيل : إن أصلها أن أساف رجل من جُرم ونائلة بنت زيد ابن جرم ، وكان يتعشقها في أرض الين ، فأقبلوا حجاجا ، فلما خلا البيت فوجدوا غفلة من الناس ففجروا بها في البيت ، فمسخا حجرتين ، فأخرجوها فوضعهما عند الكعبة ليعتظ بهما الناس ، فلما طال مكثها وعبدت الأصنام عبدا معها ، فكانوا يذبجون عندها . والله أعلم

قال ابن اسحق والكلبي : وكان ذو الخَلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان بيلاهم من العرب ، وكان مروة بيضاء منقوشا عليها كهيئة التاج ، وكان له بيت فقال رسول الله ﷺ [لجرير بن عبد الله البجلي] : ألا تكفيني ذا الخَلصة ؟ فسار إليه بأحسن فقاتلته خثعم وباهلة ، فظفر بهم ، وهدم بيت ذي الخَلصة وأضرم فيه النار . وذو الخَلصة اليوم عتبة باب مسجد بنبالة . وذكر السهيلي أن موضعه اليوم ^(١) لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم . وذكره المبرد عن أبي عبيدة . قال السهيلي : وكان بعث جرير له قبل

(١) بياض بالأصل

وفاة النبي ﷺ بشهرين . قال جرير : قال لي رسول الله ﷺ « ألا تريحنى من ذى الخلصة » وكان بيتاً فى خثعم يسمى الكعبة اليمانية ، فانطلقت فى خمسين ومائة من أحس إلى ذى الخلصة وكانوا أصحاب خيل فقلت : يا رسول الله إني لا أثبت على الخيل ، فضرب يده فى صدرى حتى رأيت أثر أصابعه فى صدرى وقال « اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً » فانطلق اليها فكسرها وحرقها فُرسل إلى النبي ﷺ يبشره ، فقال رسول جرير : والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جل أجرب ، فبارك على خيل أحس ورجالها خمس مرات . رواه البخارى ومسلم . وثبت عن الصادق المصدوق أنه سيعبد فى آخر الزمان ، وثبت فى الحديث أنه لا تقوم الساعة حتى تضرب اليات نساء دوس وخثعم حول ذى الخلصة

وكان لدؤس صنم يقال له ذو الكفنين ، فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل ابن عمرو الدوسى فخرقه

وكان ابنى الحارث بن يشكر صنم يقال له الشرى

وكان لقضاة ونحّام وجذام وعاملة وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له الأقيصر

وكان لمزينة صنم يقال له بهم ، وبه كانت تسمى عبد بهم

وكان لعزة صنم يقال له سعير

وكان لطي صنم يقال له الفلس بين سلمى وأجأ

وكان لأهل كل دار بمكة صنم فى دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر فكان

[أول] ما يصنع فى منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به

قال ابن اسحق : وكان لخنولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له

من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عم أنس من حق الله سموه له وتركوه . وما دخل فى حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، وفيهم أنزل الله تعالى

﴿ وَجِئُوا اللَّهَ مِمَّا دَرَأُوا مِنَ الْحَرِّ نَصِيْبًا ﴾ الآية

قال ابن اسحق : وكان ابني ملكان من كنانة بن خزيمه حين يقال له سعد ، صخرة بنلاة من الأرض طويلة ، فأنبل رجل منهم بإبل له مؤبلة ليقيمها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم ، فمارأته الإبل - وكان تهرأى عليه الدماء - نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، فغضب ربه ، فأخذ حجرا فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفرت عني إبلي . ثم خرج في طلبها حتى جهها ، فلما اجتمعت قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فقرقنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لني ولا رشد

وقال أبو رجاء العطاردي : كنا نعبد الحجر في الجاهلية ، فإذا وجدنا حجرا هو أحسن منه تلقى ذلك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ، ثم جئنا بفم فخليناها عليه ، ثم طفنا به . وروى الدارمي عن مجاهد قال : حدثني مولاي^(١) أن أهله بعثوا معه بقدر فيه زبد وأين إلى آلهتهم ، قال : فنعني أن آكل الزبد لحافها . قال : فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم وهو أساف ونائلة . قال هرون : كان الرجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار ثلاثة لقدره والرابع يعبده ويربي كلبه ويقتل ولده . وروى أيضا أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان ، فكنا نقتل الأولاد ، فساكنات عندي بنت لي ، فلما أحانت وكانت مسرورة بدعائي إذ دعرتها يوما فاتبعتني ، فمررت حتى أتيت بئرا من أهل غير بعيد ، فأخذت بيدها فردت بها في البئر ، وكان آخر عهدي بها تقول : يا أبتاه يا أبتاه . فبكي رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال رجل : أحزنت رسول الله . فقال له : كف فإنه يسأل عما أهله . ثم قال : أعد علي حديثك ، فأعاده ، فبكي حتى وكف الدمع من عينيه على لحيمته ، ثم قال له : إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عملك . انتهى

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما ، فجعل يطعن بسية

(١) مولا السائب بن أبي السائب أبو الحجاج المسكي الإمام المقرئ المفسر

قوسه في وجوهها وعميورها يقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ وهي تتساقط على رؤوسها . ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت ، أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود بنحوه ، ولم يذكرها « وهي تتساقط الخ » عندها « فجعل يطعنهما بعود كان في يده الخ »

قال أبو الحسن السعدي في كتابه مروج الذهب : كانت العرب في جاهليتها غرقاء : منهم الموحّد المقر بخالفه المصدق بالبعث والنشور موقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصي ، كقس بن ساعدة المشهور بالفصاحة ورباب الشنى وبحيرا الراهب وكان من عبد القيس ، ومنهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأقر بالبعث والإعادة وأنكر الرسل وعكف على عبادة الأصنام ، وهم الذين حكى الله تعالى قولهم ﴿ ما نعبدكم إلا ليقربوا إلى الله زلفى ﴾ وهذا الصنف هم الذين حجوا إلى الأصنام وقصدوها ، ونحروا لها البدن ونسكوا لها النسائك ، وحرّموا لها وأحلّوا لها . ومنهم من أقر بالخالق والبدء وكذب بالرسل والبعث وقال إلى قول أهل الدهر ، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ الآية . ومنهم من مال إلى اليهودية والنصرانية . وقد كان صنف من العرب يعبدون الملائكة ويزعمون أنها بنات الله ، تعالى وتقدس عن قولهم ، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم عند الله وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله ﴿ ويعلمون لله البنات سبحانه ﴾ الآية . وقوله ﴿ أفأرأيتم اللات والعزى ﴾ الآيات . انتهى كلامه . وقال غيره . ومنهم من كان يعبد الجن ، وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا ، وكانت لأبي بكر رضى الله عنه فيها يد طولى ، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاء الإسلام بها ، وكانوا لا يتكحون الأمهات ولا البنات وكان أقبح ما يتونه الجمع بين الأختين ، وكان الرجل منهم يتزوج امرأة أبيه ، وكانوا يفتسلون من الجنابة ، وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وقرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظفار وتنف الإبط وحلق العانة والحتان ، وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى ، وكانوا يحجون ويعتصرون

وقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام : بائدة وعاربة ومستعربة . أما البائدة فهم الأولى الذين ذهبوا عن تفاصيل أخبارهم لتقدم عهدهم ، وعاد وتمود وجُرم الأولى - وكانت على عهد عاد - فبادوا ودرست أخبارهم . وأما جُرم الثانية فهم من ولد قحطان ، وبهم اتصل اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل . وأما العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان ، وأما العرب المستعربة فهم من ولد اسمعيل . انتهى

فصل

قال ابن القيم : وتلاعبُ الشيطان بالمشرَكين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة ، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم ، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صور تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح ، ولهذا آعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساحد والسرَج ، ونهى عن الصلاة إلى القبور ، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً ، وقال : « نشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل ، فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله ، إما جهلاً وإما عنادا لأهل التوحيد ، ولم يضرهم ذلك شيئاً . وهذا السبب هو الغالب على عوام المشرَكين ، وأما خواصهم فأنهم اتخذوها بزعمهم على صور السكواكب المؤثرة في العالم عندهم ، أو جعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وقرباناً ، ولم يزل في هذه الدنيا قديماً وحديثاً ، فنها بيت على رأس جبل بأصبهان كان به أصنام أخرجهما بعض ملوك الجوس وجعله بيت نار ، ومنها بيت ثن وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشرَكين على اسم الزهرة فخر به عثمان بن عفان ، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخر به المعتصم . وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند

وأصل هذا المذهب من مشركي الضابطة ، وهم قوم إبراهيم الخليل عليه السلام الذين ناظرهم فطابوا تحريقه ، وهو مذهب قديم في العالم ، وأهله طوائف شتى : فمنهم عباد الشمس

زعموا أنها ملك من الملائكة السفلية كلها عندهم منها ، وهى عندهم ملك الفلك ، فستحق التعظيم والسجود والذعاء . ومن شريعتهم فى عبادتها أنهم اتخذوا لها صنما بيده جواهر على لون النار ، وله بيت خاص قد بنوه باسمه ، وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع ، وله سدنة وقوائم وحجبة ، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها ، وإذا غربت ، ولذا توسطت الفلك ، ولهذا يقال فيها الشيطان ^(١) فى هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتها له . ولهذا نهى النبى ﷺ عن تحرى الصلاة فى هذه الأوقات ، قطعا لمشابهة الكفار ظاهرا ، وسدا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنما وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلى ، ومن شريعة عبادته أنهم اتخذوا لهم صنما على شكل عجل ويجرد أربعة رؤوس الضم جودرة ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياما معلومة من كل شهر ، ثم يتلون إليه بالطعام والشراب والقرح والسرور ، فاذا فرغوا من الأكل أخذوا فى الرقص والغناء وأصوات العازف بين يديه

ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيات بزعمهم ، وبنوا لها هياكل ومعابدات ، لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ، فمنهم لا تستمر لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه ، ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورها ، فوضع الصنم إنما كان فى الأصل على شكل معبود غائب فعملوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبا منابه وقائما مقامه ، وإلا فن المعلوم أن عاقلا لا ينتج خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد أنه إله ومعبوده . ومن أسباب عبادتها أيضا أن الشياطين تدخل فيها وتخطبهم وتخبرهم ببعض الغيبات وتدلم على بعض ما يخفى عليهم ، فبجهلهم وسخفهم يظنون أن المتكلم هو الصنم نفسه المخاطب ، وعقلاؤهم يقولون إن هذه روحانيات الأصنام ، وبعضهم يقولون إنها الملائكة . وبالجملة فإن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ، ولم يتخلص

(١) كذا الأصل ، ولعل فيه تحريفا

منها إلا الخنفاء أتباع ملة إبراهيم . وعبادتها في الأرض من قبل نوح كما تقدم ، وهيا كلها
وسدنتها ومحارمها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الأرض . قال إمام الخنفاء
﴿ واجتنبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللان كثيرا من الناس ﴾ ومن أسباب عبادة
الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه
بالله سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم ، الذي أبطله الله وبعث رسله وأنزل كتبه
بانكاره والرد على أهله ، قال الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ وقال ﴿ ومن
الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾ الآية . وقال عن أهل النار ﴿ تالله إن كنا في ضلال
مبين ، إذ نسوكم برب العالمين ﴾ وقال ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ فنهأهم أن يضربوا له
مثلا من خلقه ، فإن هذا لم يقله أحد ولم يكونوا يفعلونه ، فإن الله سبحانه أجل وأعظم
وأكبر من [ذلك في] فطر الناس كلهم ، ولكن المشبهون يفعلون فيمن يعظمونه ،
فيشبهونه بالخالق . والله أعلم

ذكر أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

وفي الصحيحين عن ابن المسيب قال : البحيرة هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها
أحد من الناس . والسائبة التي يسيبونها لأهلهم لا يحمل عليها . والوصيلة الناقة البكر تبكر في
أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأثني ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى
ليس بينهما ذكر . والحامى فحل الإبل يضرب الضراب المعداد ، فإذا ضربه ودعوه
للطواغيت ، وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه ، وسموه الحامى . انتهى

وقال ابن اسحاق : البحيرة بنت السائبة ، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس
بينهن ذكر سميت ، فلم يركب ظهرها ولم يحز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت
بعد ذلك من أثني شقت أذنهما ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يحز وبرها ولم
يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها ، فهي البحيرة بنت السائبة . والوصيلة الشاة إذا أتامت
عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ،

فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإناثهم . والحامى إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حتى ظهره فلم يركب ولم يحز ويره وخلى في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك . قال ابن اسحاق فلما بعث الله رسوله محمد ﷺ أنزل الله ﷻ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﷻ والآية ، وأنزل ﷻ وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ﷻ الآية وقوله ﷻ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ﷻ الآية

أمر الخمس

قال ابن اسحاق : وقد كانت قريش - لا أدري قبل الفيل أو بعده - ابتدعت للخمسة رأيا رأوه وأرادوه ، فقالوا : نحن بنوا إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت وقاطنو مسكة وساكنوها ، فليس لأحد من العرب مثل حتما ولا مثل منزلا ، ولا تعرف له مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل مثل ما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ، ويرون لساير العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيره كما يعظم ، نحن الخمس والحمس أهل الحرم . ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من مساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إبراهيم ، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنفانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ، ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن لهم حتى قالوا : لا ينبغي للخمسة أن يقطوا الأقط ولا يسلبوا السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأدم ما كانوا حراما . ثم رفعوا فى ذلك فقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثياب الخمس ، فإن لم يجدوا شيئا طافوا بالبيت عراة فإن تكرم

منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب أحس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل
ألقاها إذا فرع من طوافه ولم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره ، فكانت العرب تسمى
تلك الثياب «اللقى» فحملوا على ذلك العرب فدانن به ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما
النساء فتضع المرأة ثيابها كلها إلا درعا مفرجا ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب :
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا ﷺ فأنزل الله ﷻ ثم أفيضوا من حيث أفاض
الناس في معنى قريشا والعرب ، وأنزل فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبسهم عند
البيت ﷻ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﷻ إلى قوله تعالى ﷻ قل من حرم زينة
الله ﷻ الآية

ذكر أهل الفترة

بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم

قال المسعودي : وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم في الفترة جماعة من أهل
التوحيد ومن يقر بالبعث قد اختلف الناس فيهم ، فمن الناس من رأى أن منهم أنبياء ،
ومنهم من رأى غير ذلك . فمن ذكر رباب الشنى وكان من عبد القيس ثم من شن وكان
على دين المسيح قبل مبعث رسول الله ﷺ ، فسمعوا مناديا ينادى من قبل السماء قبل
مبعثه ﷺ : خير أهل الأرض رباب الشنى وبحيرا الراهب ورجل آخر لم يأت بعد ،
يعنى النبي ﷺ . وكان لا يموت أحد من ولد رباب إلا رأوا طشا على قبره

ومنهم أسعد أبو كرب الحيرى وكان مؤمنا بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعائة سنة وقال :

شهدت على أحمد . أنه رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود ، ولذلك يقول بعض حخير :

وكسونا البيت الذي حرم الله

ومنهم قس بن ساعدة من إباد بن معد ، وكان حكيم العرب ، وكان مقرا بالبعث ، وهو الذي يقول « من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » وقد ضرب العرب بحكمته الأمثال قال الأعشى :

وأحكم من قس وأجرى من الذي بذى الغيل من غسان أصبح حادرا
وقد وفد من إباد إلى النبي ﷺ فسأله عن ، فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله . كأنى
أنظر إليه بسوق عكاظ على جل له أحر وهو يقول « أيها الناس ، اسمعوا وعوا . من
عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . أما بعد فإن في السماء نخبرا ، وإن في
الأرض لعلبرا . بحر يقور ، ونجوم تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع . أقسم قس
بالله قسما : إن له ديننا أرضى من دين أئتم عليه . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا
بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف ، وعمل مختلف » وقال أبياتا لا أحفظها .
فقام أبو بكر فقال : أنا أحفظها يا رسول الله ، فقال :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله ﷺ : رحم الله قسا ، إنى لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده
ومن كان في الفترة زيد بن عمرو أبو سعيد بن زيد أحد العشرة ، وهو ابن عم عمر بن
الخطاب ، وقد كان زيد رغب عن عبادة الأوثان وعابها ، فأولع به عمه الخطاب سقيا مكة
فسلطهم عليه فأذوه : قال ابن اسحاق : واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من

أصنامهم وكانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويدبرون به وكان ذلك عيداً لهم [في كل] سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وعبيد الله بن جحش . وكانت أمة أميمة بنت عبد المطلب - وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً ، فإنكم والله ما أنتم على شيء . ففترقوا في البلدان ياتمسكون دين إبراهيم ، فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر من المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هناك نصرانياً ، وخلف رسول الله ﷺ [علي] زوجته أم حبيبة بعده ، فأرسل إلى النجاشي عمرو بن أمية فزوجها رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة دينار . وأما عثمان ابن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذباح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة وقال : أعبد رب إبراهيم ، وبأدأ قومه بعبادته ما هم عليه . وقال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك . ولكن لا أعلمه . ثم يسجد على راحته . قال ابن اسحاق : وحدث ابنه سعيد بن زيد بن عمرو وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالاً لرسول الله ﷺ : أنستخفركم زيد بن عمرو ؟ قال نعم ، فإنه يبعث أمة وحده . وقال الليث كتب إلى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري .

وكان يُحيي المومودة ، يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنه : لا تقتلها فأنا أ كفيك مؤنتها .
 فيأخذها ، فاذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها اليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها .
 وروى البخارى أيضا عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل
 بلح قبل أن ينزل عليه الوحي ، فقدمت الى النبي ﷺ (١) فأبى أن يأكل منها . ثم قال
 زيد : لست آكل مما تذبجون على أصنامكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه . وإن
 زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قریش ذبائهم . ويقول : الشاة خلفها الله وأنزل لها من
 السماء الماء وأبنت لها من الأرض ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ، إنكارا لذلك وإعظاما
 له . قال موسى : حدثني سالم بن عبد الله ولا أعلمه يحدث إلا عن ابن عمر أن زيد بن عمرو
 ابن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين وبعثه . فلقى عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم
 فقال : اعلى أدين بدينكم ، فقال : لا تكن على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله . فقال
 زيد : ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أستطيعه ، فهل تدلني على
 غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم ،
 لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله
 فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال : ما أفر إلا من لعنة الله ،
 ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضب الله شيئا أبدا وأنا أستطيع . فهل تدلني على غيره ؟ قال
 ما أعلمه إلا أن تكون حنيفا . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم ، لم يكن يهوديا ولا
 نصرانيا ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه وقال :
 اللهم إني أشهدك أنى على دين ابراهيم . انتهى

قال ابن اسحاق : قال زيد بن عمرو في فراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك :
 أربابا واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
 فلا عزى أدين ولا ابنتها ولا صنمى بنى عمرو أزور

(١) لعله سقط هنا كلمة « ذبيحة » ، أو « لحوم ذبيحة » ،

ولا غنا أدين وكان ربًّا
ولكن أعبد الرحمن ربى
فتقوى الله ربكم احفظوها
ترى الأبرار دارهم جنان
وقال أيضا :

إلى الله أهدى مدحتى وثنائيا
إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه
ألا أيها الإنسان إياك والردى
وإياك لا تجل مع الله غيره
حنانك إن الجن كانت رجاءهم
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى
وأنت الذى من فضل من رحمة
وقلت له أذهب وهرون فادعوا
وقولا له آنت سرّيت هذه
وقولا له آنت رفّعت هذه
وقولا له آنت سيرت وسطها
وقولا له من يرسل الشمس غدوة
وقولا له من يثبت الحب فى الثرى
ويخرج منه حبه فى رءوسه
وأنت بفضل منك نجيت يونس
وانى وإن سبحت باسمك ربنا
فربّ العباد ألقى سيدا ورحمة

وقولا رضىا لا ينّى الدهر باقيا
إله ولا ربّ يكون مدانيا
فإنك لا تُخفى عن الله خافيا
فإن سبيل الرشد أصبح باديا
وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين إلهى غيرك الله ثانيا
بعثت إلى موسى رسولا مناديا
إلى الله فرعون الذى كان طاغيا
بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
بلا عمد ارفق إذا بك بانيا
منبرا إذا ما جنة الليل هاديا
فيصبح ما مسّت من الأرض ضاحيا
فيصبح منه البقل يهتز رايا
وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
لأكثر إلا ما غفرت خطايا
على وبارك فى بنى وماليا

وقال ابن هشام هي لأمية بن أبي انصالت في قصيدة له . وقال زيد أيضا :
 وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرها ثقلا
 دحاشا فيها رآها استقوت . على الماء أرسى عليها الجبالا
 وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
 إذا هي سيمت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجبالا

وكان الخطاب قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حراء متقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهاءهم ، فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة ، وكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم . ثم خرج يطلب دين إبراهيم يسأل الأخبار والرهبان حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء إلى الشام كلها حتى انتهى إلى راهب ببيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم فقال : إنك اعطيت ديننا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلمك زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفة ، فالحق بها فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئا ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلادهم عدوا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل يبيكيه :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما	تجنببت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كئله	وتركت أوثان الطواغى كما ديا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته	ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها	تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن	من الناس حبارا الى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه	ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

ومن كان في الفترة أمية بن أبي الصلت الثقي ، وكان عاقلا ، وكان يتجر الى الشام فيلقى أهل الكتاب من اليهود ويقرأ الكتب ، وقد كان علم أن نبيا سيبعث في العرب فطمع أن يكون هو ، فلما بعث رسول الله ﷺ وصرفت عنه النبوة حسد وكفر ، فكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة والأنبياء ، ويذكر البعث والنشور والجنة والنار ويعظم الله وحده ، ومن ذلك قوله :

الحمد لله لا شريك له من لم يكن هكذا فقد ظلما

ووصف أهل الجنة في بعض كلامه فقال :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي ﷺ اغتاظ لذلك وتأسف ، وأتى المدينة ليسلم فرده الحسد ، فرجع الى الطائف ، فبينما هو ذات يوم مع فتية ليشرب إذ وقع عليه غراب فنقع ثلاثة أصوات وطار ، فقال أمية : أتدرون ما قال ؟ قالوا : لا . قال إنه يقول : إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت . فقال القوم : لنكذب بن قوله . قال : احثوا كأسكم فحثوها ، فلما انتهت الكأس الثالثة الى أمية أغشى عليه ، فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول :

لَيْيَكُمَا لَيْيَكُمَا هَا أَنَا ذَا لَيْيَكُمَا

أنا من خفت عليه النعمة ، ولم يحمد الشكر

إن تغفر اللهم تغفر جأ وأى عبد لك ما ألبا

ثم أنشأ يقول :

إن يوم الحساب يوم عظيم
ليتني كنت قبل ما قد بدالى
شاب منه الصغير شيئا طويلا
في رهوس الجبال أرى الوعولا
كل عيش وإن تطاول دهرها
صائر مرة إلى أن يزولا

ثم شفق شهقة كانت فيها نفسه

وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسِلْ مِنْهَا﴾ الآية : إنه أمية بن أبى الصلت . وهو أول من كتب « باسمك اللهم » ومنه تعلمت قریش ، ولتعلمه هذه الكلمة سبب عجيب ذكر المسعودى

وقد أسلمت عائكة أخت أمية هذا فخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق في تفسيره أنها جاءت إلى النبي ﷺ فحدثته أنها رأت وهى فى اليقظة نسرین نزلا على سقف بيتها ، وفيه أخوها أمية فأما . فشقما السقف ، فنزل أحدهما على أمية فشق صدره وحشاه بشيء ثم أصاحه فخرج فقال له النسر الآخر : وئى ؟ قال : نعم . قال : هل زكا ؟ قال : لا . فكذلك كان ينطق بالحكمة فى أشعاره ويذكر التوحيد ويعظم الرب ويذكر الجنة والنار ، فلما قتل يبدر من قتل من أشرف قریش بكاهم ورثاهم وحقد على الإسلام وحُرم التوفيق . وما ذكر من شعره قوله :

إن آيات ربنا باقيات ما يمارى فيهن إلا كفور
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار . رب كريم بمهابة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمُعَسِّس حتى ظل يحبو كأنه معفور
لازما حنقة الجران كما قطر من صخر ككبك محدود
حوله من ماوك كنفدة أبطا ل ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الخنيقة بور
ومن ذلك قوله أيضا :

إله محمد حقا إلهى ودينى دينه غير انتحال
إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عهد يرين ولا حبال

وسواها وزينها بنور
ومن شهب تاللاً في دجائها
وأثنا المزن تُدَلِّج بالزوايا
ليسقى الحرث والأنعام منها
وشق الأرض فانبعجت عيوننا
وبارك في نواحيها وزكى
وأجرى الفلك في تيار موج
وكل مُعَمَّر لا بد يوماً
ويفنى بعد جدته ويبلى
كأنا لم نعش إلا قليلاً
ونادى مسمع الموتى فجئنا
فلا أنساب بين الناس ترجى
سوى التقوى ولا مولى يُرَجَّى
وسيق الجرمون وهم عصاة
إذا فضجت جلودهم أُعيدت
ونادوا مالكا ودعوا ثبورا
فليسوا ميتين فيستريحوا
وحلّ المتقون بدار صدق
ظلال بين أعناب ونخل
لم ما يشتهون وما تمنوا
ومن استبرق يكسون فيها
وكأس لذة لا غول فيها

من الشمس المضيئة والهلل
سراميه أشد من النصال
خلال الرعد مرسله العزالي
سجال الماء حالا بعد حال
وأنهارا من العذب الزلال
بها ما كان من حرث ومال
تفيض على المداليح النقال
وذى دنيا يصير الى زوال
سوى الباقي المقدس ذى الجلال
إذا كنا من الهوم البوالى
من الأحداث كالسفن العجبال
ولا رحم يصير الى وصال
سوى الرب الرحيم من الموالى
الى ذات المقامع والنسكال
كما كانت وعادوا في سفال
وعجوا في سلامها الطوال
وكلمو بحر النار صال
وعيش ناعم تحت الظلال
وبنيان من الفردوس عال
من اللذات فيها والجمال
عطايا حمة من ذى العالى
من النحر المشبعة الحلال

وله أشعار كثيرة غير ذلك . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : أصدق كلمة قالها الشاعر لبديد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم . وعن عمرو بن الشريد ^(١) عن أبيه قال : استنشدني النبي ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت ، فأنشدته ، حتى أنشدته مائة قافية . رواه البخاري في الأدب المفرد ^(٢) . ومن كان في الفترة أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار ، وقد كان ترهب ولبس المسوح وهجر الأوثان ودخل بيتا فاتخذ مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه . وفيه نزات آية السجور ﴿ كُوا وَشَرَبُوا ﴾ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وهو القائل في النبي ﷺ :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكرلو يلقى حبيبا مواتيا
وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا	ألا بما استطعتم من وصاتي فافعلوا
وأوصيكم بالله والبر والتقى	وأعرضكم ، والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم	وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزات إحدى الدواهي بقومكم	فأنفسم دون العشرة فاجعلوا
وإن أنتم أعرستم فتمنفقوا	وما حملوكم في الملمات فاحلوا
وإن ناب غرم فادح فارفعوهم	وإن كان فضل الخير فيكم فافضلوا
ومن ذلك قوله أيضا :	

سبحوا الله شرق كل صباح	طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا	ليس ما قال ربنا بضلال

يا بَنَى الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه وال
وانجعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخلفا وأخذ الحلال

ومنه أبو عامر الأوسى واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان من بني عمرو بن عوف ،
وابنه حنظلة بن أبي عامر وهو غسيل الملائكة ، وكان سيدا في الجاهلية قد ترهب فيها
ولبس المسوح ، وكان يسمى في الجاهلية الراهب ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاهره
بالعداوة فخرج فارا إلى قريش يماثلهم على حرب رسول الله ﷺ وجاء معهم يوم أحد وحفر
حفائر بين الصدين فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ ، وتقدم في أول المبارزة فاستألمهم إلى
نصره ، فلما عرفوه قالوا : ألا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه ، فرجع وهو
يقول : لقد أصاب قومي بعمى شر ، ودعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت طريدا بعيدا فنالته
الدعوة ، وذلك أنه لما رأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع ذهب إلى هرقل يستنصره على
النبي ﷺ ، فوعده ومناه ، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من أهل النفاق من قومه يعدم
أنه سيقدم عليهم بجيش ، فيخرج محمدا وأصحابه . وأمرهم أن يبنوا مسجدا ويستعدوا بما
استطاعوا من قوة وسلاح ، فبنوا مسجد الضرار ، فلما فرغوا أتوا إلى النبي ﷺ فقالوا :
إننا قد فرغنا من مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعونا بالبركة ، فأنزل الله فيه القرآن
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا والآيات . وأمر به رسول الله ﷺ بعد أن
رجع من تبوك فخرقه

ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه

قال ابن اسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمد بن ابيدع عن عبد الله
ابن العباس قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان

من أهل قرية يقال لها جى ، وكان أبى دهقان أهل قريته ، وكنت أحب خاق الله إليه ، فلم يزل حبه إياى حتى حبسنى كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النذر الذى يوقدها لا يتركها تحبو ساعة . قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة ، قال فشغل فى بنيان له يوما فقال لى : يا بنى قد اشتغلت فى بنيانى هذا عن ضيعتى فاذهب اليها فاطاعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال : ولا تحتبس عنى فانك إن احتبست عنى كنت عندى أهم إلى من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شئ من أمرى . قال فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لأدري ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبته صفتهم فى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم وقات هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه . فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها . ثم قات لهم ، من أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام . فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغاته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال قلت له : يا أبت مررت بنصارى يصلون بكنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال قلت له : كلا والله إنه لخير من ديننا . فخافنى ، فجعل فى رجلى قيذا ثم احتبسنى فى بيته . قال وبعثت إلى النصارى وقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى ، فأخبرونى بهم . فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى بهم . فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف فى الكنيسة . قال فجئت فقلت له : إني رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك . قال : ادخل . فدخلت معه قال : فسكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا هموا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، قال

وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع . ثم مات ، فاجتمعت له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جتمعوه بها اكتنظها لنفسه ولم يعط الساكن منها شيئا . فقالوا لي وما علمك بذلك ؟ قلت لهم إني أدلكم على كنزه . قالوا : فدلنا عليه . قال فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا منه سبع قلاع مملوءة ذهبا ، وورقا . قال فلما رأوها قالوا : والله لا ندفعه أبدا ، فصلبوه ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل فجعلوه مكانه قال يقول سلام . فما رأيت رجلا يصلى الخمس أرى أنه أفضل ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه . قال فأحببته خبا شديدا لم أحب شيئا قبله . قال فأقت معه زمانا ثم حضرته البرقة فقلت له : يا فلان إني قد كنت معك فأحببتك حبا لم أحبه شيئا من قبلك ، وقد حضرتك ما ترى من أمر الله ، فألى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبذلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه . فالحق به قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره . فقال لي . أقم عندي . فأقت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له ، يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرنى أن ألحق بأمرك ، وقد حضرتك من أمر الله ما ترى فألى من توصى بي ، وبم تأمرني ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كننا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان . فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي ، فقال : أقم عندي ، فأقت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه فأقت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فألى من توصى بي ، وبم تأمرني ؟ قال : يا بنى والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمرورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فاته فإنه على أمرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمرورية فأخبرته خبري فقال : أقم عندي ، فأقت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم . قال فاكنسبت ، حتى صار لي بقرات وغنيمة . قال

ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي وبهم تأسرنى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما كان عليه هؤلاء . آمرك أن تأتية ، ولكنه قد أظال زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة . فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . ثم مات وغيب . قال ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيك بقراتي هذه وغنيمي هذه . قالوا نعم فأعطيتهم إياها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلهوني فباعوني على رجل يهودى عبدا ، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبي ولم يحق فى نفسى ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها وبعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق . ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدى أعمل له بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال . يا فلان قاتل الله بنى قيلة ^(١) والله إنهم الآن لمجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي . قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء وهى الحمى النافض . قال ابن هشام : العرواء هى المرعدة من البرد والانتفاض . حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ قال فغضب سيدى . فلكنى لكمة شديدة ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك قال فقلت له : لا شئ . إنما أردت أن أسأله عما قال . قال : وقد كنت عندى شئ وقد جمعته ، فلما أمسيت أخذته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقبا ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغنى إنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء .

ذوو حاجة ، وهذا كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم . قال : فقر به اليه ، فقال ﷺ : كلوا ، وأمسك يدك ، فلم يأكل . فقلت فى نفسى : هذو واحدة . ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة فحتمه به فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمك بها . قال : فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه منها . قال فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بيتبع الغر قد قد تبع جنازة أحد أصحابه عليه شملتان له وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الذى وصف لى صاحبه ، فلما رآنى ﷺ استدبرته عرف أنى أمتنبت فى شئ ، وصرف لى ، فأتى رداده عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فمرفته ، فأكبت عليه أقبل فبكى وأبكى ، فقال لى ﷺ : تحوّل ، فتحوّلت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثى كما حدثتكم يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، قال سلمان : ثم قال لى ﷺ : كاتب ياسلمان ، فكاتبته صاحبه على ثلاثمائة نخلة أحيمها له بالفقير ، وهى شبه الآبار الصغار المدسة ^(١) لا تنخل وأربعين أوقية زاد البلاد ^(٢) ، وشئ من ذهب . فقال ﷺ لأصحابه : أعينوا أهلكم ، فأعطونى بالنخل الرجل ثلاثين ودية ^(٣) والرجل بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمع لى ثلاثمائة ودية ، فقال لى رسول الله ﷺ : اذهب ياسلمان فقمرها ^(٤) فإذا فرغت فأتنى أكون أنا واضعها بيدى قال فقمرت وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جنته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودية ويضعه ﷺ بيده حتى فرغنا ، فوالذى نفس سلمان بيده مامات منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقي على المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال : ما فعل الفارسي المسكاتب ؟ قال فدعيت له ، فقال : خذ هذه فأدّها

(١) كذا ، ولم أقف على أصله

(٢) الودية : النخلة الصغيرة كالفسيل

(٣) أى احفر موضعاً تفرس فيه . واسم الحفرة فقره وفقير

مما عليك يا سلمان . قال قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله من الذى على ؟ فقال : خذها فإن الله سيؤديها عنك . قال : فأخذتها فوزنت لهم منها - والذى نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها . وعثق سلمان . فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرا ، ثم لم يفتنى مشهد . انتهى . وفى صحيح البخارى عن سلمان الفارسى أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب . وفيه عن أبي عثمان قال : سمعت سلمان يقول : أنا من رام هر مز . وفيه عن عثمان عن سلمان قال : فترة ما بين عيسى ومحمد سبائة سنة وفى صحيح مسلم من حديث عياض ابن حمار عن النبي ﷺ أن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب

ذكر صفات رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو قال : وجدت فى التوراة فى صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين ، أنت عبدى وزسولى ، سميتك المتوكل ، نيس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيسة ، ولكن يعفو ويصفح ، وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح عيوننا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بنن يقولوا لا إله إلا الله » وذكر الواقدي من حديث النعمان قال : كان من أخصاب يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه فساله عن أشياء ثم قال إن أبى كان يحتم على سفر يقول : تقرأه حتى تسمع بنى قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت به فتحت السفر فإذا فيه صفةك كما أراك الساعة ، وإذا فيه ما يحل وما يحرم ، وإذا فيه أنك خير الأنبياء ، وأمتك خير الأمم ، واسمك أحمد ﷺ ، وأمتك الحامدون ، وقربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم . لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم يتجنن الله اليهم كستحزن النسر على فراخه . ثم قال لى . إذا سمعت به فأخرج اليه وآمن به وصدق به . فكان النبي ﷺ يجب أن يسمع أصحابه حديثه . فأتاه فقال ﷺ : يا نعمان حدثنا . فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله ﷺ يتسم ، ثم قال : أشهد أنى

رسول الله . وهو الذى قتله الأسود العنسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول : أشهد أن محمدا رسول الله وأنت كاذب مفتر على الله ، ثم حرقه بالنار . وقال أبو العباس رحمه الله فى الرد على النصارى (١) : وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتاب الموجودة الآن فى أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة ، وصفقوا فى ذلك مصنفات . وهذه البشارات فى هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح عليه السلام ، واليهود يقرون باللفظ لكن يدعون أن المبشر به ليس هو المسيح بن مريم وإنما هو آخر ينتظر ، وهم فى الحقيقة لا ينتظرون إلا المسيح الدجال ، وينتظرون أيضا لحيى عيسى بن مريم إذا نزل من السماء ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون إنها لا تدل على نبي متتظر ، كما قالوا فى قوله سأقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم منك يا موسى ، أنزل عليه تورا ، أجعل كلامى على فيه . قال بعضهم : ليس هذا إخبارا بل استفهام إنكار ، وقدروا ألف استفهام أى سأقيم ، وليس فى النص شيء من ذلك . واليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح وذلك عند المسلمين والنصارى لا يقدر فى البشارة بالمسيح بل يبين دلالة المنصوص عليه وبطلان تحريف اليهود ، وكذلك البشارات بمحمد ﷺ فى الكتب المتقدمة لا يقدر فيها تحريف أهل الكتاب اليهود والنصارى بل يبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد ﷺ وبطلان تحريف أهل الكتاب . وشهادة الكتب لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله . وهو حجة أهل الكتاب على أصناف المشركين الملحدين ، كما ذكر الله هذا النوع من الآيات فى غير موضع من كتابه كما فى قوله تعالى ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ، فإن كنت فى شك مما أنزلنا فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ وقوله ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ الآية ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ، أو لم تأتهم بيعة ما فى الصحف الأولى ﴾ وذلك مثل قوله فى التوراة ما قد ترجم بالعربية : جاء الله من طور سيناء . وبعضهم يقول : تجلى

(١) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية فى كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)

الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلى من جبال فاران . قال كثير من العلماء واللفظ لأبي محمد : ليس بهذا خفاء على من يذكره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح وكان المسيح من ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمى من أتبعه نصارى ، وكما وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران وهى جبال مكة . وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة ، فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر أن ذلك من تحريفهم وإفكهم . قلنا : أليس فى التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ، وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذى أنزل عليه كتاب بعد المسيح ، أو ليس استعلن وعلا وهما بمعنى واحد وهو ظهر وانكشف ، فهل تعادون ديننا ظهور ظهور الإسلام وفشا فى مشارقها ومغاربها فشو ؟ قال ابن ظفر : ساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح . قلت : وبجانب بيت لحم القرية التى ولد فيها المسيح تسمى إلى اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير ، وفى التوراة أن نسل العيص كانوا سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم ، وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا : جبل حراء الذى ليس حول مكة جبل أعلى منه وفيه كان نزول أول الوحي على النبي ﷺ وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل إن بمكة اثني عشر ألف جبل ، وذلك المسكان يسمى بربة فاران إلى هذا اليوم ، والبرية التى بين مكة وطور سيناء بربة فاران ، ولا يمكن أن أحدا بعد المسيح نزل عليه كتاب فى شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي ، فلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ ، وهو سبحانه ذكر هذا فى التوراة على الترتيب الزمانى ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهده ، وقال فى الأول : جاء وظهر . وفى الثانى أشرق ، وفى الثالث استعلن ، فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك ، ونزول الإنجيل مثل إشراف الشمس زاد به النور والهدى ، وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس فى السماء ولهذا قال « واستعلن من

جبال فاران » فإن محمداً ﷺ ظهر به نور الله وهده في مشرق الأرض ومغربها أظهر ، ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعانت في مشارق الأرض ومغربها ولهذا سماه الله ﴿ سراجاً منيراً ﴾ وسمى الشمس ﴿ سراجاً وهاجاً ﴾ ، والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج ، فإن السراج يحتاجون إليه في وقت دون وقت ، وأما السراج الوهاج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ، ليلا ونهاراً سرا وعلانية ، وقد قال النبي ﷺ « زويت لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها » وهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ﴾ فأقسم بالتين والزيتون وهو الأرض المقدسة التي نبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح وأنزل عليه الإنجيل ، وأقسم بطور سينين ، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وفاداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بالبلد الأمين وهي مكة ، وهو البلد الذي أسكن فيه إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه . فقوله تعالى ﴿ والتين والزيتون ﴾ الآية إقسام منه تعالى بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهده وأنزل فيها الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة في النوراة بقوله : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعان من جبال فاران ، ولما كان ما في التوراة خبراً عنها أخبر بها على ترتيبها الزمني فقدم الأسبق ، وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيم شأنها ، وذلك أقدريته وآياته وكتبه ورسوله ، فأقسم بها على وجه التدرج كما في قوله درجة بعد درجة ، فختمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولاً بالتين والزيتون ثم بطور سيناء بمكة شرفها الله ، لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الإنجيل ، وكذا الأنبياء فأقسم بها على وجه التدرج كما في قوله تعالى ﴿ والذريات ذروا ، فالحاملات وقرأ ، فالجاريات يسرا ، فالمتعلمات أمرا ﴾ فأقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة ، فأقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات للمطر فإنها فوق الرياح ، ثم بالجاريات يسرا وقد قيل إنها السفن ، ولكن الأنسب أن تكون هي الكواكب المذكورة في قوله ﴿ فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس ﴾ والكواكب فوق السحاب . ثم قال ﴿ فالمتعلمات أمرا ﴾ وهي الملائكة التي

هى أعلى درجة من هذا كله . وما ذكره ابن قتيبة وغيره من تربية إسماعيل فى برية فاران
فمكذبا هو فى التوراة . وقال داود فى الزبور فى قوله : سبجوا الله تسبيحا جديدا ، وليفرح
بالخلق من اصطفى الله له أمة وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على
مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم
الذين لا يعبدونه . وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد وأمة ، فهم الذين يكبرون الله
بأصوات مرتفعة فى أذانهم للصلوات الخمس وعلى الأماكن العالية ، كما قال جابر بن عبد الله
كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كبرنا ، وإذا هبطنا سبجنا . فوضعت الصلاة على ذلك .
رواد أبو داود وغيره وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة فى أعيادهم عيد الفطر وعيد الفجر
فى الصلاة والخطبة ، وفى أذانهم للصلاة ، وفى أيام منى الحجاج وسائر أهل الأمصار يكبرون
عقب الصلاة ويكبرون على قرأينهم وهدْيهم وضحاياهم ، والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد
الله الأكبر اظهور التكبير فيه ، وليس هذا لأحد من الأمم غير المسلمين ، وإنما كان موسى
يجمع بنى اسرائيل بالبوق ، والنصارى شعارهم ناقوس وكذلك قوله « بأيديهم سيوف ذات
شفرتين » وهى السيوف العربية التى بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد . وقوله « يسبحون على
مضاجعهم » بيان لنعته المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويصلون
أحدهم [الفرض] (١) قائما ، فان لم يستطع فتقاعدا ، فان لم يستطع فعلى جنب ، ويصلون فى
البيوت وعلى المضاجع ، بخلاف أهل الكتاب ، والصلاة أعظم التسبيح

فصل

وقال داود فى مزاميره وهى الزبور « ومن أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد ، فتقلد
أيها الجبار بالسيف لأن البهاء (٢) لوجهك والحمد الغالب عليك ، لركب كفة الحق وسمة التأله

(١) عن الجواب الصحيح ٣ : ٢٩٩

(٢) فى الأصل د لا الها ، والتصحيح من الجواب الصحيح ٣ : ٣٠٠ وأمثال ذلك من
الآخطاء صححت من مواضعها فى الجواب الصحيح

فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيمنة يمينك وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك قالوا
فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى محمد ﷺ ، وهو الذي خرت له الأمم تحته ،
وقرنت شرائعه بالهيمنة كما قال ﷺ « نصرت بالرعب مسيرة شهر » . وقد أخبر داود أن له
ناموسا وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ، بخلاف المستضعف
المقهور ، وهو ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة ، وأمتة أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على
المؤمنين أعزة على الكافرين ، بخلاف من كان ذليلا للطائفتين من النصارى المقهورين مع
الكفار ، أو كان عزيزا على المؤمنين من اليهود ، بل كان مستكبرا كما جاءهم رسول بما
لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . قالوا وقال داود فى مزموه : إن ربنا عظيم
محمود جدا . وفى رواية : إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا . قالوا فقد نص داود
على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله ، فأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها . وقد تقدم الحديث
الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو : أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ، وذكر
صفته موجودة بنبوذة أشعيا ، وإست موجودة فى نفس كتاب موسى ، ولفظ « التوراة »
يقصدون به جنس الكتب التى عند أهل الكتاب وكذلك ما يوجد كثيرا فى قول كعب
الأخبار وغيره قرأت فى التوراة ، إنما يريدون به جنس الكتاب الذى عند أهل الكتاب ،
لا يخصون بذلك كتاب موسى . وأهل الكتاب يجدونه مكتوبا فى الكتب التى بأيديهم ،
وهو فى كثير منها أصرح مما هو فى كتاب موسى خاصة ، فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب
فلا يستريب عاقل فى كثرة نعتة وذكره ونعت أمتة فى تلك الكتب ، ومعلوم أن الله أراد
الاستشهاد به فى تلك الكتب وإقامة الحجة بذكره ، فإذا كان ذكره فى غير كتاب موسى
أشهر وأظهر وأكثر كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى .
قالوا : وقال داود فى مزموه « ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع
الأرض ، وتختر أهل الجزائر بين يديه ، وتلجس أعداؤه التراب ، وتسجد له ملوك الفرس ،
وتدين له الأمم بالطاعة والانتقاد ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف
الذى لا ناصر له ، ويرأف بالساكنين والضعفاء ، ويصلى عليه ويبارك فى كل حين » .

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمة لا على المسيح ، فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته

فصل

قالوا وقال أشعياء النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله « إني جعلت أمرك محمدا يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد » ونص على خاتم النبوة « ولد لنا غلام يكون عجبا وبشراة والشامة على كتفيه ، أركون السلام إله جبار وسلطانه سلطان السلم ، يجلس على كرسي داود » فهل يبقى بعد ذلك لزائغ أو لطاعن مجال ؟ قالوا : الأركون هو العظيم بلغة الإنجيل ، والأراكنة المعظمون ، فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد ووصفه بأخص علامته وأوضحها وهي شامته ، فلم يرى لم تكن الشامة لسايمان ولا للمسيح ، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود ، يعنى أنه سيرث بنى إسرائيل نبوتهم وملسكهم [ويبرزهم] بأسمهم قالوا وقال أشعياء في نبوته « قيل لى قم نظاراً فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار والآخر على جمل ، ويقول أحدهما لصاحبه سقطت أصنام بابل وأصحابها للبحر ^(١) . قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار ، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل

فصل

قالوا وقال حزقيال ^(٢) وهو يصنف لهم أمة محمد : وإن الله يظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا ومنزل عليهم كتابا ويمسكهم رقابهم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بنى قيذار فى جماعات الشعوب ومعهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحطون بكم وتسكون عاقبتكم إلى النار، نعوذ بالله من النار . وذلك أن رجال بنى قيذارهم ربيعة ومضر أبناء عدنان ، وهم جميعا من ولد [قيذار بن إسماعيل ، والعرب كلهم من بنى عدنان وبنى قحطان ، فعديان أبو

(١) فى الجواب الصحيح (٣ : ٤٠٣) : للنجر

(٢) فى الجواب الصحيح (٣ : ٣١٢) : دانيال

ربيعة ومضر وأما من ولد^(١) إسماعيل باتفاني الناس ، وأما قحطان فقييل هم من ولد إسماعيل وقيل من ولد هود ، ومضر ولده الياس بن مضر ، وقريش هم من ولد الياس بن مضر ، وهوازن مثل عقييل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم من ولد الياس بن مضر ، وهؤلاء انتشروا في الأرض فاستولوا على أرض الشام والجزيرة [ومصر والعراق^(٢)] وغيرها ، حتى إنهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر في حرّان وما قرب منها فسميت ديار مضر ، وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة . وقوله « تنزل معهم ملائكة على خيل بيض » فهذا مما تواترت به الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض

فصل

وقال دانيال عليه السلام وذكر محمدا رسول الله باسمه قال « ستنزع في قسيك اغراقا ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء » فهذا تصريح بغير تعريض ، وتصحيح ليس فيه تحريض ، فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا آخر اسمه محمد له سهام تنزع ، وأمر مطاع لا يدفع . وقال دانيال النبي أيضا : سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل ، هل يقوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء ، أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ قال دانيال : فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول : إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علىّ وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلطت عليهم بخت نصر ، فقتل رجالهم وسبي ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعدهم وأنا غير راض عنهم ولا مقبلهم عثراتهم فلا يزالون مغلوبين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيا من بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي فبشرها ، وأوحى إلي ذلك النبي وأعلمه الأسماء وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والتقوى ضميره

والصدق قوله والوفاء طبيعته والقصد سيرته وانزاد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه وناسخ لبعض ما فيها . أسرى به إلى وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأذنيه وأسلم عليه وأوحى إليه ثم أرداه إلى عبادى بالسرور والغبطة حافظا لما استودع صادقاً بما أمر يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق . رءوف بمن والاه رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومسه إلى توحيدى وعبادتى ، ويخبرهم بما رأى من آياتى فيكذبونه ويؤذونه

قال المناقل لهذه البشارة : ثم مرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفاً حرفاً بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا ونبوته كثيرة ، وهى الآن عند النصارى واليهود يقرون بها [ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد ^(١)] وفيها ما وصفنا من ما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها واتصال ملكهم بالقيمة . قلت : فهذه نبوة دانيال فيها بشارة بالمسيح والبشارة بمحمد ﷺ ، وفيها من وصف محمد ووصف أمته بالتفضيل ما يطول وصفه . وقد قرأها المسلمون لما فتحو العراق كما ذكر ذلك العالم ، منهم أبو العالية : ذكر أنهم لما فتحووا تستروجدوا دانيال ميتاً ووجدوا عنده مصحفاً ، قال أبو العالية أنا قرأت ذلك المصحف ، وفيه صفتكم ولحون كلامكم ، وكان أهل الناحية إذا أجذبوا كشفوا عن قبره فيسقون . فسكتب أبو موسى فى ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل فى واحد منها لئلا يفتتن الناس به

وعن جبير بن مطعم قال : لما بعث الله نبيه فظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام ، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لى : أمن الحريم أنت ؟ قلت نعم . قالوا : فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم ؟ قلت نعم . قال فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل قالوا انظر هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم ، فنظرت فلم أر صورته ، قلت : لا أرى صورته ، فأدخلوني إلى دير أكبر من ذلك الدير فيه صور أكثر مما فى ذلك الدير فقالوا لى :

انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته ، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته ، وهو أخذ بعقب رسول الله ﷺ . فقالوا الى : انظر هل ترى صفته ؟ قلت : نعم . قالوا : هو هذا ؟ وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ قلت : اللهم نعم ، أشهد أنه هو . قالوا أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه ؟ قلت نعم . قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وإن هذا خليفة من بعده » رواه البخاري في تاريخه قال : الذي أراه أن الصور لم يكن في إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي . ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة . وروى موسى بن عقبة أن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله - ورجلا آخر سماه - بعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر ، قال : فدخلنا على جيلة بن الأيهم وهو بالعوطة فذكر الحديث ، وأنه انطلق بهم إلى الملك ، وأنهم وجدوا عنده شبه الرقعة العظيمة مذهبة ، وإذا فيها أبواب صغار ، ففتح بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة آدم ، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة نوح ، ثم أراه حريرة فيها صفة محمد ﷺ وقال : هذا آخر الأبواب ، لكنني عجلمته لأنظر ما عندي . ثم فتح أبوابا أخرى فأراه صور بقية الأنبياء : موسى وهرون وداود وسليمان وعيسى بن مريم وصفة لوط وصفة إسحق ، وذكر أن هذا كان عندهم قديما من عهد آدم وأن دانيال صورها بأعيانها . وروى مثل هذا عن المغيرة بن شعبه أنه لما دخل على القوقس ملك مصر والإسكندرية أخرج له صور الأنبياء فأخرج له صورة نبينا ﷺ فعرفها

ذكر حدوث الرمي ، وإنذار الكهان برسول الله ﷺ

قال ابن اسحاق : وكانت الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه بما يقارب زمانه ، وأما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعن ما وجدوا في كتبهم صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيأ تسرق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك فيه بالا ، حتى بعثه الله ، ووقعت تلك

الأمور التي كانوا يذكرون قعر فوهها ، فلما تقارب زمان رسول الله ﷺ وحضر مبعثه .
 حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين القاعدة التي كانت تقوم لاسترق السمع فيها ،
 فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله . قال ابن اسحق : وذلك
 لئلا يلتبس بالوحي ، وليسكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة . قال السهيلي : وما قاله
 صحيح ، ولكن القذف بالنجوم كان قديما ، وذلك موجود في أشعار القدماء في الجاهلية .
 وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في
 الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غاظ وشد ، وفي قوله ﷺ وإن لمسنا السماء
 فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، فلم يقل حرسا شديدا عن أنه قد كان منه شيء فلما بعث
 النبي ﷺ ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وذلك ما أخبر الله من طرد الشياطين عن استراق
 السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه - أعنى استراق السمع -
 بقايا يسيرة ، بدليل وجودهم على التدوير في بعض الأزمنة والأمكنة ، وقد سئل رسول الله
 ﷺ عن السكبان فقال « ليسوا بشيء » ، فقيل إنهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا
 فقال « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجن فيقرقوها في أذن وليه قرقرة الدجاجة ، فيخلط
 معها أكثر من مائة كذبة » وروى كثر الزجاجة . وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال
 إذا رمى الشهاب الجن لم يخطئه ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله . وعن الحسن قال : يقتله في
 أسرع من طرفه عين . وروى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لب
 يقال له لهيب قال : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده السكبان : فقلت (١) : بأبي
 وأمي ، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم في استراق السمع عند قذف
 النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لما يقال له خطر بن مالك وكان شيخنا كبيرا قد أبت
 عليه مائتا سنة وثمانون سنة - وكان من أعلم كهاننا فقلنا : يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم
 التي يرمى بها ؟ فإنا قد فرعنا لها وخشينا سوء عاقبتها . فقال : اتقوني بسحر ، أخبركم الخبر ،

بمخير أم ضرر ، أو لأمن أو حذر . قال : فأنصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه
السحر أتينا ، فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينه ، فنادىناه يا خطر ، فأومأ
إلينا أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته : أصابه
إصابه . خامر عاقبه . عاجله عذابه . أحرقه شهابه . زائله جوابه . ياويله ما حاله . بلبله
بالباله ، عاوده خباله تقطعت حباله ، وغيرت أحواله . ثم أمسك طويلا وهو يقول :

ينمشر بنى قحطان	أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والأركان	والبلد المؤمن السدان
قد منع السمع عتاة الجان	بثاقب بكف ذى سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشأن	يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفصل الفرقان	تبطل به عبادة الأوثان

قال فقلت : ويحك يا خطر ، إنك لتذكر عظيما ، فماذا ترى لقومك ؟ قال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى أن يتبعوا خير نبي الإنس
بمحكم التنزيل غير اللبس برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث فى مسكة دار الجمس

فقلنا له : يا خطر ومن هو ؟ فقال والحياة والعيش . إنه لمن قریش . ما فى حلمه طيش .
ولا فى خلقه هيش . يكون فى جيش أى جيش من آل قحطان وآل أيش . فقلنا له : بين
من أى قریش هو ؟ فقال : والبيت ذى الدعائم والركن والأجام إنه لمن نجل هاشم ومن
معشر أكارم . يبعث بالملاحم . وقتل كل ظالم . ثم قال : هذا هو البيان . أخبرنى به رئيس
الجان . ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر . وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكت وأنغى عليه
فما أفاق إلا بعد ثلاثة فقال : لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : لقد نطق عن مثل نبوة ،
وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده . قال الحافظ أبو القاسم ^(١) فى هذا الأثر أصابه إصابة هكذا قيده

(١) أى السهيلي صاحب (الروض الأنف) وهو فيه ١ : ١٣٨

- بكسر الهمزة من إصابه - على بن أبي بكر بن طاهر ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح والمعنى أصابه وصابه جمع وصب مثل جبل وجبال ، وقوله « من آل قحطان وآل أيش » يعنى بآل قحطان الأنصار لأنهم من قحطان ، وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين منسوبون إلى أيش ، فإن يكن هذا وإلا فله معنى فى المدج غريب تقول فلان أيش هو وابن أيش هو ، ومعناه أى شئ عظيم ، فكأنه قال من قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا كما يقال هم ومأمهم وزيد وما زيد وأى شئ زيد ، وأيش فى معنى أى شئ كما يقال ويله فى معنى ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال

ذكر خبر سواد بن قارب

عن محمد بن كعب القرظى قال : بينما عمر بن الخطاب ذات يوم جالسا إذ مر به رجل ، فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذى أتاه ربه بظهور النبى ﷺ . قال فأرسل اليه عمر فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم . قال : أنت الذى أتاك رؤيتك بظهور النبى ﷺ ؟ قال : نعم . قال فأتت على ما كنت عليه من كهانتك . قال ففصب وقال : ما استقبلنى بهذا أحد منذ أن أسلمت يا أمير المؤمنين . فقال عمر : سبحان الله ، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك . قال : فأخبرنى بإتيان رؤيتك بظهور النبى ﷺ . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رؤي فضربنى برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من أوى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كاذابها

ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى هو فيها كلها بين النائم واليقظان وقال له : قم

يا سواد بن قارب ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا إلى الله وإلى عبادته . وأنشدته في كل ليلة أبيتنا بمعنى المتقدمات على قواف أخر ، وذكر تمام الخبر . وفي آخر شعر سواد : قدم على رسول الله ﷺ فأنشدته ما كان من أمر الجنى وذلك قوله :

أتاني نبي بعد هدء ورقدة	ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث أيسال قوله كل ليلة	أتاك رسول من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وأرقلت	من العرمس الوجنا هجول السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وأنت مأمون على كل غائب
وإنك أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فرني بما يأتيك من وحى ربنا	وإن كان في ما قلت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعاة	بمغن فتيلنا عن سواد بن قارب

واسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين باغتهم وفاة رسول الله ﷺ ، فقام حينئذ سواد فقال : يا معشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقاوتهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ، وإن من لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسمون اليوم بما أسلمتم به أمس . وقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد ، وكل بلاء منسى إلا ما بقى أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يسكنوا أذكر من أهل العافية العافية ، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم تزلوا خارجين مما فيه أهل البلاء داخلين فيما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله ﷺ خطيبكم و نقيبكم فعبير الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة ، فإن يكن فالسلامة منها الأناة ، والله يحبها فأحبوها . فأجابه القوم وسمعوا قوله ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

جلت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فقد النبي محمد صلى الإله عليه ما يعتاد

حزنا لعمرك في القواد مخامرا وهل لمن فقد النبي فؤاد
كنا نخل به جنابا ممرعا جف الجناب فأجذب الرواد
فبكت عليه أرضنا وسماؤنا وتصدعك وجدا به الأكباد
كان العيان هو الطريف وحزنا باق لعمرك في النفوس تلاد
إن النبي وفاته كحياته الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمد بذلت له الأموال والأولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها هذا له الأغياب والأشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينه لو كان يفديه فداه سواد
إني أحاذر والحوادث حمة أمرا لعاصف ريحه إرعاد
إن حل مفه ما يخاف فأنتم للأرض إن رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب زدتم ، وليس لمنية مزداد

فأعجب القوم شعره وقوله ، فأجابوه إلى ما سأل وأحب

ذكر إنذار اليهود برسول الله ﷺ

قال ابن اسحق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قال : إن دعا
دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك
أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم
شور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نفتلكم
معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين
دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنوا به وكفروا به وكذبوه ، ففينا
وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من البقرة ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ،
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ الآيات . قال ابن اسحق : حدثني عاصم بن
عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي : هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن شعيبة

وأسيد بن شعية وأسد بن عبيد إخوة بنى قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام ؟ قال قلت لا . قال : إن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له الهيمان قدم علينا قبل الإسلام بسنتين لخل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه ؟ فأقام عندنا فسكننا إذا قحط المطر علينا قلنا له : أخرج يا ابن الهيمان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي نخرجكم صدقة . فنقول له : كذا ؟ فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير قال فنخرجها : ثم نخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى ، وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال ثم حضرته الوفاء عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال فقائنا : أنت أعلم . قال فإني قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أظلم زمانه ، هذه البلدة مهجرة ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه . قد أظلم زمانه فلا تُسبِقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء من خلفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . فإما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بنى قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا أحداثا : يا بنى قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيمان . قالوا : ليس به . قالوا بلى والله ، إنه لهو بصفته . ففزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءهم وأهلهم

كتاب المبعث

قال ابن اسحق : ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين ، وكافة للناس أجمعين . وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خلفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى انبيه محمد ﷺ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء

فكان يخلو بغار حراء فيمتحن فيه - وهو التعب - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى نجاه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . ثم قال لخديجة أى خديجة مالى ؟ فأخبرها الخبر . لقد خشيت على نفسى . فقالت له خديجة : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخرزك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابن عمها . وكان اسماً تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، فكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت خديجة : أى عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الأكبر الذى أنزل على موسى . ياليتنى فيها جَدَّع ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . قال رسول الله : أو مخرجى هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا . ثم لم يلبث ورقة أن توفي . وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً فيما باعنا ، غداً منه مراراً كى يتردى من رؤوس الجبال ، فسكنا أوفى بذرة جبل كى يلقى نفسه منها تبدى جبرائيل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع . فاذا طال عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك ، فاذا وفى ذروة الجبل تبدى له جبرائيل فقال مثل ذلك . قال ابن اسحق : حدثنى وهب بن كيسان مولى الزبير قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى : حدثنا يا عبيد كيف كن بدء ما تبدى به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبرائيل ؟ قال فقال لعبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن

عنده من الناس : كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهرا ، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية ، والتحنث التبرز ، فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها جاء جبرائيل بأمر الله . فذكر الحديث نحوه ما تقدم ، وفيه : فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف راجعا صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقمه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه وتمدبنه وتخرجنه وتمتثلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله . انتهى

وما ذكر من شعر ورقة فيما أخبرته به خديجة عن النبي ﷺ :

يا للرجال لصرف الدهر والقدر	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها	أمرا أراه ميثاقى الناس من آخر
فخبرتنى بأمر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره	جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت علّ الذي ترجين ينجزه	لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمره ما يرى في النوم والسير
فقال حين أتانا منطلقا عجبنا	يقف منه أعلى الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهنى	في صورة كلمت في أهيب الصور

ثم استمر فكان الخوف يذعرنى مما يسلم ما حولى من الشجر
فقلت ظنى وما أدرى أصدقنى أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوته من الجهاد بلا من ولا كدر

قال ابن اسحق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة ما ذكر لها غلامها
ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى إذا كان الماسكان يظلاله . فقال ورقة : أن كان
هذا حقا يا خديجة إن محمدا نبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة ينتظر هذا زمانه
أو كما قال . فحمل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

لجبت وكنت فى الذكرى لجوجا لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف وقد طال انتظارى يا خديجيا
بيطن المسكين على رجائى حديثك أن أرى منه خروجا
وما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمدا سيود قوما ويخضم من يكون أن حبيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا ويلقى من يسأله فلوجا
فياليتى إذا ما كان ذاكم ثمهدت وكنت أولهم ولوجا
ولوجا فى الذى كرهت قریش ولو عجت بمسكتها عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعا إلى ذى العرش إن سفوا عروجا
وهل أمر السفاهة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبق تكن أمور يصبح الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفة خروجا

ومن قول ورقة أيضا من رواية يونس عن ابن اسحاق :
أتبكر أم أنت العشية رائج وفى الصدر من إضمارك الحزن قادح

لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذى وجهت رضى خيره بغور وبالنجدين حيث الضاحض
إلى سوق بصرى فى الركاب التى غدت ومن من الإهال قعص دوالح
فخبرنا عن كل خير بعلمه ولحق أبواب لمن مفتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حياً نؤى بن غالب شبابهم والأشبيون الجاحج
فإن أبق حتى يدرك الناس عصره فإنى به مستبشر الود فارح
وإلا فانى يا خديجة فاعلمى عن أرضك فى الأرض العريضة نازح

وفى الصحيح قال ابن شهاب : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله
لأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال فى حديثه : بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً
من السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بجراى جالس على كرسي بين السماء
والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت إلى أهلى فقلت : زملونى زملونى ، فأنزل الله تعالى
(يا أيها المدثر ، قم فأنذر - إلى قوله - والرجز فاهجر) فخمى الوحي وتتابع

فصل

فى ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

قال بعض العلماء : وكان نزول جبريل فيما ذكر يوم الإثنين لسبع من رمضان ، وقيل
لسبع عشرة مضت ، رواه البراء بن عازب . وروى عن أبى هريرة أنه كان فى السابع
والعشرين من رجب ، وقال ابن عمر لثمان عشرة من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام
الفيل . وقال ابن القيم : واحتج القائلون بأنه كان فى رمضان بقول الله تعالى (شهر رمضان

الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس . قالوا : أول ما أكرمه الله بنبوته ، أنزل عليه القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة ، ثم نزل نجوماً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة كما روى ذلك عن ابن عباس . انتهى . قال بعض العلماء : والحكمة في الغطة ثلاث مرات شغله عن الالتفات لشيء آخر ، وإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهاً على ثقل القول الذى سيلقى إليه . وقول ورقة « يا ليتنى فيها جذع » الضمير للنبوته أى ليتنى كنت شاباً حين ظهورها حتى أبلغ فى نصرتها وحمايتها ، وقوله فغطى أى خفتنى ، والناموس صاحب سر الملك ، وقال بعضهم : الناموس صاحب سر الخبير ، والجاسوس صاحب سر الشر ، ومؤزراً من الأزر وهو القوة والعون ، واليا فوخ مهموز ولا يقال لرأس الصبى يا فوخ حتى يشتد ، وإنما يقال له الغاذية . قال السهيلي : وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرائيل فكان يترأى له ثلاث سنين ، فكان يأتيه بالكلمة من الوحي والشيء . ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فى أحوال مختلفة :

فمنها النوم كما فى حديث ابن اسحق ، وكما قالت عائشة رضى الله عنها . وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ إني أرى فى المنام أنى أذبحك ﴾ فقال له ابنه ﴿ انزل ما تؤمر ﴾ فدل على أن الوحي كان يأتيهم فى النوم كما يأتيهم فى اليقظة . قال عبيد بن عمير : رؤيا الأنبياء وحي ، ثم تلا الآية

ومنها أن ينفث فى روعه الكلام نفثاً ، كما قال النبي ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحمنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا يذل إلا بطاعته » رواد ابن أبى الدنيا فى القناعة ، وصححه الحاكم

ومنها أن يأتيه الوحي فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليه . وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع ، وأتقن لما يأتي ، حتى إن جبينه ليمتد عرقاً فى اليوم الشديد البرد ، حتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض . وجاءه مرة كذلك وفخذاه على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترضاه

ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ، فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ، ويروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية الجمال .

ومنها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، ستمائة جناح ينثر منها اللؤلؤ والياقوت ، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحىه ، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم

ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب ، إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رزاه الترمذي قال « أتاني ربي في أحسن صورة فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : في الكفارات لا أدري ، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثنديتي . وتبجلى لي علم كل شيء وقال لي : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : في الكفارات . فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكبريات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فن فعل ذلك عاش حميداً ، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وذكر الحديث

فهذه ست أحوال . قال ابن القيم : زاد بعضهم مرتبة سابعة ، وهي تسلم الله له بغير حجاب

قلت : وزاد بعضهم مرتبة أخرى ، وهي العلم الذي يلقيه الله في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام ، لأنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعا وكان معصوما من الخطأ ، وهذا خرق للعادة في حقه دون الأمة ، وهو يفارق النفث في الورع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه . وقد ذكر بعضهم أن الحال كان يختلف بالوحي باختلاف مقتضاه ، فإن نزل بوعده وبشارة نزل الملك في صورة آدمي وخاطبه من غير كد ، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصالصلة الجرس . انتهى

قال السهيلي وفي قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ ﴾ من الفقه أنك لا تقرأه بحولك ولا بصفة نفسك ولا بعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كخالقك وكما نزع عنك علق الدم ومغمر الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه في كل إنسان . فالآيتان المقدمتان لحمد صلى الله عليه وسلم والآخرتان لأئمة . وهذا قوله ﴿ الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ لأنها كانت أمة أمية لا تكتب ، فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم ، فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل ، نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين . وفيه من الفقه وجوب القراءة بسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسمائه يفتتح حتى جاء البيان بعد في قوله ﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾ ثم قوله ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة

وقول ورقة « تكذبه وتؤذنه » لا ينطق بهذه الاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت وقواه « أو مخرجي هم ؟ » لا بد من تشديد الياء في مخرجي لأنها جمع ، والأصل مخرجوني فأدغمت الواو في الياء وهو خبر ابتداء مقدم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهرا الجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخرج إخوتك فتفرد ، لأنك رفعت به فاعلا وهو حسن في مذهب سيبويه والأخفش . وذكر في الحديث أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذبه فلم يقل شيئا ثم قال ولتخرجنه قال : أو مخرجي هم ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس . وأيضا فإنه حرم الله وجواريته وبلد أبيه اسماعيل فلهذا تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك فقال « أو مخرجي هم ؟ » . والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألث الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم ويشعر المخاطب بأن الاستفهام على وجه الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه . انتهى كلام السهيلي

وقال شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : أول منازل من القرآن فيه مسائل :
 الأولى الأمر بالقراءة . الثانية الجمع بين التوكل والسبب خلافاً لغلاة المتفهمة وغلاة المتصوفة .
 الثالثة السر الذي في الإضافة في قوله ﴿ بِسْمِ رَبِّكَ ﴾ المفتضى للتوكل . الرابعة وصفه سبحانه
 بالخلق الذي هو أظهر آياته . الخامسة ذكر خلقه للإنسان خاصة . السادسة كونه من علق .
 السابعة تكرير الأمر بالقراءة . الثامنة الوصف بأنه الأكرم . التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذي
 هو في المرتبة الرابعة . العاشرة تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم . الحادية عشرة أن الذكر بالقلب
 واللسان . أفضل من الذكر بالقلب وحده . الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله ﴿ من
 علق ﴾ . الثالثة عشرة فيه معنى اعرف نفسك تعرف ربك . الرابعة عشرة معنى أن العلم
 والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدها إلى يوم القيامة . الخامسة عشرة رجاء فضله لأجل
 ما تقدم من فضله . السادسة عشرة لصفاته لسكونه الأكرم . السابعة عشرة الجمع بين الخلق
 والتعظيم . الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد : التاسعة عشرة الدلالة على النبوة . العشرون
 الرد على الجهمية . والحادية والعشرون أن الاستحالة تظهر . الثانية والعشرون الرد على
 القدرية . الثالثة والعشرون الرد على الجبرية . الرابعة والعشرون أن العبرة بسكمال النهاية
 لا بنقص البداية . الخامسة والعشرون ذكر شرف العلم

وأما قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ففيه مسائل : الأولى أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على
 نفسه . الثانية خطابة بالمدثر . الثالثة أن الداعي يبدأ بنفسه فيصاح عيوبها . الرابعة تعظيم الله
 علما وعلما . الخامسة هجران الرجز . السادسة قوله ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ . السابعة قوله
 ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم وهو الصبر خلاصا ، ففيها آداب
 الداعي ، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين ما تركت هذه الوصايا أو بعضها : فمنها الحرص
 على الدنيا فهي عنه بقوله ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ ، ومنها عدم الجدل فنبه عليه بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا
 الْمُدَّثِّرُ ﴾ ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنقورة لهم عن الدين كما هو الواقع ، ومنها أن التقصير
 في تعظيم العلم هو من التقصير في تعظيم الله . ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة . ومنها

عدم الإخلاص . ومنها عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك وهو من أضرها على الناس ، وهو من تطهير الثياب لكن أفرد به بالذكر كمنظاره

فأول اقرأ فيه الأمر بطلب العلم وأول المدثر فيه الأمر بالعمل به . الثانية أول اقرأ فيه إنعامه عليك وأول المدثر فيه حقه عليك ^(١) . الرابعة أول اقرأ فيه الاستعانة ، وأول المدثر فيه الصبر . الخامسة أول اقرأ فيه إخلاص الاستعانة وأول المدثر فيه إخلاص الصبر . السادسة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادة . السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر فيه أدب العالم . الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر والنهي . التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى . العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وما العلم والقدرة وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهي وهو الأمر بأتوحيد والنهي عن الشرك . الحادية عشرة في أول اقرأ ذكر القلم الذي لا يستقيم العلم إلا به وفي أول المدثر ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به . الثانية عشرة في أول اقرأ ذكر التوكل وأنه يفتح الغلق وأول المدثر فيه الصبر الذي يفتحه الثالثة عشرة في أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل المتعدى . الرابعة عشرة في أول اقرأ ست مسائل من الخبر وفي أول المدثر ست مسائل من الإنشاء . الخامسة عشر في أول اقرأ ذكر بدء الخلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه . السادسة عشرة في أول اقرأ ذكر أصل الإنسان وأول المدثر فيه كماله . السابعة عشرة في أول اقرأ الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية الخاصة الثامنة عشرة في أول اقرأ شاهد لقوله « اعقلها واتكل » وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . التاسعة عشرة في أول اقرأ ابتداء النبوة . وأول المدثر ابتداء الرسالة . العشرون في السورتين شاهد لقوله « العلم قبل العمل » . انتهى كلام شيخنا

فصل

في الصحيحين عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل

(١) الثالثة لم تذكر في الأصل ، ولعلها سقطت من النسخ

إليه في ركب من قريش كانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآء فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عطاء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجائه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسبا . قال : أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجائه قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبتني فكذبوه . فوالله لولا الحياء من أن يأتى على كذبا لكذبت عليه . ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف أتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم . قال أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يندر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل فاقته موه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : بماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واركبوا ما يقول آباءكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال لترجائه : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك : هل كان في آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم أتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد

أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الإيمان حين يخاطب بشاشة القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الرسل لا يغدرون . وسألتك : بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم بأن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج فلم أكن أظن أنه فيكم ، فلو أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع حذيفة السكلي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقراه ، فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام : أسلم تسلم . أسلم يؤتك الله أجرك مرتين . وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا . لقد أمر أمر أبي كبشة . إنه ليخافه ملك بنى الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر ، حتى أدخل الله على الإسلام

وكان ابن الناذور صاحب إيليا وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال له بعض بطارقه : قد استنكرنا هيتئك . قال ابن الناذور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن ملكاً لئلاً قد ظهر ، فمن يختمن من هذه الأمة ؟ فقالوا : ليس يختمن إلا اليهود ، فلا يهمك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمر أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أختمن هو أم لا ؟ فانظروا إليه فحدثوه أنه مختمن وسأله عن العرب فقال هم يختمنون . فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر

ثم كتب هرقل إلى صاحب له رومية وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حصص فلم يرم حصص حتى أتته كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ، وأنه نبي ، فأذن هرقل لعطاء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي ؟ فخاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قول : ردوهم عليّ . وقال : إني قلت مقاتلي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيتم . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل

فصل

ولما دعا رسول الله ﷺ إلى الله استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان أول من آمن بالله ورسوله خديجة صديقة النساء ، وقامت بأعباء الصديقية . قال ابن اسحق : وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من عند الله ، ووازرته على أمره ، فخفف الله بذلك عن رسوله ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبتة وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضى الله عنها . انتهى

قال ابن القيم : ولما قلل لها « لقد خشيت على نفسي » قالت له : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً . ثم استقلت بما فيه من الصفات والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزي أبداً ، فعلمت بكامل عقلاها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه ، لا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أضدادها من إكرام الله له وتام نعمته عليه . ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يناسبه ما يليق به . وبهذا العقل والصديقية استحققت أن يرسل إليها ربها السلام منه مع رضوليه جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأمر رسول الله ﷺ أن يبشرها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . والقصب هو اللؤلؤ الجوف . وهي أول امرأة تزوجها ، وأول امرأة ماتت من نسله ، ولم يتزوج

عليها ، وكل أولادده منها

ثم أسلم أبو بكر ، واسمه عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة بن كعب ، يجتمع هو ورسول ﷺ في مرة . وقيل اسمه عتيق ، وقيل عتيق لقب لحسن وجهه . واسم أبي قحافة عثمان . وهو أول من أسلم من الرجال ، فلما أسلم أظهر إسلامه ودعا معه إلى الله . وكان أبو بكر مألفا لقومه ، محببا سهلا . وكان أنسب قریش لقريش وبما كان فيها من خير وشر . وكان تاجرا ذا خاق ومعروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لتجارته وحسن مجالسته وغير ذلك ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يشاء ويغلس إليه ، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، وسعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، والزبير بن العوام بن خويلد بن سعد بن عبد العزى بن قصي ، وعبد الرحمن بن عوف ابن عبد عوف بن عبد بن زهرة ، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تميم بن مرة . وأسلم غير هؤلاء على بن أبي طالب وهو صبي ، وكان في كفالة رسول الله ﷺ أخذه من عمه في سنة محل إعانة له ، وبادر إلى الإسلام زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وكان غلاما تلذذ به فوهبته لرسول الله ﷺ لما تزوجها ، وقدم أبوه وعمه في فدائه فسألا عن النبي ﷺ فقبل : هو في المسجد ، فدخل عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفككون العاني وتطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عبدك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه . قال : من هو ؟ قالوا زيد بن حارثة . فقال رسول الله ﷺ : فهلا غير ذلك ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ادعوه فأخبره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا : قالوا : قد زدتنا على النصف . فدعاه فقال : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : من هذا ؟ قال هذا أبي ، وهذا عمي . قال : أنا من قد علمت ورأيت صحبتي ، فاخترني أو اخترها : قال : ما أنا بالذي أختار عليك أحدا ، أنت مني بكان الأب والعم . قال : ويحك يا زيد ، أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك ؟ قال : نعم ، قد رأيت من هذا الرجل شيئا

ما أنا بالذى أختار عليه أحدا أبدا . فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : أشهدكم أن زيدا ابني أرثه ويرثني . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ، ودعى زيد بن محمد . حتى جاء الله بالإسلام فنزلت ﴿ ادعواهم لآبائهم هو أوسط ﴾ عند الله ﷻ فدعى يومئذ زيد بن حارثة . قال معمر في جامعه . ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد ابن حارثة . وهو الذى أخبر الله عنه في كتابه أنه أنعم عليه وأنعم عليه رسوله وسماه باسمه . وقيل إن عليا أول من أسلم بعد خديجة . قال أبو عمر : ومن ذهب إلى هذا سلمان وأبو ذر والمقداد وجابر وأبو سعيد الخدرى وزيد بن أرقم وابن شهاب وقتادة وغيرهم . وقيل أول رجل أسلم ورقة بن نوفل . وفي جامع الترمذى أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة . وفي حديث آخر أنه رأى عليه ثيابا بيضا . قال ابن الصلاح : والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان الأحداث على ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال . انتهى . وعن ابن عباس أنه كان يقول : أول الناس إسلاما أبو بكر ، واستشهد بقول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى محمود مشهده وأول الناس طرا صدق الرسلا
خير البرية أتقاها وأعد لها بعد النبى وأوفاهما بما حملا

وذكر أن النبى ﷺ سمعه فلم ينكر ، وأسلم غير هؤلاء عمرو بن عبسة السامى ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان بلال وخالد وسعد وعمر وعلى أولهم إسلاما ثم أسلم بعد هؤلاء أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهب بن ضبة بن الحارث ، فهو وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ابن مرة ، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن هصيص بن كعب ابن لؤى ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وكان أبود زيد قد رفض الأوثان فى الجاهلية ووجد الله وأخبر رسول الله ﷺ أنه يبعث

أمة وحده ، وامراته فاطمة بنت الخطاب . وقال ابن سعد : أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوجة العباس ، وأسلم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعبد الله بن مسعود حليف بنى زدرة وكان يرعى غنم عقبة بن أبي مُعَيْط ، وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ حلب من غنمه شاة حائلا فدرت ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو ابن سعد ، وسليط بن عمرو بن ود بن نضر بن مالك بن عامر بن لؤى ، وعياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامراته أسماء بنت مخزومة التميمية ، وخنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعيذ بن سهم بن عمرو بن هصيص وهو زوج حفصة بنت عمر ابن الخطاب قبل رسول الله ﷺ ، وعامر بن أبي ربيعة العنزي بإسكان النون من عنزة بن وائل من ربيعة حليف آل الخطاب ، وعبد الله بن جحش بن رباب بن معمر بن ضمرة بن مرة ابن كثير بن عمر بن دودان بن أسد بن خزاعة حليف بنى أمية ، وأخوه أبو أحمد بن جحش وكان أعمى ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ابن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وامراته فاطمة بنت الحلال بن عبد الله ، وأخوه خطاب بن الحارث ، وامراته فكيمة بنت يسار ، ومعمر بن الحارث بن معمر ابن حبيب ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة وامراته رملة بنت أبي عوف بن ضمرة بن سهم ، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، وعامر بن فهيرة أزدى أمه فهيرة مولاة أبي بكر الصديق ، وأممية بنت خالد الخزاعية امرأة خالد بن سعيذ بن العاص ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد مناف ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عزيز بن ثعلبة بن يربوع بن حفظة بن مالك بن زيد منافذ بن تميم حليف بنى عدى ، وخبيب ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزاعة بن كعب بن سعد بن زيد منافذ الخزاعى ولواء الزهرى خلفا ، وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير بن عبد يالليل بن ناشب بن غيره من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة خلفاء بنى عدى ، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديع بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبرين يام بن عنس .

وهز زيد بن مالك ومالك جماع مذحج بن أدد حليف بني مخزوم، وأسلم ياسر والد عمار، وأسلم صهيب بن سنان بن مالك ويقال له الرومي، وكان مولى لعبد الله بن جدعان، ذكره أبو عمر في السابقين، وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود. قال ابن اسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدثت به قريش. ثم إن الله سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه، فكان مدة إخفاء رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله بإظهاره الدين ثلاث سنين فيما بلغني، ثم قال الله له ﷺ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﷻ ثم قال ﷺ وأندر عشيرتك الأقرين ﷻ، فلما نادى رسول الله ﷺ وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وتأكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون، وحذب على رسول الله ﷺ أبو طالب ومنعه وقام دونه، لأنه كان شريفا معظما في قريش مطاعا في أهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى. قال ابن القيم: وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاءه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها. وأما أصحابه فمن كانت له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب، منهم عمار بن ياسر وأمه وأهل بيته فإنهم عذبوا في الله، وكان رسول الله ﷺ إذ مر بهم وهم يعذبون يقول صبر يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة، ولقي أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب أمرا عظيما لما ذخره الله لهم في الآخرة من السكرامة، فطعن الفاسق أبو جهل سمية أم عمار بحربة في قبلها فقتلها رضى الله عنها. وكان سادات بلال وهم من بني جمح يأخذونه ويبطحونه على الرمضاء في حر مكة ثم يتقون على بطنه الصخرة العظيمة ثم يأخذونه ويلبسونه في ذلك الحر الشديد درع حديد يضعون في عنقه حبلا ويسلمونه إلى الصبيان يطوفون به وهو في كل ذلك صابر محتسب لا يبالي بما لقي في ذات الله، وكان كلما اشتد به العذاب يقول: أحد، أحد. وأسلم سلامة ابن [هشام والوليد] بن الوليد بن المغيرة وأبو حذيفة مهشم بن عتبة بن ربيعة وغيرهم، وأعتق أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلال بن رباح وأمه حمامة مولاته، وأعتق ابن فهيرة وأعتق

أم عباس وزيرية والتمهيدية ابتها وجارية لبني عدى كان عمر بن الخطاب يذهبها على الإسلام وذلك قبل أن يسلم ، وقيل إن أبا قحافة قال له : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أعقت قوماً جلداً ينعوك . فقال له أبو بكر : يا أبت إني أريد ما أريد : ففيه نزلت ﴿ وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى ﴾ إلى آخر السورة . قال ابن إسحق . وكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر ما تردد فيه »

ذكر ابتداء فرض الصلاة

قال ابن إسحق : حدثني صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها في الحضر أربعا وأقرت في السفر على فرضها ركعتين . قال ابن إسحق وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فمزله بعقبه في ناحية الوادي فأنفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر إليه كيف الطهور ، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله ﷺ بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها ليربها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى به جبريل فصلت ، كذا وذكره ابن إسحق مقطوعاً . وقد وصله الحارث بن أبي أسامة فقال : حدثني الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن أسامة ابن زيد حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه . وقد روى ابن ماجه عن ابن لهيعة عن عقيل عن الزهري بسنده بمعناه . وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس . وفي حديث ابن عباس : وكان ذلك من أول الفريضة . فالوضوء على هذا مكى بالفرض مدنى بالتلاوة لأن آية الوضوء مدنية . وإنما قالت عائشة فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء — وهى هى — لأن الوضوء قد كان مفروضاً ، غير أنه لم يكن قرآناً تلي حتى نزلت آية المائدة .

وقال مقاتل بن سليمان : فرض الله في أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ قال في فتح الباري : كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطما وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا ؟ فقيل : إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى . وقال النووي : أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ، ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في سورة المزمل . ثم نسخه بما في آخرها ، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمسكة . قال المصملي . يحتمل أن يكون قول عائشة « فزيد في صلاة الحضر » أي زيد فيها حتى أكلت خمسا فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها « فرضت الصلاة ركعتين » أي قبل الإسراء وقد قال به طائفة منهم ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها « فرضت الصلاة » أي ليلة الإسراء حين فرضت الخمس ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشعبي أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه ذكره أبو عمر . وذكر البخاري من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ففرضت أربعاً ، وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فكنا كذلك ما شاء الله أن يمكنا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال « أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسوله ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال ﷺ - . يعني الله به رسولا للعباد ، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه وأعانتني عليه » أو كما قال . فقال أبو طالب : أي ابن أخي إنني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت . وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ، ما هذا الذي أنت عليه ؟ قال . يا أبت آمنت برسول الله

وصدقت بما جاء به وصليت معه لله واتبته . فزعموا أنه قال له . أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه . وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صاروا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى تقاتلوا ، وضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أهرق في الإسلام . انتهى

فصل

عن ابن عباس قال : لما أنزل الله ﷻ وأنذر عشيرتك الأقربين ﷻ أتى النبي ﷺ الصفا فصعده ، ثم نادى : يا صباحاه . فاجتمع الناس إليه - بين رجل يأتي إليه وبين رجل يبعث رسوله - فقال رسول الله ﷺ . يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا : نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله ﷻ تب يدا أبي لهب وتب ﷻ أخرجاه في الصحيحين ، وروى مسلم عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية ﷻ وأنذر عشيرتك الأقربين ﷻ دعا رسول الله ﷺ فعم وخص فقال « يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رجاء سألها »

فصل

قال ابن اسحق : ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهر الأمر ولا يرد عنه شيء فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى وجال من أشراف

قريش إلى أبي طالب - عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأبو سفيان ابن حرب بن أمية واسمه صخر - قال ابن هشام : وأبو البختری واسمه العاص بن هشام ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، قال ابن اسحق : والأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ، وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، والعاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم أو من مشى منهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهم وعاب ديننا وسفّه أعلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تسكفه عنا وإما أن تخلّي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفّيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، ورد عليهم ردا جريلا ، فأنصرفوا عنه . وقال السدي : إن أناسا من قريش اجتمعوا بهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث بن نقر من مشيخة قريش - فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فيكفّ عن شتم آلهم وندّعه وإلهه الذي يعبد ، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتغيرنا به العرب يقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه . فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال : هؤلاء مشيخة قريش وسراهم يستأذنون عليك . قال : أدخلهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، فمره فليكفّ عن شتم آلهم ، وندّعه وإلهه . قال فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك سراهم ، وقد سألوك أن تسكفّ عن شتم آلهم ويدّعوك وإلهك ، قال : يا عم أفلا تدعوهم إلى ما هو خير لهم ؟ قال . وإلى ما تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتسكّموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم . فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطيكمها وعشر أمثالها ؟ قال . تقولون « لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا . سلنا غيرها . قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها . فقاموا من عنده غضبا وقالوا . والله انشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا . وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهم إن هذا لشيء يراد .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد : فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عنده إلى قول لا إله إلا الله ، فأبى وقال : على دين الأشياخ . ونزلت في إنك لا تهدي من أحببت ﴿ وقال مقاتل : كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام ، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بأنبي سوء فقال أبو طالب : حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته اليكم ، فقال :

والله ان يصلوا اليك بجميعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر دقر بذاك منك عيوا
ودعوتني وزعت أنك ناصحى	ولقد صدقت وكنت أمينا
وعرضت ديناً لا محالة إنه	من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

فصل

ولما اشتد أذى المشركين على من آمن ، رغب منهم من رغب حتى يقولوا لأحدهم اللات إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ؛ حتى إن الجعل ليربهم فيقولون : وهذا إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . وروى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار حين عذبه . بشركون حتى يكفر بحمد . فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ ، فأُنزل الله هذه الآية ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره ﴾ الآية . ورواه البيهقي أيضا وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، وأنه قال : يا رسول الله ما تركت حتى سببتك ، قال : كيف تجدد قلبك ؟ قل : مطمئناً . قال : إن عادوا فعد

فلما اشتد البلاء عليهم أذن رسول الله ﷺ لهم في الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وقال : إن بها ملكا لا يظلم الناس . وكان أول من هاجر اليها عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ، وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سملة بنت سهيل ، وأبو سامة وامراته أم سامة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وامراته ليلى

بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رهم وحاجب بن معمر ، وسهيل بن وهب ، وعبد الله ابن مسعود ، خرجوا متسولين سرا فوق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينة للبحار فخلعوا فيها إلى أرض الحبشة ، وكان خروجهم في رجب من السنة الخامسة من المبعث ، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدرکوا منهم أحدا ، ثم رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم أن قريشا صافوا رسول الله ﷺ وكفوا عنه . وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم فلما بلغ « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » أتى الشيطان في تلاوته : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى . فقال المشركون : ما ذكر آلمتنا بخير قبل اليوم ، وقد علمنا أن الله يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا تشفع عنده . فلما بلغ السجدة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون ، إلا شيخا من قريش رفع إلى جبهته حصي فسجد عليه وقال : يكفيني هذا . فحزن النبي ﷺ حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما . فأنزل الله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ الآيات . ولما استمر رسول الله ﷺ على سب آلهتهم عادوا إلى شر ما كانوا عليه ، وازدادوا شدة على من أسلم . فلما قرب مهاجرة الحبشة من مكة وبلغهم أمرهم توقفوا عن الدخول ، ثم دخل كل رجل في جوار رجل من قريش ، ثم اشتد عليهم البلاء والعذاب من قريش وسقط بهم عشائهم ، وصعب عليهم ما بلغهم عن الفجاشي من حسن جوارده ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية فخرجوا ، فكان خروجهم الثاني أشق عليهم وأصعب ، فكان عدة من خرج في هذه المرة ثلاثة وثمانين رجلا إن كان فيهم عمار بن ياسر فإنه يشك فيه ، قاله ابن اسحق . ومن النساء تسع عشرة امرأة وهم جعفر ابن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس فولدت له هناك محمدًا وعبد الله وعونا ، ومن بنى أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن بحرث البكتاني ، وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ولدت له هناك سعيدا وأمه وهى أم خالد وهى التى تزوجها الزبير بعد ذلك فولدت له خالدا وعمرا ، ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمه عبد الله بن جحش ، وأخوه عبيد الله معه .

امراته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتصرفت هناك ومات مرتداً ، وقيس بن عبد الله رجل منهم معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب . ومعيقب بن أبي فاطمة عدي بن العاص ابن أمية وهو من دوس ، ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من قيس عيلان حليف بني نوفل وهو الذي بنى البصرة وأسسها أيام عمر . ومن بني أسد ابن عبد العزى الزبير بن العوام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وعمرو بن أمية بن الحارث ابن أسد . ومن بني عبد بن قحى طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد ، وقد انقرض جميع بني عبد بن قحى . ومن بني عبد الدار بن قحى سويط بن عبد الدار ومعه امرأته حرمة بنت مالك بن عميلة بن السباق^(١) بن عبد الدار وجهم بن قيس بن [عبد^(٢)] شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته حرمة بنت عبد الدار بن خزيمة بن قيس بن عامر ابن بياضة من خزاعة وابناء عمرو وخزيمة بنت جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بني زهرة عبد الرحمن ابن عوف ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبي عون بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن عبد المطلب ومن حلفائهم من هذيل عبد الله بن مسعود وأخوه عتبة والمقداد بن عمرو بن ثعلبة وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف ابن زهرة ، وذلك أنه تبناه في الجاهلية وحالفه ، ومن بني تيم بن مرة الحارث بن خالد بن صخر ومعه امرأته ريطة بنت الحارث من بني تيم ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة وزينب وفاطمة وعمرو بن عثمان بن عمرو من بني تيم ، ومن بني مخزوم أبو سلمة ابن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة فولدت له بأرض الحبشة زينب ، وشماس بن عثمان ،

(١) في الأصل : حريمة بنت مالك بن عميلة بنت السباق بن عبد الدار . والتصحيح

من كتاب نسب قریش للمصعب الزبيرى ص ٢٥٦

(٢) عن نسب قریش ص ٢٥٥

وهبار بن سفيان وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة ، وسلامة بن دشام ، وعياش ابن أبي ربيعة ، ومن حلفائهم معتب بن عوف ، من خزاعة ، ومن بنى جمح عثمان بن مظعون وابنه السائب وأخوه قدامة وأخوه عبد الله ، وحاطب بن الحارث معه امرأته فاطمة بنت الحلال وابناه محمد والحارث ، وأخوه خطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر معه ابناه جابر وجنادة وامرأته حسنة ، وهى أمهما وأخوها من أمها بشر حبيل ابن حسنة . قال ابن هشام : شر حبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر أخى تميم بن مر ، قال ابن اسحق : وعثمان بن ربيعة . ومن بنى سهم خنيس بن حذافة وأخوه قيس ، وعبد الله وهشام بن العاص أخو عمرو بن العاص ، وعمير بن رثاب وأبو قيس بن الحارث وأخوه الحارث بن الحارث وعمير بن الحارث وسعيد بن الحارث وبشر بن الحارث ، ومحمية بن جزء الزبيدي ومعمر بن الحارث وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمر ، والسائب ابن الحارث . ومن بنى عدى بن كعب معمر بن عبد الله ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى ابن فضلة وابنه النعمان ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته . ومن بنى عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبي رهم معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، وعبد الله بن مخزومة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسليط بن عمر وأخو السكران ابن عمر ومعه امرأته سودة بنت زمعة ومالك بن زمعة معه امرأته عمرة بنت السعدى وأبو حاطب بن عمرو وسعد بن خولة حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة ابن الجراح ، وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب ولكن أمه غلبت على نسبه وهى دعدي بنت جندم وكانت تدعى بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح ، وعياض بن زهير ، وعمرو ابن الحارث بن زهير ، وعثمان بن غنم ، وسعد بن عبد قيس ، والحارث بن عبد قيس . قال ابن القيم : وقد ذكر فى هذه الهجرة الثانية عثمان بن عفان وجماعة ممن شهد بدرًا فيما أن يكون هذا وما وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر ، فيكون لهم ثلاث قدمات : قدمة قبل الهجرة وقدمة قبل بدر وقدمة عام خيبر ، ولذلك قال ابن سعد وغيره : إنهم لاسمعوا مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ومن النساء ثمان

فأت منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد بدرا أربعة وعشرون رجلا وأقاموا عند النجاشي على أحسن حال وبلغ ذلك قريشا

فصل

فلما كان بعد بدر اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا : إن لنا في الذين عند النجاشي ثأرا ، فاجمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده ، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبارة بن الوليد مع الهدية فركبا البحر ، فلما دخلا على النجاشي سجدوا له وسامعا عليه وقالوا : قومنا لك ناصحون ، وإنا هم بعثونا إليك لتجذرك هؤلاء الذين قدموا عليك ، لأنهم قوم رجل كذاب خرج فيما يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه إلا السفهاء ، فضيقنا عليهم وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد ، فقتلهم الجوع والعطش ، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملوكك ، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيهم . وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيمونك بالتحية التي كنت تحيا بها ، رغبة عن دينك . فلما دعاهم النجاشي وحضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب : يستأذن عليك حزب الله . فقال النجاشي : مروا هذا الصائح فليعد كلامه ، ففعل ، فقال : نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته . فدخلوا ولم يسجدوا له قال : ما منعكم أن تسجدوا لي ؟ قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملأك . وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله فينا نبيا صادقا ، وأمرنا بالتحية التي رضيها وهي السلام تحية أهل الجنة . فعرف النجاشي أن ذلك حق ، وأنه في التوراة والإنجيل . فقال : أيكم الهاتفت يستأذن ؟ قال جعفر : أنا . قال : فتكلم . قال : إني ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم ، وأنا أحب أن أجيء عن أصحابي ، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما فنسمع كلامنا . فقال عمرو بن العاص لجعفر : تكلم . فقال جعفر للنجاشي : سله أعبد نحن أم أحرار ؟ فان كنا عبيدا قد أبقنا من موالينا فاردنا إليهم ، فقال عمرو : بل أحرار كرام . فقال : هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا ؟ قال : لا ، ولا قطرة . قال . فهل أخذنا

أموال الناس بغير حق فعملينا قضاؤها ؟ قال عمرو : ولا قيراط . قال النجاشي : فماتطابون منهم ؟ قال : كنا وهم على دين واحد ، على دين آبائنا . فتركوا ذلك واتبعوا غيره . فقال النجاشي لجعفر : ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتمود ؟ واصلدقني . فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان ، كنا نسكفر بالله ونعبد الحجارة ، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام ، جاءنا به من الله رسول ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له . فقال النجاشي : تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك . ثم أمر بضرب الناقوس ، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب ، فقال : أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا ؟ قالوا : اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال : من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي ؟ فقال النجاشي لجعفر : ماذا يقول لكم هذا الرجل ؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه ؟ قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف ، وينهانا عن المنكر ، ويأمرنا بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، وبر اليتيم ، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له . فقال اقرأ ما يقرأ عليكم . فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع ، فقال : زدنا من هذا الحديث الطيب . فقرأ عليهم سورة السكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال : إنهم يسمون عيسى وأمه ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه رفع النجاشي نفثاة من سواكه قدر ما يقذف العين فقال : والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقدا . قال ابن اسحق : فلما قال ذلك تناخرت بطارقتة . فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي . والسيوم الآمنون . من سبكم غرم ، فلا هوادة اليوم على حزب ابراهيم ، ما أحب أن لي ذبراً من ذهب وأني آذيت رجلا منكم . والدبر بلسان الحبشة الجبل ، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به ، وفيهم نزلت ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ الآيات قاله قتادة وغير واحد وقيل بعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين : الأولى عند هجرتهم م — ٧ * مختصر السيرة

والثانية عقب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين ومعه في إحداها عمارة ابن الوليد وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة الخزوميان

فصل

فلما كان في ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى النجاشي يدعو به إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري . فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال : لو قدرت أن آتية لأتيته . وكتب إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر هناك ومات ، فزوجه إياها ، وأصدقها عنه أربعمائة دينار . وكان الذي تولى تزويجها خالد بن سعيد بن العاص ، وكتب إليه أن يبعث إليه من بقي من أصحابه وبمحملهم ففعل ، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية وقدموا على رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج إلى المصلى فكبر أربع تكبيرات وقال : استغفروا لأخيكم . قال السهيلي : وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع ، ولما صلى عليه رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه بالمدينة . وتكلم المناقبون وقالوا : يصلى على علق مات بأرض الحبشة . قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت : لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال على قبره نور . وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقنا ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهبأ لهم سفناً وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة . وصفوا له فقال يا معشر الحبشة ألسنت أحق الناس بكم ؟ قالوا بلى . قال : وكيف رأيتم سيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بالسكم ؟ قالوا : فارقنا ديننا وزعمت أن عيسى عبد . قال : فأتقولون

أَتَمَّ فِي عَيْسَى ؟ قَالُوا : نَقُولُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، فَقَالَ النِّجَاشِيُّ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ عَلَى قَبَائِهِ : هُوَ
يَشْهَدُ أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا شَيْئًا ، وَإِنَّمَا يَعْنِي مَا كَتَبَ . فَرَضُوا وَانصَرَفُوا .
فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَ النِّجَاشِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ . قَالَ السَّهْمِيُّ : وَالنِّجَاشِيُّ
اسْمُ لِكُلِّ مَلِكٍ يَلِي الْحَبْشَةَ ، كَمَا أَنَّ كَسْرَى اسْمُ لِمَلِكِ الْفَرَسِ ، وَخَاقَانُ اسْمُ لِمَلِكِ الْتُرْكِ ،
وَبَطْلَيْمُوسُ اسْمُ لِمَنْ مَلِكِ الْيُونَانِ (١) وَاسْمُ هَذَا النِّجَاشِيِّ أَصْحَمَةُ بْنُ الْحَرِّ وَتَفْسِيرُهُ عَطِيَّةٌ

وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ الْخُرُوجُ مِنَ الْوَطَنِ وَإِنْ كَانَ الْوَطَنُ مَكَّةَ عَلَى فَضْلِهَا إِذَا كَانَ الْخُرُوجُ فَرَارًا
بِالْدِّينِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَى أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ الْحَبْشَةَ كَانُوا نَصَارَى يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ وَيَقُولُونَ
هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، وَسَمَّوْا بِهِذِهِ الْمُهْجَرَةَ مُهَاجِرِينَ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْمُهْجَرَتَيْنِ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ
بِالسَّبْقِ فَقَالَ ﷺ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﷻ وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا الْقِبْلَتَيْنِ وَهَاجَرُوا
الْمُهْجَرَتَيْنِ . فَانْظُرْ كَيْفَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِذِهِ الْمُهْجَرَةِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بِلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ إِلَى بِلَادِ
كُفْرٍ ، لِمَا كَانَ فَعَلَمُهُمْ ذَلِكَ احْتِمَاطًا عَلَى دِينِهِمْ ، وَأَنْ يَخْلَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ يَذْكُرُونَهُ
آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ . وَهَذَا حُكْمٌ مُسْتَعْمَرٌ مَتَى غَلَبَ النُّكْرُ عَلَى بِلَدٍ وَأَوْذَى عَلَى الْحَقِّ مُؤْمِنٌ وَرَأَى
الْبَاطِلَ قَاهِرًا لِلْحَقِّ وَرَجَا أَنْ يَكُونَ فِي بِلَدٍ آخَرَ أَى بِلَدٍ كَانَ يَبِينُ فِيهِ دِينُهُ وَيُظْهَرُ فِيهِ عِبَادَةُ
رَبِّهِ ، فَإِنَّ الْخُرُوجَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حَتْمٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَهَذِهِ الْمُهْجَرَةُ لَا تَنْقَطِعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
ﷻ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ ﷻ انْتَهَى كَلَامُ السَّهْمِيِّ

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمْ أُعْقِلْ أَبَوَىَّ إِلَّا وَهِيَ يَدِينَانِ الدِّينَ ، وَلَمْ يَمِرْ يَوْمٌ
إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ ، بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ . فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ خُرُجَ أَبِي بَكْرٍ
مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْعِمَادُ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغَنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ : أَيْنَ
تَرِيدُ يَا أَبَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي .
فَقَالَ ابْنُ الدَّغَنَةِ إِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يَخْرُجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَحْمِلُ
الْكُلَّ ، وَتَقْرَى الضَّعِيفَ ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَأَنَا لَكَ جَارٌ ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَدِكَ

(١) أَى الَّذِينَ حَكَمُوا مِنْهُمْ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَيُقَالُ لَهُمُ الْبَطَالِسَةُ

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قریش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قریش بجواز ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : فأمّر أبا بكر فليعبد ربه في داره قليصا فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعان ، فإنا نخشى أن يُفتن نساؤنا وأبنائنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر . فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فتتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأخرج ذلك أشراف قریش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجربنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، وقد جاوز ذلك وابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقرآن فيه ، وإنا قد خشينا أن يُفتن أبنائنا ونساؤنا ، فنهيه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعان بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفر في ذمتك ، ولنا مقررين لأبي بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر : فقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي لا أحب أن تسمع العرب أني خفرت في رجل عفت له ، فقال أبو بكر فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله

فصل

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب . قال ابن اسحق : حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولا لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه عامدا إلى نادى قریش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه

ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قریش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قریش وأشدّه تكیمة . فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله إلى بيته قالت : يا أبا عماره ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام : وجددهمنا جالسا فأذاذ وشتمه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى لم يقف لأحد ، معدا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به . فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها فشجبه شجرة مفكرة ، ثم قال : أنشتمه ؟ فأننا على دينه أقول ما يقول ، فرد على إن استطعت . فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره ، فإنى والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً . وتم حمزة على إسلامه وعلى متابعه عليه رسول الله ﷺ ، فعرفت قریش أن رسول الله قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمفعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

وزاد غير ابن اسحق في إسلام حمزة أنه قال : لما حانى الغضب وقلت أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك في أمر عظيم لأأكمحل بنوم . ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله أن يشرح صدرى ويذهب عني الريب ، فما استتممت دعائى حتى زال عني الباطل وامتلاً قنبي يقيماً . أو كما قال . فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمرى ، فدعألى بأن يثبتنى الله . وقال حمزة بن عبد المطلب :

حمدت الله حين هدى فؤادى	إلى الإسلام والدين الخفيف
لدين جاء من رب عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رساله عاينها	تحدردمع ذى اللب الحصيف
وأحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشود بالقول العنيف
فلا والله نسله لقوم	ولما نقض فيهم بالسيف

ونترك منهم قتلى بقاع لورد الطير كالورد العكوف

وأخرج الترمذى وصححه عن ابن عمر ، والطبرانى عن ابن مسعود وأنس ، أن النبي ﷺ قال « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بامر بن الخطاب ، أو بأبي جهل ابن هشام »

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس قال : قلت لعمر : لأى شىء سميت « الفاروق » ؟ قال : أسلم حمزة قبل بثلاثة أيام ، فخرجت فاذا فلان الخزومى ، فقلت له : أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد ؟ فقال : إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً منى . قات : من ذلك ؟ قال أختك وخنتك . فانطلقت فوجدت هممة ، فدخلت فقلت : ما هذا ؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس أختى فضربت به وأدميته فقامت الى فأخذت برأسى فقالت : وقد كان ذلك على رغم أنفك . فاستحييت حين رأيت الدماء ، فجلست فقلت : أرونى هذا الكتاب . فقالت : إنه لا يمسه إلا المطهرون . فقممت فاغتسلت ، فأخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت : أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً لمن خلق الأرض والسموات العلى فقلت : إلى قوله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى فتمظمت فى صدرى ، فقلت ما هذا (١) قریش . فأسلمت . فقلت : أين رسول الله ؟ قالت : فانه فى دار الأرقم . فأتيته فضربت الباب فاستجمع القوم ، وقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر قال : وعمر ، افتحوا الباب ، فانه إن أقبل قبلناه . وإن أدبر قبلناه فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج ، فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد . قلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : بلى . قلت : فقيم الاختفاء ؟ فخرجنا فى صفين : أنا فى أحدهما ، وحمزة فى الآخر ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قریش إلى وإلى حمزة فأصابهم كآبة شديدة . فسمانى رسول الله ﷺ « الفاروق » يومئذ ، وفى رواية أنس عن أبى يعلى والحاكم والبيهقى قال : خرج عمر مقلداً

بالسيف ، فلقيد رجل من بنى زهرة فقال : أين تعمد يا عمر ؟ فقال له : أريد أن أقتل محمدا . قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا ؟ قال : ما أراك إلا صبوت . قال : أفلا أدلك على العجب ؟ إن أختك وختنك قد صبو : وتركاً دينك . فشى عمر فأتاها وعندها خباب ، فلما سمع عمر توارى في البيت ، فدخل فقال : ما هذه الميمنة ؟ وكانوا يقرأون طه . قالوا : ما هذا حديثا تحدثنا بيننا . قال : فلما سكا قد صبوتما ؟ فقال ختنه : يا عمر إن كان الحق في غير دينك . فوثب عليه عمر فوطئه وطئا شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفعها بيده فدمى وجهها ، فقالت وهي غضبي : إن كان الحق في غير دينك ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فقال عمر : اعطوني الكتاب الذي عندهم فأقرأه ، وكان عمر يقرأ الكتاب ، فقالت أخته : إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون ، قم واغتسل وتوضأ ، فقام وتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري ﴿ فقال عمر : دلوني على محمد . فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال : أبشر يا عمر ، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ليلة الخميس » اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر و بن هشام « وكان رسول الله ﷺ في أصل الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حجرة وطاحنة وناس ، فقال حجرة : هذا عمر ، إن يرد الله به خيرا يسلم ، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا . قال والنبي ﷺ داخل يوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحائل السيف فقال : ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة . فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبد الله ورسوله . وفي الصحيح عن سعيد بن زيد قول : والله لقد رأيته وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم عمر

قال ابن اسحق : وكان عمر ذا شكيمة لا يرام ، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبجمزة ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر . وفي البخارى عنه : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر . قال الذهبي : أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة . وكان من أشرف قريش ، فكانوا إذا أرادوا حربا

بعثوه رسولا، وإذا نافرهم مغافر أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافرا ومفاخرا . وفي الصحيح عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا صبأ عمر ، وأنا غلام فوق ظهر يتي . فجاء رجل عليه قباء من ذيابج فقال : صبأ عمر فما ذاك ؟ فأنأ له جار . قال فرأيت الناس تصدعوا عنه ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا العاص بن وائل . وفي رواية في الصحيح عنه قال : بينما هو في الدار خائفا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحريز ، وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية ، فقال له : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت . قال : أمنت ، لا سبيل لهم اليك

فصل

قال ابن اسحق : فلما رأت قريش أن أمر رسول الله ﷺ يزايد ويقوى ، مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة ، وإننا قد استنميناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أعلامنا وعيب آلمتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا . فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا - للذي كانوا قالوه له - فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق . قال : فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بدء ، وأنه خاذله ومسلمه وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه . قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، ثم قام . فلما ولي ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي . قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ . فقال : أقبل يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً

قال ابن اسحق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفرأقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعبارة بن الوليد فقالوا له فيما بلغني :

يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله . فخذته فلك عقله ونصره واتخذته ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله ، فانما هو رجل كرجل . قال : والله لبئس ما تسوموننى ، تعطوننى ابنكم أغذيه لسك ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تسكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا . فقال : والله ما أنصفتمونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك . أو كما قال . فخبب الأمر وحيت الحرب وتنابد القوم وبأدى بعضهم بعضا . فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم وبعم من خذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألا ليت حظى من حياطتكم بكر	ألا قل لعمرى والوليد . ومطعم
يرش على الساقين من بوله قطر	من الخور حجاب كثير رغاؤه
إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر	تخلف خلف الورد ليس بلاحق
إذا سثلا قالوا إلى غيرنا الأمر	أرى أخوينسا من أئينسا وأمنا
كما جرجت من رأس ذى علق الصخر	بلى لهم أمر ولكن تجرجا
هما نبيذانا مثل ما ينبذ الجر	أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا
فقد أصبجا منهم أ كفهها صفر	هما أغمرى للقوم فى أخويهما
من الناس إلا أن يرس له ذكر	هما أشركا فى المجد من لا أبا له
وكانوا لنا مولى إذا بنى النصر	وتيم ونخزوم وزهرة منهم
ولا منهم ما كان من نسلنا شفر	فوالله ما تنفعك منى عداوة

الشفر : هو حرف جفن العين

قال ابن اسحق : ثم إن قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب

رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يهذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعهه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه . فاجتمعوا إليه وقاموا معه ، إلا ما كان من أي لُب وولده فانهم ظاهروا قريشا على قومهم . انتهى

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، إنهم أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية ، فبلغ ذلك أبا طالب ، فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله ، فمنهم من فعل ذلك حمية ، ومنهم من فعل ذلك إيمانا ويقينا فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واتمروا أن يكتبوا كتابا على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة ، وقيل بغيض بن عامر ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده . وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب فدخلوا معه شعبه ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، وقال ابن سعد سنتين ، حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا ، وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يسمع أصوات نساءهم وأبنائهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، واشتدوا على من أسلم من لم يدخل الشعب ، وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا : قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيهِ أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بمضجعهم ، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة قال :

ولما رأيت القوم لا ودَّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد خالفوا قوماً علينا أصدنة
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى
أعوذ برب الناس من كل طاعن
ومن كاشح يستى لنا بجميعة
وثور ومن أرسى ثبيراً مسكانه
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسود إذ يمسحونه
وموطىء إبراهيم فى الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين إلى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له
وتوقافهم فوق الجبل عشيّة
فهل بعد هذا من معاذ لمائذ
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله نبرى محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله
وينهض قوم فى الحديد اليكم
وإنّا لعمر الله إن جد ما أرى
بكفى فتى مثل الشهاب سميّ دع
وما ترك قوم لا أبالك سيّداً
وأبيض يستقى الغمام بوجهه
تلوذ به المـلاك من آل هاشم

يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
وأبيض غضب من تراث المقاتل
وأمكن من أثوابه بالوصلات
علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
وراق ليرقى فى حراء ونازل
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
على قدميه حافياً غير ناعل
وما فيها من صورة وتماثل
ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
الال إلى مفضى الشراج القوابل
يقيمون بالأيدى صدور الرواحل
وهل من معيذ يتقى الله عادل
ونظن إلا أمركم فى بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
لعلّ تبسن أسياقنا بالأماثل
أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده فى رحمة وفواضل

وسائل أبا الوائد ماذا حبوتنا
أضاق عليه بغضنا كل تلة
نعتبة لا تسمع بنا قول كاشح
وكنتم أمراء ممن يعاش برأيه
ومر أبو سفيان عنى معرضا
يقر إلى نجد وبرد مياهه
ويخبرنا فعل المتاصح أنه
أطعمهم لم أخذك في يوم نجدة
أطعمهم إن القوم ساموك خطة
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
بميزان قسط لا يخس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
فكل صديق وابن أخت نعه
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشهم من الشم البهليل ينتمى
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحد
فن مثله في الناس أى مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسبة
لكنا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب

بسميك فينا معرضا كالخاتل
من الأرض بين أخشب وجنادل
حسود كذوب مبعض ذى دغاول
ورحمته فينا ولست بجاهل
كما مر قبل من عظام المتاول
ويزعم أنى لست عنكم بغافل
شقيق ويخفى عارمات الدواخل
ولا معظم عند الأمور الجلال
وإنى متى أوكل فاست بوائل
عقوبة ثمر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل
بنى خف تيمنا والغياطل
وآل قصى فى الخطوب الأوائل
لعمرى وجدنا غبه غير طائل
براء الينسا من معقة خاذل
زهير حساما مفردا من حائل
إلى حسب فى حومة المجد فاضل
وإخوته دأب الحب المواصل
إذا قاسه الحكماء عند التفاضل
يوالى إلها ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى الخافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا أحد في أرومة تقصر عنها سورة المتطاول
حدث بنقسي دونه وحيمته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

ثم بعد ذلك تألف قوم من قریش على نقض تلك الصحيفة ، كان أحسنهم فيها غناء .
هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، فإنه لقي
زهير بن أمية بن المغيرة فعيرد بإسلام أخواله ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فأجابه
زهير إلى نقض الصحيفة ، ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدى فذكره أرحام بنى هاشم وبنى
المطلب ابني عبد مناف فأجابه إلى ذلك ، ثم مشى إلى أبى البختري بن هشام فقال له مثل
ما قال للمطعم بن عدى ، ثم مشى إلى زمعة بن الأسود فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم
فقال : وهل مئى على هذا الأمر الذى تدعونى اليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سئى له القوم .
واتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة .
وقال زهير ، أنا أبدأ كفأ كون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير
ابن أبى أمية عليه حلة ، فظاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا كل
الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هل سكى لا يباعون ولا يباع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق
هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال أبو جهل - وكان فى ناحية المسجد - كذبت والله لا تشق .
قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضىنا كتابتها حين كتبت . فقال أبو البختري :
صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدى : صدقتم وكذب من
قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو ونحووا من ذلك . قال
أبو جهل : هذا أمر قضى بليل ، وتكشور فيه بغير هذا المكان . وأبو طالب جالس فى
ناحية المسجد ، فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا
« باسمك اللهم » وما كان فيها من اسم الله فانها لم تاكله

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : إن الله أطلع رسوله على الذى صنع بصحيفتهم ،
فذكر ذلك لعمه فقال : لا والثواقب ما كذبتنى . فانطلق يمشى بعصا به من بنى عبد المطلب
حتى أتى المسجد وهو حافل من قریش ، فلما رأوهم رأوا أنهم قد خرجوا من شدة الجوع

وَأَتُوا لِيُعْطَوْهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَتَكَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ صَاحِبًا ، فَأَتُوا بِصَحِيفَةٍ تَكْتُمُ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يَنْظُرُوا فِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِهَا . فَأَتُوا مُعْجِبِينَ لَا يَشْكُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَدْفُوعُ إِلَيْهِمْ ، قَالُوا : قَدْ آتَى نَسْكَمُ أَنْ تَقْبَلُوا . وَتَرْجِعُوا ، فَإِنَّمَا قَطَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ قَدْ جَعَلْتُمُوهُ خَطَرًا لَهْلَكَةِ قَوْمِكُمْ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : لَأُعْطِيَنَّكُمْ أَمْرًا لَكُمْ فِيهِ نَصَفٌ ، إِنْ ابْنُ أَخِي أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيكُمْ وَمَحَا كُلَّ اسْمٍ لَهَا فِيهَا وَتَرَكْتُ فِيهَا غَدْرَكُمْ وَقَطِيعَتَكُمْ ، فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ حَقًّا فَوَاللَّهِ لَا نَسَامُهُ إِلَيْكُمْ حَتَّى نَمُوتَ عَنْ آخِرِنَا ، وَإِنْ كَانَ لِلَّذِي يَقُولُ بَاطِلًا دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ فَفَقْتَلْتُمُوهُ أَوْ اسْتَحْيَيْتُمُوهُ . قَالُوا قَدْ رَضِينَا . فَفَتَحُوا الصَّحِيفَةَ فَوَجَدُوهَا كَمَا أَخْبَرَ ، فَقَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مِنْ صَاحِبِكُمْ . فَارْتَكَبُوا وَعَادُوا لَشَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ . فَتَكَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْغَفَرُ الَّذِينَ تَعَادَلُوا وَمَزَقَتِ الصَّحِيفَةَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا مَزَقَتْ وَبَطَلَ مَا فِيهَا قُلَّ أَبُو طَالِبٍ فِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَامُوا فِي نَقْضِهَا يَمْدَحُهُمْ شُعْرًا :

أَلَا هَلْ أَتَى بِحَرْبِنَا صَنْعَ رَبِّنَا ^(١)	عَلَى نَائِيهِمْ وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ ^(٢)
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزَقَّتٌ	وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مَفْسُودٌ
تَرَاوَحَهَا إِفْكَ وَسِحْرٌ مَجْمَعٌ	وَلَمْ يَلَفْ سِحْرَ آخِرِ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَى لَهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرَقَرٍ	فَطَاطَرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ
وَكَانَتْ كَقَاءِ وَقْعَةٍ بِأَثِيمَةٍ	لِيَقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمَقْلَسٌ
وَيُظْعَنُ أَهْلُ الْمَسْكَتَيْنِ فِيهِرَبُوا	فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تَرْعَدُ
وَيَتْرَكُ حَرَاثَ يَقْلَبُ أَمْرُهُ	أَيْتَهُمْ فِيهِمْ عَنِيدٌ ذَاكٌ وَيَنْجِدُ
فَنْ يَنْسَ مِنْ حَضَارِ مَكَّةَ عَزُهُ	فَعَزَّتْنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَهُ

(١) بحرينا : يعنى الذين بأرض الحبشة من المهاجرين المسلمين ، نسبهم إلى البحر .
لركوبهم لإياه

(٢) أروود : أرفق . ومنه « رويدا » أى رفقاً

نشأنا بها والناس فيها قليل
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحبجون تتابعوا
قعود لذي حطم الحبجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
جرىء على كل الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيّد وابن سيّد
ويبنى لأبناء العشيرة صالحاً
أنظ بهذا الصالح كل مبرأ
قضوا أمرهم في أيامهم ثم أصبحوا
هو رجه واسهل بن بيزاء راضياً
متى شرك الأقوام في جل أمرنا
وكنا قديماً لا نقر ظلامه
فيال قصي هل لكم في نفوسكم
فاني وإياكم كما قال قائل

فلم تنفكك نزداد خيراً ونحمد
إذا جعلت أيدي المضيفين ترعد
على ما يهدى لحزم ويرشد
مقاولة بل هم أعز وأجود
إذا ما مشى في رفرف الدرع أجرد
شهاب بكفي قابس يتوقد
إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
على وجهه نسقى الغمام ونسعد
يخص على مقرى الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا بالبلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يحمده
على مهل وسائر الناس رقد
وسر أبو بكر بها ومحمد
وكنا قديماً قبلها نتودد
وندرك ماشئفاً ولا نتشدد
وهل لكم فيما يحى به غد
لديك البيان لو تسكمت أسود (١)

وأسلم هشام بن عمر يوم الفتح، وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس . قال
ابن عبد البر : وذلك بعد عشرة أعوام من المبعث ، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة
أشهر وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام

(١) أسود : جبل كان قد قتل فيه قتيل ولم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه
المقالة ، يعنون بها أن هذا الجبل لو تسكمت لأبان عن القاتل ولعرف الجاني ، ولكنه لا يتكلم ،
فذهبت مقالهم مثلاً

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال : يا عم قل « لا إله إلا الله » كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال له : ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه رسول الله ، فأعاد ، فكان آخر ما كلمهم به هو : على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول « لا إله إلا الله » . فقال النبي ﷺ لأستغفرون لك ، ما لم أنه عنك . فأنزل الله ﷻ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي » وأنزل في أبي طالب ﷻ إنك لانهدى من أحبيت ﷻ الآية . وفي الصحيح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال « نعم وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته في ضحضاح » وفي رواية « أعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة » ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه » وفي رواية « ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » انتهى . وكان موته في رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح . وقيل : إن رسول الله ﷺ يسمى ذلك العام « عام الحزن » ، وكانت مدة إقامة خديجة معه عليه السلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح ، ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة

فصل

فلما مات أبو طالب اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من قومه وتجرأوا عليه وكشفوه بالأذى ، وأرادوا قتله ، فغضبهم الله من ذلك . وذكر العلماء من أهل السير وغيرهم فيما لقي رسول الله ﷺ من قومه أمورا كثيرة : فمنها ما قاله ابن اسحق حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه ، سقه أحلامنا وشتم آباءنا وفرق جماعتنا . فبينما هم إذ أقبل رسول الله ﷺ فاستلم الركن ، فلما مر بهم غمزوه ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ . ثم مضى . فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مر بهم الثالثة فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، لقد جئتكم بالذبح . وإنهم قالوا له :

يا أبا القاسم ما كنت جهولا ، فانصرف راشدا . فلما كان من بعد اجتماعهم كذلك إذ طلع ، فقالوا : قوموا اليه وثبة رجل واحد ، فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط أخذ بمجمع رداءه ، وقام أبو بكر وهو يبكي ويقول : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وفي حديث أسماء ، فأتى الصريح إلى أبي بكر فقال : أدرك صاحبك . فخرج من عندنا وعليه غدائر أربع ، فخرج وهو يقول : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله . فنهوا عنه وأقبلوا على أبي بكر ، فرجع الينا لا نس شيئا من غدائره إلا رجع معنا . وفي رواية البخاري عن عروة قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجرة الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ فقال : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله . الآية . ومنها ما ذكره البخاري أيضا في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرائي ، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمل إلى فرشها ودمها وسلاها فيجىء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه . فانبعث أشقاقهم ، فلما سجد عليه الصلاة والسلام وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجدا ، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك وأنا قائم أنظر لو كان لي منه طرحة عن ظهر رسول الله ﷺ . فانطلق منطلق إلى فاطمة ، وهي جويرية ، فأقبلت تسعى . وثبت النبي ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه ، وأقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ رفع صوته ثم دعا عليه ، وكان إذا دعا ثلاثا ، فإذا سأل سأل ثلاثا ، ثم قال : اللهم عليك بقريش ، ثم سعى : اللهم عليك بعمر بن هشام وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمار بن الوليد . قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر قد غيرتهم الشمس في يوم حار ، ثم سجدوا إلى القلب قلب بدر ، ثم قال رسول الله ﷺ واتبع أصحاب القلب لعنة . انتهى . ومنها ما ذكر أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان . ومنها حثو سفهاءهم التراب

م - ٨ * مختصر السيرة

على وجهه ورأسه . ذكره ابن إسحق . ومنها أنهم يطرحون الفرو والدم على بابه . ومنها
بصق أمية في وجهه .

قال ابن إسحق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب والحكم
ابن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدى بن حراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي ،
وكانوا جيرانه ، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص ، وكان أحدهم فيما ذكر لي
يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له ، حتى
اتخذ رسول الله ﷺ حجرا يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله ﷺ إذا طرخوا عليه
ذلك الأذى كما حدثني عمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله ﷺ
على العود فيقف به على بابه ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ؟ ثم يلتقيه في
الطريق . وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة قال . لما نثر ذلك السفينة على رأس رسول
الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه
إحدى بناته فغسلت عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية
فإن الله مانع أباك قال ويقول بين ذلك : ما نالت مني قریش شيئا أكرهه حتى مات
أبو طالب

ومنها تعذيب أصحابه وهو ينظر ، قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم
عن أبيه القاسم بن محمد قال : لقي أبا بكر صفيه من سفهاء قریش وهو عامد إلى الكعبة
فحشا على رأسه ترابا ، قال فرأى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل قال فقال أبو بكر :
ألا ترى ما يفعل هذا السفينة ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول : أي رب
ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ؟ وفي الصحيح عن خباب قال : أتيت النبي ﷺ وهو
متموسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يا رسول الله ألا
تدعو الله ؟ فقام وهو حجر وجهه فقال : لقد كان فيمن كان قبلك ليمشط بأمشاط الحديد
مادون عظامه ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولأيتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من
صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه . قال ابن إسحاق : حدثني بعض

أهل العلم عن سعيد بن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال :
اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلفة
أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطالب بن أسد وزمعة بن الأسود
والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه
ومنه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف ومن اجتمع إليهم ، قال : اجتمعوا عند غروب
الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلمود وخاصموه
حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم .
فجاءهم رسول الله ﷺ سريرا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلموه بدء ، وكان عليهم
حريرا يحب رشدهم ويعز عليه عنهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا
إليك لنكلمك ، وإيا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ،
لقد سببت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسففت الأحلام ، وفرت الجماعة ،
فما بقي من قبيلح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له . وإن كنت إنما جئت بهذا
الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت
تطلب به الشرف فينا فنحن نسرّدك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك ، وإن كان
الذي يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا - فرما كان
ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك . قال لهم رسول
الله ﷺ : ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم
ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون
بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن قبلوا منى ما جئتمكم به فهو
حكم في الدنيا والآخرة ، وإن ردّوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . أو كما
قال . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس
من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فامثل ربك الذي بعثك بما
بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها

أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث من مضى من آبائنا ، وليسكن فيمن يبعث لنا .
 قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فإن صدقوك
 وصنعت ما سألتك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال
 لهم رسول الله ﷺ : ما بهذا بعث اليكم ، إنما جئكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغكم
 ما أرسلت به اليكم . فان قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي فإصبر
 لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك ، سل ربك
 أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وأما لا فإيجعل لك جنانا
 وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغى ، فإنك تقوم في الأسواق
 تلمس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما
 تزعم . فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه . ولكن الله
 بعثني بشيرا ونذيرا - أو كما قال - فان قبلوا ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ،
 وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . قالوا : فأسقط السماء علينا
 كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء . قال : فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى الله ، إن
 شاء أن يفعله بكم فعل . قالوا : يا محمد ، فما علم ربك أننا سنجلس معك ونسألك عما
 سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك فيعلمك بما تراجعنا به ويخبرك بما هو
 صانع في ذلك بنا إذ لم قبل منك ما جئتنا به ، إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل باليامة
 يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا اليك يا محمد ، وإنا والله
 لا نتركك وما باغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا . وقل قائلهم : نحن نعبد الملائكة
 وهي بنات الله ، وقال قائلهم : إن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا
 ذلك لرسول الله قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
 مخزوم وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطاب فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك
 ما عرضوا فلم تقبل منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول
 ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم

ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم من العذاب فلم تفعل
أو كما قال له - فوالله لا أو من بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترق فيه وأنا أنظر
حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم
الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف
الى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما كان طمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم
إياه فقام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما
ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له
غدا بحجر ، ما أطيق حمله - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فأسله ونى
عند ذلك أو امنعوني . فامتنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلك
شيء أبدا فامض لما تريد . فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول
الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يقدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة
وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل السكبة
بينه وبين الشام . فقام رسول الله ﷺ يصلى وقد غدت قريش في أنديتهم فجلسوا فيها
ينظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل
نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد بيست يده على حجره حتى
قذف الحجر من يده ، وقامت اليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال :
أقمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت عرض لى دونه فحل من الإبل والله
ما رأيت مثل هامته ولا قصرته وأنيابه لفحل قط ، فهزم بي أن يا كفى . قال ابن اسحق :
فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال : ذاك جبرائيل ، لو دنا لأخذه . فلما قال ذلك لهم أبو
جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة فقال : يا معشر قريش ، والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم
له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ،
حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قاتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ،
قد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم . وقتلهم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن . قد رأينا الكهنة

تخالجهم وسمعنا سجعهم . وقلتم شاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه .
وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون فما هو بخفقه ولا وسوسته ولا
تخليطه . يامعشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم

وكان النضر بن شياطين قريش وعمن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له
العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار ،
فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجاسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم
من الأهم من نعمة الله خافه في مجلسه إذا قام ، وقال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا
منه ، فلم فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ،
ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟ قال ابن هشام . وهو الذي قال فيما بلغني : ما نزل
مثل ما أنزل الله . قال ابن اسحق فكان ابن عباس يقول فيما بلغني : نزل فيه ثلاث
آيات من القرآن : قوله تعالى ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ وكل ما ذكر فيه
أساطير الأولين

فلما قال لهم النضر بن الحارث ذلك بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أخبار
يهود بالمدينة وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته وأخبارهم بقوله ، فإنهم أهل
الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من الأنبياء . فخرجوا حتى قدما المدينة فسألا أخبار
يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وأخبارهم ببعض قوله وقالوا لهم إنكم أهل
التوراة قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فنالت لها أخبار يهود : سلوه عن ثلاث
نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل . فروا فيه
رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ، فانه قد كان لهم حديث
عجب . وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نباد . وسلوه عن
الروح ما هي ؟ فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فاصنعوا
في أمره ما بدا لكم . فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف حتى قدما مكة على قريش فقالوا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل

ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم بها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم : فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كان لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتهم عنه غدا . ولم يستثن . فأنصرفوا عنه ، فسكت رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث إليه في ذلك وحى ولا يأتيه جبريل ، حتى أرحف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سأله عنه . حتى أحزن رسول الله ﷺ ما بث الوحى . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل من الله بسورة السكف فيها معاتبته بإياد على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح . قال ابن اسحق : إن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سئوت ظنا . فقال له جبريل ﷺ وما تنزل إلا بأمر ربك . له ما بين أيدينا وما خلفنا ﷻ الآية . وقال فيما سألوه عنه من الروح ﷻ ويسألوك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ﷻ الآية

قال ابن اسحق : وحديث عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار يهود : أرايت قولك ﷻ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﷻ إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا . قالوا : فأنك تقولوا في ما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أفتهموه . فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﷻ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﷻ أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل . قال : وأنزل الله عليه فيما سألوه قومه لأنفسهم من تسمير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : ﷻ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﷻ أى إنى لا أصنع من ذلك إلا ما شاء الله . وأنزل الله عليه فى قولهم خذ لنفسك ما سألوه أن يجعل له جناحا وقصورا وكنوزا ويبعث معه ملكا يصدق به يقول ويرد

عليه ﷺ وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﷻ إلى قوله ﷻ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً ﷻ أى من أن تمشي في الأسواق وتلتبس العناش ﷻ جنات تجري من تحتها الأنهار ﷻ الآية . وأنزل الله عليه في ذلك من قولهم ﷻ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . وجعلنا بعضهم لبعض بصيراً ﷻ أى جعلنا بعضهم لبعض بلاء . اتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالقوا لفعلت . وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية ﷻ وقالوا نحن نؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﷻ إلى قوله ﷻ هل كنت إلا بشراً رسولاً ﷻ وأنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم ﷻ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ﷻ ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوه عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فماتوا على الله ، وتركوا أمره عياناً ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم ﷻ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون ﷻ أى اجعلوه لغوا وباطلاً واتخذوه هزواً لعلكم تغفلوه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم . فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يمدبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أ كثر الناس عدداً وكثرة أفعى جز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله في ذلك من قوله ﷻ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﷻ إلى آخر القصة . فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له : فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يقرأ من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فمن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذا هم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه . قال ابن اسحق : حدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثه أن عبد الله بن عباس

حدثهم أنما نزلت هذه الآية ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ من أجل أولئك ، يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يجب أن يسمعها من يسترق السمع ذلك دونهم ، فلعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينقفع به . انتهى . قلت : وقد روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الآية ، قال : نزلت ورسول الله ﷺ يخف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله عز وجل ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ زاد مسلم في روايته : وابتغ بين ذلك سبيلا ، يقول : بين الجهر والخافت .

قال ابن اسحق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان ابن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق النخعي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهاءكم لأوقعهم في قلبه شيئا . ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : ما قلنا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تعاهد لا نعود ، ثم تعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حفصة عن رأيك فيما سمعت من محمد . فقال : يا أبا ثعلبة لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من

محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا لحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تمازجنا على الزكب وكنا كقوسى رهان قالوا : ماذا نبى يأتيه الوحى من السماء ، ففى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقك . فقام عنه الأخنس وتركه

ذكر خبر الوليد بن المغيرة

قال ابن اسحق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذا سنٍّ فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويردُّ قولكم بعضه بعضا . قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس نقل وأقم لنا رأيا نقول به . قال : بل أنتم قولوا وأسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما بزمزمة الكاهن ولا سجعته . قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر . لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : نقول ساحر . قال : وما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفته ولا عقده . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله كمدق ، وإن فرعه لجفأة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وعشيرته . فنفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره . فأنزل الله فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله تعالى ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ إلى قوله ﴿ سألصليه مفر ﴾ وأنزل الله فى النفر الذين كانوا يصنفون القول فى رسول الله فيما جاء به من الله ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ أى أصنافا ﴿ فوردك ﴾ لئلا يجمعهم فى الآية

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اقرأ على . فقرأ عليه ﷻ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﷻ الآية ، قال : أعد . فأعاد عليه . قال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعذب ، وما يقول هذا بشر . وفي رواية : فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : ولم ؟ قال : أتيت محمداً لتمعوض مما قبله . قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا . قال : قتل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال : ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أعظم بالأشعار مني

ذكر خبر عتبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ

روى عبد بن حميد وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه . فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك . إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك . فرقت جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب . لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً . والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ، إن كان بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : فرغت ؟ قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ﷻ حتى بلغ ﷻ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ^(١) . فقال عتبة : حسبك حسبك ، ما عندك

غير هذا ؟ قال : لا . فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراؤك ؟ قال : ما تركت شيئاً إنكم تسكمونه به إلا كلمته . قالوا : فهل أجابك . قال : نعم ، لا والذي نصبها بنية ^(١) ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . وقد ساقه البغوي في تفسيره عن محمد بن فضيل عن الأجاج عن الزيان بن حرملة عن جابر ، فذكر الحديث إلى قوله ^(٢) فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ^(٣) فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله لا نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نغنيك عن طعام محمد . فغضب غضبة وأقسم أن لا يسلمهم محمداً أبداً وقال : والله إني من أكثر قريش مالا ، ولسكني أتيتهم وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء . والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله ^(٤) فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ^(٥) فأمسكتُ بفيه وناشدته بالرحم أن يكفَّ ، وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب . ورواه محمد بن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب القرظي ، وفي روايته : ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتدلاً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراؤك يا أبا الوليد ؟ قال : قال : ورأى أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالسكينة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خلو بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملككم ملككم وعزكم عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا

(١) البنية هي الكعبة بيت الله الحرام

سجرك والله يا أبا الوليد بأسانه . قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم

ذكر خبر المستهزين

منهم عمه أبو لب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب ، سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر ، فأنزل الله فيها ﴿ تبت يدا أبي لب وتب ﴾ إلى آخر السورة . وقيل إنها كانت تمشي بالنميمة . وتنقل الحديث ، وتلقى العداوة بين الناس ، وتوقد ناراً كما توقد النار بالحطب

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن أم جميل حين سمعت ما نزل في زوجها من القرآن أنت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر ، وفي يدها فهر من حجارة . فلما وقفت عاينها أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر ، قالت : يا أبا بكر أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه . أما والله إني لشاعرة

مذمماً عصينا وأمره أبيتا ودينه قلينا

ثم انصرفت . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأيتك ؟ قال : ما رأيتني ، لقد أخذ الله بصرها عني

قال ابن إسحاق : وكانت قریش تسمى رسول الله ﷺ مذمماً ، ثم يسبونهم . وكان رسول الله ﷺ يقول : ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قریش ؟ يسبون ويهجون مذمماً ، وأنا محمد

وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح إذا رأى النبي ﷺ هزه ولمزه ، فأنزل الله فيه ﴿ ويل لكل هُمزة لمزة ﴾ إلى آخر السورة كلها . قال ابن هشام : الهمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويفمز به ، قال حسان بن ثابت :
همزتك فاخضعتم لذل نفس بقافية تاجع كاشواظ

وجهه هزات ، واللمزة الذى يعيب الناس سرأ ويؤذيهم

قال ابن اسحاق : وكان خباب بن الارت صاحب رسول الله ﷺ قيناً بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً علمها له حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم صاحبكم محمد هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال أنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيت هناك حقم ، والله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عسده الله منى ولا أعظم خطأ فى ذلك . فأنزل الله تعالى ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً ﴾ إلى قوله ﴿ ويأتينا فرداً ﴾ قال : وفى الصحيح عن خباب رضى الله عنه قال : كنت قيناً بمكة ، فعملت للعاص بن وائل السهمى ، فبئت أنقاضه ، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ . فقال : لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يميتك . قال : إذا أماتنى الله ثم بعثنى على ما ولد . فأنزل الله ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالا وولداً ﴾ إلى قوله ﴿ ويأتينا فرداً ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقبل : نعم . فقال : واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطئن رقبة ، ولأعفرن وجهه فى التراب . قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ، زعم ليظاً على رقبة ، فاحرقهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم . قال : إن بينى وبينه خلفداً من زر وهو لا وأجنحة . فقال رسول الله « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » وأنزل الله لا ندرى فى حديث أبى هريرة أو شىء بلغه ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ الآيات

قال ابن اسحاق : لقي أبو جهل ابن هشام رسول الله ﷺ فيما بلغنى فقال له : والله يا محمد لتعتركن سب آلمتنا أو لنسبن إلهك الذى تعبد ، فأنزل الله تعالى ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ الآية ، فذكر لى أن رسول الله ﷺ كلف عن سب آلمتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله ، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً

فدعا فيه إلى الله وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه النضر بن الحارث في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رسم وإسفنديار وملوك فارس ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبتها ، فأنزل الله فيه ﴿ وقولوا أساطير الأولين اكتبتها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً . قل أنزله الذي يعلم السر ﴾ الآية . ونزل فيه ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ ونزل فيه ﴿ ويل لسكل أفاك أثيم ، بسمع آيات الله تتلى عليه ﴾ إلى قوله ﴿ فبشره بسذاب أليم ﴾

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله ﷺ يوماً فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ، ففرض له النضر بن الحارث ، فسلّمه رسول الله حتى أخمعه ، ثم تلا عليه ﴿ إنك وما تعبدون من دون الله حصّب جهنم أنتم لها واردون ﴾ الآيات ، ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آتفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصّب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته ، فاسألوا محمداً أكل ما يعبدون من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيزاً والنصارى يعبدون عيسى بن مريم . فمجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قوله ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله عليه ﴿ إن الذين سبقتم لهم من الحسنى أولئك عنها مبدون ﴾ الآيات . ونزل في ما ذكر من أمر عيسى بن مريم عليه السلام أنه يعبد من دون الله ، وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى فقال ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ إلى قوله ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تترنّ بها ﴾ أي ما وضعت على يديه من الآيات ومن إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، وكفى به

دليلاً على علم الساعة فلا تمتحن بها واتبعون

قال ابن إسحاق : وقال الوليد بن المغيرة : أنزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ؟ فنجن عظيماً مكة والطائف القريتين ، فأنزل الله فيما بلغني ﴿ وقولوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أحم يقسمون رحمة ربك ﴾ الآية . قال ابن اسحق : وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جهم وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسناً ما بينهما ، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه . فبلغ ذلك أيما ، فأتى عقبة فقال له : ألم يباغني عنك أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ ثم قال : وجي من وجهك حرام أن أكلك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جالست محمداً وسمعت منه . أو لم تأت فتتفل في وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة ، فأنزل الله فيها ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ . ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد أرفت فقال : يا محمد أنت زعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ : فقال رسول الله ﷺ : أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار ، فأنزل الله فيه ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ الآيات

قال ابن اسحق واعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني الأسود ابن الطلب والوليد بن المغيرة وأبي بن خلف والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنانهم في قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله فيهم ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾

السورة كلها

قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم

بها محمد؟ قالوا : لا . قال : عجرة يشرب بالزبد ، والله لئن استمكننا منها لننزلن بها نزلها . فأنزل الله فيه ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ أى ليس كما يقول . وأنزل فيه ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم ﴾ الآية

ذكر نزول سورة عبس

قال ابن اسحق : ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ ورسول الله يسكلمه وقد طمع في إسلامه . فبينما هو في ذلك إذ سر به ابن أم مكتوم الأعشى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره ، وذلك أنه شغل عما كان فيه من أسر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ عبس وتولى أن جاء الأعشى ﴾ إلى قوله ﴿ مطهرة ﴾ أى إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ولم أختص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تقصد به لمن لا يريد . وابن أم مكتوم أحد بنى عامر بن لؤى ، واسمه عبد الله . انتهى . وكان رسول الله ﷺ يكرمه ، وإذا رآه قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى . ويقول : هل لك من حاجة ؟ ويستخلفه على المدينة إذا غزا . قال أنس بن مالك فرأيت يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء

قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد ؟ فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة ويسار مولى صفوان بن أمية وصهيب وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قریش وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء به وما خصهم الله به . انتهى . قلت : روى الإمام أحمد بإسناده عن ابن مسعود قال : مرّ الملأ من قریش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال ، فقالوا . يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك ؟ فنزل القرآن ﴿ وأنذر الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ إلى قوله ﴿ والله أعلم بالظالمين ﴾ رواه ابن جرير ، وفيه : فقالوا : يا محمد ، م — ٩ * مختصر السيرة

أرضيت هؤلاء من قومك ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أنحن نصبر تبعاً لهؤلاء ؟
 اطردهم ، فذاك أحرى إن طردتهم أن تتبعك . فنزل ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
 والعشي﴾ الآيةين . قال ابن اسحق : وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند
 المروة إلى مبيعة غلام نصراني خير عبد لبني الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمد
 كثيراً مما يأتي به إلا خير النصراني غلام بن الحضرمي ، فأنزل الله في ذلك ﴿ولقد نعلم
 أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، نسان الذين يلدنون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾
 يلدنون : يميلون ، الإلحاد : الميل

ذكر نزول سورة الكوثر

قال ابن اسحق : وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغني إذا ذكر رسول الله ﷺ
 قال : دعوه فانما هو رجل أبتز لا عقب له ، لو قد مات لقد أقطع ذكره واسترحم منه .
 فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ما هو خير من الدنيا وما فيها ،
 والكوثر العظيم . وحدثني جعفر بن عمرو عن عبد الله بن مسلم ، أخى محمد بن مسلم بن
 شهاب عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ ، وقيل له : يا رسول الله ما الكوثر
 الذي أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء إلى أيلة ، آيته كعدد نجوم السماء ، ترده طير لها
 أعناق كأعناق الإبل . قال يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ؟ قال : أكملها
 أنعم منها . وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره « من شرب منه لم يظم أبداً » قلت :
 روى البخاري عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكوثر الخير الكثير
 الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ،
 قال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله . انتهى . والعرب تسمى كل
 شيء كثير في العدد أو كثير في القدر ككوثر . ثم قال تعالى ﴿إن شانئك﴾ قال ابن
 عباس : عدوك ، ﴿هو الأبر﴾ أي الأقل الأردل المنقطع من كل خير

قال ابن اسحق : حدثني أبي اسحق بن يسار قال : كان ركابة بن عبد يزيد بن هاشم

ابن المطلب بن مناف أشد قریش ، فخلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ﷺ : يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذي تقول حق لا تبعثك . قال فقال رسول الله ﷺ : أفرأيت إن صرعتك تعلم أن ما أقول حق ؟ قال ، فلم حتى أصارعك . قال فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لايمك من نفسه . ثم قال : عد يا محمد . فعدا ، فصرعه . قال قال : والله يا محمد إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟ قال رسول الله ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعته أمرى . قال : وما هو ! قال : أدعوك ههـ هذه الشجرة التي ترى فتأتيني قال : ادعها . فدعاهما ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ . قال فقال لها : ارجعي إلى مكانك . فرجعت إلى مكانها . قال فذهب ركانة إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ، وساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط . ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع

قال ابن اسحاق : ودعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام ، وكلهم فأبلغ اليهم ، فقال له زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يغوث وأبي بن خلف والعاص بن وائل : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك . فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ وقالوا لولا أنزل إليه ملك . ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ﴾ إلى قوله ﴿ ما يلبسون ﴾ قال : ومرو رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف وأبي جهل بن هشام ، فمزمزوه واستهزأوا به ، فغاضه ذلك ، فأنزل الله عليه في ذلك من أمرهم ﴿ ولقد استهزئوا برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾

فصل

قال الشيخ أبو العباس بن تيمية رحمه الله في كتاب الرد على الفصاري ، في تقرير نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية والنقلية (١) : وما ينبغي أن يعلم أن الله إذا أرسل نبياً وأتى

بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة ، فمن طالبه بثانية [لم تجب إجابته إلى ذلك ، بل وقد لا ينبغي ذلك ، لأنه إذا جاء بآية ثانية طوب (١)] بثالثة ، وإذا جاء بثالثة طواب برابعة ، فان طلب المتعنتين لا أمد له . ومعلوم أنه من قامت عليه الحجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها أو قال أنا لا أقبل حجة حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالماً متعدياً ولا يمكن الحكم الخصوم من ذلك . فحق الله الذي أوجب على عباده من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا قامت بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة إلى ثانية وثالثة . ثم قد يكون في تقابح الآيات حكمة فيتابع الله سبحانه بين الآيات ، فان الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق ، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف دلالة الآخر ، وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا ، كما فعل بآيات موسى وآيات محمد صلى الله عليه وآله ، وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقبح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه ، بخلاف ما لو اتبعوا ابتداء بدون ذلك فانه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته ، وكذلك أيضاً يكون في ذلك من يقيمه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة . وقد تقتضى الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاءوا بها . فتارة يمجبههم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصاحبة ، وتارة لا يمجبههم لما في ذلك من الضرر والفسدة . وقد كان الرسول محمد ﷺ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم فيجيب بأن تلك الآيات لا تستلزم الهدى ، بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال [لمن كذب بها] والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كفرعون وأبي لب وغیرها لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرها . وقد تبين أنه لا يظهرها لانقضاء

الحكمة فيها أول وجود الفسدة قال تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ الآيتين بعدها وقال ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ الآية ، بين سبحانه أنه ما منعنا أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا به الهلاك ، فإذا كذب هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال . وهذا المعنى مذكور في كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين ، وهو معروف بالأمانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فقد ذكر أهل التفسير ما رواه الأعمش عن جعفر بن إيس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يعمل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى عنهم الجبال حتى يزرعوا ، قال فقل له : إن شئت نسئتي بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما هلكت الأمم من قبلهم . قال : بل أستمئى بهم ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ وروى ابن أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال : سمعت الحسن البصري في قوله ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات ﴾ قال : رحمة الله لكم أيها الأمة أنا لو أرسلنا الآيات فكذبتم بها أصابكم ما أصاب من قبلكم ، وقد كانت الآيات يأتي بها محمد ﷺ بعد آية فلا يؤمنون بها قال تعالى ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين . فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ إلى قوله ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ إلى قوله ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ أخبر سبحانه بأن الآيات تأتيهم ، وما تأتيهم من آية إلا أعرضوا عنها ، وأنهم بتكذيبهم الحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسل ، فإن الله يقول ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ﴾ الآية ، وأخبر بشدة كفرهم بأنه لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا لسحر مبين . . الآيات . بين سبحانه أنه لو جعل الرسول ملكاً لعله على صورة الرجل ، إذ كانوا لا يستطيعون أن يروا الملائكة

في صورهم ، وحينئذ فكان يقع اللبس لظنهم الرسول بشرا لا ملكا . وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا إِنَّا نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى قوله ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ . وهذه الآيات التي اقترحوها لو أجيبوا بها ثم لم يؤمنوا أتاها عذاب الاستئصال كما تقدم . وأيضاً هي مما لا يصلح الإتيان به ، فان قولهم ﴿ حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ يقتضى تفجير الينبوع بمكة فيصير وادياً ذا زرع ، والله من حكمته جعل بيته بواد غير ذى زرع لئلا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا فيسكون حجهم للدنيا لا لله ، وإذا كان له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً كان في هذا من التوسع من الدنيا ما يقتضى نقص درجته وانخفاض منزلته ، وكذلك إذا كان له بيت من زخرف والزخرف الذهب . وأما إسقاط السماء كسفاً فهذا لا يكون إلا يوم القيامة ، وهو لم يخبرهم أن هذا لا يكون إلا يوم القيامة ، فقولهم كما زعمت كذب عليه ، إلا أن يريدوا التمثيل فيكون القياس فاسداً . . وأما الإتيان بالله والملائكة قبيلاً فهذا لما سأل قوم موسى ما هو دونه أخذتهم الصاعقة ، قال تعالى ﴿ وإذ قلتم يا موسى لنؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ﴾ الآيتين . وأما إنزال الكتاب فقال تعالى ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، فقد سألوا موسى أكثر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ الآية . بين سبحانه أن أهل الكتاب سألوا إنزال كتاب من السماء وأن المشركين سألوا ذلك ، وبين سبحانه أن الطائفتين لا يؤمنون إذا جاءهم ذلك ، وإنما سألوه تعنتاً . فقال عن المشركين ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ وذكر عن أهل الكتاب أنهم سألوا موسى أكبر من ذلك وهو رؤية الله جهرة ، فهم مع هذا نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا النبيين بغير حق إلى أمثال ذلك ، وأنه بسبب ظلمهم وصددهم عن سبيل الله حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم ، فكان في هذا من الاعتبار لأمة محمد ﷺ أن هذه الأمة المكذبة الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة التي اقترحوها لم يكن في مجيئها منفعة لهم ، بل فيها ما يوجب عقوبة الاستئصال إذا جاءتهم فلم يؤمنوا بها وتغليظ

لأمر عليهم ، فـسـكـان أن لا ينزل مثل هذه الآيات الموجبة عذاب الاستئصال أعظم رحمة
 حكمة ، وقد عرض الله على محمد ﷺ أن يهلك قومه لما كذبوه فقال : بل أستأني بهم
 مل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً ، كما في الصحيح عن عائشة
 أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من
 ومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن
 بـد كلاب فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت على وجهي وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا
 قرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظننتني فإذا جبريل فناداني فقال : إن
 الله سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ،
 ناداني ملك الجبال فسلم عليّ وقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد
 بعثني اليك لتأمرني بما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ، فقال : أرجو أن يخرج
 الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً » أخرجه . ولما طلب من المسيح المائدة كانت
 من الآيات الموجبة أن كفر بها عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين ، قال تعالى ﴿ إذ قال
 لحواريون يا عيسى بن مريم هل نستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴾ إلى قوله
 ﴿ فأنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ . وكان قبل نزول التوراة يهلك الله
 الكاذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يهلك الله به جميع الكاذبين كما أهلك
 وم نوح ، وكما أهلك عاداً وثموداً وأهل مدين وقوم لوط ، وكما أهلك قوم فرعون ،
 أظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى أبقى ذكرها وخبرها في الأرض ، إذ كان بعد نزول
 لتوراة لم يهلك الله أمة بعذاب الاستئصال . بل قال تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب
 من بعدما أهلكنا القرون الأولى ﴾ . بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر
 والمعاصي يهذب بعضهم ويبقى بعضهم إذ كانوا لم يقتفوا على الكفر ، ولهذا لم يزل في
 لأرض من بنى إسرائيل أمة باقية ، قال تعالى لما ذكر بنى إسرائيل ﴿ وقطعناهم في
 لأرض أمماً منهم الصالحون ﴾ الآية . وقال ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات
 الله ﴾ الآيات

وكان من حكمته ورحمته سبحانه لما أرسل محمداً ﷺ أن لا يهلك قومه بعذاب الاستئصال كما أهلك الأمم قبلهم ، بل عذب بعضهم بدون ذلك من أنواع العذاب كما عذب طائفة ممن كذبه بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ فعذب كل واحد بعذاب معروف ، كالذي دعا عليه النبي ﷺ أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فكان يحترس بقومه فجاء الأسد فأخذه من بينهم . وهو من المشهور عند أهل السير وغيرهم ، وهو عتيبة بن أبي لهب . وكان أبو لهب لما عادى النبي ﷺ أمر ابنه أن يطلق ابنه النبي ﷺ رقية وأم كلثوم قبل الدخول ، وقال عتيبة لرسول الله ﷺ : كفرتُ بدينك وفارقتُ ابتك ، لا تحبني ولا أحبك . ثم تسلط عليه بالأذى وشق قميصه ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك » خرج في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلاً ، فطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول : يا ويل أخى ، هو والله آكلى كما دعا محمد على ، قتلى وهو بمكة وأنا بالشام . فعدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فذبحه . وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه قال : لما طاف الأسد بهم تلك الليلة انصرف عنهم وجعلوا عتيبة في وسطهم ، فأقبل الأسد يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه . قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ أَبِيدُنَا ﴾ فأخبر أنه يعذب الكفار تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين بالجهاد وإقامة الحدود وتارة بعذاب غير ذلك . فكان تعذيبهم بمنزل هذه الأسباب مما يوجب إيمان أكثرهم ، كما جرى لقريش وغيرهم فانهم لما كذبوه لو أهلكهم كما أهلك قوم فرعون ومن قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة به عنهم ولم يبق لهم ذرية تؤمن ، بخلاف ما إذا عذب بعضهم بأنواع من العذاب ولو بالهزيمة الأسر وقتل بعضهم كما عذبوا يوم بدر فإن في هذا من إذلهم وقهرهم ما يوجب عجزهم مع بقائهم ، والنفوس إذا كانت قادرة على كمال أغراضها لا تكاد تنصرف عنها ، بخلاف ما إذا عجزت عن كمال أغراضها فإن ذلك مما يدعو إلى التوبة كما يقال : من العصمة ألا تقدر . فكان ما وقع بهم تعجيراً وزاجراً وداعياً إلى التوبة ، ولهذا

آمن عامتهم بعد ذلك ولم يقتل منهم إلا قليل وهم صناديد الكفر الذين كان أحدهم في هذه الأمة كفرعون في تلك الأمة كما روى عن النبي ﷺ أنه قال عن أبي جهل « هذا فرعون هذه الأمة » وقد ذكر الله لموسى في التوراة : إني أقسى قلب فرعون فلا يؤمن بك لتظهر آياتي وعجائبي ، بين أن في ذلك من الحكمة انتشار آياته على صدق أنبيائه في الأرض . إذ كان موسى قد أخبر بتكليم الله له وبكتابة التوراة له ، فأظهر الله من الآيات ما يبقى ذكره في الأرض ، وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون ما أوجب إهلاكه وقومه أجمعين . وفرعون كان جاحداً للصانع منكراً لرؤيته لا يقر به ، فلذلك أتى من الآيات ما يناسب حاله . وأما بنو إسرائيل مع المسيح فكانوا مقرين بالكتاب الأول فلا يحتاجون إلى مثل ما احتاج إليه موسى ، ومحمد لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة إذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك ، وقومه كانوا مقرين بالصانع ، وإنما كانت الحاجة داعية إلى إثبات النبوة له ، ومع هذا فأظهر الله على يديه من الآيات مثل آيات من قبله وأعظم ، ومع هذا فلم يأت بآيات الاستئصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل كما استحقه قوم فرعون وهود وصالح وشعيب وغيرهم ، فلماذا بين الله في القرآن أن هذه الآيات إذا جاءت لا تنفعهم إذ كانوا لا يؤمنون بها ، ولكن تضرهم إذ كانوا يستحقون عذاب الاستئصال إذا كذبوا حينئذ ، ومع وجود المانع وعدم المقتضى لا يصلح الفعل على قول الجمهور القائلين بالحكمة ، ومن لم يعمل فلا يطلبها سبباً ولا حكمة بل يرد الأمر إلى محض الشبهة ، قال تعالى ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى أن كذب بها الأولون ﴾ وهو يعلم أن أقرب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ؛ لو طغى عنهم قال تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ . أتواصوا به ﴿ وقال تعالى ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ وقال عن أهل الكتاب ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ، أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ذكر هذا في سورة أقتربت

التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم ﴿هذا سحر مستمر﴾ وتكذيبهم
 واتباعهم أهواءهم ، وقال تعالى ﴿ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر﴾ أى من أنبياء
 الغيب وما أخبر به ما فيه مزدجر أى ما يزرهم عن الكفر ، إذ كان فى تلك الآيات بيان
 صدق الرسول والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ، ولهذا يقول عقيب القصة
 ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أى كيف كان عذابي لمن كذب رسلى ، وكيف كان إنذارى
 بذلك قبل مجيئه ؟ يمين صدق قوله الذى أخبر به الرسل ، وعقوبته لمن كذب . ثم
 ذكر قصة المكذبين لنوح وهود وصالح ولوط ، إلى قومه ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر ،
 كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات
 موسى وجميع آيات الأنبياء ، وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب وقدرته
 ومشيتته ، إذ كانوا جاحدين للخالق منكبين له فكذبوا آياته كلها . ثم قال ﴿أكفاركم
 خير من أولئكم﴾ أى كفاركم أيها الأمة التى أرسل إليها محمد ﷺ خير من أولئكم الذين
 كذبوا نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وموسى ﴿أم لكم براءة فى الزبر ، أم يقولون نحن جميع
 منتصر﴾ وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتم إما أن يكون لكونكم
 خيراً منهم لا تستحقون مثل ما استحقوا ، أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فيكون
 لكم براءة فى الزبر ، فعملون ذلك بخبره فان ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة لمشيئته
 وحكمته وعدله ، فإما أن تكونوا علمتم من هذا الوجه أو من هذا الوجه ، هذا إن نظر إلى
 فعل الله الذى لا طاقة للبشر به ، وإن نظر إلى قوة الرسول وأتباعه فيقولون ﴿نحن جميع
 منتصر﴾ فإنهم أكثر وأقوى ، كقوله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا
 للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن
 أثاثاً ورثياً﴾ أى أموالاً ومنظراً . فقال تعالى ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ أخبر بهزيمتهم
 وهو بمكة فى قلة من الأتباع وضعف منهم ولا يظن أخذ بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو
 قبل أن يقاتلهم ، وكان كما أخبر فانهم يوم بدر وغيره هزم جمعهم وولوا الدبر ، وتلك
 سنة الله فى الأولين والآخرين ، وقال تعالى ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لَوَلَّوْا الأُدْبَارَ ثُمَّ

لا يحدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله ﷻ الآية وحيث ظهر الكفار فانما ذلك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم ، ثم إذا تابوا فأكمل إيمانهم نصرهم ، كما قال تعالى ﷻ ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﷻ وقال تعالى ﷻ ولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا . قل هو من عند أنفسكم ﷻ فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة ألا يهلكهم هلاك الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم كما قال ﷻ أ كفار خير من أولئكم ﷻ كان أن لا يأتى بوجوب عذاب الاستئصال مع إثباته سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح الحجة كمال في الحكمة والرحمة ، إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والمهدى بين الحجة على من كفر ، وما امتنع به دفع به من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب لعام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يؤمنوا أو يتوبوا أو يهتدوا . وكان إرسال محمد ﷺ لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول قبله سنوات الله وسلامه عليهم أجمعين

فصل

قال ابن اسحاق : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلنهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه فكلّموه بأسألوه . ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت عينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خيبكم الله بن ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم وتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تطعنوا بالسك عند حتى فارقت دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحق منكم . أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيراً . ويقال : إن نفر من النصارى من أهل نجران ، فأن الله أعلم أى ذلك كان . يقول والله أعلم : فيهم نزلت هؤلاء الآيات ﷻ والذين آتيناهم الكتاب من قبل هم به

مؤمنون ﴿ إلى قوله ﴿ سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾

قال ابن إسحاق : وقد سألت الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت ؟ فقال : ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه ، والآيات نزلت في سورة المسائدة يقول الله ﴿ ذلك بأن فيهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ إلى قوله ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾

قال ابن هشام : وحدثني خالد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، واسم الأعشى ميمون بن قيس ، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام . فقال يمدح رسول الله ﷺ :

ألم تغمض عينك ليلة أرمدا	وبثّ كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما	تناسيت قبل اليوم صحة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن	إذا أصاحبت كفأى عاد فأفسدا
كهولا وشباناً فقصدت وثروة	فلاه هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع	وليداً وكهلاً حين شبت وأمردا
وأبتذل العيش المراقيل تعتلى	مسافة ما بين التّجبر فصرخدا
ألا أيها ذا السائلي أين يمت	فان لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألني فإيا رب سائل	حفيّ عن الأعشى به حيث أضعدا
أجدت برجليها الفجاء وراجعت	يدادا خفافاً ليماً غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية	إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وأما إذا ما أدلجت فترى لها	رقيمين جدياً ما يغيب وفرقدا
وآليت لا آوى لها من كلاله	ولا من حفي حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخني عند باب ابن هاشم	تراحى وتلقى من فواضله ندى

نبي يرى ما لا يرون وذكره
له صدقات ما تُغَب ونائل
أجدك لم تسمع وصاة محمد
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ندمت على أن لا تكون كمثل
فإياك والميتات لا تقرنهما
وذا النصب المنصوب لا تنسكته
ولا تقرن جارة كان سرها
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه
وسبح على حين العشيات والضجى
ولا تسخرن من بأس ذى ضرورة
أغار نعمرى فى البلاد وأنجدا
وليس عطاء اليوم مانعه غدا
نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
فترصد الأمر الذى كان أرصدا
ولا تأخذن سهماً حديداً لتفصدا
ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
عالمك حراماً فانكحن أو تأبدا
لما قبة واصدق وفك المقيدا
ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تحسبن المال للمرء مخلصدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا . فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب . فقال له : يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر . فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى النفس منها إعلالات ، ولكنى منصرف فأترى منها عامى هذا . ثم آتته فأسلم . فانصرف فمات من عامه ذلك ، ولم يعد الى رسول الله ﷺ

فصل

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبى طالب من سفهاء قومه وتجراؤا عليه وكاشفود بالأذى كما تقدم ، خرج إلى الطائف ، ورجا أن يؤووه وينصروه على قومه . ويمنعوه منهم ، ودعاهم إلى الله ، فلم ير من يؤوى ولم ير ناصرأ ، ونالوه مع ذلك بأشد الأذى ونالوا منه ما لم يفل قومه ، وكان معه زيد بن حارثة مولاه ، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه ، فقالوا : اخرج من

بلادنا ، وأغروا به سفهاءهم . قال موسى بن عقبة : ورجوا عراقبيه بالحجارة حتى اختضب نعلاء باندماء . زاد غيره : وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه ويقيمونه ، فإذا مشى رجوه وهم يضحكون ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً ، وانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً ، وفي مرجعه ذلك دعا باندماء المشهور « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . أنت أرحم الراحمين ، ورب المستضعفين ، وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى عدوٍ بعيدٍ يتجهمني ، أو إلى عدوٍ مآكته أرى إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العُقبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »
أورده ابن اسحاق ، وذكر أنه دعا به حين أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط اعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وها فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فلما اطمأن دعا بهذا الدعاء . ورواه الظهيراني عن عبد الله بن جعفر قال : لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحميوه ، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال « اللهم أشكو إليك » فذكره . وقوله « يتجهمني » بتقديم الجيم على الهاء أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه . فأرسل إليك ربه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشمين على أهل مكة ، وها الجبلان اللذان هي بينهما ، فقال « بل أستأني بهم ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده الله لا يشرك به شيئاً » أخرجاه في الصحيحين من حديث عائشة

قال ابن اسحق في روايته : فلما رآه ابنا ربيعة ورأيا ما لقي من ثقيف تحركت له رحمهما ، فبعثتا إليه مع غلامهما عداس النصراني قطف عنب ، فلما وضع ﷺ يده في القطف قال : بسم الله ثم أكل ، ثم نظر عداس إلى وجهه وقال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة . فقال له ﷺ : من أي البلاد أنت ، وما دينك ؟ قال : نصراني من أهل نينوى قال : من قرية الرجل الصالح يونس بن مئتي ؟ قال عداس : وما يدريك ؟ قال :

ذلك أخى ، وهو نبى مثلى . فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلهما . قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءها عداس قال له : ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ما فى الأرض خير من هذا ، فقد أخبرنى مالا يعلمه إلا نبى : قالوا : ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك ، فان دينك خير من دينه

فلما نزل بنخلة فى مرجعه قام يصلى فى جوف الليل ، فصرف الله اليه نفرا من الجن فاستمعوا قراءته ، وكانوا من أهل نصيبين ، فاستمعوا له ولم يشعر بهم رسول الله ﷺ . فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ الآيات . قال الحافظ ابن كثير : وقد ذكر ابن اسحق خبر خررجه عليه السلام الى أهل الطائف ودعائه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة القرآن فاستمعته الجن من أهل نصيبين . قال وهذا صحيح ، لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر ، فان الجن كان استماعهم فى ابتداء الإحياء ، ويدل عليه حديث ابن عباس عند أحمد قال : كان الجن يستمعون للوحي فيسمعون السكامة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتى مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب منه ، فشكوا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده ، فاذا بالنبى ﷺ يصلى بين جبلي نخلة فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . زواه النسائي . قال وخروجه

ﷺ الى الطائف بعد موت عمه

وروى ابن أبي شبة عن عبد الله بن مسعود قال : هبطوا على النبى ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا أنصتوا ، فأنزل الله ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ الآيات . فهذا - مع رواية ابن عباس - يقتضى أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ، ثم بعد ذلك

وفدوا اليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج . انتهى

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أياما . فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك ؟ يعنى قريشا . فقال : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ونجرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر دينه . ثم انتهى الى مكة ، فأرسل رجلا من خزاعة الى المطعم بن عدى ، أدخل في جوارك ؟ فقال : نعم . ودعا بنيه وقومه فقال : ابسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت ، فإنى قد أجرت محمدا . فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ، حتى انتهى الى المسجد الحرام . فقام المطعم بن عدى على راحلته فنادى : يا معشر قريش ، إني قد أجرت محمدا ، فلا يهيج به منكم أحد . فأنهى رسول الله ﷺ الى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف الى بيته والمطعم بن عدى وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته

وذكر ابن اسحق أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يدخل مكة بعد رجوعه من الطائف أرسل الى الأخنس بن شريق : أدخل في جوارك ؟ فقال : إني حليف ، والحليف لا يجير . فبعث الى سهيل بن عمرو فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب ، فبعث الى المطعم فأجابه الى ذلك . انتهى

فصل

قال العلماء : وجعل رسول الله ﷺ يدعو الى الله ، فأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى ودعا قومه الى الإسلام ، ودعا رسول الله ﷺ أن يجعل له آية فجعل الله في وجهه نورا ، فقال : يا رسول الله أخشى أن يقولوا هذه مثله . فدعاه رسول الله ﷺ فصار النور في سوطه ، فهو يعرف بذي النور . فأسلم بعض قومه . فأقام الطفيل في بلاده الى أن هاجر بعد الخندق ما بين السبعين والثمانين بيتا من قومه ، فوافوا رسول الله ﷺ بنجير . ذكر محمد بن اسحق أنه أمهم لهم ، وأنه كان عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى قبض الله رسوله فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فساد معهم حتى فرغوا من طليحة الأسدى ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا

هو متوجه الى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فعبروها لي ، إني رأيت
ن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني فرجها
أرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيته حبس عني . قالوا خيرا . قال : أما أنا فقد أولتها .
الوا ماذا ؟ قال فأنما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطير الذي خرج من فمي فروحي ، وأما
المرأة التي أدخلتني في فرجها فلأرض تحفر فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه
في فؤادي أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه
براحة شديدة . ثم استبسل فيها ثم قتل عام اليرموك شهيدا في زمن عمر رضي الله عنهما

فصل

ثم أسرى برسول الله ﷺ بحسده على الصحيح من المسجد الحرام الى بيت المقدس
اكبا على البراق صحبة جبريل عليهما السلام ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما ، وربط
براق بحلقة باب المسجد ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس الى السماء الدنيا ، فاستفتح
جبريل ففتح لها ، فرأى هناك آدم أبا البشر فسلم عليه ، فرحب به ورد عليه السلام
أقرّ بنبوته ، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه ، وأرواح الأشقياء عن شماله . ثم عرج
الى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، فلقىهما وسلم
عليهما ، فردا عليه السلام ورحبا به وأقرّا بنبوته . ثم عرج به الى السماء الثالثة ، فرأى
فيها يوسف الصديق ، فسلم ورحب به . ثم عرج به الى السماء الرابعة ، فرأى فيها إدريس ،
فسلم عليه ورحب به . ثم عرج به الى السماء الخامسة ، فلقى فيها هرون بن عمران ، فسلم عليه
رحب به وأقرّ بنبوته . ثم عرج به الى السماء السادسة ، فلقى فيها موسى ، فسلم عليه
رحب به وأقرّ بنبوته . فلما جاوزه بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : إن غلاما بعدى
دخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي . ثم عرج به الى السماء السابعة ، فلقى فيها
براهيم ، فسلم عليه ورحب به وأقرّ بنبوته . ثم رفع الى سِدرة المنتهى . ثم رفع له البيت
لعمرور . ثم عرج به الى الجبار جل جلاله ، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ،

م — ١٠ * مختصر السيرة

فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمسين صلاة . فرجع حتى مرَّ على موسى فقال : بسمِ أمّرت ؟ قال : بخمسين صلاة . فقال : إن أمّتك لا يُطيعون ذلك ، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمّتك . فالتفت إلى جبريل كأن يستشير في ذلك ، فأشار أن نعم إن شئت . فعلا جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه . هذا لفظ البخاري في صحيحه في بعض الطرق ، فوضع عنه عشرا . ثم نزل حتى مرَّ بموسى فأنخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه تعالى حتى جعلها خمسا . فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال : قد استحييت من ربي ، ولكن أَرْضَ وأَسْلَمْ . فلما نفذ نادى منادٍ قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي

واختلف الصحابة رضي الله عنهم : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه . وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده . وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك وقالا : إن قوله ﴿ واقم رآه نؤلة أخرى ﴾ إنما هو جبريل . وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ؟ قال « نور ، أنى أراه » ؟ أى حال بيني وبين رؤيتي — النور ، كما في اللفظ الآخر « رأيت نوراً » . وعند ابن خزيمة عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ، ولم يره بعينه . وبهذا يتبين مراده في حديث أبي ذر بذكر النور ، أى أن النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره ، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره . وروى ابن خزيمة عن أنس قال : رأى محمد ربه . وإسناده قوى . وروى يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم . وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن النصري ، وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، قال الزهري ، ليست عندنا أعلم من عباس . وفي تفسير ابن سلام عن عروة ، أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة للرؤية يشتد عليه : وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه . ومن أثبت الرؤية لعيننا صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد بن حنبل ، فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي :

قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم القرينة ، فبأنى معنى تدفع قولها ؟ قال : يقول النبي ﷺ « رأيت ربي » قول النبي أكبر من قولها . وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وليس قول ابن عباس أنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله رآه بفؤاده . وقد صح عنه أنه قال « رأيت ربي تبارك وتعالى » ولكن لم يكن هذا في الإسراء ، ولكن كان بالمدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تلك الليلة . وعلى هذا بنى الإمام أحمد فقال : نعم رآه ، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد . ولكن لم يقل أحمد إنه رآه بقطعة . ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه . ولكن مرة قال : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده . فحكيت عنه روايتن . وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه - يعنى بعين رأسه - وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك . ومن العلماء من جمع بين حديثي عائشة وابن عباس وقال : إن عائشة أنكرت رؤية العين ، واحتجت بقوله ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وابن عباس ذكر رؤية الفؤاد ، ولا منافاة بينهما . ومنهم من جعلهما قولين مختلفين . وأكثر أهل السنة يرجحون قول ابن عباس لما فيه من الإثبات ، ومن قال إن النبي ﷺ رآه بعينه في الدنيا فهو أيضا غلط قائل قولاً لم يقله أحد من الصحابة ولا الأئمة . والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي ﷺ كله كذب موضوع باتفاق أهل العلم ، وكذلك عن أحمد فإنه لم يقل قط إنه رآه بعينه . وأما أحاديث المعراج فليس في شيء منها ذكر رؤيته البتة أصلا ، فالواجب اتباع الآثار الثابتة في ذلك . وما كان عليه السلف والأئمة هو إثبات مطلق الرؤية بالفؤاد . انتهى كلامه

فصل

فلما أصبح رسول الله ﷺ في نومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى ، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم ، ومرّ به أبو جهل عدو الله فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كاستهزى هل كان من شيء ! قال : نعم . قال : وما هو ؟ قال أسرى بي الليلة ، قال : إلى أين ؟

قال . الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟ قال : نعم . قال : فلم يُرِدْ أَنه يكذبه مخافة أن يحجده الحديث إن دعا قومه اليه . قال : إن دعوتُ قَوْمَكَ أتمدِّدْهم بما حدثتني به ؟ قال : نعم . قال : يامعشر بنى كعب بن لؤى . فانتقضت اليه المجالس وجاءوا حتى جالسوا اليهما . فقال : حدثت قَوْمَكَ بما حدثتني : فقال رسول الله ﷺ : إني أُسْرِى بِنِ اللَّيْلَةِ . قالوا : إلى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟ قال : نعم . فمن بين مصعق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً . فقال الطعم بن عدى : كل أمرك قبل اليوم كان تماماً غير قولك [هذا] . أنا أشهد أنك كاذب . نحن نضرب أكباد الإبل الى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، نزعِمُ أنك أتيتَه في ليلة ! واللات والعزى لا أصدقك . فقال أبو بكر : يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك ، جبهته وكذبه . أنا أشهد أنه صادق . فقالوا : يا محمد ، صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قر به من الجبل ؟ وفي القوم من سافر اليه . فذهب ينعت لهم بناؤه كذا : هيئته وكيف قر به من الجبل ؟ وفي القوم من سافر اليه . فذهب ينعت لهم : بناؤه كذا : هيئته كذا : وكيف قر به من الجبل كذا . فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت ، فكرب كرباً ما كرب مثله ، فجىء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل أو عقال . فقالوا : فـكـر المسجد [من باب] ؟ ولم يكن عدّها . فجعل ينظر اليه ويعدّها بايماً باباً ويعلمهم ، وأبو بكر يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله . فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب . فقالوا لأبي بكر : فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إني لأصدقُه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقُه بنجر السماء في غدوة أو روحة . فبذلك سمى أبو بكر « الصديق » . ثم قالوا : يا محمد ، أخبرنا عن غيرنا . فأخبرهم عنها في مسراه ورجوعه ، أخبرهم عن وقت قدومها ، وعن البعير الذي يقدمها . وكان الأمر كما قال . فوموه بالسحر وقالوا : صدق الوليد . ولم يزدْهم ذلك إلا ثبوراً ، وأبى الظالمون إلا كفوراً

فصل

عن الزهري قال : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة . وكذا قيل عروة . وقال السيّد

بسة عشر شهراً ، وقال ابن عبد البر وغيره : كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران .
والصحيح أن الإسراء مرة واحدة ، وقيل مرتان : مرة يقظة ومرة مناماً ، وأرباب هذا
القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك وقوله « ثم استيقظت » وبين سائر
الروايات . ومنهم من قال مرتين قبل الوحي لقوله في حديث شريك : وذلك قبل أن
يوحى إليه . ومرة بعد الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث . وقد صرح بعض من
المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة
إلى السماء فقط . ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء ، ومن ظفر بهذا المسلك فإنه ظفر
بشيء تخلص به من الإشكالات . فهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، قاله
ابن كثير في التفسير . وقال صاحب المدهى رحمه الله . والصواب الذي عليه أئمة النقل أن
الإسراء كن مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساء
لهم أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وموسى حتى يصير خمسا
فيقول : أمضيت فيضقى ، وخفقت عن عبادى . ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ثم
يحطها عشراً عشراً . وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد
السند منه ثم قال : فقدم وأخر وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله . انتهى .
وحكى القاضى عياض عن الزهرى أنه كان بعد المبعث بخمس سنين ، ورجعه القرطبي
والنوروى واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة رضى الله عنها صلت معه بعد فرض الصلاة ،
ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث وإما بخمس ، ولا خلاف أن فرض
الصلاة كان ليلة الإسراء . وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح
في رمضان ، وذلك قبل أن تفرض الصلاة . ويؤيده إطلاق حديث عائشة بأن خديجة
توفيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو
المعتمد . وأما ترده في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين
قاله الحفاظ ابن حجر . وقيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة ، قاله ابن حزم وادعى
فيه الإجماع . وذكر النووى في فتاويه أنه كان ثالث عشر ربيع الآخر ، وقال في شرح

مسلم : في ربيع الأول ، وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى . والله أعلم

فصل

في مبدأ الهجرة التي فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه

وجعلها مبدأ لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله

قال الترمذى : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي الموسم كل عام يتبع الناس في منازلهم وفي المواسم بمكاه ومجَنَّ وذى الجواز يدعوهم إلى أن يمنعوهم حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلم يجد أحداً ينصره ولا يحميه ، حتى يسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتمسكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة ، وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب ، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم إلى الله ويقول : اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا . قال : وكان ممن سمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكتب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة . فلم يستجب منهم أحد ، انتهى . وذكر بعض أهل السير عن ابن عباس قال : حدثني علي بن أبي طالب قال : لما مر رسول الله ﷺ على قبائل العرب خرج هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وأنا معه ، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر إليهم . وكان رجلاً نساباً . فسلم عليهم ، فردوا عليه . فقال : من القوم ؟ قالوا من ربيعة . فقال من هاتما أم هانمها ؟ قالوا : من هاتما العظمى ، قال وأي هاتما العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر . قال . فمنكم

عوف الذى يقال فيه « لا حُرَّ بواذى عوف » ؟ قالوا لا ، قال : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللوا ومنتهى الأحيا ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار وما نفع الجار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالها أنفسهم ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أصهار الملوك من ظلم ؟ قالوا : لا . قال : فلستم ذهل الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من بنى شيبان قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال له : يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم تكذبك شيئاً ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش . فقال يخ بخ أهل الشرف والرئاسة ، فمن أى القرشين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . فقال الفتى أمكنت والله الراى من سواء الثغرة ؟ أمكنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى فى قريش مجمماً ؟ قال : لا ؟ قال : فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون بحاف ؟ قال : لا . قال : فمنكم شيبه الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء ، الذى كان كالتمر يضىء فى الليلة الداجنة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الحجابة ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعاً إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام :

صادف در السيل درأ يدفعه يهبطه حيناً وحيناً يصده

والله لو شئت أخبرتك من أى قريش أنت ؟ فتبسم رسول الله ﷺ . فقال على . يا أبا بكر ، وقعت من الأعرابى على باقة . فقال : أجل يا أبا حسن ، ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلا . موكل بالمنطق . قال السهيلي (١) : وزاد قاسم بن ثابت تكملة للحديث قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار . فتقدم أبو بكر فسلم ، قال على : وكان أبو بكر فى كل خير مقدماً ، فقال : ممن القوم ؟ فقالوا من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت

أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك. ومفروق قد غلبهم جهالاً ولساناً، وكان له غدیر ثمان تسقطان على ترييته، فكان أدنى القوم مجاماً من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف. كيف المنعة فيكم؟ ولئن تغلب الألف من قلة. فقال مفروق: علينا الجد والجهد ولكل قوم حد. فقال أبو بكر: وكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضباً لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نعضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدليفا مرة ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش. فقال له أبو بكر: أوقد بلغكم أنه رسول الله فيها هو ذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، قالى م تدعو اليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله وإلى أن تؤدوني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله وامتنعت بالباطل عن الحق، والله هو الغنى الحميد. فقال مفروق: وإلى م تدعو اليه أيضاً يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: قل تعالوا أقاتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق الآية فقال مفروق: وإلى م تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى الآية فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مسكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك. وكأنه أراد أن يشرك فى الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانيء: قد سمعت مقالتيك يا أخا قريش، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعا إياك على دينك لمجلس جالسته الينا إيس له أول ولا آخر لو هن فى رأى وقلة نظر فى العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعتد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وننظر وننظر. وكأنه أحب أن يشرك فى الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

قال ابن اسحق: فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا رسول الله، ودعوه الى فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك في مجلس جلسته اليغا ليس له أول ولا آخر، وإنا إنما نزلنا بين صريان اليامة والسماعة. فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول، وإنا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً. وإني أرى أن هذا الأمر مما تسكره الملوك، فان أحببت أن تؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا. فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتهم بالصدق، فإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعنان بن شريك: اللهم لك ذا. فأتا رسول الله ﷺ فلبسها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ثم نهض النبي فأخذ بيدي أبي بكر فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن، أية أخلاف في الجاهلية ما أشر فيها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم. قال: ثم دفننا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ وكانوا صدقاً صبراً. انتهى

فصل

قال ابن اسحاق: فلما أراد الله سبحانه إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز مواعده له، فخرج رسول الله ﷺ إلى الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، قال لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما أتتهم رسول الله ﷺ قال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا

تجاسون أكلكم؟ قالوا: بلى . فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم كانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزوهم ببلادهم - فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلل زمانه تتبعه ففقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله أنه لا نبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم اليه . فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى الله أن يجمعهم بك . فاستقدم عليهم وندعوكم ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا

قال ابن اسحاق . وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج ، منهم من بنى الفجار أسعد ابن زرارة وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ، ومن بنى زريق . ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، ومن بنى سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ، ومن بنى حرام بن كعب عقبة بن عامر ، ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة جابر ابن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد . انتهى . وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام . قلت : قال بعضهم ومن أهل العلم بالسيرة من يسقط جابر بن رثاب ويحمل فيهم عبادة بن الصامت . فقال لهم النبي ﷺ : أتمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ فقالوا : يا رسول الله إنما كانت بعثت عام الهول يوم من أيامنا اقتتلنا به ، فان تقدم ونحن كذالاً يكون عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع الى عشاثرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوه الى ما دعوتنا اليه ، فعسى الله أن يجمعهم عليك ، فان جمعهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم العام القابل ، وانصرفوا الى المدينة

الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ . حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر ، فلقود بالعقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفرض عليهم الحرب . ثم عداهم ابن اسحق فذكر السبعة الأول خلا جابر بن عبد الله بن رئاب فلم يحضرها ، والسبعة تسمية الاثني عشر : معاذ بن الحارث بن رفاعه وهو ابن عتراء أخو المذكور ، وذكوان بن عبد قيس الزُرقي ، وقيل إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه فهو مهاجري أنصاري ، قتل يوم أحد وعبادة بن الصامت بن قيس . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي . والعباس بن عباد بن فضالة من بني سلمة . فهو لاء من الخزرج . ومن الأوس رجالان : أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل وعويم بن ساعدة . فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء ، أى وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة . قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نمرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفترقه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف . والسمع والطاعة في العمر واليسر والمنشط والمكره وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم . قال عليه الصلاة والسلام « فان وفيتم فلكم الجنة ، ومن غشي عن ذلك شيئا كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه . أخرجه البخارى في صحيحه بأخصر من هذا فيما رأيت . وفي رواية له : قال عبادة إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نزنى ولا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا نتهب نهبة ولا نعصى ، بالجنة ان فعلنا ذلك ، وإن غشنا من ذلك شيئا كان قضاء ذلك إن الله ، انتهى . وفي رواية له : ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ، ومن ستر الله عليه فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

وقال أبو الزبير عن جابر : إن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم وحجّة وعكاظ وفي منازلهم من منى « من يؤويني ومن ينصرني حتى أبلغ رسالة

ربى وله الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه ، حتى إن الرجل ليرتحل من مصر واليمن الى ذوى رحمة فيأتيه قومه فيقولون له : احذر غلام قریش لا يفتنك . ويمشى بين رجالهم يدعوهم الى الله وهم يشيرون اليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به يقرئه القرآن ، فينقلب الى أهله فيسلمون بإسلامه ، وحتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرن الإسلام ، وبعثنا الله اليه فائتمروا ، وأجمعنا وقتلنا : حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف ؟ فرحنا حتى قدمنا عليه في الموسم ، فوعدهنا ببيعة العتبة ، فقال له عمه العباس : يا ابن أخى ، ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك ، إني ذو معرفة بأهل يثرب . فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين ، فلما نظر العباس في وجوهنا قال : هؤلاء القوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث . فقلنا : يا رسول الله ، على ما نبأيك ؟ قال « على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم ، وتنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ، ولستم الجنة » فقمنا نبأيعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين - فقال : رويدا يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب اليه أكباد المظلي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف . فأما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذرهم عند الله . فقالوا : يا أسعد أمط عنا يدك ، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستميلها فقمنا اليه رجلا رجلا فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة . رواد الإمام أحمد بإسناد حسن ، وصححه الحاكم وابن حبان . ثم انصرفوا الى المدينة فأظهر الله الإسلام

وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ، وكتب الأوس والخزرج الى النبي ﷺ ابعث اليها من يقرئنا القرآن ، فبعث اليهم مصعب بن عمير وعمر بن أم مكتوم الأنصبي ، فنزلا على أبي أمانة أسعد بن زرارة . وروى عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن

معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموا الجمعة . قالت الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك ، فلم فأنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر الله كما قالوا ، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى واجعلوا يوم العروبة . فاجتمعوا الى أسعد ابن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين ، فصلى بهم الجمعة حين اجتمعوا اليه ، فذبح لهم شاة فتفقدوا وتعشوا من شاة ، وذلك لقاتهم ، فأنزل في ذلك بعد الظهر فاذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ﷻ . قال السهيلي : ومع توفيق الله لهم فيبعد أن يكون ذلك من غير إذن من النبي ﷺ . ثم ذكر مارواه الدارقطني عن ابن عباس قال : أذن رسول الله ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يجمع بمكة ولا يبدى لهم ، فكتب الى مصعب بن عمير أن يجمع بهم . الحديث . وكانوا أربعين رجلا . فأسلم على يدى مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار ، وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيود بن حضير ، وأسلم بإسلامهما جميع بنى عبد الأشهل في يوم واحد : الرجال والنساء ، ولم يبق منهم أحد إلا أسلم ، حاشا الأصيرم - وهو عمرو بن ثابت بن قيس - فإنه تأخر إسلامه الى يوم أحد ، فأسلم يومئذ واستشهد ، ولم يسجد لله سجدة . وأخبر ﷺ أنه من أهل الجنة . ولم يسكن في بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة

ثم رجع مصعب الى مكة في العام المقبل ، وقدم على رسول الله ﷺ معه في ذى الحجة أو سبط أيام التشريق منهم سبعون رجلا ، وهى العقبة الثالثة . وقال ابن سعد : يزيدون رجلا العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء ابن معرور ، فلما كانت ليلة العقبة الثالث الأول من الليل تسلم الى رسول الله ﷺ منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . نسبية بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدى إحدى نساء بنى سلمة

وفي حديث كعب بن مالك عند ابن اسحق قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول.

الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويقوئى له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال : يا معشر الخزرج - قال وكانت العرب يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها - إن محمداً مناحيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوا ، وإليه وما نهون عنه من خلافه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده . قال فقلنا له : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . قال فتكلم رسول الله ﷺ فقال القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعك مما تمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كبراء عن كابر . قال فاعترض القوم - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرتك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسلم من سلمتم . قال ابن هشام : والهدم الحرمة ، أى دى دمكم وحرمتى حرمةكم . قال كعب بن مالك فى حديثه : وقد كان قال رسول الله ﷺ : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا حتى يكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس . وهم أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وكان إسلامه تلك الليلة ، وسعد بن عباد ، والمزدر بن عمرو ، وعبد بن الصامت . فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد

المنذر . وقيل أبو الهيثم بن التيهان مكانه . قال كعب في حديثه : فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صرت سمعته قط : يا أهل الجباب - والجباب المنازل (١) - هل لكم في مذم والصبأة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ : هذا أذب العقبة ، هذا ابن أزيب ، أسمع أى عد ، والله والله لأفرغن لك . ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا الى رحاكم . قال فقال له العباس بن عباد بن فضالة : والله الذى بمثلك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى بأسيئنا . قال فقال رسول الله ﷺ : لم تؤمر بذلك ، واسكن ارجعوا الى رحاكم . قال فرجعنا الى مضاجعنا فمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جاة قريش حتى جاءونا فى منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من ح من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان هذا شىء وما علمناه . قال : وصدقوا ، لم يعلموا . قال وبمضنا ينظر الى بعض . قال : وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومى وعليه نعلان له جديدتان ، وقال قلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فى ما قالوا : يا أبا جابر ألا تستطيع أن تتخذ - وأنت سيد من ساداتنا - مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال فسمعها الحارث فخافهما من رجايه ثم رما بهما الى وقال : والله لتتعلمنهما . قال يقول أبو جابر : مه ، أحفظت والله الفتى ، فاردد اليه نعليه . قال قلت : والله لا أردهما ، فإل صالح ، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه . انتهى . وجعل عبد الله بن أبي يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ، وما كان قومى ليفتتوا على بمنزل هذا ، لو كنت يثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤمرنى . فرجعت قريش من عندهم ، ثم وجدوا الخبر قد كان . فخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وكلاهما كان نقييا ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه وربطوا يديه الى عنقه

(١) جمع جبجب (بالضم) : المستوى من الأرض . وهى هنا منازل منى

بنسح رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مسكة يضربونه فيعذبونه بجمته وكان كثير شعر ،
فجاء جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل والحارث بن حرب أمية فخلصاه من أيديهم ، وكان
يمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلاده إذا مروا بتجارهم . وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن
يسكروا اليه ، فإذا هو قد طلع عليهم ، فرحل القوم جميعا الى المدينة . وقال ضرار بن
الخطاب بن مرداس :

تداركت سعداً عنوة فأمرته وكان شفائي لو تداركت منذرا
ولو نلت طلّ دماء جراحه وكان حقيقاً أن يهان ويهدرا

قال ابن اسحاق فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال :

لست إلى سعد ولا المرء منذر إذا ما طايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرت قصائد الى ثمر البرقاء يهوين حُسرا
أتفخر بالسكمان لما لبسته وقد يلبس الأنباط ريطاً مقصراً
[فلا تك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصر]^(١)
ولا تك كالسكلى وكانت بمعزل عن الشكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالنشاة التي كان حتمها بغير ذراعيها فلم ترض محفرا
ولا تك كالعادي وأقبل نحره ولم يحشه سهم من الذبل مضمرا
فأنا ومن يهدى القصائد نحونا كستبضع تمر الى أهل خير

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ على دينهم من
الشرك ، منهم عمرو بن الجوح وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة وبايع رسول الله
ﷺ ، وكان عمرو بن الجوح سيدا من سادات بني ساعدة وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد
اتخذ في داره صنما من خشب يقال له « مناة » كما كانت الأشراف يصنعون ، ويتخذونه

(١) سقط من الأصل ، وأكملناه من سيرة ابن هشام

إلهاً يعظمه ويظهره ، فلما أسلم فتريان بنى سامة - معاذ بن جبل ، وابنه (١) معاذ بن عمرو - في فتريان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدجلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بنى سامة وفيهم عذر الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يمود وياتمه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتنه . فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه فعملوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فينسله ويظهره ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيعملون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسميقه فعلقه عليه ثم قال : إني والله ما [أعلم من] صنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سامة فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عليه عمرو فلم يجد في مكانه الذي كان فيه ، فخرج يتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب . فلما رآه أبصر شأنه ، وكله من أسلم من قومه ، فأسلم يرحمه الله وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف - وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العناء والضلالة - فقال :

والله لو كفت إلهاً لم تكن	أنت وكلب وسط بئر في قرآن
أنت للملاق إلهاً مستعدن	الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن	الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن	أكون فى ظلمة قبر مرتين

[بأحمد المهدي النبي المؤتمن (٢)]

(١) أى ابن عمرو بن الجموح

(٢) سقط من الاصل ، وأكل من السيرة لابن هشام

فصل

قال ابن إسحاق: فلما أذن الله لرسوله في الحرب، وبايعه هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها والحقوا بإخوانهم من الأنصار وقال: إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها. فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من قريش من بنى مخزوم أبو سامة بن عبد الأسد واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً. وحسبت عنه امرأته أم سامة، ثم كان أول مقدمها بعد أبي سامة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته لبللى بنت أبي خيثمة، ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف بنى أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد الله بن جحش وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً. وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، ففعلت دار بنى جحش هجرة، ففر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى مكة، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تحفق أبوابها ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدكم النكباء والحبوب^(١)

كل امرئ بقاء الموت مرتين كأنه غرض للموت منصوب

وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ

(١) الحبوب: التوابع، وقيل الحاجة، ويقال الإثم أيضاً

ونسأؤهم : عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة بن وهب وأربد بن جبهرة ومنقذ بن نباتة وسعيد بن قيس ومحرز بن فضلة ويزيد بن رقيش وقيس بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وغيرهم ، ومن نسأؤهم زينب بنت جحش أم المؤمنين وأم حبيبة بنت جحش وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف - وهي التي كانت تستحاض - وحنمة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير - وكانت تستحاض أيضاً - وجذامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت ثمامة . وقال أبو أحمد بن جحش في ذلك شعراً :

لو حلفت بين الصفا أم أحمد	ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الأولى كنا بها ثم لم نزل	بمسكة حتى عاد غناً سمينها
بها خيمت غم بن دودان وابتنى	وما أن غدت غم وحف قطمينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد	ودين رسول الله بالحق دينها

ونزل عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقبة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته خفصة خلف عليها رسول الله ﷺ بعده . وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولى بن خولى ومالك بن أبي خولى حليفان لهم وبنو البكير أربعتهم : إيباس بن البكير وعاقل وخالد حلفائهم من بني سعد نزلوا على رفاعه بن عبد المنذر بقباء ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن أساف أخي بنجار بن الخزرج بالسنج ، ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار . قال ابن هشام : وبلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيقاً ، فكل مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : رأيتم إن جعلت لكم مالى ، أتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم . قال : فاني قد جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح

صهيب ، ربح صهيب

قال ابن إسحاق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كفاز بن حصين وابنه مرثد الغنويان حليفاه حمزة بن عبد المطلب وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقاء ، ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة أخي بني النجار ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخوه الطفيل والحصين ابنا الحارث وسطيح بن أثانة بن عباد بن المطلب وسويبط ابن سعد بن حريمة أخو بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن مسامة أخي بلعجلان بقاء ، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة ابن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عتبة ، ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ أخي بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه وكان سائبة لثبيبة بنت يعار بن زيد سديته فأنقطع الى أبي حذيفة بن عتبة فتمتناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة . ويقال كانت ثبيبة بنت يعار تحت أبي حذيفة فأعتقت سالمه سائبة فقيل سالم مولى أبي حذيفة . ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر أخي بني عبد الأشهل ، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويكيه حين قتل

فصل

فلما رأت قریش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج فرأوا أن الدار دار منعة ، وأن القوم أهل حلقة وبأس وشوكة . فخافوا خروج رسول الله ﷺ اليهم ولحوقه بهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة ، ولم يتخلل أحد من ذوى الرأي والحجى منهم ليشاوروا في أمره قال ابن اسحق : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد

ابن جبير عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاورا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بت له فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً . قالوا : أجل فادخل . فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قدر رأيتم ، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأياً . قال فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم . احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تر بصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله . زهير والناطقة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله أني حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فيمتزعوه من أيديكم ثم يكاثرونكم به حتى يغابوكم على أمركم ، ما غذا لكم برأى ، فانظروا في غيره . فتشاوروا في أمره ثم قال قائل منهم . نخزجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبألى أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألقنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغاب عليهم بذلك من قوليته وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمرهم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل : والله إن لى فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه . فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم . قال يقول الشيخ النجدي . القول ما قال الرجل ، هذا الرأى لا رأى غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم

مجمعون له ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب . نم على فراشي وتسج ببردى . هذا الخضرى الأخضر فتم عليه ، فانه لا يخلص اليك شيء تسكرهه ، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام

قال ابن إسحق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها . قال فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال . نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فجعل يثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين إلى قوله ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ حتى فرغ من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً . قال : خيبتكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه التراب ، وانطلق لحاجته . أمأثرون ما بكم ؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم يطلعون فيرون عالياً على الفراش متسجياً بهرد رسول الله ﷺ . فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على عن الفراش ، فقالوا . والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا . وقال غير ابن إسحق : وهم أبو جهل والحكم ابن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وربعة بن الأسود وطعيمة بن عدى وأبو لهب وأبي بن خلف ونبیه ومنبه ابنا الحجاج . وفي رواية ابن أبي

حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس : فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً

قال ابن إسحق : وأنزل في ذلك مما اجتمعوا له ذلك اليوم ﴿ وإذ يمسرك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ الآية . وقوله ﴿ أم يقولون شاعر فتربص به ريب المنون ﴾

فصل

قال ابن إسحق : وأذن الله لرسوله عند ذلك في الهجرة إلى المدينة ، قال ابن عباس بقوله ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ فروى الترمذى وصححه عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله عليه ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ وقال الحسن وقتادة : ﴿ مدخل صدق ﴾ يعني المدينة ﴿ وأخرجني مخرج صدق ﴾ يعني مكة . وقال قتادة : علم نبي الله أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل الله سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ونفرائض الله ولإقامة دين الله ، فان السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ، ولو لا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم . وذكر الحاكم أن خروجه عليه الصلاة والسلام كان بعد العقبه بثلاثة أشهر أو قريباً منها ، وذكر الأموى فى مغازيه عن ابن إسحق : كان يخرج من مكة بعد العقبه بشهرين وليال . قال : وخرج لهلال ربيع الأول ، وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه . قال الحاكم : تواترت الأحاديث أن خروجه يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الإثنين . إلا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال : خرج من مكة يوم الخميس وخروجه من النمار كان ليلة الإثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليال : ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، وخرج أثناء ليلة الإثنين ، وأخبر علماً بمخرجه ، وأمره أن يتخاف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس . وفى الصحيح عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ

المسلمين : إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتيين ، وهما الحرتان . فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة . وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ، فاني أرجو أن يؤذن لي . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم ، فخبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وقد علف راحتيين كانتا عنده ورق السمرة وهو الخبط أربعة أشهر ، قالت عائشة : فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعا - في ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر فدى له أبي وأمي : والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر ، فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له ، فدخل فقال لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله . قال : فاني قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي يا رسول الله . قال : نعم . قال : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحتي هاتين . قال رسول الله ﷺ : باليمن . قالت عائشة : فجهزناها أحسن الجهاز ، وصنعنا لها سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته بها على قم الجراب ، فبذلك سميت « ذات النطاقين » . وأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر إلى الليل ، ثم لحقا بغار ثور في جبل ثور . وروى أنهما خرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر ليلا إلى الغار ، فسكنما فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلام ثقف لقف ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قریش كبائت ، فلا يسمع أمراً يسكادان به إلا وعاد ، حتى يأتيا بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحهما عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيت عندهما يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ، وكان دليالهم عبد الله بن أرقط اللبي هادياً خريفاً والخريت الماهر بالهداية ، استأجراه وأمناه فدفعاه إليه راحلتيهما ووعدها غار ثور بعد ثلاث ، وكان على دين قومه . وذكر الحاكم في مستدركه عن عمر قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر إلى الغار ، فجعل يمشي مرة عن يمينه ومرة عن يساره ومرة عن أمامه ومرة خلفه ، فقال له رسول الله ﷺ ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا

من خلقك : قال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطاب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك . فقال : يا أبا بكر : لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق . انتهى . وكان رسول الله ﷺ يمشي تلك الليلة على أطراف قدميه كي يخفى أثره حتى حفيت قدماده ، فحمله أبو بكر وهو يشتد به حتى أتى به الغار ، فأنزله وقال : يا رسول الله دعني أدخل قبلك ، فإن كان فيه حية أو شيء كان بي دونك . فقال : ادخل ، فدخل أبو بكر وجعل يلمس بيده ، وكما رأى ججراً قال بثوبه فشقه ثم ألقاه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع ، قال فبقى الجحر فوضع عقبه خشية أن يخرج على النبي ﷺ منه شيء يؤذيه ، وكان فيه حيات وأفاع ، ثم دخل رسول الله ﷺ . فلما أصبح قال له النبي ﷺ : أين ثوبك يا أبا بكر : فأخبره بالذي صنع ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة . فأرعى الله إليه : إن الله قد استجاب لك

وجدت قریش فی طلبهما وخرجوا يقتصون أثر رسول الله ﷺ وأبى بكر ، وأخذوا معهم القافة حتى وصلوا إلى الغار . وفي مسند البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه . فلما أتوا الغار طارت الحمامتان ورأوا البيض ونسج العنكبوت فقالوا : لو دخلها هنا لتكسر البيض ولم يكن عليه نسج العنكبوت ، فصر بهم الله عز وجل بذلك عنه . ففي الصحيحين عن أنس أن أبا بكر قال : نظرت إلى أقدام المشركين فوق رأسنا ونحن في الغار قللت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا . وروى أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال : إن قتلتُ فأنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أمت هلك الأمة . فعندها قال له رسول الله ﷺ : لا تحزن إن الله معنا يعني بالمعونة والنصر ، فأنزل الله سكينته . وهي أمانة تسكن عندها القلوب . على أبى بكر ، لأنه كان منزجاً ، وأيده بجنود لم تروها ، يعني الملائكة ليحرسوه في الغار ، أو ليصرفوا وجوه الكفار

وأبصارهم عن رؤيته ، وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود ، فهو سبحانه على كل شيء قدير لطيف لما يشاء ، إن شاء ربط العالم بخيط عنكبوت ، وإن شاء بأسباب غير ذلك ، ومكثنا في الغار ثلاث ليال حتى خدت عنهما نار الطلب

وفي حديث عائشة فأتاها عبد الله بن أريقط بالراحتين صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة فأخذ بهما الدليل طريق السواحل ، وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما وتأيد بهما يصحبهما وإسعاده يرعاهما وينزلها . ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما ، فجد الناس في الطلب ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وفي المتفق عليه من حديث البراء عن أبي بكر قال : ارتحلنا من مكة فأحسينا أو سرينا ليلتنا ويومنا ، حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة ، فضربت هل أرى من ظل فأوى إليه ، فإذا أنا بصخرة فأتيناها فإذا بقية ظلمها ، فسويته لرسول الله ﷺ ، وفرشت له فروة ، ثم قات له : اضطجع يارسول الله فاضطجع . ثم خرجت أنظر ما حولى هل أرى أحدا من الطلب ، فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه الى الصخرة يريد منها الذى أردنا . فسألته لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش ، فسماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قات . فهل أنت حالب لنا ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه بالأخرى ، فخاب لى كثبة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداؤه على فخا خرقة فصبت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطأقت به إلى النبي ﷺ ، فوافقته وقد استيقظ ، فقالت : اشرب يارسول الله . فشرب حتى رضيت . ثم قلت : قد آن الرحيل ، فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدر كنا أحد منهم غير سراقه بن مالك المدلجى على فرس له ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يارسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله معنا . فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت به فرسه الى بطنها ، أرى فى جلد من الأرض ، شك زهير . فقال . إني أرا كما قد دعوتما على ، فادعوا الله لى ، فالله لكما أن أراد عنكما الطلب ، فدعا له النبي ﷺ ففجا ، فجعل لا يلقى أحدا إلا قال :

لند كفيتم ، ما ههنا . ولا يلقى أحدا إلا رده

وفي حديث ابن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن بن مالك بن جشم أن أباه أخبره .
 أنه سمع سراقه بن مالك بن جشم يقول . جاءنا رسل كفار قریش يجعلون في رسول الله
 رأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره . فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس
 نومي بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال . يا سراقه إني قد
 آتيت أنفا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه . قال سراقه : فعرفت أنهم هم ، فقلت :
 بهم ليسوا بهم ، ولست نراك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا . ثم لبثت في المجلس ساعة ،
 ثم قلت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي ، فأخذت
 رمحي فخرجت به من ظهر البيت ، فخططت برزجه الأرض وخفضت عاليه حتى آتيت فرسي
 فركبتها ، فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ، فعثرت بي فرسي ، فخرجت عنها ، فقامت
 فأهويب بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام ، فاستقسمت بها : أضرم ، أم لا ؟
 فخرج الذي أكره . فركبت فرسي وعصيت الأزام تقرب بي ، حتى إذا سمعت رسول
 الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا
 الركبتين ، فخرجت عنها . ثم زجرتها فنهضت ، فلم تسكد تخرج يديها ، فلما استقوت
 قائمة إذا لآثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزام ، فخرج الذي
 أكره ، فناديتهم بالأمان . قفوا ، فركبت فرسي حتى جثتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت
 ما نقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له . إن قومك قد جعلوا
 فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني
 ولم يسألاني إلا أن قالا : أخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة
 فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ . انتهى حديث الزهري . فقيل : إن
 الكتاب كان معه إلى يوم فتح مكة ، فجاء بالكتاب فوفى له رسول الله وكان يوم
 وفاء وبر ، فكان أول النهار جاحدا عليهما ، وآخره حارسا لهما

فصل

ثم مضى رسول الله ﷺ فيمن معه فمروا بحيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة جلدة برزة تحتجى بقضاء الخيمة ثم تطعم وتسقى من مربيها . فسألاها : هل عندها شيء يشترونه ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، والشاء عازب ، وكانت سنة شهباء ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك . قال : أفتأذن لي أن أحلبها . قالت : نعم ، بأبي وأمي ، إن رأيت بها حلبيا فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في شاتها ، فتفاجت فدرت واجترت . فدعا بإناء لها يُربض الرهط فحلب فيه حتى عاتته الرغوة ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب رسول الله ﷺ آخرهم . فشربوا جميعا عللا بعد نهل ، ثم حلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها ، فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعززا عجافا يتساوكن هزلا ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة في الثبيت ؟ فقالت لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت . قل . والله إنى لأراه صاحب قریش الذي تطلبه ، صفه لي يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضأة حسن الخلق لم تعبه شجرة - ويروى نحلة بالنون واخاء - ولم تزر به صعلكة كأن عنقه بإريق فضة . وسيم جسيم ، في عينيه دعج . وفي أشقاره وطف ، وفي صوته صعل ؛ أحود أ كحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع وفي لحيته كشاة ، ذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تسكلم سما به وعلاه البهاء ، وكان منطقة خرزات نظم ينحدرن ، حلو المنطق فصل ، لا تزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه عين من طول ولا تقتمحه من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس

لا مفند . فقال : هذا والله صاحب قریش الذى تطلب ، وذكر لنا من أمره ما ذكر .
لو كنت أنا وافقته لالتصت أن أحبه ، ولأفعلن إن وجدت الى ذلك سبيلا

قالت أسماء بنت أبى بكر . ولما خفى علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قریش
هم أبو جهل بن هشام ، فخرجت اليهم فقال . أين أبوك ؟ فقلت : والله لا أدرى أين
نى . فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهى لطمة خرج منها قرطى . قالت :
انصرفوا ، فمضى ثلاث ليال ما ندرى أين توجه رسول الله ﷺ ، حتى أتى رجل من
سفل مكة ينفى بأبيات والناس يسمعون صوته ولا يرونه ، وهو ينشد هذه الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى ، أم معبد
ها نزلا بالبر وارتحلا به	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصى مزوى الله عنكم	به من فعال لا يجارى وسؤدد
فما حمت من ناقة فوق رحلها	أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى ليرد الحل قبل ابتداله	وأعطى لرأس السابح المتجرد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم	ومقعدا المؤمنين بمرصده
سلوا أختكم عن شأنها وإنها	فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحات	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحال	يردها فى مصدر ثم مورد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا أين توجه رسول الله ﷺ . رواه ابن اسحق
الطبرانى وغيرهما . فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم زال عنهم نبهم	وقد سر من يسرى اليهم ويفتدى
ترحل عن قوم فزالت عقولهم	وحل على قوم بنور مجد
هداهم به بعد الضلالة رسمهم	وأرشدهم ، من يتبع الحق يرشد
وقد نزلت منه على أهل يثرب	زكاب هدى حلت عليهم بأسعد

فهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عى ، وهداة يهتدون بمهتد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى ضحوة اليوم أو غد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته ، من يسعد الله يسعد

ويروى أن الشاة التى لمس رسول الله ﷺ ضرعها وحلبها بقيت عند أم معبد حتى كان زمن الرمادة فى سنة ثمان عشرة من الهجرة فى خلافة عمر رضى الله عنه فهاكت ، قالت أم معبد : وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الأرض قليل ولا كثير . أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي . ثم إن أم معبد هاجرت الى النبي ﷺ وأسامت ولقى النبي ﷺ فى أثناء الطريق الزبير بن العوام فى ركب من المسلمين قائلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابا بيضا

فصل

قال ابن شهاب فى حديثه عن عروة : وبنع المسلمين خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، فجعلوا يقدون كل غداة الى الحرة فينظرون حتى يردهم حر الظهيرة . فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم يظفر لأمر يريده ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن نادى بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جدكم الذى تنتظرون ، فبادر المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظفر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الإثنين ثمانى عشر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحبى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس حينئذ رسول الله ﷺ . انتهى وكبر المسلمون فرحا بقدومه

وسمعت الوجبة والتكبير في بني عمرو بن عوف . وخرج المسلمون للقائه ، فتلقيه وحيوه بتحية النبوة ، وأحذقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه ، والله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، فسار حتى نزل بقاء في بني عمرو بن عوف ، فنزل على كلثوم بن الهدم ، وقيل على سعد بن خيثمة ، ونزل أبو بكر بالسنح على حبيب بن أساف أخى بني الحارث بن الخزرج ، وقيل على خارجة بن زيد ، وأقام على رضى الله عنه بمكة حتى أدى ودائع كانت عند رسول الله ﷺ للناس ثم لحق بالمدينة ، ونزل مع النبي ﷺ بقاء أياما ، فأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة ، وأسس مسجد بقاء ، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة ، فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له ، وفي حديث أنس عند البخارى فأرسل إلى بني النجار فجاءوا متقلدين لميوفهم ، قال : وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وأبو بكر على ردفه وملائي بني النجار حوله . انتهى . فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي ، ثم ركب ناقته وأرخصي زمامها لا يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا ، فلم تزل ناقته سائرة ، ولا يمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوه في النزول عليهم ويأخذون بزمام راحلته : هلم إلى العوذ والعدة والسلام والمنعة . فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم فبركت ، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ثم التفت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخواله ، وكان ذلك من توفيق الله لها ، فانه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك ، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم ، وبادر أبو أيوب الأنصارى إلى رحله فأدخله ، فجعل رسول الله ﷺ يقول « المرء مع رحله » . وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده . وفي رواية أنس عند البخارى : فقال نبي الله ﷺ : أى بيوت أعلمنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب : أنا يا رسول الله ، هذه دارى ، وهذا بابى . قال : فانطلق ففى لنا مقبلا قال : قوما على بركة الله . فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام يسأله عن أشياء قال إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . ما أول أشرط الساعة ، وما أول

طعام يأكله أهل الجنة ، وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه . قال أخبرني به جبريل أنفا . قال ابن سلام . ذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : أما أول أشرار الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد الى أبيه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأنت جئت بحق . وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم ، فادعهم فأسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسأمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسأمت قالوا فى ما ليس فى . فأرسل نبي الله الى اليهود فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ . يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا إله إلا هو إنكم تتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق ، فأعلموا . قالوا : ما نعلمه . قالوا ذلك للنبي ﷺ ثلاث مرار ، قال : فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ، ما كان ليسلم . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم . قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا ، حاشا لله ما كان ليسلم . قال : يا ابن سلام أخرج عليهم . فقال : يا معشر اليهود اتقوا الله فوالذى لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق . فقالوا : كذبت . وقالوا : شرنا وابن شرنا ونقصوه . فقال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله : فأخرجهم رسول الله ﷺ

ومن مقدمه ﷺ أرخ التاريخ في زمن عمر الى يومنا هذا ، فروى البخارى في صحيحه عن سهل بن سعد قال : ما عدوا من مبعث النبي ، ولا من وفاته ، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة

وقال البراء : أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلوا يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، ثم جاء رسول الله ﷺ ، فأرأيت الناس فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى أرأيت النساء والصبيان والإماء يقولون : هذا رسول الله ، قد جاء رسول الله . وقال

أنس : شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا ، وشهدته يوم مات ، فما رأيت يوماً قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات . فقام ﷺ في منزل أبي أيوب حتى بنى مسجده وحجرته وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة ، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأمامة بن زيد وأمه وأم أيمن . وأما زينب فلم يتمكن زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج ، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان . وفي الصحيح عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت فخرجت وأنا متهمة فأتيت المدينة فنزلت بقباء ، ثم أتيت النبي ﷺ فوضعت فيه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغتها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ . ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة . وفيه عن عائشة قالت : أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم

فصل

في بقاء المسجد

قال الزهري في حديثه عن عروة . بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجده ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مربداً لسهيل وسهل غلامين يقيمين من الأنصار ، وكان في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ : هذا إن شاء الله المنزل . ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالربد ليتخذاه مسجداً ، فقالا : يا رسول الله بل نهيه لك ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً . وفي حديث أنس في الصحيح . ثم أرسل إلى بني النجار فقل . يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا ، فقالوا . لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال وكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ

بقبور المشركين فنبشت ، وبأخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، قال فصفوا النخل قبلة المسجد . قال وجمعوا أعضاديه حجارة . قال فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول :

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فأنصر الأنصار والمهاجرة
وفي حديث الزهري عن عروة : وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللين في بنيانه
ويقول وهو ينقل اللين :

هذا الجمال لا جمال خير هذا أبر ربنا وأطهر
ويقول . اللهم إن الأجر أجور الآخرة فأرحم الأنصار والمهاجرة
فتمثل بيت شعر رجل من المسلمين لم يسم لي . انتهى . وقال غيره : ووضع عليه
الصلاة والسلام ، فوضع الناس وهم يقولون :
لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضال
وآخرون يقولون :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره ، وباب
يقال له باب الرحمة ، والباب الذي يدخل منه عليه السلام . وجعل طوله مما يلي القبلة إلى
مؤخرة مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه ، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع ،
وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريدة ، وجعل أعضاديه الحجارة . وقيل له . ألا تسقفه ؟
فقال : لا عريش كعريش موسى : وبني بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بالجريد والجذوع
فلما فرغ من البناء بنى بعائشة رضي الله عنها في البيت الذي بناه شرق المسجد شارعاً
إلى المسجد ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل اسودة بيتاً آخر

وفي الصحيح عن عائشة قالت : تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فوعكْتُ فتمزق شعري ، فأنتني أم رومان - وإنني أرجو حة ومعى صواحب لي - فصرختُ بي ، فأنتيتها ولا أدري ما تريد بي ، فأخذتُ بيدي حتى وقفني على باب الدار وإنني لأنهج ، حتى سكنَ نَفْسِي ، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فاذا نسوة من الأنصار ، فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتني اليهن وأصلحن من شأنِي ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين

وفيه عن عروة قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث ، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ، ونسكح عائشة وهي بنت ست سنين ، وبني بها وهي بنت تسع سنين . قال أبو عمرو وكان نسكحه عليه السلام لها في شوال ، وابنتي بها في شوال ، وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها في شوال على أزواجهن ، وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه ، وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه ، ولم يتزوج بكر غيرها . وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين . ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة . وكانت فقيهة عالمة فصيحة ، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ . انتهى

وكان في مؤخر المسجد موضع مظلل يأوي إليه المساكين يسمى « الصفة » ، وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه ، ويتعشى طائفة منهم معه

فصل

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار في أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً : نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، ويقوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام ، إلى وقعة بدر . فلما أنزل الله ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة . وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه ، والبيت

الأول ، فأخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل ، وأخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد ، وأخى بين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك من بني سالم . وأخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع ، وأخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن سلامة بن وقش وقيل كعب بن مالك السلمي ، وقيل بل أخى بين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك ، وأخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ، وأخى بين سعيد بن زيد وبين أبي بن كعب ، وأخى بين مصعب بن عمير وبين أبي أيوب ، وأخى بين أبي حذيفة ابن عتبة وبين عباد بن بشر الأشملي ، وأخى بين عمار بن ياسر وبين حذيفة بن اليمان العبسي حليف بني عبد الأشمل ، ويقال بل ثابت بن قيس بن الشماس ، وأخى بين أبي ذر الغفاري وبين المنذر بن عمرو وهو نقيب بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وأخى بين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى وبين عريم بن ساعدة أخى بني عمرو ابن عوف ، وأخى بين ، سلمان الفارسي وأبي الدرداء وعمر بن ثعلبة . وأخى بين بلال وبين أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين ، وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين

قال ابن إسحاق : وهلك في تلك الأشهر أبو أمانة أسعد بن زرارة والمسجد ببني ، أخذته الذبحة أو الشبهة ، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال : بئس الميت أبو أمانة يهود ومنافق العرب . يقولون : لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً . وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه لما مات اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ - وكان أبو أمانة نقيبهم - فقالوا : يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان منا حيث قد علمت ، فاجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم . فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم أخوالي وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم . وكره رسول الله ﷺ أن يخص بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بني النجار - الذي يعدون على قومه - أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم ، والله أعلم

فصل

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع اليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام، وكان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس للصلاة حين موافقتها لغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأذنان، فأتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قل قلت: ندعو به إلى الصلاة. فقال: أفلا أدلك على خير من هذا؟ قلت: بلى ناهو؟ قال تقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة حتى على الصلاة، حتى على الفلاح حتى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنها رؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فانه لئدى صوتاً منك. فلما أذن بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج وهو يجر دأه وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد. قلت: رواه أبو داود بإسناد صحيح. وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي. وأجيب احتمال مقارنة النوح لذلك، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وأبو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير اللبثي أحد كبار التابعين أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي ﷺ فوجد الوحي قد ورد بذلك، فإراعه إلا أذان بلال، فقال له النبي ﷺ «سبئك بذلك الوحي». وفي الصحيح عن أنس قال: لما كثر المسلمون ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة

بشيء يعلمونه ، فذكروا أن يوروا ناراً ، أو يضر بوا ناقوساً ، فذكروا اليهود والنصارى ، فأمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة . وفيه عن ابن عمر : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوماً في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقاً مثل بوق اليهود ، فقال أولاً تبعثون رجلاً منكم ينادى بالصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ « قم يا بلال فناد بالصلاة » انتهى

قال بعض أهل السير ، ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلام زيد في الحضر ركعتان ركعتان ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار ، وأقرت صلاة السفر . وفي البخاري عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم جاء رسول الله ﷺ المدينة ففرضت أربعاً وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى

فصل

قال ابن إسحق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوجب من مكة أهل هجرة بأهلهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا أهل دور يسمون بني مظعون من بني مجع وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أمية وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدى بن كعب ، فإن دورهم أغلقت بمكة هجرة . ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة أخى بني عامر بن لؤى ، فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ ، فقال له : أما ترضى يا عبد الله أن الله يعطيك بها داراً في الجنة ؟ قال : بلى . قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد في دارهم فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله ، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ ، وقال :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعثها تقضى بها عنك الغرامة
وحليفكم بالله رب الناس يجتهد القسمه
أذهب بها ، أذهب بها طوَّقتها طوى الحمامه

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى مسجده ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم تبق دار من دور لأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمية ، وتلك أوس الله - هم حى من الأوس - فانها أقاموا على شركهم ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن لأسات وهو صيفى وكان شاعراً لهم يسمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يل على ذلك حتى مضى بدر وأحد والخندق . قال ابن عبد البر عن ابن إسحق : إنه سلم يوم الفتح بعد أن صار إلى مكة مع قريش ، وذكر الزبير بن بكار أنه لم يسلم قال ابن إسحق : فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره ، وأظهر الله بها دينه ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس أخو بني الفجار - وهو الذى كان قد ترهب ولبس المسوح . فارق الأوثان كما قدمنا من ذكره ، ثم أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوالا الحق معظما فى جاهليته - فقال حين أسلم يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم :

ثوى فى قريش بضع عشر حجة يذكّر لو يلقى صديقاً موافقاً
ويعرض فى أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوى ، ولم ير داعياً
فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وألفى صديقاً واطمأنت به القوى وكان له عوناً من الله بادياً
يقص لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى إذ أجاب المناديا

وأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ، ولا يخشى من الناس نائياً
 بذلنا له الأموال من أجل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
 ونعلم أن الله لا شيء غيره ونعلم أن الله أفضل هادياً
 وفى رواية :

ونعلم أن الله لا رب غيره وأن كتاب الله أصبح هادياً
 نعادى الذى عادى من الناس كلهم جميعاً وإن كان الحبيب المصافياً
 أقول إذا أدعوك فى كل بيعة تباركت قد أكرمت لاسمك داعياً
 أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة حَتَّانِيكَ لا تظهر على الأعاديا
 فطأ معرضاً إن الخوف كثيرة وإنك لا تبقى لنفسك باقياً
 فو الله ما يدرى الفتى كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقياً
 ولا تحفل الفخل المقيمة ربيها إذا أصبحت رياءً وأصبح ثاوياً

فصل

ولما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة كما تقدم ، وأيده الله بنصره وبالمؤمنين ، وأف
 بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التى كانت بينهم ، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من
 الأسود والأحر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبة الآباء والأبناء والأزواج ،
 وكان أولى من أنفسهم ، رمته العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق
 العداوة والحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب والله يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ، حتى
 قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ فى القتال ولم يفرض عليهم ، فقال تعالى
 ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ قال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة
 ابن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة : هذه أول آية نزلت فى الجهاد . وفى
 سنن النسائى والترمذى عن ابن عباس قال : لما خرج النبى ﷺ قال أبو بكر : أخرجوا

نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليسكن . فأنزل الله ﷻ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﷻ الآية . زاد الإمام أحمد في روايته . وهى أول آية نزلت في القتال . انتهى . وعلى الإذن بأنهم ظلموا ، وكانوا يأتون النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا ، فأنى لم أوامر بالقتال . حتى هاجر فأذن له في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية . قال ابن اسحاق : أى إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أنهم يعبدون الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . يعنى رسول الله ﷺ

ثم أنزل الله ﷻ وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ﷻ أى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون الدين لله أى حتى يعبدوا الله لا يعبدوا معه غيره

وقد قالت طائفة : إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية ، وهذا غلط لوجوه : أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال ، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة . الثاني أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم ، فانه قال ﷻ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﷻ . الثالث أنه خاطبهم في آخرها بقوله ﷻ يا أيها الذين آمنوا ﷻ والخطاب بذلك كله مدنى ، وأما الخطاب بيا أيها الناس فمشترك

ثم فرض عليهم القتال - بعد ذلك - لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال ﷻ وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﷻ ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان القتال محرماً ، ثم مآذوناً فيه ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين ، إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع الأربعة . أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية ، وأما الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء

فصل

وكان ﷺ يستحب القتال أول النهار كما يستحب الخروج للسفر أوله ، فإذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ، وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفرثوا ، وربما يبايعهم على الموت ، و يبايعهم على الجهاد كما يبايعهم على الإسلام ، و يبايعهم على الهجرة قبل الفتح ، و يبايعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله و يبايع نفرًا من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا ، وكان السوط يسقط من يد أحدهم فيمنزل فيأخذه ، ولا يقول لأحد ناولني إياه . وكان يشاور أصحابه في الجهاد ولقاء العدو أو تخير المنازل ، وفي المسند عن أبي هريرة : ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ . وكان يتخلف في ساقاتهم في السير فيزجي الضعيف ويردف المنقطع ، وكان أرفق الناس بهم في السير . وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يقول «الحرب خُدعة» ، وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه ، ويطلع الطلائع ويث الحرس . وكان إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله . وخفضوا أصواتهم . وكان يرتب الجيش والمقاتلة ويجعل في كل جنبه كفوًا لها ، وكان يبارز بين يديه بأمره ، وكان يابس للحرب عدة ، وربما ظاهر بين درعين ، وكان له الأولوية ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرضتهم ثلاثًا ثم قتل . وكان ربما يبيت عدوه وربما فاجأهم نهارًا ، وكان يحب الخروج بكرة يوم الخميس ، وكان يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه ، وكان إذا لقي العدو يقول : « اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وزلزلهم . اللهم أنزل نصرك ، اللهم أفت عضدى ونصيرى ، بك أقاتل » وكان إذا اشتد البأس وحى الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، وكان البأس إذا اشتد اتقوا به ، وكان أقربهم إلى العدو ، وكان يجعل لأصحابه شعاراً في الحرب يعرفون به إذا تسكلموا ، وكان يحب الخيلاء في الحرب وقال : إن منها ما يحب الله ، ومنها ما يبغضه الله . فأما الخيلاء التي يحبها فاختيال

الرجل نفسه عند اللقاء واختياله عند الصدقة ، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي والفجور . وقاتل مرة بالمنجنيق نصبه على أهل الطائف . وكان ينهى عن قتل النساء والولدان ، وكان ينظر في المقاتلة فمن رآه أنبت قتله ومن لم ينبت استحياءه . وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول : سيروا بسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدًا . وكان ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو . وكان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة ، أو الإسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفء نصيب ، أو بذل الجزية . فإن أجابوا إليه قبل منهم ، وإلا استعان بالله وقاتلهم . وكان إذا ظفر بعدوه أمر منادياً فجمع الغنائم كلها ، فبدأ بالأسلاب فأعطاهم لأعلاءها ، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله وأمر به من مصالح المسلمين ، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد ، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش : للفراس ثلاثة أسهم له سهم وسهمان لفرسه ، وللراجل سهم . هذا هو الصحيح الثابت عنه ، وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة ، وقيل : بل كان النفل من الخمس ، وقيل - وهو أضعف الأقوال - بل كان من خمس الخمس ، وجمع أسامة بن الأكرع في بعض مغازيه بين سهم الراجل والفراس فأعطاه خمسة أسهم لعظم غنائه في تلك الغزوة . وكان يسوى بين الضعيف وغيره في القسمة ماعدا النفل . وكان إذا غار في أرض العدو أو بعث سرية بين يديه فما غنمه أخرج خمسة ونفلها ربع الباقي وقسم الباقي بينهم وبين سائر الجيش ، وإذا رجع فعل ذلك ونفلها الثلث . ومع ذلك كان يسكره النفل ويقول : ليرد قوى المؤمنين على ضعيفهم . وكان له سهم من الغنيمة يدعى « الصفي » إن شاء عبداً وإن شاء فرساً يختاره قبل الخمس ، وقالت عائشة : وكانت صفية من الصفي ، رواء أبو داود . وكان سيفه ذو الفقار من الصفي . وكان يسهم لمن غاب لمصلحة المسلمين . وكانوا يستأجرون الأجير للغزو على نوعين : أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره ، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج للجهاد ، ويسمون ذلك الجمائل ، وفيها قال النبي ﷺ « للغازي أجره ، وللجاعل أجره وأجر الغازي » .

وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضاً : أحدهما شركة الأبدان ، والثاني أن يدفع الرجل إلى الرجل بمعيره أو فرسه يغزو عليها على النصف مما غنم ، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه . وقال ابن مسعود . اشتركت أنا وعمار وسعد فيما نصيب يوم بدر ، فجاء سعد بأسيدين ولم أجىء أنا وعمار بشيء . وكان يبعث السرية فرساناً تارة ورجالة أخرى ، وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح ، وكان المسلمون يصيبون في مغازيهم العسل والعنب والطعام فيما كلونه ولا يرفعونه في المغنم . قال ابن عمر : إن جيشاً غنموا في زمن رسول الله ﷺ طعاماً وعسلاً فلم يؤخذ منهم الخمس . رواه أبو داود

فصل

وكان ينهى في مغازيه عن النهي والمثلة وقال « من انهب نهبه فليس منا » ، وأمر بالقدور التي طبخت من النهب فأكفئت . وروى البخاري في صحيحه في باب ما يكره من ذبح الإبل والغنم في المغنم عن رافع قال : كنا مع النبي ﷺ بذي الحليفة فأصاب الناس جوع وأصبنا إبلًا وغنماً . وكان النبي ﷺ في أخريات الناس - فعبجوا فنصبوا القدور ، فأمر بالقدور فأكفئت . الحديث . وذكر أبو داود عن رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مجاعة شديدة وجهد ، وأصابوا غنماً فأنهبوها ، وإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله ﷺ يمشى على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال « إن النبهة ليست بأحل من الميتة ، وإن الميتة ليست بأحل من النبهة » . وكان يشدد في الغلول جداً ويقول « عار ، ونار ، وشار على أهله يوم القيامة » . ولما أصيب غلامه مدعم قال بعض الصحابة : هنيئاً له بالجنة . قال « كلا والذي نفسى بيده . إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغنم من المقاسم لتشتعل عليه نارا » فلما سمع ذلك المسلمون جاء رجل بشارك أو شراكين ، فقال النبي ﷺ « شراك أو شراكا كان من نار » وكان إذا أصاب غنيمة أمر بالالا فنادى في الناس فيجيبون مغانمهم ،

فيخمسها ويقسمها . فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر ، فقال : ما مذمك أن تجيء به ؟ فاعتذر ، فقال : كن أنت تجيء به يوم القيامة فإن أقبلك عنك . وأمر بتحريق متاع الغال وضربه ، وأحرقه الخليفان الراشدان بعده ، فقليل : هذا منسوخ بسائر الأحاديث التي ذكرت ، فإنه لم يجيء التحريق بشيء منها ، وقيل وهو الصواب : إن هذا من باب التعزير وهو العقوبات المالية الراجعة إلى اجتهد الأئمة بحسب المصلحة ، فإنه حرق وترك ، وكذلك من بعده . وكان هديه في الأسارى أنه كان ينّ على بعضهم ويقتل بعضهم ويفادى بعضهم بالمال وبعضهم بأسرى المسلمين ، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة

فصل

قال ابن إسحاق : ونصبت أخبار يهود العداوة لرسول الله ﷺ بغيّاً وحسداً وضغناً لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم . قلت : وقد ذكر غيره أن رسول الله ﷺ قد كان وادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً ، وكانوا ثلاث قبائل . بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . فحاربته الثلاث ، فنّ على بنى قينقاع ، وأجلى بنى النضير ، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم ونساءهم . ونزلت سورة الحشر في بنى النضير ، وسورة الأحزاب في بنى قريظة . وبادر حبرهم وعالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام كما تقدم ، وكان من بنى قينقاع ، وأبى عامتهم إلا الكفر والعناد

قال ابن إسحاق : وظاهرهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان على جاهليته فكانوا أهل نفاق وعلى دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظفروا بالإسلام ، واتخذوه جنة من القتل . وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ ، وكانت أخبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتمنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل عليه فيما يسألونه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألونه عنها . منهم : حُي بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وجدي بن أخطب وسلام بن مشكم وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور - وهو الذي قتله أصحاب رسول الله ﷺ بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الأشرف - وهو من طيء - ثم أخو بني نهران - وأمه من بني النضير فهؤلاء من بني النضير. وعبد الله بن صوريا الأعور ولم يكن في زمانه بالحجاز أعلم منه بالتوراة وابن صلوياء ، ونخريق وكان خيرهم وكان حبراً عالماً وكان غنياً كثير الأموال وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال : يامعشر اليهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إنا اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتل في هذا اليوم فأموالي لحمد يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول : نخير بني خير يهود . وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعمامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : حدثت عن صفية بنت حيي أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، ولم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كان مسمع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالاين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء . قالت : فمششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من النعم . وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي : أهو ، أهو ، قال : نعم والله . قال : تعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك ؟ قال : عداوته والله ما بقيت

قال ابن اسحاق : وكان ممن يسمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج زُوَيْبُ بن الحارث والحارث بن مويذ بن الصامت . قال ابن حزم : قتله رسول الله ﷺ قوداً . وكان أخوه خلاد بن سويد من فضلاء المساميين . وكانت لأخييهما الجللاس بن سويد نزعاً ثم لم يُرَ منه إلا خير وصلاخ وإسلام إلى أن مات . قلت : يريد ما ذكره ابن اسحاق

أنه قال : لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الخير . فأنزل الله فيه ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلْبَةَ الْكُفْرِ ﴾ . قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته . ونبتل بن الحارث وهو الذي قال له رسول الله ﷺ « من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث » وكان رجلاً جسيماً أدم ثائر الرأس أحمر العينين أسفع ، ونجاد ابن عثمان بن عامر وأبو حبيبة بن الأزعر وهو أحد أصحاب مسجد الضرار . وعباد بن حنيف وكان أخوه سهل من خيار المسلمين ، ونجرج وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وعمرو ابن خذام وعبد الله بن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف . قال ابن حزم : وقد ذكر ابنه زيد ومجمع ولم يصح عن مجمع إلا الخير والقرآن والإسلام ، لكنه كان أبوه قدمه ليصلى بهم في مسجد الضرار ، وذكر ابن إسحاق أنه قال لعمر : والله يا أمير المؤمنين ما علمت بشيء من أمرهم . ووديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار . قال وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب . وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد ومربع بن قيس وأخوه أوس بن قيس وحاطب بن أمية ابن رافع وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له زيد بن حاطب . وقزمان حليف لهم فقاتل يوم أحد قتلاً شديداً فأخبر النبي ﷺ فقال : هو من أهل النار ، فعجب الناس من ذلك ، فلما اشتد به الأمر قتل نفسه

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة ، إلا أن الضحاك ابن ثابت كان يتهم بذلك . ومن الخزرج ثم من بني النجار رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو . ومن بني سلمة الجند بن قيس وهو الذي قال : يا محمد ائذن لي ولا تفتني ومن بني عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وكان ابنه عبد الله من صلحاء المسلمين . وكان قوم من اليهود يتعوذون بالإسلام وهم يبطنون الكفر ، منهم سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريمة وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ فيما بلغنا حين مات : قدمات اليرم عظيم من عظماء المنافقين ، ورافعة بن زيد بن التابوت وسلسلة بن برهام

وكنانة بن صوريا . وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويستخرون منهم ويستهنئون بدينهم ، ففي هؤلاء من المنافقين - من أحبار يهود ، ومن الأوس والخزرج - نزل صدر سورة البقرة فيما بلغني

وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سامة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبرونا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته . فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي نذكره لكم فأنزل الله في ذلك ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ وقال ابن صلويا لرسول الله ﷺ : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فتتبعك لها . فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ وقال رافع بن حرملة ووهب بن زيد : يا محمد انتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه ، وفجر لنا أنهاراً تتبعك ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك من قولها ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ الآية . وكان حُي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود حسداً للعرب ، إذ خصهم الله برسوله ﷺ ، فسكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله تعالى ﴿ ودد كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ الآية

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله ﷺ إليهم من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خازجة ومالك بن عوف : بل تتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا وخيراً منا ، فأنزل الله في ذلك ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ الآية

قال ابن إسحاق : ومرة شأس بن قيس - وكان شيخاً قد عتا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة في هذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملوهم بها من قرار . فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال : اعد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدكم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بعث يوماً اقتتات فيه الأوس والخزرج ، سكان الظفر فيه الأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سمالك أبو أميد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى ققتلاً جميعاً . قلت : وفي الصحيح عن عائشة قالت : وكان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة قد افترق ملوهم وقتلت سراهم في دخولهم في الإسلام . قال ابن إسحاق : ففعل الفتى ، نكلم القوم عند ذلك وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب - أوس بن يظى أحد بني حارثة بن الحارث بن الأوس ، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج - فتناولوا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئت رددناها جذعة ، فغضب الفريقان مبعاً وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة . والظاهرة الحرة . السلاح ، السلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى باهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هذاكم لله الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بن قلوبكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال ن الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله . فأنزل الله في شأس بن قيس وما صنع ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم صدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ الآية . وأنزل الله في أوس بن قيس وجبار

ابن صخر ومن كان معهم من قومها ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ الآيات ، إلى قوله ﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم﴾ والآيات بعدها

قال ابن إسحاق : فقدم رسول الله ﷺ المدينة كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وسيد أهلها عبد الله بن أبي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر عبد بن عمرو بن صيفي بن النعمان وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح . وكان يقال له الراهب ، فقال رسول الله ﷺ لا تقولوا الراهب ، ولكن قولوا الفاسق ، كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر ، فسقيا بشرفهما وضربهما ، وكان قوم عبد الله قد نظمو له الخرز ايتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن وأرى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكاً . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل كارها مضراً على نفاقه وضعفه

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلاً ، وكان أبو عامر أتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة قبل أن يخرج إلى مكة فقال : ما هذا الدين الذي جئت به ؟ قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم . قال : فأنا عليها . فقال له رسول الله ﷺ : إنك لست عليها . قال بلى ، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها . قال ما فعلت ، ولكني جئت بها ببضعة نقية . قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً . يعرض برسول الله ﷺ ، أى إنك جئت بها كذا ، فقال رسول الله ﷺ : أجل فمن كذب يفعل الله به ذلك ، فكان هو ذلك عدو الله ، خرج إلى مكة ، فلما فتحت خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها

وأما عبد الله بن أبي فأقام على شبهة في قومه متردداً حتى غلبه الإسلام فدخل فيه كارها

قال ابن إسحاق : أخذني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد قال : ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عباد يعمده من شكوى أصابته - على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة فديكة مختطمة بحبل من ليف - وأردفني رسول الله خلفه ، قال فر بعبد الله بن أبي وهو في ظلي « مزاحم » أطمه ، وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله ﷺ تدمم من أن يجاوزه حتى ينزل ، فنزل فسلم ، ثم جلس فتلا القرآن ودعا إلى الله وذكر بالله وحذر وبشر وأندر ، قال وهو زام لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقاله قال : يا هذا إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا . فاجلس في بيتك فمن جاءك فخذ به إياه ، ومن لم يأتك فلا تغشه به ولا تأت به في مجاسه بما يكره . قال : قال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين : بلى فاعشنا به وائتفا في مجالسنا دورنا ، فهو والله مما نحب ، وما أكرمنا الله به وهدانا له . فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

مقي ما يكن مولاك خصمك لا تنزل تذلل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جذ يوما ريشه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثاني عن غير ابن إسحاق

قال ابن إسحاق في حديثه عن الزهري عن عروة عن أسامة قال : وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عباد وفي وجهه ما قال عبد الله بن أبي عدو الله ، قال : والله رسول الله إني لأرى في وجهك شيئا كما فك سمعت شيئا تكرهه ؟ قال : أجل ، ثم أخبره قال ابن أبي فقال سعد : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لننظم له لحرز لنتوجه ، فانه يرى أن قد سلمته ملكا

قلت : وأخرجه البخاري في صحيحه بنحوه : أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ل أخبرنا عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره . . فذكر الحديث أبسط من رواية ابن إسحاق ، وفيه : وأردف أسامة بن زيد وراعه . وفيه : وذلك قبل وقعة بدر ، وقبل

أن يسلم عبد الله . وفيه : وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين ، والمشركون عبدة الأوثان ، واليهود . وفيه : فلما غشيت القوم عجاجة الدابة حمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال : لا تغيروا علينا . وفيه : فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتناورون ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا . وفيه قال سعد بن عباد : اعف عنه واصفح ، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطاح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبونه بالعصاة ، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك شوق بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت . فعفا عنه رسول الله ﷺ . وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركون وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى . قال الله عز وجل : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتقفوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً ﴾ إلى قوله ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله حتى أذن الله فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ فقتل الله صناديد كفار قريش قل ابن أبي ومن معه من المشركون عبدة الأوثان : هذا أمر قد توجه . فبايعوا رسول الله ﷺ وأسلموا

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله سن الحى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم . قالت : فصرف الله ذلك عن نبيه . قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابهم الحى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فذنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجددك يا أبة ؟ فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أذن من شرارك فعله

قالت فقلت : والله ما يدري أبى ما يقول

قالت : ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجحدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حنقه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قالت فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول

قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولى إذخر وجايل
وهل أرذن يوماً حياض مجنّة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت : إنهم ليهذون وما
يعقنون من شدة الحمى . قال فقال رسول الله ﷺ « اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت
إلينا مكة أو أشد ، وبارك لنا في مُدّها وصاعها ، وانقل وباءها إلى مهيمة » ومهيمة الجحفة

فصل

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة صار الكفار ثلاثة أقسام : قسم صالحهم على أن
لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة ، وقسم تاركوه فلم يصالحوه
ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره . ومن هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره
في الباطن

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه ، وقام فيما أمره الله به من جهاد
عدوه وقاتل من أمره الله به ممن يليه من المشركين ، مشركى العرب . فأقام بعد قدومه
المدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر والمجاذيين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالاً
وذا القعدة وذا الحجة والحرم ، ثم خرج غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة
في صفر ، واستعمل على المدينة سعد بن عباد حتى بلغ ودان - وهي غزوة الأبواء - يريد

قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادع فيها بنى ضمرة وعقد ذلك معه سيد بنى ضمرة مخشى بن عمرو الضمرى ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدر ربيع الأول . وهى أول غزوة غزاها بنفسه . وذكر البخارى فى صحيحه عن أبى إسحاق أولها الأبواء ، وليس بينهما اختلاف لأن الأبواء أو ودان مكانان متقاربان

فلما انصرف رسول الله ﷺ بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة ، فلقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رعى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله ، وفر يومئذ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازنى وكانا قديمى الإسلام إلا أنهما لم يتمكنا من الوصول إلى المسلمين إلا يومئذ

قال ابن إسحاق : وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله ﷺ فى الإسلام

وبعث عليه الصلاة والسلام فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل ابن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجسدى بن عمرو الجهمى ، وكان موادعا للفریقین جميعا ، فانصرف القوم بعضهم عن بعض

قال ابن إسحاق : وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله

ﷺ فى الإسلام ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبّه ذلك على الناس ، قلت . وقدم صاحب الهدى بعث حمزة وعبيدة . وبعث سعد بن أبى وقاص على غزوة الأبواء . والله أعلم

غزوة بواط : ثم خرج رسول الله ﷺ فى ربيع الآخر وهو صدر العام الثانى من مقدمه المدينة واستعمل على المدينة السائب بن مظعون يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية

رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى

ثم غزا غزوة العشيرة ، خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وخرج في خمسين ومائة - ويقال في مائتين - من المهاجرين ولم يكره أحد من الخزرج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعقبونها ويتعرضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ، وكان قد جاءه الخبر بفصولها من مكة وفيها أموال لقريش ، فبلغ العشيرة وقيل العشيرة بالمد وقيل العسيرة بالمهملة وهى من ناحية ينبع ، فوجد العير قد فاتته بأيام ، وهذه هى العير التى خرج فى طلبها حين رجعت من الشام وهى التى وعده الله إياها ، أو ذات الشوكة ووفى له بوعدده ، وفيها وداع بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبى وقاص وثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الحرار من أرض الحجاز ، فرجع ولم يلق كيداً

غزوة بدر الأولى : قال ابن إسحاق : فلم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كرز بن جابر النهري على سرح المدينة فاستاقه ، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ وادياً يقال له سفوان فى ناحية بدر فقاته كرز ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق حرباً

بعث عبد الله بن جحش ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها جمادى الآخرة ورجباً وشعبان ، وبعث عليه الصلاة والسلام فى رجب المذكور عبد الله بن جحش الأسدى إلى نخلة ، على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة ، فى اثني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعقبان على بعير ، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيراً لقريش . وفى هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين ، وكان رسول الله ﷺ كتب له كتاباً وأمره

أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فلما فتح الكتاب وجد فيه « إذا نظرت إلى كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها عيراً لقريش وتعلم لنا من أخبارهم » فقال ، سمعاً وطاعة ، وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكرههم ، فمن أحب الشهادة فلينهض ، ومن كره الموت فليرجع . فضوا كلهم . فلما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، فمخلفاً في طلبه ، ونفذ عبد الله ومن معه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زيباً وأدماءً وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة . فمشاور المسلمون فيهم وقالوا نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، فان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم . ثم أجمعوا على ملاقاتهم ، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله ، وأسروا عثمان والحكم ، وأقلت نوفل فأعجزهم . ثم قدموا بالخير والأسيرين

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله بن جحش قال لأصحابه : إن لرسول الله ما غنمنا الخمس ، فكان ذلك أول خمس في الإسلام ، وأول قتيل في الإسلام ، وأبل أسير في الإسلام . فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقت العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين ، واشتد تعنت قريش وإنكارهم ذلك . وزعموا أنهم وجدوا مقالا وقالوا : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام . وتفاءلت اليهود على رسول الله بذلك فقالوا : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب ، وواقد وقدت الحرب ، فجعل الله ذلك عليهم لاهم ، فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أشد من القتل يقول سبحانه وتعالى : هذا الذي أنكرتموه عنايمهم وإن كان كبيراً فما ارتكبتموه أنتم من الكفر والصد عن سبيله وعن بيته وإخراج المسلمين الذين هم أهله والشرك الذين أنتم

عليه والفتنة التي حصلت منكم أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام . وأكثر السلف فسروا الفتنة ههنا بالشرك ، وفسرت بتمذيبهم المؤمنين وفتنتهم إياهم عن دينهم ، والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف ولم يبرئ أوليائه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام ، بل أخبر أنه كبير ، وأن ماعليه أعداؤد المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام ، فهم أحق بالذم والعقوبة والعيب

قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بذلك فرج الله عن المسلمين ، وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، ففادت قريش الأسيرين ، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله حتى قتل يوم بدر معونة ، وأما عثمان بن عبد الله فلاحق بمكة فمات بها كافراً . فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا : يا رسول الله أنظمع أن تكون لنا غزوة نمطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ اللَّهَ ﴾ الآية فقال أبو بكر ، ويقال بل عبد الله بن جحش :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به ، والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أده	لثلاث يرى لله في البيت ساجد
فانا وإن غيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
نقيمنا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا	ينازعه غلّ من القدر عائد

فصل

فلما كان في شعبان من هذه السنة حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة على سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقيل على ثمانية عشر ، وقيل على ستة

عشر شهراً ، ولم يقل أحد أكثر ولا أقل . قال ابن حزم : وقد روى أن أول من صلى نحو الكعبة سعيد بن المعلى الأنصارى ، سمع رسول الله ﷺ يخطب بتحويل القبلة فقام فصلى ركعتين . انتهى . وكان ﷺ يحب أن يصرف إلى الكعبة ، وقال لجبريل : وددت أن أصرف وجهي عن قبلة اليهود ، فقال : إنما أنا عبد ، فادع ربك وسله . فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك ، فنزل عليه ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ الآية

وفي البخارى أنه ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت . وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ الآية

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاءهم رجل فقال : إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها . وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة ، فقال بعض العلماء : وفي هذا دليل أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ، وإن تقدم نزوله ، لأنهم لم يؤمروا بالإعادة . قال في الهدى . وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، فأما المسلمون فقالوا : سمعنا وأطعنا ، وقالوا آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم . وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قباتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا . وأما اليهود فقالوا : خالت قبلة الأنبياء . وأما المنافقون فقالوا : ما يدري محمد أين يتوجه ، إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركها ، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل . وكثرت أقاويل السفهاء من الناس . وكانت كما قال الله ﴿ وإنيها لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾

وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فأنزل الله جواب السفهاء ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ أى إن الحكم والتصرف والأمر كله لله ، فحيث ما وجهنا توجهنا ، ولو وجهنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه . وأكد سبحانه الأمر بذلك مرة بعد مرة ، وأمر حيث ما كان رسوله ، ومن حيث خرج ، وأخبر أن الذى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم هداهم لهذه القبلة ، وأنها هى القبلة التى لهم وهم أهلها لأنهم أوسط الأمم وهى أوسط القبل وأفضلها ، فاختر أفضل القبل لأفضل الأمم . كما اختار لهم أفضل الرسل وأنزل الكتب ، وأخرجهم فى خير القرون . وخصهم بأفضل الشرائع ، ومنحهم خير الأخلاق ، وأسكنهم خير الأرض ، وجعل منازلهم فى الجنة خير المنازل ، وموقعهم فى الجنة خير المواقف على تل عال والناس تحتهم ، فسبحان من يختص برحمته من يشاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة « إن اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها . وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة ، ولكن الظالمين الباغين يحتجون عليهم بتلك الحجج التى ذكرت ، ولا تعارض الرسل إلا بها وبأمثالها من الحجج الداحضة . أخبر سبحانه أنه فعل ذلك ليتم نعمته عليهم وليهديهم ، ثم ذكرهم نعمته عليهم بإرسال رسوله إليهم وإنزال كتابه عليهم ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه ، ثم أمرهم بذكره وشكره ، ثم أمرهم بما لا يتم لهم ذلك إلا بالاستعانة به وهو الصبر والصلاة وإنه مع الصابرين

فصل

قال ابن سعد والواقدي بأسانيدهما عن عائشة وابن عمر وأبى سعيد الخدري قالوا :
نزل فرض شهر رمضان بعد ما حولت القبلة بشهر فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً

من قدومه عليه الصلاة والسلام ، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين أن يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو مدين من بُر . انتهى . وقال عمر : فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الذكر والأنثى والحر والمملوك صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير . فعدل الناس به نصف صاع من بر ، قال الدمياطي : وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال . وقيل إن الزكاة فرضت فيها ، وقيل قبل الهجرة والله أعلم . ويدل عليه ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن قيس بن سعد قال : أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا ، ونحن نفعله . قال صاحب الفروع : وإسناده جيد

غزوة بدر الكبرى

وهي أكرم المشاهد ، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله ودفع فيه الشرك وأهله ، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسورة والخيلاء الزائدة . فأعز الله رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجهه النبي ﷺ وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، وأخبر النبي ﷺ أن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وفي الصحيح عن معاذ بن رفاعة الزرقى - وكان بدرياً ، وكان أبوه شهد العقبة - قال . جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ، أو كفة نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة ، فكان رافع من أهل العقبة ، وكان رافع يقول لابنه : ما يسرنى أنى شهدت بدرأ بالعقبة

وكان خروجهم يوم السبت لاثني عشر خلت من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهراً ، وقيل لثمان خلون منه ، واستخلف على المدينة أبا لبابة ، وخرج معه الأنصار ، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد ، كما قال تعالى ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه خبر العير

المقبلة من الشام مع أبي سفيان فيها أموال عظيمة لقريش ، فندب أصحابه اليهم ، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو ، وقال : هذه غير قريش فيها أموال ، فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها . فخف بعض الناس وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً ، فأمر من كان حاضراً ظهره بالهوض ، فخرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وكانوا على سبعين بعيراً يتعقبونها ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرساً المقداد ، وفرساً للزبير بن العوام . فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوى على بعير ، فلما بلغ أبا سفيان مسيره عليه الصلاة والسلام استأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً بمكة فيستغفرهم ويخبرهم أن محمداً قد اعترض لعيرهم في أصحابه ، فتمضوا مسرعين في قريب من ألف مقاتل ، ومعهم مائة فرس وسبعائة بعير ، ولم يتخلف أحد من أشrafهم ، إلا أبا لب وبعث مكافه العاص بن هشام بن المغيرة كان له دين بذلك ، وحشدوا فيمن حولهم من العرب ، ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدى بن كعب

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى ﴿ بطراً ورثاء الناس ﴾ وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي ؟

ولما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب وقالوا : إنا نخشى أن نؤتى من خلفنا ، فتبدي لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك وكان من أشrafهم فقال : أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون

فخرجوا سراغاً وخرج رسول الله ﷺ فيمن خف معه من أصحابه ، واستعمل على الصلاة بالناس عمرو بن أم مكتوم ، ثم رد أبا لبانة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان إحداها مع علي بن أبي طالب والأخرى مع رجل من الأنصار ، قيل وكاتنا سوداوين ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن من بني النجار ، وكانت راية الأنصار مع سعد

ابن معاذ ، فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم على ثربان ، ثم على ملل ، ثم على غميس الحمام ، ثم على صغرات اليمام ، ثم على السبالة ، ثم على فج الروحاء ، ثم على شنوكة ، حتى إذا كان بعرق الظبية تقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، ونزل رسول الله ﷺ سبجج وهي بئر الروحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالنصرف ترك طريق مكة يساراً وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرأ ، فسلك في ناحية منها حتى جزع واديا يقال له رحقان ، بين النازية وبين مضيق الصفراء ، ثم علا المضيق ثم انصب به ، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهمي حليف بني ساعدة وعدى بن أبي الزغباء الجهمي حليف بني النجار يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان وعيره ثم رحل عليه الصلاة والسلام فأخبر عن جبل الصفراء أن اسمها مسلح ونخري ، وسأل عن أهله فقل : بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار ، فترك رسول الله ﷺ المرور بينهما وأخذ ذات اليمين على وادي ذفران وجزع ، ثم نزل وأتاه الخـبر عن قريش بمسيرهم لينعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴿١﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعاه بخير ثم قال رسول الله ﷺ : أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار . وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : إني قد أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج إليها لعل الله يغفمناها ؟ قلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا : ما ترون في القوم ، فانهم قد أخبروا بخروجكم ؟ قلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ، ولسكن أردنا العير . ثم قال : ما ترون في قتال القوم ؟ قلنا مثل ذلك . فقال المقداد . . وذكر تمام الحديث . ثم

استشارهم ثالثاً ، فنصكهم المهاجرون فأحسنوا ، ففهمتم الأنصار أنه يعينهم ، وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا من دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . فقال له : فقد آما بك وصدقناك وشهدنا أن ما حئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا اصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك . ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ، قال في عيون الأثر . روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخرج ، وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ . واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرأ فلم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين ، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي منهم . انتهى

ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام ، ثم نزل قريياً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه . قال ابن هشام : هو أبو بكر الصديق حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغهم عنهم ، فقال : لا أخبركما حتى تخبراني من أنما . فقال له رسول الله ﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك . قال أو ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال : فانه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - المكان الذي به رسول الله - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا المكان الذي به قريش . فلما فرغ من خبره قال : ممن أتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء . ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى

أصحابه . فلما أمسى بعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص - في نفر من أصحابه - إلى ماء بدر يلتمسون الخبر ، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض بن يسار غلام بنى العاص بن سعيّد فأتوا بهما فسألوهما لمن أنتم ؟ ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء . فسكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما حتى إذا نقوها قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله . إنهما قريش ، أخبرانى عن قريش . قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، والكتيب المعنفل ، فقال لها رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالوا كثير ، قال ما عدّتهم . قالوا ما ندرى . قال : كم تنحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . قال رسول الله ﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لها : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمر بن عبد ود . فأقبل رسول الله على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها

وخفض أبو سفيان فلاحق بساحل البحر ، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحارزوا غيركم . فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى تقدم بدرا فتقيم به ، ونطعم من حضرنا من العرب ، وتخافنا العرب بعد ذلك . وأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه ، فرجع هو وبنو زهرة ، فلم يشهد بدراً زهرى . فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس ، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً . وكان حليفاً لهم . وأرادت بنو هاشم الرجوع ، فاشتد عليهم أبو جهل وقال : لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى ماء من مياہ بدر ، وسبق قريشاً إلى بدر ، ومنع قريشاً من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمون إلا لبد لهم دهن الوادي وأعانهم . فنزل عليه الصلاة والسلام على أدنى ماء من مياہ بدر إلى المدينة ، فأتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجوح فقال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه فنشرب ولا يشربون . فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي وفعله

وقال سعد بن عباد : يا رسول الله ، ألا نبني لك عريشاً تسكن فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أظهرنا الله وأعزنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جاست على ركائبك فلاحقت بن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا بني الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسول الله ﷺ خيراً ودعاه بخير . ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه ، ومشى رسول الله ﷺ على موضع الوقعة فعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعا مصرعا يقول : هذا مصرع فلان إن شاء الله ، هذا مصرع فلان إن شاء الله . قال عمر : فوالذي بعثه بالحق نبياً ما عدا واحد منهم مضجعه الذي حده رسول الله ﷺ . أخرجه مسلم في صحيحه

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكئيب الذي جاءوا منه إلى الوادي قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بجيالاتها وفخرها تجادلنك وتكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . اللهم أحسن العداة

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا في حوض رسول الله ، منهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم ، فما شرب أحد منهم يومئذ إلا قتل . إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يقتل وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني من يوم بدر

ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا : احذر لنا أصحاب محمد . فجاء بفرسه حول العسكر فقال : ثلاث مائة يزيدون قليلاً أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مدد . فضرب في بطن الوادي حتى أبعده فلم ير شيئاً . فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكني قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت . قوم ليس لهم منعة إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منهم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم ، فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فأشار عليه أن يرجع الناس ولا يكون حرب . فوافقه عتبة بن ربيعة . وقام عتبة في الناس خطيباً ، فأشار عليهم بالرجوع ، فأبى أبو جهل ذلك ، وساعده المشركون

وبات رسول الله ﷺ إلى جذم شجرة هناك ، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها واصطف الفريقان

قال ابن إسحاق : وقال فتية من قريش وكانوا خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتياهم ، فلما رأوا قلة أصحاب محمد وكثرة عدوهم قالوا : غر هؤلاء دينهم . قال : وبلغني أن الشيطان معهم أيضاً لا يفارقهم . قال : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك لا ينكرونه ، حتى إذا التقى الجمعان فر عدو الله ونكص على عقبيه فذهب فأوردتهم ثم أسلمهم حين رأى الله أيده رسوله والمؤمنين باللائكة وقال : إني أرى ما لا ترون . الآية . وكان كما قال حسان :

سرنا وساروا إلى بدر لحقتهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلائهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال إني لكم جار فأوردكم شر الموارد فيه الخزي والعار

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة حتى وصلوا من الصف ، فخرج
اليهم فتية من الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة
فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : مالنا بكم من حاجة . ثم نادى
مناديتهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ . قم يا عبيدة بن
الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة :
عبيدة ، وقال حمزة : حمزة وقال علي : علي . فقالوا أنتم أكفاء كرام . فبارز عبيدة وكان
أسن القوم عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه ، وبارز علي الوليد . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن
قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت
صاحبه ، فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذقفا عليه ، واحتملا صاحبهما فجراه إلى
أصحابه فمات بالصفراء

وفي الصحيح عن علي قال : فينا أنزلت هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾
وفيه عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أنزلت هؤلاء الآيات في هؤلاء الرهط الستة يوم
بدر . وفيه عن علي قال : أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة

وقال ابن اسحاق : وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله
ﷺ أصحابه أن لا يجمعوا حتى يأمرهم ، وقال : إذا أكتبوكم - يعني أكتبوكم -
فارموهم (١) واستبقوا نبلكم

قال : وعد رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر
الصديق وليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما

(١) أكتبوكم : قربوا منكم ، والكتب : القرب

يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا نعبد » وأبو بكر يقول : يا رسول الله يكفيك بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش معه الصديق أخذت رسول الله سنة من النوم ، ثم استيقظ متبسماً فقال : أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل على ثيابه النقع . ثم جرج من باب العريش وهو يتلو ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وفي رواية : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، قد ألححت على ربك ، وهو يشب في الدرع فخرج وهو يقول ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وفي رواية ابن إسحاق : فقال رسول الله : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثيابه النقع . يريد الغبار . وفي رواية مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة ، ثم مديديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني . وفيه : فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفائك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمد الله بالملائكة . قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأمروا سبعين . وفي رواية ابن سعد عن عكرمة قال : كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربها

قال ابن إسحاق : ثم رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل

من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بنى النجار وهو يشرب من الحوض فأصاب نحره فقتل فكان أول قتيل من الأنصار . ثم حرض رسول الله ﷺ الناس على القتال وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحوام أخو بنى سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، فإني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله

وذكر ابن سعد وابن إسحاق أن أبا جهل قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه ، فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح على نفسه ، وأخرجه النسائي من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير . ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شأهت الوجوه . ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله فيها من قتل من صناديد قريش وأسر عن أسر من أشرافهم . قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : رفع رسول الله ﷺ [يديه] فقال « يارب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً » فقال له جبريل : خذ قبضة من تراب . فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومفخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين

ذكر مقتل عدو الله أبي جهل

روى البخاري في الصحيح عن عبد الرحمن بن عوف قال : إني لفي الصف يوم بدر إذ انتفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل ، فقات : يا ابن أخي فما تصنع به ؟ قال أخبرته أنه يسب رسول الله . قال : والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعرج منا . فتمعجبت لذلك . قال وغمزني الآخر فقال لي مثلها . فلم أنشب

أن نظرت إلى أبي جهل يحول في الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه . قال فابتدراه بسييفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال : أيسكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتله . قال : هل مسحتما سيفيكما ؟ فقالا : لا . فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال : كلا كما قتله . وقضى رسول الله ﷺ بسلامه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء . وفي رواية : فتمنيت أن أكون بين أضلاع [واحد] منهما . وفي رواية : فمأسرني أني كنت بين رجلين مكانهما : وفي الصحيح عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ فانطق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . وقال أنت أبا جهل ! وقال أحمد بن يونس : أنت أبو جهل . فأخذ لحيته وقال : هل فوق رجل قتلتهموه أو رجل قتله قومهم . وفي رواية ابن علية : أنت أبا جهل . هكذا قالها أنس . قال وقال أبو مجاز قال أبو جهل : فلو غير أكار قتاني . وذكر ابن إسحاق في السيرة قال عبد الله ابن مسعود : فوجدته بأخر رمق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضبب بي ^(١) مرة بمسكة فأذاني ولسكزني ، ثم قالت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال . وبماذا أخزاني ، أعمد من رجل قتلتهموه . أخبرني لمن الدائرة ؟ قال قلت : لله ورسوله . وزعم رجال من بني مخزوم أن عبد الله بن مسعود كان يقول . قال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم . قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل . قال فقال : آله الذي لا إله غيره ؟ قال : وكانت يمين رسول الله . قال قلت : نعم والذي لا إله غيره . ثم ألقيت برأسه بين يدي رسول الله ، فحمد الله . وفي رواية غير ابن إسحاق فقتله عبد الله ثم أتى النبي ﷺ فقال : قتله . فقال : الله الذي لا إله غيره ؟ فرددها ثلاثاً . ثم قال : الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده : انطلق بي فأرنيه : فانطلقنا فأرنيته إياه ، فقال : هذا فرعون هذه الأمة

وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه عالياً ، فأبصره بلال - وكان يعذبه أمية بمسكة - فقال : رأس الكافر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا . ثم خرج حتى وقف عند مجلس من مجالس الأنصار فقال : يا معشر الأنصار ، أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج فريق من الأنصار واشتد بهما عبد الرحمن بن عوف يحرزها منهم فذركوهم ، فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه ، ثم لحقوها . فقال له عبد الرحمن : ابرك ، فبرك ، فألقى عليه نفسه فضر به بالسيوف من تحته حتى قتله وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف . وقال أمية قبل ذلك : من الرجل منكم المعلم في صدره برش النعام ؟ فقال : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . وكان مع عبد الرحمن أذراع قد استلبها ، فلما رآه أمية قال له : أنا خير لك من هذه الأذراع . فألقاها وأخذ بيده وبد ابنه وأميه يقول : ما رأيت كالיום قط ، أما لكم حاجة في الدين ؟ فلما قتله الأنصار كان يقول : يرحم الله بلالا ، فجئني بأذراعي وبأسيري . وكان رسول الله ﷺ قد أخبر بقتله قبل ذلك وأخبره بذلك سعد بن معاذ لما قدم مكة معتمراً ونزل على أمية ، فكان أمية إذا قدم المدينة نزل على سعد ، فرآه أبو جهل يطوف فقال : من هذا الذي يطوف بالسكبة ؟ فقال سعد : أنا سعد . فقال أبو جهل : تطوف بالسكبة آمنا وآويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم . فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي . فقال سعد : والله أئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالاشام . قال فجعل أمية بن خلف يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يسكه . فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال : إياي ؟ قال : والله ما يكذب محمد . وفي رواية : فإني سمعت رسول الله يقول : إنهم قاتلوك . قال : بمسكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أمية فرعاً شديداً ، فرجع إلى امرأته فقال : ما تعلمين ما قال أخى اليثربي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي . قالت : فوالله ما يكذب محمد . فلما جاء الصريخ وخرجوا إلى بدر قالت له امرأته . أما ذكرت ما قال أخوك اليثربي ؟ قال :

فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشرف الوادى . فسر يوماً أو يومين .
فسار معهم حتى قتله الله . رواد البخارى فى صحيحه

واقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن فأعطاه النبي ﷺ جذلاً من حطب فقال :
دونك هذا فلما أخذه عكاشة وهزه عاد فى يده سيفاً طويلاً ، فلم يزل عنده يقاتل به حتى
قتل أيام أبى بكر ، قتله طليحة الأسدى شهيداً

وفى الصحيح أن الزبير لقي عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج فى السلاح لا يرى
منه إلا الحدق ، فحمل عليه الزبير بحرقته فطعنه فى عينه فمات ، فوضع رجله على الخربة ثم
تمطى ، وكان الجهد أن نزعه وقد انثنى طرفها ، فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها .
فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها ، فلما قبض أبو بكر
سأله إياها عمر فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها ، فلما قبض
وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فسكانت عنده حتى قتل

قال ابن إسحاق : ولما وضع المسلمون أيديهم فى العدو يقتلون ويأمرون ، وسعد بن
معاذ واقف على باب الخيمة التى فيها رسول الله ﷺ - وهى العريش - متوشحاً فى ناس
من الأنصار ، ورأى رسول الله فى وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس ، فقال رسول الله
ﷺ لسعد : كأنك تكره ما يصنع الناس ؟ فقال : أجل والله ، كانت أول وقعة أوقعها
الله بالمشركين ، وكان الإثنان فى الحرب أحبَّ إلى من استبقاء الرجال

قال ابن إسحاق : وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا
قوله تعالى ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كُنتُمْ ، قالوا كنا مستضعفين
فى الأرض ﴾ الآية فتية مسمين من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الحارث بن زمة بن
الأسود بن المطلب ، ومن بنى مخزوم أبو قيس النفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن
المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف من بنى جمح ، والعاص بن منبه بن بنى سهم ، وذلك
أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسهم آبائهم

وعشائرهم بمكة وفتنهم فافتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا جميعاً

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر مما جمع الناس فجمع ، فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم أحق به ، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولما كنا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو قمعنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ قسمه على السواء . انتهى .

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى فقال . بئس عشيرة النبي كنتم لنبئكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وخذلتموني ونصرني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس . ثم أمر بهم فسحبوا إلى قايب من قلب بدر فطرحوا فيه . وفي الصحيح عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صفاديد قریش فقتلوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث . وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعروة ثلاث ليال ، فلما كان بدر في اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفير الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأماء آبائهم : يا فلان ابن فلان . أيسركم أنسكم أطعم الله ورسوله ، فانا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ قال فقال عمر : يا رسول الله ما تسكلم من أجساد لا أرواح لها . فقال النبي ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . قال قتادة : أحياء الله حتى أسمعهم قوله توبيحاً ونقمة وحسرة وندامة . وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما الذين بدلوا

نعمه الله كفوراً قال : هم والله كفار قريش . قال عمرو هم قريش ، ومحمد نعمه الله وأحلوا قومهم دار البوار قال : النار يوم بدر . انتهى

قال ابن اسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عليه وعلى المسامين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر - حين سويننا على رقية بنت رسول الله التي كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قدم . قال فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتل عقبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأبو البختري العاص بن هشام وأممية بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج ، قال قلت : يا أبة أحق هذا ؟ قال : نعم والله يا ابني . ثم قفل رسول الله إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث ، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف من بني النجار ، حتى إذا كان بالصفراء قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كعدة . ثم لما نزل بعرق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط ، فقال عقبة حين أمر رسول الله بقتله : من للصبية يا محمد ! قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري ، ويقال على بن أبي طالب

ثم دخل رسول الله ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدوله بالمدينة وحولها ، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة : وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه الإسلام

قال ابن اسحاق : حدثني ابن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال : استوصوا بالأسارى خيراً . قال فكان أبو عزيز ابن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ، قال فقال أبو عزيز : مربى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقتل شد يدك به ، فإن أمه ذات

متاع ، لعلمها تفديك منه . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفخني بها . قال فاستجى فأردھا عليهم فبردها على ما يمسه . فلما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك ؟ فقال له مصعب : إنه أخي دونك . فسأت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقبل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم فقدها بها

قال بعض العلماء : ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شدّ وثاق العباس ، فسمعه النبي ﷺ وهو يئن فلم يأخذه النوم ، فبلغ الأنصار فأطلقوا العباس ، فكان الأنصار فبهوا رضاء رسول الله ﷺ بفك وثاقه ، وسألوه أن يتركوا له الفداء . فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، فقال لاتدعون منه درهما . وفي حديث ابن عباس عند ابن إسحق أنه ﷺ قال : يا عباس افد نفسك وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحارث وحليفك عقبة بن عمر . قال : إني كنت مسلماً ، ولكن القوم استكروهني . قال : الله أعلم بما تقول : إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك ، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا . قال ما ذاك عندي يا رسول الله . قال : فأين المال الذي دفنته أم الفضل فقلت : إن أصبت فالمال الذي دفنته للفضل وعبد الله وقثم ؟ قال : والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي ، قال رسول الله : ذاك شيء أعطانا الله منك . فقدي نفسه وابني أخويه وحليفه ، وأنزل الله فيه ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ الآية

فصل

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك ،

واستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقد همهم فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت في واد كثير الخطب ، فأضرم الوادى عليهم ثم ألقهم فيه . قال فسكت رسول الله فلم يرد عليهم شيئاً . ثم قام فدخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول ابن رواحة . ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة . وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى بن مريم قال ﷺ إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . وإن مثلك يا عمر مثل موسى قال ﷺ ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . وإن مثلك يا ابن رواحة كمثل نوح قال ﷺ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﷻ أنتم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق . قال ابن مسعود : قلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإنه يذكر الإسلام . فسكت رسول الله ﷺ . فما رأيته في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ : إلا سهيل بن بيضاء فأنزل الله عز وجل ﷻ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﷻ الآيات . رواه أحمد والترمذي وابن أبي حاتم . وفيه : فنزل القرآن بقول عمر ، وصححه الحاكم . قال ابن عباس قال عمر : فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان ، قلت يا رسول الله أخبرني من أى شيء تبكى أنت وصاحبك ، فان وجدت بسكاء بكيت ، وإن لم أجد بسكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة . شجرة قريبة من النبي ﷺ . وأنزل الله تعالى ﷻ ما كان لنبي أن يكون له أسرى - إلى قوله - عذاب عظيم ﷻ رواه ابن أبي حاتم

قال ابن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلا أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله بقتل الأسرى ، وسعد بن معاذ قال : الإثنان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . فقال رسول الله : لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ . وقال سفيان الثوري عن هشام هو ابن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : خير أصحابك في الأسارى ، إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عاما قابلا مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا . رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه . وفي رواية عن عبيدة مرسل وفيه : فنادى النبي ﷺ في أصحابه فجاءوا - أو من جاء منهم - فقال : هذا جبريل يخبركم بين أمرين . أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد في قابل منكم بعدتهم ، فقالوا بل نفاديهم ونتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون . انتهى .

وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم ، وعن عامر الشعبي قال . أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا ، وكان يفاديهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يسكتون وأهل المدينة لا يسكتون ، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه . ومن من عليه رسول الله ﷺ الطالب بن حنطب وصيفي بن أبي رفاعه وأبو عزة الجمحي ، وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدا وكان محتاجا ذا بنات فقال : يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال ، فامنن علي ، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحدا ، ثم أسره ثانية فقال يا رسول الله أفانى ، فقال : والله لا تسمح عارضك بمكة تقول خدعت محمد مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه . ومن من عليه رسول الله ﷺ أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنته بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله بفدائه ، وكان رسول الله قد أخذ عليه أو وعد رسول الله ﷺ أن يخلى سبيل زينب ، فلما خرج أبو العاص إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار فقال : كونا بيطن يا جج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها . فخرجا ، فلما قدم أبو العاص مكة

أمرها بالحق بأبيها ، وقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو وكان الذي أسره مالك بن الدخشم وكان سهيل أعلم من شفته السفلى ، وذكر ابن اسحق أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا . فقال رسول الله ﷺ : لا أمل فيمثل الله بي وإن كنت نبيا . وبأخى أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تدمه . وكان عمرو بن أبي سفيان أسيرا في يدي رسول الله ، فقتل لأبي سفيان : أقد عمرا ابنك ، فقال : يجمع على دمي ومالي . فتلوا حنظلة ، وأفدى عمرا ، دعوه في أيديهم يسكونه ما بدا لهم . فبينما هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان أخو بني عمرو بن عوف معتمرا ، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابه عمرو ، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير ، ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل .

سعد

فصل

قال ابن اسحق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي قتلوا : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأممية بن خلف وزمعة بن الأسود وبنيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختری بن هشام . فلما جعل يعد أثراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فامألود عني . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هاهو ذا جالس في الحجر ، وقد والله رأيت أباؤه وأخاه حين قتلوا

وفي حديث أبي رافع : لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبت الله أبا لهب وأخزاه ، فقام يحرجه بجره بشر حتى جلس . فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب قدم ، قال فقال أبو لهب : هلم إليّ ، فعندك لعمري

الخبر . قال فجلس اليه والناس قيام فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا قوم فمحنناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا . وأيم الله مع ذلك ما لت الناس ، لقينا رجلا ييضا على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء . قال أبو رافع وكان غلاما للعباس : وكان الإسلام قد دخلنا وسرنا ذلك ، تلك والله الملائكة . فرفع أبو لُهب يده فضربنى فى وجهى ضربة شديدة ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به فى رأس أبى لُهب وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ قال : فوالله ما عاش إلا سبيع ليالى حتى رماد الله بالعدسة - وهى قرحة تتشام بها العرب - فتباعده عنه بنود حتى قتله الله ، وبقي ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ، ولا يحاول دفنه . فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . وذكر قاسم بن ثابت فى دلائله أن قريشا لما توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مسكة فى اليوم الذى وقع به المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه :

أراد الحنفيون بدرا وقيعه سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من قريش وأبرزت خرائد يضر بن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحميرا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ قالوا : محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف . ثم لم يلبث أن جاءهم الخبر .

قال ابن اسحق : فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيها سورة الأنفال بأسرها

وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، من المهاجرين ستة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ومن الخزرج مائة وسبعون . قالوا : وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج - وإن كانوا أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء - أن منازلهم كانت فى عوالى المدينة ، وجاء النفي بفتة ، وقال النبي ﷺ : لا يتبعنا إلا من كان ظهره

حاضرا فاستأذنه رجال ظهورهم في عوالى المدينة ، أيسقانى لهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم ، وكان عثمان رضى الله عنه تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه من الغنيمة وأجره ، فهو بدرى . وطلحة بن عبيد الله وكان بالشام فى تجارة فضرب له رسول الله بسهمه وأجره . وكان سعيد بن زيد أيضا غائبا بالشام ، فضرب له رسول الله بسهمه وأجره

فصل فى تسمية من شهد بدرا من المسلمين

مرتباً على حروف المعجم

محمد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبو عبيدة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف

(أ) أبى بن كعب النجارى ، أبى بن ثابت ، أوس بن ثابت النجارى أخو حسان ، أوس بن خولى الخزرجى ، أوس بن الصامت ، أسعد بن يزيد بن الفاكه الزرقى ، أنس بن معاذ النجارى ، أنسية مولى رسول الله ، أنس بن قنادة بن ربيعة الأوسى ، الأرقم بن أبى الأرقم ، أربد بن جبير ، أميرة وهو أبو سليط بن عمرو النجارى ، إياس بن البكير اللبى حليف بنى عدى ، إياس بن أوس بن عتيك الأوسى

(ب) بشير بن البراء بن معرور السلمى ، بشير بن سعد بن ثعلبة وهو أبو النعمان ، بشير بن عبد المنذر أبو لبابة اشهر بكفيمته ، بلال بن رباح المؤذن ، بجير بن أبى بجير العبسى حليف لبى عوف ، بجاث بن ثعلبة بن خزمة البلوى حليف لبى الخزرج ويقال نحاب بالنون ، بسبس بن عمرو الذيبانى حليف الخزرج

(ت) تميم بن يعار الخزرجى ، تميم مولى بنى غنم ، تميم مولى خراش بن الصمة

(ث) ثابت بن الجذع ، ثعلبة الأنصارى ، ثابت بن عمرو بن زيد النجارى ، ثابت ابن خالد بن عمرو النجارى ، ثابت بن هرم البلوى حليف الأنصار ، ثابت بن خنساء

النجارى ذكر الواقدى أنه شهدها ، ثابت بن عبيد الأنصارى ، ثابت بن هزال الأنصارى ، ثعلبة بن غنمة الأنصارى ، ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك لنجارى ، ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأنصارى ، قال ابن عبد البر وهو مانع الصدقة فيما نال قتادة وسعيد بن جبير انتهى . قلت : ذكره أبو محمد بن حزم فيمن شهد بدرا وقال : ند قال قوم إنه منع الزكاة فنزلت فيه ﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ الآيات ، قال : وهذا باطل لأن شهوده بدرا يبطل ذلك بلا شك . انتهى

(ج) جابر بن عبد الله بن رثاب ، جابر بن خالد بن مسعود النجارى ، جابر بن عتيك ويقال جبر الأوسى ، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ذكر النجارى أنه شهدها . كان ينقل الماء لأصحابه ، قال ابن عبد البر ذكره بعضهم فى البدرين ولا يصح لأنه قد روى عنه أنه قال : لم أشهد بدرا ولا أحدا مفعى أبى ، جابر بن صخر بن أمية السلمى ، جبر بن إياس بن خالد ابن مخلد الزرقى ، جبر بن صيتا ^(١) كلهم من الأنصار

(ح) حمزة بن عبد المطلب ، الحارث بن أنس بن رافع ، الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد ، الحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأوسى ، الحارث بن فزعة أبو خزيمة وقيل ابن خزيمة بن عدى الأنصارى الخزرجى ، الحارث بن عتيك بن النعمان النجارى ، الحارث بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجى ، الحارث هو أبو الأعوز بن ظالم بن عبس بن حرام النجارى ، الحارث بن حاطب الأنصارى رده رسول الله ﷺ من الروحاء فى شيء أمره به وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن الصمة رده أيضا من الروحاء حين كسر وضرب له بسهمه وأجره ، الحارث بن عرفة الأوسى ذكره نعيم موسى بن عقبة والواقدى وابن عمار . الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد الزرقى ، حارثة بن النعمان بن نعيم بن زيد النجارى ، حارثة بن سراقه بن الحارث النجارى واستشهد ، حارثة بن حمير الأشجعى حليف بين سلمة ، حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الزرقى ذكره الواقدى فيهم ، حارثة بن النعمان بن رافع ، حريث بن زيد بن ثعلبة

الخزرجي ، حبيب بن سعد وقيل بن أسود بن سعد وقيل بن أسلم مولى الأنصار ، الحصين ابن الحارث بن المطلب أخو عبيدة ، حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسى ولم يذكره ابن إسحق ، حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي ذكره ابن عقبة وابن إسحق والواقدي ، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف قريش ويقال إنه من مذحج ، حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام النجاري ، حباب بن المنذر بن الجوح بن زيد ابن حرام السلمي

(خ) خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب النجاري ، خالد بن البكير الليثي ، خالد ابن قيس بن مالك بن العجلان الزرقى ، خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان الزرقى ، خلاد بن سويد بن ثعلبة الخزرجي ، خلاد بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام السلمي ، خليفة بن قيس بن النعمان السلمي ، خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأوسى ، خزيمة بن أوس بن يزيد بن أعرم ذكره ابن عقبة فيهم ، خباب بن الأرت التيمي ، خراش بن الصمة بن عمرو بن الجوح بن حرام السلمي الخزرجي ، خباب مولى عتبة ابن غزوان ، خبيب بن عدى الأوسى ، خبيب بن أساف الخزرجي ، خارجة بن زيد الخزرجي ، خارجة بن حمير الأشجعي حليف الأنصار ، خريم بن فاتك الأمدي صحب البخاري وغيره شهوده . خولى بن أبي خولى العجلي ويقال الجعفي حليف بني عدى ابن كعب ، خنيس بن حذافة السهمي ، خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس الأوسى وقيل إنه أصاب ساقه حجر في الطريق فرجع فضر به رسول الله ﷺ بسهمه وأجرد ، خليفة بن عدى الزرقى الأنصاري ذكره ابن عقبة وابن إسحق فيهم

(د) دقة بن إلياس بن عمرو الأنصاري

(ذ) ذكوان بن عبد قيس بن خليفة الزرقى ، ذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو ابن غبشان الخزاعي حليف بني زهرة واستشهد

(ر) رافع بن مالك بن العجلان الزرقى ذكره ابن عقبة فيهم وقيل رافع بن المعلى ابن لؤذان بن حارثة الخزرجي واستشهد ، رافع بن عنجرة وهي أمه وأبوه عبد الحارث

الأوسى ، رافع بن سهل بن رافع الأنصارى ذكره بعضهم فيهم ، رافع بن زيد ويقال ابن يزيد الأوسى ، رفاعه بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى ، رفاعه بن رافع ابن مالك بن العجلان الزرقى ، رفاعه بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسى ، رفاعه بن الحارث ابن رفاعه بن الحارث بن سواد هو أحد بنى عفره ذكره ابن إسحق فيهم وأنكر الواقدى وغيره شهوده ، ربعة بن أكتم بن سبخرة الأسدى ، الربيع بن إياس بن غنم الخزرجى ، ربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجند بن العجلان البلوى ، ربيعة بالجيم والحاء والخاء ثلاثة أقوال

(ز) زيد بن حارثة بن شراحيل السكلى مولى رسول الله ﷺ ، زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام أبو طلحة النجارى ، زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان البلوى حليف بنى عمرو ، زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب ، زيد بن المازن بن قيس الخزرجى ، زيد بن عاصم بن كعب بن منذر النجارى ، زيد بن وديعة بن عمرو الخزرجى ، الزبير بن العوام ، زياد بن نمير بن ثعلبة الزرقى ، زياد بن عمرو ويقال ابن بشر أخو ضمرة حليف الأنصار ومولى لبنى ساعدة ، زياد بن كعب بن عمرو بن عدى الجهنى ، زاهر ابن حرام الأشجعى

(س) سعيد بن زيد بن عمرو ضرب له رسول الله ﷺ اسمه وأجره على قول من قال إنه لم يشهدا ، سعد بن أبى وقاص الزهرى ، سعد بن معاذ سيد الأوس ، سعد بن خيثمة الأنصارى واستشهد ، سعد بن الربيع الخزرجى ، سعد بن مالك بن خالد الخزرجى والد سهل ابن سعد الساعدى ذكره الواقدى أنه خرج فمات فضرب له رسول الله ﷺ بأجره وسمه ، سعد بن عبادة ذكره بعضهم ولم يذكره ابن عقبة وابن إسحق ، سعد بن عبيد بن النعمان الأوسى ، سعد بن زيد بن الفاكه ، سعد بن خولى حليف لبنى عامر بن لؤى ، سعد ابن خولى مولى حاطب بن أبى بلتمعة من مذحج وقيل من الفرس ، سعد بن خولة العامرى القرئى عند بعضهم وعند بعضهم حليف لهم ، سعد بن عثمان بن خلدة الزرقى يكنى أبا عبادة ، سعد بن زيد الأوسى ذكره ابن إسحق فيهم ، سهل بن قيس بن أبى كعب السبلى ،

سهل بن عتيك بن النعمان النجاري ، سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم الأوسي ، سهل بن عدى ، سليم بن عمرو بن حديدة ويقال ابن عامر السلمي ، سليم بن الحارث ابن ثعلبة النجاري ، سليم بن ملحان النجاري ، سليم بن قيس بن فهد النجاري ، سليم أبو كبشة مولى النبي ﷺ ، سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي ، سلمة بن حاطب بن عمرو ابن عتيك الأنصاري ، سلمة بن سلامة بن وقش الأوسي ، سلمة بن ثابت بن وقش الأوسي ، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة ، سماك بن حرشه أبو دجانة الخزرجي ، سماك بن سعد أخو بشير بن سعد الخزرجي ، سنان بن أبي سنان الأسدي ، سنان بن صبيح بن صخر السلمي ، سهيل بن رافع النجاري وهو الذي كان له ولأخيه مسجد رسول الله ﷺ مر بداً قاله ابن عقبة ، سهيل بن عمرو بن أبي عمرو ، سهل بن بيضاء القرشي الفهري ، سايط ابن عمرو أخو سهيل بن عمرو العامري ذكره ابن عقبة فيهم ، سايط بن قيس بن عمرو النجاري ، سراقبة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى النجاري ، سراقبة بن عمرو بن عطية النجاري ، سبيع بن قيس الخزرجي ، سواد بن زيد ويقال ابن زريق السلمي ، سواد ابن غزيرة البلوي أو النجاري ، سويبط بن سعد بن حرملة العبدي القرشي ، السائب ابن مظعون أخو عثمان ، السائب بن عثمان بن مظعون ، سفيان بن بشر بن زيد (ش) شريك بن عبد عمرو بن قميظي الأوسي ، شماس بن عثمان الخزومي ، شجاع ابن أبي وهب الأسدي

(ص) صهيب بن سنان الرومي ، صفوان بن بيضاء الخزومي واستشهد ، صالح مولى رسول الله ﷺ يقال له شقران ذكره بعضهم

(ض) الضحاك بن حارثة السلمي ، الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود النجاري ، ضمرة بن عمرو بن بسب

(ط) طائفة بن عبيد الله ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، والطفيل ابن مالك بن خنساء السلمي ، والطفيل بن النعمان بن مالك بن خنساء . وليس في حرف الظاء أحد

(ع) عبد الله أبو بكر الصديق ، عبد الله بن مسعود ، عبد الله أبو سلمة بن عبد الأسد الخزرجي ، عبد الله بن رواحة الخزرجي ، عبد الله بن جحش الأسدي ، عبد الله بن ثعلبة ابن خزيمة البلوي حليف الخزرج ، عبد الله بن الجعد بن قيس السامي ، عبد الله بن جبير ابن النعمان الأوسي ، عبد الله بن ربيع بن قيس الخزرجي ، عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي ، عبد الله بن طارق البلوي ، عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري ، عبد الله ابن مظعون الجمحي ، عبد الله بن عبد الله بن أبي الخزرجي ، عبد الله بن عبيد مناف ابن النعمان السامي ، عبد الله بن عمرو بن حرام والله جابر السامي ، عبد الله بن عتبس ويقال عبيس الخزرجي ، عبد الله بن عتبس ولم ينسبوه وقالوا هو من حلفاء الخزرج ، عبد الله بن قيس بن خلدة النجاري ، عبد الله بن قيس بن صخر السامي ، عبد الله بن سعيد ابن العاص بن أمية ، عبد الله بن سراقبة بن المعتمر القرشي العدوي ذكره ابن إسحق فيهم ، عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري ، عبد الله بن سلمة البلوي ، عبد الله بن سهيل الأشجعي ، عبد الله بن مخزومة العامري القرشي ، عبد الله بن حمير الأشجعي ، عبد الله ابن عرفة ، عبد الله بن عبيد ، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السامي ، عبد الله بن عمير الخزرجي ، عبد الله بن عامر البلوي ، عبد الرحمن بن عوف ، عبد الرحمن بن كعب أبو ليلى الأنصاري ، عبد الرحمن بن جبير بن عمرو الأوسي ، عبد الرحمن بن عبد الله ابن ثعلبة البلوي ، عبد الرحمن بن سهل الأنصاري قال ابن عبد البر يقال إنه شهدها عبيد ابن أوس بن مالك الأوسي يقال له مقرن ، عبيد بن أبي عبيد الأوسي ، عبيد بن زيد ابن عامر بن العجلان ، عبد بن قيس بن عامر الزرق ، عبيدة بن الحارث بن المطلب واستشهد ، عبد يا ليل بن ثابت اللثي حليف بني عدى بن كعب ، عبد ربه بن حق الأوسي الخزرجي الساعدي ، عبادة بن الصامت الخزرجي ، عبادة بن قيس بن زيد الخزرجي ، عباد بن بشر الأوسي ، عباد بن عبيد بن التيمان الأوسي ، عباد بن قيس الزرق ، عباد ابن قيس بن عبسة بن أمية الخزرجي ، عباد بن عبادة بن الخشخاش البلوي ، عمر ابن الخطاب ، عمار بن ياسر ، عمير بن الحام بن الجوح السامي واستشهد ، عمير بن أبي

وقاص أخو سعد واستشهد ، عمير - والأكثرون يقولون عمرو - بن عوف مولى سهيل
ابن عمرو ، عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء النجاري كنيته أبو داود ، عمير بن معبد
ابن الأزهر الأنصاري ذكره بعضهم ، عمير بن حرام بن عمرو بن الجوح السلمي ، عمير
ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث السلمي ، عمرو بن معاذ أخو سعد ، عمرو بن أبي سرح
القرشي الفهري ، عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة النجاري ، عمرو بن طلق بن زيد
السلمي ، عمرو بن قيس بن زيد النجاري ذكره بعضهم ، عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي
النجاري ، عمرو بن الحارث الفهري ذكره ابن عقبة ، عمرو بن إلياس بن زيد بن جشم
حليف للأنصار ، عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ذكره ابن عقبة فيهم ،
عمرو بن سراقبة بن المعتمر القرشي العدوي ، عمرو بن الحارث بن نصير بن أبي شداد
الفهري ذكره بعضهم ، عامر بن عبد الله بن الجراح أبو عبيدة ، عامر بن أبي وقاص
أخو سعد ، عامر بن البكير اللثمي ، عامر بن ربيعة المزني حليف بني عدي ، عامر بن عبد
عمرو أبو جنة الأوسي ، عامر بن سلمة البلوي ، عامر بن الحارث الفهري ويقال عمرو ،
عامر بن ثابت بن أبي الأفلح أخو عاصم . عامر بن أمية بن زيد بن الحشاش النجاري ،
عامر بن مخلد بن الحارث النجاري ، عويمر بن أشقر بن عوف ، عامرة بن حزم أخو عمرو
ابن حزم النجاري ، عامرة بن أبي حسن النجاري ، عثمان بن عفان ضرب له بسمه وأجره ،
عثمان بن مظعون ، علي بن أبي طالب ، عقبة بن وهب ويقال أبي وهب الأسدي ، عقبة
ابن وهب بن كادة الغطفاني حليف الخزرج ، عقبة بن عامر بن نابی بن زيد بن حرام
السلمي ، عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد الزرق ، عقبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل ،
عقبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء السلمي ، عقبة بن ربيعة البهراني حليف للأنصار ذكره
بعضهم فيمن شهدا ، عياض بن زهير الفهري ، عوف بن أثانة المعروف بمسطح المطلب ،
عوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء واستشهد ، عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح
الأوسي ، عاصم - ويقال عامر - بن العكبر حليف للأنصار ذكره ابن عقبة فيهم ،
عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان الأوسي ، عاصم بن عدي البلوي وقيل بل ردد رسول

الله وضرب له بسهمه وأجره ، عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان الخزرجي ،
عصمة الأشجعي حليف لهم ذكره ابن عقبة فيمن شهدها ، عصيمة الأسدي حليف لبني
النجار ، عصيمة الأشجعي حليف لهم ، عدى بن الزغباء الجهني ، عطية بن نويرة بن عامر
الزرقى ، عائد بن ماعص بن قيس الزرقى ، عيس بن عامر بن عدى السلمي ، عكاشة
ابن محصن الأسدي ، عوذ بن عفراء ، عتبان بن مالك الخزرجي ذكره أكثرهم ، عتيك
- ويقال عبيد - بن التيهان الأوسي ، عنترة مولى سليم بن عمرو وقيل هو من بني سليم
ابن منصور ، عاقل بن البكير الليثي واستشهد ، علفنة بن عدى بن عمرو الزرقى كذا قال
ابن هشام بالعين وقال ابن إسحق خليفة بالحاء ، عويم بن ساعدة الأوسي

(غ) غنام بن أوس الزرقى

(ف) فروة بن عمرو بن ودقة الزرقى ، الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد
ابن خلدة الزرقى

(ق) قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري ، قيس بن محصن بن خالد بن مخلد الزرقى ،
قيس بن أبي صعصعة النجاري ، قيس بن مكن بن قيس النجاري ، قيس بن عمرو
ابن قيس ذكره بعضهم ، قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ، قطبة بن عامر بن حديدة
السلمي ، قداعة بن مظعون الجمحي

(ك) كهب بن عمرو بن عباد أبو اليسر السلمي ، كهب بن زيد النجاري ، كهب
ابن حمار - وقيل جمار - وهو أخو سعد الجهني ، كثير بن عمرو من بني سليم حليف بني
أسد ذكره ابن إسحق وفي رواية زياد من شهدها ، كنان بن الحصين أبو مرثد الغنوي

(ل) لقيط بن عصر البلوي ، لبد بن قيس بن النعمان السلمي ذكره ابن الكلبي فيهم
(م) محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ ، محمد بن مسلمة الأوسي ، معاذ بن جبل
الخزرجي ، معاذ بن الحارث هو ابن عفراء ، معاذ بن عمرو بن الجوح السلمي ، معاذ
ابن ماعص الزرقى ذكره ابن الكلبي ، محمود بن مسلمة أخو محمد ذكره ابن الكلبي فيهم ،
مالك بن التيهان أبو الهيثم البلوي حليف لبني عبد الأشهل وقيل إنه من أنفسهم ، مالك

ابن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي ، مالك بن قدامة بن عرجة الأوسي ، مالك
ابن رافع بن مالك بن العجلان ، مالك بن عمرو من بني سليم حليف لبني عبد شمس ،
مالك بن أبي خولى حليف الأنصار ، مالك بن ربيعة أبو أميد الساعدي ، مالك بن أمية
ابن عمرو من بني سليم حليف بني أسد ، مالك بن الدخشم الأوسي ، مالك بن نميلة وهي أمه
وأبوه ثابت المزني حليف الأوس ، مالك بن مسعود الساعدي ، معقل بن المنذر السامي ،
مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، معمر بن الحارث بن معمر الجحفي ، محرز بن فضلة الأسدي ،
محرز بن عامر النجاري ، معوذ بن الحارث وهو ابن عفراء ، معوذ بن عمرو بن الجهم
السامي ، ممن بن عدي أخو عاصم البلوي ، مسعود بن عبد سعد الأوسي ، مسعود بن الربيع
ويقال ابن ربيعة من بني الهون بن خزيمية ، مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة الزرق ،
مسعود بن خلدة الزرق ، مسعود بن أوس بن زيد النجاري ، مسعود أبو محمد ، معبد
ابن قيس بن صخر بن حرام السامي ، معبد بن عباد بن قشير أبو خبيصة الخزرجي ، معبد
ابن وهب العبدي ، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي ، المنذر بن محمد بن عقبة الأوسي ،
المنذر بن قدامة الأوسي ، المنذر بن عرجة الأوسي ، معتب بن حراء الخزاعي ويقال البلوي ،
معتب بن بشير ويقال ابن قشير بن مائل الأوسي ، مغيث بن عبيد البلوي ، مرارة بن ربيع
ويقال ابن الزبيع الأوسي^(١) ، مصعب بن عمير ، المقداد بن عمرو السكندري ، مبشر
ابن عبد المنذر الأوسي واستشهد ، المجذر بن زياد البلوي ، مائل بن وبرة بن خالد
ابن العجلان الخزرجي ، مهجع بن صالح العكي مولى عمرو واستشهد ، مدلاج بن عمرو

(ن) نوفل بن ثعلبة بن عبد الخزرجي ، النعمان بن عبد عمرو بن مسعود النجاري ،
النعمان بن عصر بن الربيع البلوي ، نعيم^(٢) بن عمرو بن رفاعة النجاري ، النعمان بن مالك

(١) كذا ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن مرارة شهد بدرآ ، وصحح أبو بكر الأثرم
وغيره أنه لم يشهدا وأن قول الزبير في حديث كعب بن مالك في الصحيحين أنه شهدا
غلط من الزبير كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله في غزوة تبوك (عن هامش الأصل) .

(٢) المزاح

ابن ثعلبة الخزرجي ، النعمان بن يسار مولى لبني سلامة ، النعمان بن ثابت ، النعمان بن أبي جذمة ، نصر بن الحارث بن عبد الأوسى

(و) وهب بن سرح بن سعد بن ربيعة بن هلال القهري ، وهب بن محصن الأسدي ، واقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي ، ورقة بن إلياس بن عمرو بن غنم الخزرجي ، ودبة بن عمرو الجهمي حليف بني النجار

(هـ) هاني بن نيار أبو بردة البلوي ، هلال بن المعلى بن لوذان الخزرجي ، هلال ابن أبي خولى عمرو بن زهير الجعفي حليف الخطاب بن نفيل ذكره ابن عقبة وابن الكلبي ، هبيل بن وبرة الأنصاري ذكر ابن المنذر عن عروة أنه شهدها

(ي) يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الخزرجي واستشهد ، يزيد بن المنذر بن سرح ابن خناس السلمي ، يزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر السلمي ذكره موسى وغيره ، يزيد بن ثابت بن الضحاك أخو زيد ذكره بعضهم ومن يعرف بكنيته ولا يعرف اسمه : أبو كبشة مولى رسول الله ، أبو حذيفة بن عتبة أبو الحراء مولى الحارث بن رفاعه

أبو حريثة بن أوس ، أبو سبرة ، أبو مليل بن الأزعر

وقال حمزة بن عبد المطاب في يوم بدر وبعضهم ينكرها حمزة :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر	ولاحين أسباب مبيّنة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أقادهم	فخانوا تواصوا بالعقوق والكفر
عشيّة راحوا نحو بدر بجمعهم	فكانوا رهوناً للرّكبة من بدر
وكنا طالبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مشنوية	لنا غير طعن بالثقة السمر
وضرب ببيض يختلئ الرأس حدها	مشهرة الألوان بينة الإثر
ونحن تركنا عتبة النغي ثاويًا	وشيبة في قتلى تجرّج في الجفر

وعمرؤ ثوى فيمن ثوى من حاتمهم
جيوب نساء من اوى بن غالب
اولئك قوم قتلوا في ضلالهم
لواء ضلال قاد إبليس أهله
وقال لهم إذ عين الأمر واضحاً
فإني أرى ما لا ترون وإني
فقد منهم للحين حتى تورطوا
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا
وفينا جنود الله حين يُمدنا
فشدد بهم جبريل تحت لوائنا
فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة فقال :

الا يا قوم للصباية والهجر
وللدمع من عينيّ جوداً كأنه
على البطل الحلو الشمايل إذ ثوى
فلا تبعذن يا عمرو من ذى قرابة
فإن يك قوم صادفوا منك دولة
فقد كنت في صرف الزمان الذى مضى
فإلا أمت يا عمرو أتركك نائراً
وأقطع ظهراً من رجال بمعشر
أغرهم ما جمعوا من وشيظة^(١)
فيال لؤي ذبيوا عن حريمكم
توارثها آباؤكم وورثتم

(١) الوشيظة : الاتباع

فما لحليم قد أراد هلاككم
وجددوا لمن عادى قمو وتوازروا
لعلكم أن تشأروا بأخيسكم
بطرقات في الأكف كأنها
كأن مدب الذر فوق مقونها
إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر
فلا تعذروه آل غالب من عذر
وكونوا جميعاً في التأمي وفي الصبر
ولا شيء إن لم تشأروا بذوى عمرو
وميض تطير الهام بينة الأثر
إذا جردت يوماً لأعدائها الخزر

قال ابن هشام : أبدلنا فيها كلمتين مما روى ابن إسحاق وهما « الفخر » و « فما لحليم »
لأنه نال فيها من النبي ﷺ

وقال ضرار بن الخطاب القمري :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
وفخر بني النجار إن كان بعشر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم
ووسط بني النجار سوف نكرها
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم
وتبسكهم من أهل يثرب نسوة
وذلك أنا لا تزال سيوفنا
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما
وبالفقر الأخيار هم أولياؤه
بعد أبو بكر وحرزة فيهم
أولئك لا من نمتج في ديارها
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
هم الطامعون الخيل في كل معرك
عليهم غدا والدهر فيه بصائر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإننا رجلا بعدهم سنغادر
بني الأوس حتى يشقى النفس نائر
لها بالقنا والدارعين زوافر
وليس لهم إلا الأمان ناصر
لهم بها ليل عن النوم ساهر
بهن دم ممن يحاربن مائر
بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
يحامون في الأواء والموت حاضر
ويدعى على وسط من أنت ذا كر
بنو الأوس والنجار حين تفاخر
إذا عدت الأنساب كعب وعاصر
غداة الهياج الأطيبون الأكابر

فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة :

عجبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بدر أن نلاق معشراً
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بني النجار تحت لوائه
فلما أقيفناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وقد عرّيت بيض خفاف كأنها
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
فكعب أبو جهل صريعاً لوجهه
وشيبة والتميم غادرين في الوغى
فأمسوا وقود النار في مستقرها
تلظى عليهم وهي قد شبّ حميها
وكان رسول الله قد قال أقبلوا
لأمر أراد الله أن يهلكوا به

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرُ 'يَبْكِي قَتْلَ بَدْر' ، وتروى للأعشى بن زرارة التميمي :

ماذا على بدر وماذا حوله
تركوا نبيهاً بينهم ومنهياً
والحارث الفياض يبرق وجهه
والعاصي بن منبّه ذا مرّة
تنمى به أعراقه وجدوده
من فتية بيض الوجوه كرام
وابنى ربيعة خير خصم فئام
كالبدر جلّ ليلته الإظلام
رحمًا تميّا غير ذى أوصام
ومآثر الأخوال والأعمام

وإذا بكى باك فأعول شجوه فعل الرئيس الماجد ابن هشام
حيا الإله أبا الوليد ورهطه رب الأنام وخصه بسلام
فأجابة حسان بن ثابت :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم تعلُّ غروبها سبَّام
ماذا بكيت به الذين تتابعوا هلا ذكرت مكارم الأقسام
وذكرت منا ما حدا ذا همة سمح الخلاق صادق الإقدام
أعنى النبي أبا المكارم والندى وأبرّ من يولى على الأقسام
فأمثله ولشل ما يدعو له كان الممدح ثم غير كهام
وقال حسان أيضاً :

تبلى فؤادك فى المنام خريدة تشفى الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخاطه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدام
فأنج الحقيية بوصفها متنضد بليل غير وشيكة الأقسام
بنيت على قطن أجتم كأنه فضلا إذا قعدت مذاك رُخام^(١)
وتكاد تكسل أن تجيء فراشها فى جسم خرعة^(٢) وحسن قوام
أما النهار فلا أفتّر ذكرها والليل توزعنى بها أحلامى
أقسمت أنساها وأترك ذكرها حتى تغيب فى الضريح عظامى
بل من لعاذلة تلوم سفاهة ولقد عصيت على الهوى لوامى
بكرت على بسجرة بمد السكوى وتقارب من حادث الأيام
زعمت بأن المرء يكرب عمره عدم لمعتكر من الإصرام
إن كنت كاذبة الذى حدثنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طميرة والجمام

(١) القطن : الساق . المذاك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب

(٢) الخرعة : اللينة الناعمة

تذرُ العناجيج الجياد بقفرة مَرَّ الدموك بمحصد ورجام^(١)
 ملأت به النرجين فارمدت به^(٢) وثوى أحبته بشر مقام
 وبنو أبيه ورهطه في معرك نصر الإله به ذوى الإسلام
 طَحَمَتْهُمْ وَاللَّهِ يَنْفِذُ أَمْرَهُ حرب يشب سميرها بضرام
 لولا الإله وجريها لتركته جَزَرَ السباع ودُسفه بحوام
 من بين مأسور يُشدُّ وثاقه صقر إذا لاقى الأسفة حام
 ومُجَدَّل لا يستجيب لدعوة حتى تزول شوامخ الأعلام
 بالعار والذل المبين إذا رأى بيض السيوف تسوق كل همّام
 يَيْدَى أَعْرًا إذا انتمى لم يُخْزِهِ نسبُ القصار سميذع مقسّام
 بيض إذا لاقى حديدًا صممت كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام : فأجابه الحارث بن هشام فقال :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مُهرى باشقر مزبد
 ووجدت ریح الموت من تلقائهم في مأزق والخيل لم تنبدد
 وعرفت أنى إن أقاتل واحداً أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
 فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وكان الأصمى يقول : هذا أحسن ما قيل فى الاعتذار . وقال خلف الأحمر : أحسن

ما قيل فى ذلك أبيات هبيرة بن أبى وهب المحزومى :

لعمرك ما وليت ظهري محمداً وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل
 ولكننى قلبت أمري فلم أجد لسيفى مساعاً إن ضربت ولا نبلى
 وقفت فلما خفت ضيعة موقفى رجعت بعود كالهزبر إلى الشبل

(١) العناجيج : الحسان ، الدموك : البكرة فيها الخيل

(٢) ارمدت : أسرعت

وغزا الحارث بن هشام أحداً مع المشركين ، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ،
وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ، وكان من المؤلفة قلوبهم
وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقب رمضان وأوائل شوال . وفي أول
شوال صلى صلاة الفطر

غزوة بنى سليم

وفي أوائل شوال ، وقيل بعد بدر بسبعة أيام ، وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث ،
خرج عليه الصلاة والسلام يريد بنى سليم ، فبلغ ما يقال له قرقرة السكدر ، وهي أرض
ملساء ، والسكدر طير في لونها كدرة ، فأقام بها ثلاث ليال وقيل عشرًا فلم يلق حرباً ،
وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، واستخاف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري وقيل
ابن أم مكتوم ، وحمل اللواء على بن أبي طالب ، وقيل إنه أصاب لهم نعمًا يزيد على خمسمائة
وغلماً يقال له يسار فأعتقه ، ورجع ولم يلق كيداً . وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من
بنى سليم وغطفان فسار إليهم فلم يجد في الحال أحداً

غزوة السويق

قال ابن إسحق : ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق وكان نذر أن لا يمس رأسه
من جنابة حتى ينزول محمداً ، فخرج في مائتي راكب من قریش ليبر يمينه حتى نزل بصدر
قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى
النضير تحت الليل ، فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخاف ،
فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ،
فاستأذن عليه فأذن فقرأ وسقاه ووطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى
أصحابه فبعث رجالاً من قریش إلى المدينة فأتوا ناحية فخرقوا في أصوار من نخل بها ،
ووجدوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها فقتلوا ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم
رسول الله ﷺ فخرج في طلبهم حتى بلغ قرقرة السكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاتته

أبر سفيان وأصحابه ، وطرحوا كثيراً من أزوادهم يتخفقون منها للنجاء ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويق ، فقال المسلمون : يا رسول الله أتطمع أن لنا غزوة^(١) ؟ قال : نعم وفي ذى الحجة من هذه السنة صلى رسول الله ﷺ العيد وأمر بالأخمية ، وفيها مات عثمان بن مظعون . وفيها تزوج على بفاطمة وبنى بها بعد تزوجها بسبعة أشهر ونصف ، وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وسنة يومئذ نحو إحدى وعشرين وخمسة أشهر ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت

غزوة غطفان

وهي غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم ، وسماها الحاكيم غزوة أمار ، وهي بناحية نجد ، وكانت اثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة . ومبها أن جمعاً من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة ، جمعهم دعثور بن الحارث الحاربي ، وسماه الخطيب غورث وغيره عورك ، وكان شجاعاً . فندب رسول الله ﷺ المسلمين ، وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان . فلما سمعوا بمهبطة هبطوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلاً منهم يقال له جبار من بنى ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال ، وأصاب النبي ﷺ مطر ، فنزع ثوبه ونشرها على شجرة ليمجها واضطجع تحتها وهم ينظرون ، فقالوا : قد انفرد محمداً فعليك به ، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : الله . فدفع جبريل في صدره فوق السيف من يده فأخذه النبي ﷺ فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام ، وأنزل الله ﷻ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم في الآية . ويقال كان ذلك في ذات الرقاع . ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيداً . وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة

غزوة نجران

وتسمى غزوة بنى سليم من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء . وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن بها جمعاً كثيراً من بنى سليم ، فخرج في ثلاث مائة رجل من أصحابه ، فوجدهم قد تفرقوا في مياهمهم ، فرجع ولم يبق كيداً . وكان قد امتعمل على المدينة ابن أم مكتوم كما قاله ابن هشام ، وكانت غيبته عشر ليال . وقيل إنه خرج يريد قريشاً ، ذكره ابن إسحاق

(سرية زيد بن حارثة) إلى القردة بالقاف المفتوحة والراء الساكنة ، وقيل بالفاء وكسر الراء ، اسم ماء من مياها نجد . وسببها كما قاله ابن إسحاق أن قريشاً خافوا من طرقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلوكوا طريق العراق ، وكان فيهم أبو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة ، فلقيتهم زيد ومن معه على ماء يقال له القردة ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ . وعند ابن سعد : وكان مبعثه على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة في مائة راكب يعترض عيراً لقريش ، فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة فأصابوها ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ ، وخسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم

غزوة بنى قينقاع

بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر . قال ابن سعد : وكان يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة ، وكانوا أول من نقض العهد . قال ابن إسحاق : وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ، لا يفر منك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصببت منهم فرصة ، إنا والله لنن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس . قال فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير

أو عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ قتل للذين كفروا مغفلون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنتين اتقنا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ الآية

وكان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي ، فراودها على كشف وجهها فأبت ، فعمد إلى طرف ثوبها فعمقه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواها فصاحت ، فضحكوا منها . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله . فشددت اليهود على المسلم فقتلوه . ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع ، فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة ، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض . فغذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية . فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة بتسكينهم ، وكلم عبد الله بن أبي بن سلول رسول الله ﷺ فيهم وألح عليه من أجلهم فقال : خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم . وأمر أن يجلبوا من المدينة وتركهم من القتل . وتولى ذلك عبادة بن الصامت ، فاحرقوا بأذرعات ، فلما كان أقل بقاءهم ، وخست أموالهم ، فأخذ رسول الله ﷺ صفيه الخمس وفض بقية أخماسه على أصحابه ، فسكان أول ما خمس بعد بدر . ذكر ذلك ابن سعد . قال في عيون الأثر : كذا وقع في رواية « صفيه الخمس » والمعروف أن الصفي غير الخمس . وعن الشعبي قال : كان لرسول الله ﷺ منهم يدعى « الصفي » قبل الخمس . وعن عائشة قالت : كانت صفية من الصفي . فلا أدري أسقطت الواو^(١) أم كان هذا قبل حكم الصفي . انتهى والله أعلم

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت ، فغزوا عبادة من حلفهم فقال : يا رسول الله أتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم . فقيه وفي عبد الله أنزل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

(١) فتكون الرواية « صفيه والخمس »

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴿ إلى قوله ﴾ فإن حزب الله هم الغالبون ﴿ وكانوا
أربعمائة حامر وثلاثمائة دارع ، وكانوا صاغة وتجاراً ، ولم يكن لهم أرضون

سرية كعب بن الأشرف

ذكر ابن سعد أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس
خمس وعشرين من مهاجرة عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب القليب
يوم بدر وقدم زيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية
يبدشان بالفتح قال كعب - وكان رجلاً من طي - ثم أحد بنى نهبان ، وكانت أمه من بنى
النضير - أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هؤلاء الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف
العرب وملوك الناس . والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .
فلما أيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ،
وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكى على أصحاب القليب ، ثم رجع
إلى المدينة فشجب بنساء المسلمين حتى آذاهم . وذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عبد الله
ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال : ثم انبعث عدو الله يهجو رسول الله والمسلمين ويمدح
عدوهم ويحرضهم عليهم ، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قریش فاستعواهم على رسول الله ،
فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأى ديننا أهدى
في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل : فقال رسول الله
ﷺ : من لنا بأبن الأشرف ، فقد استعلن بعداوتنا وهجاننا ، وقد خرج إلى قریش فأجمعهم
على قتالنا ، وقد أخبرني الله بذلك ، ثم قدم أخبث ما كان ينتظر قریشاً تقدم عليه فيقاتلنا .
ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله فيه : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون
ياجبث والطاغوت ﴾ الآية

وروى البخارى في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : من لكعب

ابن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله اتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : قل : فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وإنه قد عنا . قال : وأيضاً والله لئملته . قال : فإننا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين . فقال : نعم : ارهنوني . فقالوا : أى شيء تريد ؟ قال : ارهنوني نسائك . قالوا : كيف نرهنك نسائنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : فأرهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين ؟ هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللأمة — قال سفيان : يعنى السلاح — فواعدده أن يأتيه ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ قال : إنما هو محمد بن مسلمة ، وأخى ورضيى أبو نائلة . وقال غير عمرو : قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . فقال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ، ورضيى أبو نائلة . إن الكريم لو دعى إلى طمئة أجاب . قال : ويدخل محمد بن مسلمة برجلين . قيل لسفيان : سمع عمرو ؟ قال : سعى بعضهم . قال عمرو : جاء معه برجلين . وقال غير عمرو : أبو عبس ابن جبير والحارث بن أوس وعبادة بن بشر . قال عمرو : فقال : إذا ما جاء فإني قاتل بشره فأشبهه ، فإذا رأيتهمنى استمكنت من رأسه فدونكم فأضربوه . وقال مرة ثم أشمكم . فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ ريح الطيب فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً ، أى أطيب . وقال غير عمرو : قل عندى أعطر نساء العرب ، وأكمل العرب . قال عمرو فقال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم . فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال : أتأذن لي قال : نعم ، فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه . انتهى . وفي رواية ابن سعد : فلما قتلوه وبلغوا بقيع العرقد كبروا . وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه . فلما انتهوا إليه قال : أفلحت الوجوه . قالوا : ووجهك يا رسول الله . ورموا برأسه بين يديه . فحمد الله على قتله ، وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم ، فقتل عليه الصلاة والسلام على جرحه فلم يؤذ به بعد .

زاد ابن إسحاق في روايته : فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعد ، والله فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه . وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه . فوثب محيصة بن مسعود على ابن سبيته رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يقول : أى عدو الله أقتلته ؟ قال : أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال محيصة : قتل : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة . قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله . قال : فوالله إن ديناً بالغ بك هذا لعجب . فأسلم حويصة

غزوة أحد

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها ، وسمى بذلك لتوحيده وانقطاعه عن جبال آخر هناك ، ويقال له ذوعينين . قال في القاموس : بكسر العين وفتحها مثني ، جبل بأحد ، وهو الذى قال فيه عليه الصلاة والسلام : أحد جبل يحبنا ونحبه ، وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال بالاتفاق يوم السبت لأحد عشر ليلة خلت منه ، وقيل لسمع ليال خلون منه ، وقيل في نصفه ، وعن مالك : بعد بدر بسنة ، وعنه أيضاً : كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة

وكان سببها كما ذكره ابن إسحاق عن شيوخه ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب ، وأبو الأسود عن عروة وابن سعد قالوا ، ومن قال معهم : إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيب أصحاب القليب . ورجع أبو سفيان بعيره . قال عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل في جماعة ممن أصيب آبائهم وإخوانهم وأبنائهم يوم بدر : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حرب به - يعنون غير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة - لعلنا أن ندرك منه ثاراً . فأجابوا لذلك ، فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار ، وفيهم كما قال ابن إسحاق وغيره أنزل

الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيَنْفَقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

ولما اجتمعت قریش لحرب رسول الله ﷺ كتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم ، وسار بهم أبو سفيان حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف من قریش والحلفاء والأحابيش ، وجاءوا معهم بنساءهم لئلا يفروا ، وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله للمسلمين : إني قد رأيت والله خيراً : رأيت بقرأً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المديفة . فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا بشرّ مقام فامسكوا ، فإن دخل القوم الأذقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت . ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتته الخروج يوم بدر فقالوا : يا رسول الله كننا نتمنى هذا اليوم ، أخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جيتنا عنهم . فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبر أن لهم النصر بما صبروا ، وأمرهم بالتميز لعدوهم . ففرح الناس بذلك . ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل عليه السلام بيته ومعه أصحابه أبو بكر وعمر فعماه وألبساه ، وصف الناس ينظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج ، فردوا الأمر إليه . فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته - وهي بالهمز وقد يترك تخفيفاً الدرع - وتقلد السيف فندموا جميعاً على ما صنعوا فقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، فقال : ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه

وفي حديث ابن عباس عند أحد والنسائي وصححه الخاكم نحو حديث ابن إسحاق

وعقد ﷺ ثلاثة ألوية : لواء بيد أسيد بن حضير ، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي

طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ، ولواء الخرزج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد ابن عباد . وفي المسلمين مائة دارع . وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة ، وأدلى عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم ، منهم أسامة بن زيد وابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وعرابة بن أوس وعمر بن حزم . انتهى . هكذا ذكر جماعة من أهل السير منهم ابن إسحق أن البراء بن عازب ممن رده رسول الله في ذلك اليوم ، وحديثه في البخاري يدل على شهوده القتال ذلك اليوم . انتهى . وأجاب من رآه مطيقا ، وكان منهم سمرة بن جندب ورافع بن خديج ولها خمس عشرة سنة ، وكان المسلمون ألف رجل ويقال تسع مائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر فيمن تبعه من قومه وقال : يخالفني ويسمع من غيري ، فقبضهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر يومئذهم ويحرضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا : لو علم أنكم تقتلون لم نرجع . فرجع عنهم وسبهم . وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بمخالفاتهم من يهود فآبى ، فسلك حرة بنى حارثة وقال : من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب ؟ فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين وكان أعشى ، فقام يحمي التراب في وجوه المسلمين ويقول : لا أحل لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله . فابتدره القوم ليعقلوه فقال : لا تقتلوه فهذا أعشى القلب والبصر . ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره إلى أحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم ، فلما أصبح يوم السبت تعباً للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسا ، وجعل رسول الله ﷺ على الرماة وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير وقال : إن رأيتمونا تحطفتنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأنهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، كذا في البخاري من حديث البراء . وفي حديث ابن عباس عند أحد والطبراني والحاكم أنه ﷺ أقامهم في موضع ثم قال :

أحوا ظهورنا ، فإن رأيتمونا تقتل فلا تنصرفوا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام ، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو ، وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وتعبت قریش فجعلوا على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل . وقال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سمالك بن خرشه فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني . قال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب . فلما رآه عليه السلام يتبختر قال : إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن

فاقتل الناس حتى حيت الحرب ، فقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس ، وقاتل حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله قتالا شديداً حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود بن شعوب الليثي فقتله ، فقال ﷺ : إن حنظلة لنفسه الملائكة . فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي قحافة : خرج وهو جنب . فقال عليه السلام : لذلك غسانه الملائكة . وبذلك تمسك من قال من العلماء إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً اقتداءً بالملائكة

وكان أول من بدر من المشركين يومئذ أبو عامر الفاسق ، وكان رأس الأوس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام شرب به وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة ، فخرج من المدينة وذهب إلى قریش يؤلبهم على رسول الله ﷺ كما تقدم ، ووعدهم أن قومه إذا رأوه أطاعوه ومانوا معه ، وكان أول من نقي المسلمين يومئذ قنادى قومه وتعرف إليهم فقالوا : لا أنعم الله بك علينا يا فاسق فقال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً . وكان شعار المسلمين : أمت أمت . وأبلى أبو دجانة وطلحة بن عبيد الله وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب والنضر بن أنس وسعد بن الربيع ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين فمسحوا بالسيوف فانهزم عدو الله وولوا مدبرين حتى انتهوا

إلى نسائهم . وفي حديث البراء عند البخارى فى الصحيح : فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشمددن فى الجبل يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن . قال البراء ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمة الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ؟ قالوا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبوا منهزمين . وفي حديث عائشة عند البخارى أيضاً : لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة ، فصاح إبليس : أى عباد الله أخراكم ، أى احترزوا من ورائكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى . قالت : فوالله ما احترزوا عنه حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله . وذكر غير البخارى أن رسول الله ﷺ أراد أن يديه ، فقال حذيفة : تصدقت بديته على المسلمين . فزاد ذلك حذيفة خيراً عند النبي ﷺ . وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوق القتل فى المسلمين بعضهم من بعض . وفى رواية غيرها : ونظر خالد بن الوليد ومن معه إلى خلاء الجبل وقلة أهله فسكر بالخييل ، وتبعه عكرمة بن أبى جهيل فحملوا على من بقى من النفر الرماة فقتلوه وأميرهم عبد الله بن جبير . وعند ابن إسحق عن الزبير أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدام هند بنت عتبة وصواحبه مشمرت هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه خلوا ظهورنا للخييل فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ! فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، ولم يزل اللواء صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به ، وكان اللواء مع صواب غلام لبنى أبى طلحة حبشى ، وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدرة وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت ؟ يقول أعذرت . وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، كان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلاص العدو إلى رسول الله

ﷺ فدق بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج في وجهه وكبت شفته السفلى ، وكان الذى أصابه عقبة بن أبى وقاص ، وسقط رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الفاسق يكيد بها فأخذ على يديه ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله ، وكان الذى تولى أذاه عبد الله بن قنثة وهو الذى شجّه في وجهه ، وفي الطبرانى أنه هو الذى شج رسول الله ﷺ وكسر رباعيته فقال : خذها وأنا ابن قنثة . فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه : أمّاك الله ، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وعند ابن عائد من طريق الأوزاعى : بلغنا أنه لما خرج رسول الله ﷺ يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال : لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون . وقال نافع بن جبير : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية رسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه ، واقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجى ، ورسول الله ﷺ إلى أحد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله أنه منا ممنوع ، فخرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . وروى ابن إسحق عن حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبی ﷺ وشيخ في وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم في الآية . ورواه مسلم بنحوه . ورواه أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن حميد به . وفي الصحيحين عن سعد قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما بياض كأشد القتال ، وما رأيتهما قبل ولا بعد . وفي رواية لها : يعنى جبريل وميكائيل . وفي رواية لها : رأيت عن يمين النبی ﷺ وشماله رجلين .. الحديث . وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال : قال النبی ﷺ يوم أحد : هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب . وفي البخارى من حديث البراء : لم يبق معه ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً ، فذلك إذ يدعوهم الرسول في آخرهم . وفي صحيح مسلم أنه ﷺ أفرد

يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش . فلما رهبوه قال : من يردهم عنا وله الجنة . فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ ما أصفنا أحبابنا . يروى بفتح الفاء وباسكانها . انتهى . ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه ، وترس أبو دجانة عليه بظهره والنبل يقع وهو لا يتحرك ، وحينئذ قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص : ارم فذاك أبي . أخرجاه في الصحيحين . وفي رواية عن سعد قال : سألني رسول الله ﷺ كنيته وقال : ارم فذاك أبي وأمي . وفيها عن أبي عثمان قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيها غير طلحة بن عبيد الله وسعد . وفي البخاري عن قيس قال : رأيت يد طلحة سلا . وفيها النبي ﷺ يوم أحد . وفي صحيح ابن حبان عن عائشة قالت قال أبو بكر الصديق : لما كان يوم أحد انصرف الناس عن النبي ﷺ ، فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه ، فقلت كن طلحة فذاك أبي وأمي ، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كالطير حتى لحقني ، فدفعنا إلى النبي ﷺ ، فإذا طلحة بين يديه صريعا ، فقال النبي ﷺ : دونكم أخاكم فقد أوجب ، وقد رمى النبي ﷺ في وجهه ورمى في جبهته حتى غابت حلقتان من حلق المغفر في جبهته ، فذهبت لأنزعهما فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني . قال فأخذ بفيه فجعل ينضمضه كراهية أن يؤذى النبي ﷺ ، ثم استل السهم فندرت ثنية أبي عبيدة ، ثم ذهبت أخذ الأخرى فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني : قال فأخذ بفيه فجعل ينضمضه ثم سله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ، ثم قال النبي ﷺ : دونكم أخاكم قد أوجب . قال فأقبانا على طلحة فعالجه وقد أصابه بضع عشرة ضربة . وقيل نشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فأنزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعرض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه : ورواه أبو داود الطيالسي حدثنا ابن المبارك عن إسحق بن يحيى ابن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن عائشة قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة . ثم أنشأ يحدث فذكر نحوه ، وفيه : إن أبا عبيدة

استخرج الحلقة ، وكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتما . وامتنص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ، فقال ﷺ : بحه . فقال : والله لا أبجه أبداً . ثم أدير يقاتل ، فقال النبي ﷺ : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فليُنظر إلى هذا . فقتل شهيداً . وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قنفة وهو يظنه رسول الله ، فصاح ابن قنفة : إن محمداً قتل . وأعطى رسول الله اللواء بعده علي بن أبي طالب فقاتل قتالا شديداً . وصرخ الشيطان : إن محمداً قد قتل . فوقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين . وصر أنس بن النضر بقوم قد ألقوا بأيديهم فقال : يا قوم ما تنتظرون ؟ فقالوا : قتل رسول الله . فقال : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم استقبل الناس ، ولقي سعد بن معاذ فقال : يا سعد إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد . ثم استقبل المشركين وقال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء . يعنى المشركين . ثم قاتل حتى قتل لما عرفه إلا أخته بيناته . ووجدوا به سبعين ضربة . أخرجه البخارى من حديث أنس . ووجدوا يومئذ بعبد الرحمن بن عوف نحو عشرين جراحة ، بعضها في رجله فخرج منها إلى أن مات . وصر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشخط في دمه فقال : يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال : إن كان قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم . فنزلت ﷺ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴿ الآية ﴾ . وأقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين ، وكان أول من عرفه كعب بن مالك الشاعر ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله . فأشار إليه رسول الله أن اصمت . فلما عرفه المسلمون لاذوا به ونهضوا معه إلى الشعب ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطائفة والزيبر والحارث بن الصمة الأنصارى وغيرهم

عمر بن الخطاب

قال ابن إسحق فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف على جواد له زعم الله أنه يقتل عليه رسول الله ، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر

البعير ، ثم استقبله عليه السلام فطعمه بها . طعمه وقع بها عن فرسه ولم يخرج لها دم ، فسكر ضاماً من أضلاعه . فلما رجع إلى قريش قال : قتلتني والله محمد ، أليس قد قال لي بككة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلني . فمات عدو الله بسرف . رواه البيهقي وأبو نعيم ، ولم يذكر فسكر ضاماً من أضلاعه . وفي رواية أبي الأسود عن عروة : فاحتمله أصحابه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك ، إنما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتل أيماً . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل ذى الجواز لما أتوا جميعاً . فمات إلى النار . وقد رواه موسى بن عتبة في منازيه عن الزهري عن ابن المسيب بنحوه

قال ابن إسحق : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب ملأ على بن أبي طالب درقته من الميراس - قيل هو صخرة منقورة تسع كثيراً ، وقيل هو اسم ماء بأحد - فجاء به رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه ، وغسل عن وجهه الدم وحصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه . وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن عثمان الجريري عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه وقال : اللهم لا تحمل عليه الحول حتى يموت كافراً ، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار . وفي الصحيحين عن سهل أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال : والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء ، كانت فاطمة ابنته تغسله وعلى بن أبي طالب يسكب الماء . فلما رأته فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم

قال ابن إسحق : فبينما رسول الله ﷺ في الشعب ، معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم لا ينبغي لهم أن يعملونا . قاتل عمر بن الخطاب ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلما ذهب نهض لم يستطع فجلس تحته طاحنة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله ﷺ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما حدثني يحيى بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً . وانهمز قوم من المسلمين يومئذ فبلغ بعضهم إلى الخلوب دون الأعوص ، منهم عثمان بن عفان وعثمان بن عتبة الأنصاري ، فغفر الله ذلك لهم ، ونزل القرآن بالغفو عنهم بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ الآية . واشتغل المشركون ونساؤهم يقتلى المسلمين يمثلون بهم ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون . وبقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة فلا كتها فلم تستطع أن تسيخها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعل هبل

وفي حديث البراء عند البخاري في صحيحه : فأصيب منا سبعون قتيلًا ، فأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : إن هؤلاء قد قتلوا . فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، قد أبقى الله ما ينجيك . وفي رواية : إن الذين عددت لأحياء ، وقد أبقى الله لك ما يسوءك ، فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني . ثم أخذ يرتجز : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله أعلى وأجل . ثم قال : إنما العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟ قالوا يا رسول الله ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . انفرد به البخاري . وفي رواية الإمام أحمد عن ابن عباس قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . قال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . وفي رواية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ هو الذي أجابه في ذلك ، وأنه قال : لا سواء ، أما قتلانا فأحياء يرزقون ، وأما قتلاكم ففي النار يعضبون . وفيه قال فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده

فلا كتبها فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : أكلت شيئاً ؟ قالوا لا . قال : ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار

وروى الإمام أحمد وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال : ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد ، فأفكرنا ذلك عليه ، فقال ابن عباس : بيني وبين من أفكر ذلك كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحد : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ﴾ يقول ابن عباس : والحس القتل ، ﴿ حتى إذا فشتهم وتنازعت في الأمر وعصيت ﴾ الآية . وإنما عني بهذا الرماة . ولقد كانت الدولة لرسول الله ﷺ أول النهار حتى سقط من أصحاب لواء المشركين تسعة أو سبعة الحديث وفيه أن عمر قال : يا رسول الله ألا أجيبه ؟ قال : بلى . فلما قال اعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، وإن الحرب سجال ، قال عمر : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال : إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا وخسرنا انتهى . قال في الهدى فأمرهم بجوابه عند افتخاره بألمته وبشرکه تعظيماً للتوحيد وإعلاماً بعزة من عبد المسلمون وقوة جانبيه وأنه لا يغلب ، ونحن جنده وحزبه ، ولم يأمرهم بإجابه حين قال : أفیکم محمد ، أفیکم ابن أبي قحافة ، أفیکم عمر ؟ بل قد روى أنه نهاهم عن إجابته لأن کایم لم یکن یرد بعد فی طاب القوم ونار غیظهم بعد متوقدة ، فلما قال لأصحابه أما هؤلاء فقد کفیتهموهم حتى عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال : کذبت یا عدو الله . وكان فی هذا الإعلام من الأدلال والشجاعة وعدم الجبن والتعرف إلى العدو فی تلك الحال ما یؤذنبهم بقوة العزم وبسالتهم ، وأنهم لم یهنوا ولم یضفوا ، وأنه وقومه جديرون بعد بالخوف منهم ، وقد أبقى لهم ما یسوءهم منهم . وكان فی الأعلام بقاء هؤلاء الثلاثة بمد ظنه وظن قومه أنهم أصیبوا من المصلحة وغیظ العدو وحزنه والفت فی عضده ما لیس فی جوابه حين سألهم عنهم واحداً بعد واحد ، وكان سؤاله عنهم ونعتهم لقومه آخر سهام العدو وکیده فصبر له النبي ﷺ حتى استوفى کیده ثم انتدب له عمر فرد سهامه علیه ، وكان ترك الجواب أولى وأحسن ، وذكره ثانياً أحسن . وأيضاً فإن فی ترك إجابته حين سألهم عنهم إهانة له وتصغيراً لشأنه ،

فلما منته نفسه موتهم فظن أنهم قد قتلوا وحصل له بذلك من الكبر والإعجاب ما حصل
كان ذلك في جوابه إهانة له وتحقيراً وإذلالاً ، ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي ﷺ :
لا تجميوه ، فإنه إنما نهى عن إجابته أولاً لما سأل : أفبيكم محمد ، أفبيكم فلان ؟ ولم يند عن
إجابته لما قال : أما هؤلاء فقد قتلوا . وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولاً ولا أحسن
من إجابته ثانياً ، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم

وأُنزل الله عليهم النعاس في غزوة بدر وأحد ، والنعاس في الحرب والخوف دليل
على الأمن وهو من الله ، وفي الصلاة ومجالس الذكر والعلم من الشيطان . ففي الصحيح
عن قتادة عن أنس قال : قال أبو طلحة : كنت ممن تشاهد النعاس يوم أحد حتى سقط
سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط وآخذه . وفيه عن أنس قول : لما كان يوم
أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي النبي محبوب عليه بحجة له ،
وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل
ير معه بحجة من النبل فيقول : انثرها لأبي طلحة ، ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم
فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون
نحرئ . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشورتان ، أرى خدام سوقهما
تنقران بالقرب . وقال غيره : تنقلان القرب على متونهما فتفرغانه على أفواه القوم ثم ترجعان
فتمالانه ثم تجميئان فتفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتمالانه وتجميئان فتفرغانه في أفواه
القوم ، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً . انتهى

قال ابن إسحق : ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدرأ العام
القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد

ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب وقال : اخرج في آثار القوم فانظر
ماذا يصنعون وماذا يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون
مكة ، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده
لئن أرادوا لأسيرين إليهم فيها ثم لأناجزهم . قال على : فخرجت في أثرهم أنظر ما يصنعون ،

لجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة ، وفرغ الناس لقتلاهم وأخذوا ينقلون موتاهم بعد انصراف قريش ، فأمر رسول الله ﷺ بأن يدفنوا في مضاجعهم ، وأن لا يغسلوا ، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظفري ، فأتى بها رسول الله ﷺ وعينه على وجنته ، فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أصح عيني قتادة وأحسنهما

ذكر شهداء أحد

وكان ممن استشهد من المسلمين يوم أحد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قتله وحشى مولى نوفل ، وأعتق لذلك ، رماد بحربة فوقعت ثنيته . ثم إن وحشياً أسلم ، وقتل بالحربة بعينها مسيلة الكذاب يوم اليمامة زمن أبي بكر الصديق . وفى حديث جعفر بن أمية الضمري فى الصحيح عن وحشى قال : إن حمزة قتل طعنة ابن عدى بن نوفل ببدر ، فقال لى مولاى جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر . قال : فلما خرج الناس عام عنين - وعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه واد - فلما أن خرج الناس خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع ، يا ابن أم أمار مقطعة البطور ، أتحاد الله ورسوله ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب . فسكنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا منى رميت بحربة ففأضعها فى ثنثته حتى خرجت من بين وركيه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . فلما رجع الناس رجعت معهم فأقت بمكة حتى فشا فيها الإسلام . ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلا ، وقيل إنه لا يهيج الرسل . قال فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ، فلما رآني قال : أنت وحشى ؟ قلت : نعم . قال : أنت قتلت حمزة ؟ قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ؟ قال : فخرجت . فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلة لعل أقتله

فَأَكْفَىءَ بِهِ حِمْرَةَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَسَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثُلَمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْ رَقٌّ ثَائِرٌ الرَّأْسِ ، قَالَ : فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ . قَالَ : وَوُثِبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ : فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : ثَلَاثُ جَارِيَةٍ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ : وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ . وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السَّيْرَةِ بِإِسْنَادٍ الصَّحِيحِ بِأَبْسْطٍ مِنْهُ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدَ الطَّائِفَ لِيَسْلُمُوا تَعَيَّتْ عَلَى الْمَذَاهِبِ فَقَلَّتْ الْحَقُّ بِالشَّامِ أَوْ الْيَمَنِ أَوْ بَعْضِ الْبِلَادِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَنُفِي ذَلِكَ مِنْ هُمَى إِذْ قَالَ رَجُلٌ : وَيَحْكُ ، إِنَّهُ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ وَيَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَرَعْهُ إِلَّا إِلَى قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ : وَحَشَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَتَعِدُّ لِمُحَدَّثَتِي كَيْفَ قَتَلْتُ حِمْرَةَ ؟ قَالَ : حَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكَ . فَلَمَّا فَرِغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ : وَيَحْكُ ، غِيبْ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا رَأْيَتُكَ . قَالَ : فَكُنْتُ أَتُنَكِّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِنَظَائِرَانِي حَتَّى تَبْضُضَهُ اللَّهُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَبَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يَحْدُثُ فِي الْحَجْرِ حَتَّى خَلَعَ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعُ قَاتِلَ حِمْرَةَ . وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ بِإِسْنَادٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ : كُنْتُ أَتُنَجِّبُ لِقَاتِلَ حِمْرَةَ كَيْفَ يَنْجُو ؟ حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيقًا فِي الْحَجْرِ . وَرَوَى ابْنُ شَازَانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : مَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِأَكْيَافٍ قَطُّ أَشَدَّ مِنْ بَكَائِهِ عَلَى حِمْرَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَضَعَهُ فِي الْقَبْلَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَانْتَجَبَ حَتَّى نَشَعَ مِنَ الْبَكَاءِ . . الْحَدِيثُ . قِيلَ : وَالنَّشَعُ الشَّهِيْقُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ النَّشَى . وَرَوَى الْبَغَوِيُّ فِي مَعْجَمِهِ أَنَّهُ كَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ كَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ عَلَى حِمْرَةَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً . وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ شَهْدَاءَ أَحَدٍ لَمْ يَسْلُمُوا ، وَدَفَنُوا بِدَمَائِهِمْ ، وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِمْ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ ، فَيَحْمِلُ أَمْرَ حِمْرَةَ عَلَى التَّخْصِيصِ . وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ غَيْرَهُ عَلَى أَنَّهُ جَرَحَ حَالَ الْحَرْبِ وَلَمْ يَمُتْ حَتَّى انْقَضَتْ الْحَرْبُ

ودفن حمزة هو وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد

ومنهم مصعب بن عمير قتله ابن قنينة الليثي وشماس بن عثمان الخزومي . ومن الأوس عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ ، والحارث بن أنيس ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسامة وعمر بن ابنا ثابت بن وئش ، وصيفي بن قبيط ، وحباب بن قبيط ، وعبد الله بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ بن أخي سعد ، واليمان والد حذيفة حليف لهم ، وإياس بن أوس ، وعبيدة بن عمرو ، وعبيد بن التيهان ، وحبيب بن زيد بن تميم ، ويزيد بن حاطب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وحنظلة الغسيل ، وقيس بن يزيد ، ومالك بن أمية ، وأنيس بن قنادة ، وأبو حبة بن عمرو أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبد الله بن جبير أمير الزمالة ، وأبو خيثمة والد سعد . ومن حلفائهم عبد الله بن سلمة ، وسبيع بن حاطب ، وعمير بن عدي . ومن الخزرج عمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر بن مخالد ، وأبو هبيرة بن الحارث ، وعمرو بن مطرف ، وأوس بن ثابت أخو حسان ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخالد ، وكيسان مولى لهم ، وحارثة بن زيد ، وسعد بن الزبييع ، وأوس بن الأرقم ، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وسعيد بن سويد ، وعتبة بن منيع ، وثقة بن فردة ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة حليف لهم ، ونوفل بن عبد الله ، والعباس بن عباد بن نضلة ، والنعمان بن مالك ، والمجدّر بن زياد البلوي ، وعباد بن الحشاش ، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ، وعمرو بن الجحوح دفن في قبر واحد وكانا صديقين جداً ، وابنه خلاد بن عمرو ، وأبو أيمن مولى عمرو بن الجحوح ، وسليم بن عمرو ، ومولاه عزة ، وسهل بن قيس بن أبي كعب ، وذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لؤذان ، فجميعهم خمسة وستون رجلاً . ومن ذكر أيضاً في شهداء أحد من الأوس : مالك بن نائلة حليف لهم ، والحارث بن عدي الخطمي . ومن الخزرج مالك بن إياس ، عمرو بن إياس فيكونون سبعين رجلاً رضى الله عنهم . وقتل من الكفار اثنتان وعشرون رجلاً

غزوة حمراء الأسد

قال أهل المغازي وكانت وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة كما تقدم ، فلما كان من الغد يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الطلب للعدو ، وعهد رسول الله أن لا يخرج معه أحد إلا من حضر المعركة يوم أحد ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه ففسح له في ذلك ، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح ، وإنما خرج عليه السلام مرهبا للعدو ومتجلداً ، فبلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة ، ومر برسول الله ﷺ معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك . ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه إليكم في جمع لم أر مثله قط ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . فساء ذلك أبا سفيان ومن معه . ومر ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة للميرة . قال : فبئس أنتم مبلخون عنى محمداً رسالة وأحلكم هذه غداً زيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وأصحابه نستأصل بقيتهم . فرأى الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه . فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وفي الصحيح عن ابن عباس قل : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار . وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . وفيه عن عائشة : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول ﴾

الآية . قال عروة قالت عائشة : يا بن أختي كان منهم أبوك الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب فانصرف عنه المشركون وخاف أن يرجعوا فقتل : من يذهب في أثرهم ، فأتندب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير . انتهى

قلوا : فقام رسول الله ﷺ بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة ، وقد غاب خمسا وظفر عليه السلام بمخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص جد عبد الملك بن مروان لأمه فأمر بضرب عنقه صبرا

قال الحافظ مغلطاي : وحرمت النحر في شوال ويقال سنة أربع

بعث الرجيع

وحديث عضل والقارة . وازجيع بفتح الزاء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان كانت الواقعة بالقرب منه فسميت . وعضل بفتح المعجمة بطن من بني الهون ابن خزيمة بن مدركة ، والقارة بالقاف وتخفيف اراء بطن من الهون أيضا . قال ابن دريد : القارة أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها . قالوا : وقدم على رسول الله في صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة نفر من عضل والقارة ، فذكروا للنبي ﷺ أن فيهم إسلاما ، ورغبوا أن يبعث معهم نفرا من المسلمين يفقهونهم في الدين ، فبعث رسول الله ﷺ ستة رجال من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد ابن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت من الأوس ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة البياضي ، وعبد الله بن طارق حليف لبني ظفر . وأمر رسول الله ﷺ مرثدا ، حتى إذا صار بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيل . وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة . فقالوا : هذا تمر يشرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى

عاصم وأصحابه لجؤا إلى نذند ، وجاء القوم فأحاطوا بهم . فقالوا : لكم العبد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا تقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوه فرموهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل ، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فذبحوه العبد والميثاق ، فلما أعتلوه العبد والميثاق نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار تسبيحهم فربطوه بها . فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، فأي أن يصيبهم ضرر ودع الجوه على أن يصيبهم فلم يفعل ، فقتلوه . وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشتري خبيباً بنو الحارث بن عاصم بن نوفل ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر ، فكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استدار موسى بن بعض بنات الحارث ليستد بها فأعرتة ، قالت فغفلات عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال : اتخشين أن أقتله ؟ ما كنت أفعل ذلك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرد وإنه نوثق في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعوني أصلي ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تزوا أن ما بي جزع من الموت لزدت . وكان أول من سز الركبتين عند القتل ، وقال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ثم قل :

ولست أبلى حين أقتل مسلماً على أى شق كان في الله مصرعى
وذلك في ذات الإله فإن يشأ يبارك على أوصال شئ ممزع

ثم قام عقبة بن الحارث فقتله . وبعث قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان قتل عظيماً من عظمتهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسالهم ، فلم يقدروا منه على شيء . وفي رواية في الصحيح : بعث رسول الله عشرة رده سريّة سناً ، واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، وأخبر النبي ﷺ خبرهم ، وما أصيبوا . انتهى

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة : فلما وضعوا في خيـب السـلاح نادوه وناشدوه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : والله ، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه والدبر بفتح الميملة وسكون الموحدة : الزناير ، وهي ذكور النحل . وكان عامر ابن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً ، فكان عمر لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته

سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة

وهو موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان ، في صقر على رأس أربعة أشهر من أحد . وكان سببها كما قال ابن إسحاق وغيره أن أبا مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال عليه الصلاة والسلام : إني أخشى أهل نجد عليهم . قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم ، فبعث المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون وقيل ثلاثون ، وفي رواية قتادة في الصحيح عن أنس أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، وفي رواية ثابت عنه يشترون به الطعام لأهل الصفة ويتدارسون القرآن بالليل ، فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر ابن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل قتمته ، وفي رواية أنس في الصحيح : فلما أنفذه الرمح قال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة . انتهى . ثم استصرخ عليهم بنى عامر فلم يجيبوه وقالوا : نحن لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ قبائل من سليم ورعلا وذكوان وعصية فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غشوا القوم وأحاطوا بهم في رحالم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقتلواهم حتى قتلوا إلى آخرهم ، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً . وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر

ابن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعموا أنها كانت على أمه . وفي الصحيح عن أبي أسامة عن هشام بن عروة فأخبرني أبي قال : لما قتل الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . قال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم قالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضيانا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم . وفي الصحيحين عن أنس : دعا النبي ﷺ على الذين قتلوهم ثلاثين صباحاً ، يدعو على رعل وذكران وبنى لحيان وعصية عصوا الله ورسوله . قال أنس : فأنزل الله في الذين قتلوا قرآناً قرأناه ثم نسخ بعد ، أى نسخت تلاوته « بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنه ورضينا عنه » وروى ابن سعد عن أنس : ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ، وذكر الواقدي أن خبر أصحاب الرجيع وخبر أصحاب بئر معونة أتى النبي ﷺ في ليلة واحدة ، ويدل على قربها منها ما في حديث أنس من تشريك النبي ﷺ بين بنى لحيان وعصية وغيرهم في الدعاء

غزوة بني النضير

قال ابن إسحاق وغيره : وكانت في سنة أربع ، وفي البخاري عن عروة قال : كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر . وكان سببها كما قال ابن إسحاق وغيره أن عمرو بن أمية الضمري لما أعتقه عامر بن الطفيل كما تقدم خرج عمرو إلى المدينة ، فصادف في طريقه رجلين من بنى عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو ، فقال لهما عمرو : من أتما ؟ فذكر له أنهما من بنى عامر فتركهما حتى نأما فقتلتهما وظن أنه قد ظفر ببعض ثأر أصحابه ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ فقال : لقد قتلت قتيلين لأدينيهما . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان عقده

لها ، فلما أتاها عليه السلام يستعينهم قالوا : يا أبا التاسم فعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال . وكان صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم . فقالوا : من رجل يعلو على هذا البيت فيألق هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فقال : أنا لذلك . قال ابن سعد : فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما همتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام مظراً أنه يقضى حاجة وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة . واستبطأ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقاموا إليه حتى انتهوا إليه فأخبر بما أراد يهود . قال ابن عتبة : وأنزل الله في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم أن يسلطوا عليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ الآية . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصروهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فقطع النخل وحرقها وخرب ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها . قال السهيلي : قال أهل التأويل : وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ الآية

قال ابن إسحاق : وقد كان رهط عن بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا . فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم

وفي الصحيح من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بني لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبى سفيان بن الحارث :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه ونعلم أى أرضينا تضير

وفى رواية فنزل الله : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها ﴾ الآية . وفى رواية ابن سعد : فقال لهم رسول الله ﷺ : اخرجوا منها ولكم دماءكم وما حملت الإبل إلا الحلقة ، فنزلوا على ذلك ، وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ، ثم أجلاهم عن المدينة وحملوا النساء والصبيان ، وتحملوا على مائة بعير . قال الحافظ أبو محمد بن حزم وأبو عبد الرحمن رحمهما الله : وحينئذ نزل تحريم الخمر ، فاحتملوا بأهلهم إلى خيبر ، ومنهم من صار إلى الشام . وكان ممن صار إلى خيبر أكابرهم - يحيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق - فدانتم لهم خيبر ، فقسم رسول الله ﷺ أموال بنى النضير بين المهاجرين خاصة ، إلا أنه عليه السلام أعطى أبا دجاجة وسهيل بن حنيف . وكانا فقيرين . وفى قصة بنى النضير نزلت سورة الحشر ، ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان - يامين بن عمرو وأبو سعيد بن وهب - أسلما فأحرزا أموالهما . وقبض رسول الله ﷺ الأموال ولم يقسم منها لأحد ، لأن المسامين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب ، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤثرهم عن الأنصار إذ كانوا قد تاسموا الأموال والديار ، وكانت بنو النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث شاء كما فى الصحيحين من حديث عمر فى قصة اختصام على وعباس عند عمر فيما أفاء الله على رسوله من بنى النضير ، وفيه أن عمر قال : إن الله كان خص رسوله فى هذا الفى بشيء لم يعطه أحد غيره فقال : ﴿ وما أفاء الله على رسوله مما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ الآية فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ . وفى رواية للبخارى : وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله

غزوة ذات الرقاع

واختلف فيها متى كانت ؟ فذكر ابن إسحق أنها بعد بنى النضير سنة أربع في شهر ربيع ، وعند ابن سعد وابن حبان في الحرم سنة خمس ، قال في فتح الباري : قد جنح البخارى إلى أنها كانت بعد خيبر ، واستدل لذلك بأمور ، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعتمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازى أنها كانت قبلها ، أو أن ذلك من اختلاف الروايات عنه ، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار به اليعقوبى . على أن أصحاب المغازى مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها ، قال : والذي ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بنى قريظة ، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق

وسميت « ذات الرقاع » لما روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقه . فنقبت أقدامنا ونقبت قدمائى . وسقطت أظفارى ، فكنا نلصق على أرجلنا الخرق ، فسميت ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا الحديث ، ثم كره ذلك قال : ما كنت أصنع بأن أذكره ؟ كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه

وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن إسحق وغيره أنه ﷺ غزاً نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعابة بالملثة من غطفان ، لأنه بلغه أنهم جمعوا الجموع ، فخرج في أربعائة من أصحابه ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى - وقيل عثمان بن عفان - حتى نزل بخلاء بالمعجمة ، موضع من نجد من أرض غطفان . قال ابن سعد : فلم يجد في محالهم إلا نسوة فأخذهن . وقال ابن إسحق : فأتى جمعاً فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف . قال ابن سعد : وكان ذلك أول ما صلاها

وفى البخارى عن جابر : كنا مع النبى ﷺ بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليمة تركناها للنبي ﷺ . فنزل رسول الله وتفرق الناس فى العضاء يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله تحت شجرة فعلق بها سيفه . قال جابر : فمنا نومة ، فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله فقال : أتخافنى ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله . قال جابر : فإذا رسول الله يدعونا ، فجئنا فإذا عنده أعرابى جالس ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتنا ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قلت : الله . فيها هو ذا جالس . ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ . وفى رواية : وأقيمت الصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، وكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان . وفى رواية أبى عوانة : فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال : من يمنعك منى ؟ قال : كن خير آخذ . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال الأعرابى : أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . قال : فخلى سبيله ، فجاء إلى قومه . فقال : جئتمكم من عند خير الناس . وفى هذه القصة فرط شجاعته ﷺ وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال . وفيها حفظ الله له ، وإلا فما الذى أحوج الأعرابى إلى مراجعته مع احتياجه إلى الخطوة عند قومه بقتله

وفى انصرافه ﷺ من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه الصلاة والسلام فانطلق متقدما بين يدى الزكباء ، ثم قال : أتبعينيه ؟ فأتبعاه منه . وقال : لك ظهرك إلى المدينة . فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح ، ووهب له الجمل

غزوة بدر الأخيرة

قال ابن إسحق : ولما قدم رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان ، وهو ما سبق أن أبى سفيان قال يوم أحد : الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل . فقال عليه السلام لرجل من أصحابه : قل نعم ، هو بيننا وبينكم موعد . فخرج ﷺ ومعه ألف وخمسة

من أصحابه وعشرة أفراس ، واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة ، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مَرَّ الظَّهران ، ثم بدا له الرجوع فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإني راجع فارجعوا . فرجع الناس ، فسيحهم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . وأقام عليه السلام ثمانية أيام ، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله في ذلك : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية . والصحيح أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد كما نص عليه العباد بن كثير رحمه الله

غزوة دومة الجندل

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة

وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعا كثيرا يظلمون من سر بهم ، فخرج لخمس ليال بقين من ربيع في ألف من أصحابه ، فكان يسير الليل ويكون النهار ، واستخاف على المدينة سباع بن عرفة . فلما دنا منهم لم يجد إلا الغنم والشاء ، فهجم على شيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة ففرقوا ، ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا وفرقها ، فرجعوا ولم يصب منهم أحد

غزوة المريسيع

بضم الراء وسكون التحتانية بينهما ميملة مكسورة وآخره عين ميملة . وهو ماء لبني خزاعة ، وبينه وبين الفرع يومان ، وتسمى « غزوة بني المصطلق » بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء الميملة وكسر اللام بعدها قاف ، بطن من خزاعة ، وكانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس

وسببها أنه بلغه ﷺ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وظعنوا للمسير معه إليه ، وخرج عليه السلام في بشر كثير من المناقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلاً ، واستبخت على المدينة زيد بن ثابت . وخرجت عائشة وأم سامة . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعمهم تسقى على الماء . قيل : وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم . وفي الصحيحين من حديث عائشة : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فذكرت حديث التيمم ، قال ابن عبد البر في التمهيد يقال : إنه كان في غزوة بني المصطلق ، وجزم بذلك في الاستذكار ، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان . وفي البخاري : وقال النجاشي بن راشد عن الزهري : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع

قال أبو محمد بن حزم : وكانت غزوة المريسيع في شعبان من السنة السادسة ، وأغار عليهم رسول الله ﷺ وهم غارون كما تقدم على ماء فلم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فقتل من قتل منهم وسبى النساء والذرية ، ومن السبى كانت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق ، فوقع في سهم ثابت بن قيس فسكتها ، فآذى رسول الله ﷺ عنها وأعتقها فزوجه ، وكانت امرأة حلوة من رآها أحبها ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق وقالوا أحبهم رسول الله

وفي رجوع رسول الله ﷺ من هذه الغزوة قال عبد الله بن أبي : لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . وذلك لشر وقع بين جهجاه بن مسعود الغفاري أجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وبر الجهمي حليف بني عوف بن الخزرج ، فنادى الغفاري : يا للمهاجرين ، ونادى الجهمي : يا الأنصار . فقال رسول الله ﷺ : أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ وبلغ زيد بن أرقم رسول الله ﷺ متالة عبد الله بن أبي فزل في ذلك من عند الله سورة المناقين ، وتبرأ عبد الله بن عبد الله بن أبي من أبيه ، وأتى رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل ، والله لن شئت

لنخرجه يا رسول الله ، ووقفت لأبيه قرب المدينة فقال : لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله في الدخول . وقال أيضاً : بلغني أنك تريد قتل أبنائي وأخشي إن أمرت بذلك غيري ألا تدعني نفسي أرى قاتل عبد الله يمشي على الأرض فأقتله وأدخل النار إذا قتلت مؤمناً بكافر ، وقد علمت الأنصار أنني من أرها لأبيه ، ولكن يا رسول الله إن أردت قتله فزني بذلك فإنا والله أحمل إليك رأسه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، وأخبره أنه لا يسىء إلى أبيه

فصل

وفي مرجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق قال أهل الإفك ما قالوا عنه في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الزهري قل : حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة أم المؤمنين حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، وكلهم حدثني طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدرني بعضاً ، وإن كان بعضهم أوعى من بعض . قالوا : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرع بين أزواجه فأتيهن خرج سبهما خرجت معه ، قالت عائشة : ففُرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سبهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب ، فكنيت أحمل في هودج وأنزل فيه . فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقممت حين أذنوا بالرحيل فشيت حتى جاوزت الجليش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى فإذا عتدي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدى فخبسني ابتغاؤه . قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتلموا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أنني فيه . وكان النساء إذا ذاك خفافاً لم يهبن ولم يغسبن اللحم ،

إنما يأكلن العلة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه ، و كنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، و وجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيمنت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيققدونى فيرجعون إلى ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فتمت ، وكان صفوان ابن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش ، فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم ، فعرفنى حين رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخررت وجبى بجبابى ، ووالله ما تكلمنا بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، وأهوى حتى أناخ راحته فوطئ يدها ، فقممت إليها فركبتها ، فانطلق يقودنى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول . قالت : فبلك من هالك . وكان الذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أبى بن سلول . قال عروة : أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث عنده ، فيقره ويستوشيه . وقال عروة أيضاً : لم يسم من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحملة بنت جحش فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله . قال عروة : وكانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذى قال :

فإن أبى ووالده وعرضى . لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة : فقد منا المدينة فاشتكى حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون فى قول أهل الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطيف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : كيف تيكيم ؟ ثم ينصرف . فذلك يرينى ولا أشعر بالشر . حتى خرجت حين نقرت فخرجت معى أم مسطح قبل المناصح وكان متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا . قالت : وأمرنا أمر العرب الأول فى البرية قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا . قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح - وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب - فأقبأت أنا

وأم مسطح قبل بئى حين فرغنا من شأننا ، فمئرت أم مسطح فى مرطها فقلت : تعمس مسطح . فقلت لها : بنس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدرأ ؟ فقلت : أى هنتاه ، أو لم تسمعى ما قال ؟ قالت قلت : وما قال ، فأخبرتني بقول أهل الإفك . قالت : فأنزددت مرضأ على مرضى ، فلما رجعت إلى بئى دخل على رسول الله ﷺ ثم قال : كيف تيك ؟ فقلت : أئذن لى أن آتى أبوى ؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما . قالت : فئذن لى رسول الله ﷺ ، فقلت لأمى : يا أمئاه ماذا يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هونى عليك ، فو الله لقل ما كانت امرأة قط وضينة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كئرن عليها . قالت فقلت سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتئل بنوم . ثم أصبحت أبكى . قالت : ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استئلبت الوحى يسألها ويستشيرها فى فرائئ أهله ، قالت : فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من راءة أهله وبالذى يعلم لم فى نفسه من الود ، فقال أسامة . أهلك ، ولا نعلم إلا خيراً . وأما على فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وسل الجارية تصديقك . قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : هل رأيت من شئ يريبك ؟ قالت له بريرة : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجبئ أهلها ، فتأتئ الداجن فتأكله . وفى رواية أبى أسامة عند البخارى : فأنهئرها بعض أسمائبه فقال : أصدقى رسول الله حتى أسقطوا لها به . فقالت : سبحان الله ، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ مر على تبر الذهب الأحمر . وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذى قيل له فقال : سبحان الله ، والله ما كشتفت كنف أنئ قط . قالت عائشة : فقتل بعد ذلك شهيدأ فى سبيل الله وفى رواية ابن إسحق : فقام إليها على فضرها ضربأ شديدأ يقول : أصدقى رسول الله . وفى رواية ابن حاطب عن عائمة فقالت الجارية البشئة : والله أعائشة أطيب من الذهب ، لأن كانت صنعت ما قال الناس لينخبرنك الله . قال فعجب الناس من فقئها . وزاد عطاء الخرسانى عن الزمئرى : وكانت

م- ١٨ : مختصر السيرة

أم أيوب الأنصارية قالت لأبي أيوب أما سمعت ما يتحدث الناس ؟ فحدثته بقول أهل الإفك ، فقال : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانه هذا بهتان عظيم . وعند ابن إسحق أن امرأة أبي أيوب قالت : يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك والله الكذب . أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ قالت : لا والله ما كنت فاعلة ، قال : فعائشة خير منك . قالت : فلما نزل القرآن قال الله ﷻ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﷻ أى فقالوا كما قال أبو أيوب . وعند الطبراني بسند صحيح عن عائشة : لما بلغنى ما تكلموا به هممت أن آتى قايماً فأطرح نفسى فيه . وفى رواية ابن إسحاق عنها : فوالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيام والليالى من ألم والغىظ . قال الحافظ ابن حجر : وفى بعض طرق الحديث أن أبا بكر قال . والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية ، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام ؟ قال البخارى فى حديثه قالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى ؟ والله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما يدخل على أهلى إلا معى . قامت فقام سعد أخو بنى عبد الأشهل فقال : يا رسول الله أنا أعذك منه ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بنى عبادة سيد الخزرج ، قالت وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تتلته ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتله ، فإنك منافق تجادل عن المناقين . قالت فبما الخيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر . قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يفتضهم حتى سكثوا وسكت . وفى رواية أبي أسامة عند البخارى حتى كاد يكون بين الأوس والخزرج شر فى المسجد ،

وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي مع أم مسطح .. فذكر
نحو ما تقدم ، قالت : فبكيت يومى ذلك كله لا يرقألى دمع ولا أكتحل بنوم . قالت :
وأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقألى دمع ، حتى
أظن أن البكاء فالتق كبدى . فبينما أبواى جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة
من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكى معى . قالت : فبينما نحن على ذلك دخل رسول
الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد
لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم
قال : أما بعد يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن
كنت أملت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله
عليه . فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى :
أجب عنى رسول الله ﷺ فيم قال . فقال أبى : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله . فقلت
لأبى : أجبى رسول الله ﷺ فيما قال . فقالت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله . فقلت :
وأنا امرأة حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً ، إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا
الحديث حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني
بذلك ، ولئن اعترف لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة لتصدقنى ، فوالله لا أجدل ولستم
مثلاً إلا أبا يوسف حين قال ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . ثم تحولت
فاضطجعت على فراشى . قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى ،
ولكنى والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان
أخبر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى . ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى
نومه رؤيا يبرئنى الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من
أهل البيت ، حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه
مثل الجان من العرق - وهو فى يوم شات - من ثقل القول الذى ينزل عليه زاد ابن جريج
فى روايته : قال أبو بكر : فجلست أنظر إلى رسول الله ﷺ أخشى أن ينزل عليه من

السماء ما لامرء له ، وأنظر إلى وجه عائشة فاذا هو منفيق فيطمعني ذلك فيها . وفي رواية ابن إسحاق : فإما أنا فما فزعت ، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبوإى . فاسرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت أن تخرج أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما يقول الناس . قالت فسرى عن رسول الله وهو يضحك ، وكان أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة احدى الله فقد برأك . وفي رواية للبخارى : أما الله عز وجل فقد برأك . وفي رواية له أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك . قالت : وكنت أشد ما كنت غضباً ، فقال لى أبوإى قوحى اليه ، فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحده ولا أحكما ولكنى أحمد الذى أنزل براءتى . لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه . قالت : وأنزل الله ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات . فلما أنزل الله هذا من براءتى قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرايته منه وققره - والله ما أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال . فأنزل الله ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ الآية . قال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً . قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عنه فقال زينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحى سمعى وبصرى ، والله ما علمت إلا خيراً . قالت وهى التى تسامينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حنة محاربة لها فهلكت فيمن هلك . وفي رواية ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك . ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنة - وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضرَبوا حنهم

وروى الطبرانى من طريق أبى حصين عن مجاهد قالت عائشة لما نزل عندها قبل أبو بكر رأسها فقلت : ألا عذرتنى ؟ فقال : أى سماء تظلمنى وأبى أرض تقلى إذا قلت ما لا أعلم ؟ وعند أصحاب السنن من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة أن النبى ﷺ أقام حد القذف على الذين تسكلموا بالإفك ، لكن

لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي

وروى ابن جرير عن عائشة أنها قالت : ماسمت شيئاً أحسن من شعر حسان ،
وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان يعني ابن الحارث بن عبد المطلب :

هجرت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذلك الجزاء
أثمتته ولست له بكفء فشر كما تلخير كما الفداء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

ف قيل : يا أم المؤمنين هذا (١) قالت : أليس قد أصابه عظيماً ، أليس
قد ذهب بصره وكنع بالسيف حين الضربة التي ضربها إياه صفوان بن معطل السلمي
حين بلغه أنه يتكلم في ذلك ، فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله
قال ابن إسحق : وقال حسان يعتذر إلى عائشة ويمدحها :

حصان رزان ما تزن برية وتصيح غرثي من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمهما وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمو فلا رفعت سوطي إلى أنامل
وكيف وودى ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتناول
فن الذي قد قيل ليس بلائظ ولكنه قول امرئ بني ماحل

فصل

في فوائد وشرح ألفاظ تتعاق بمحدث الإفك

قال النووى رحمه الله : الإفك بكسر الهمزة وإسكان الفاء . هذا هو المشهور ، وحكى القاضى فتحهما قال : وهما لغتان كنجس ونجس وهما لغتان وهو الكذب . قوله « آذن » روى بالمد وتحفيف الذال وبالقصر وتشديدها أى أعلم . قولها عقد من جزع ظفار ، أما العقد فعرف نحو القلادة ، والجزع بفتح الجيم وإسكان الزاى وهو حرز يمانى ، ظفار بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهى قرية باليمن . قولها : وكانت النساء إذ ذاك خفاك لم يهبلن ضبطوه على أوجه أشهرها ضم الياء وفتح الهاء وتشديد الباء أى يثقلن باللحم والشحم ، والثانى يهبلن بفتح الياء والباء بينهما هاء ساكنة ، قال أهل اللغة : يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه ، وفى رواية للبخارى لم يثقلن ، وهو بمعناه . والعلة من الطعام أى القليل . قولها فتمت منزلى أى قدمته . قوله من وراء الجيش قال الحافظ ابن حجر وقع فى حديث ابن عمر بيان تأخر صفوان ولفظه كان صفوان سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة ، وكان إذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به ، ثم ذكر عن أبى هريرة نحوه ، ويحتمل أن يكون سبب تأخره ماجرت عادته به من غلبة النوم عليه . قولها فاستيقظت باسترجاعه أى انتبهت من نومي بقوله : إنا لله وإنا اليه راجعون . قولها فخرت وجهى أى غطيته قولها موغرين فى نحر الظهيرة ، الموغر بفتح الغين المعجمة النازل فى وقت الوغرة بفتح الواو وإسكان الغين وهى شدة الحر قاله النووى ، ونحر الظهيرة وقت القائلة ، ونحر كل شئ أوله . وكبره أى معظمه ، وهى بكسر الكاف على القراءة المشهورة . قولها يرينى بفتح أوله وضمه يقال رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه . واللطف بضم اللام وإسكان الطاء ويقال بفتحهما معاً لغتان وهو البر والرفق . قولها ثم يقول كيف تيكم هى إشارة الى المؤنثة كذلك فى المذكر . ونقبت بفتح القاف وكسرها لغتان حكاهما

الجوهري ، والفتح أشهر ، والناقة هو الذى أفانى من المرض وبرئ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع اليه كمال صحته . قولها تعس مسطح بفتح العين وكسرها لغتان ومعناه عثر وقيل هلك وقيل لزمه الشر وقيل بعد وقيل سطم لوجهه خاصة . والمرط بكسر الميم كساء من صوف وقد يكون من غيره ، قولها أى هتاه ، أى حرف نداء للبعيد ، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد ، وهتاه بفتح الميم وسكون النون وبعدها مثناة وآخرها هاء ساكنة وقد تضم ومعناها يا هذه ، وقيل يا امرأة وقيل يا بلهاء كأنها نسبت عائشة الى الغفلة على معرفة مكاييد الناس وشروهم . والوضيئة مبهوزة ممدودة هى الجميلة الحسنة ، والوضاءة الحسن . لا يرقأ الى دمع هو بالهمزة ، أى لا ينقطع ، يقولون أكتجل بنوم أى لا أنام

قولها : وأما على بن أبى طالب فقال : لم يضيّق الله عليك الخ أشار عليه بفراقها تلويحا لا تصريحاً لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ ، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وأن لا يلتفت الى كلام الأعداء ، فعلى لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك الشك والريبة الى اليقين ليتخلص رسول الله ﷺ من الهم والغم الذى لحقه بكلام الناس ، لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر فأراد راحة خاطره ، وأسامة لما رأى حب رسول الله ﷺ لها ولأبيها وعلم من عفتها وبرائها وحصانتها وديانتها ما هو فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربة بيته وحييته من النساء وبنت صديقه بالمنزلة التى أنزلها أرباب الإفاك ، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ أكرم على ربه من أن يتلبسها بالفاحشة ، فمن قويت معرفته بالله ومعرفته رسوله وقدره عند الله فى قلبه كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوه : سبحانك هذا بهتان عظيم . وتأمل فى تسبيحهم لله وتزويجهم له فى هذا المقام من المعرفة به ، وتزويجه عما لا يليق أن يجعل لرسوله وخليفه وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا وقاه الله ظن السوء ، وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها

كما قال تعالى ﴿ الخيئات للخيئين ﴾ ، فقطعوا قطعاً لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة

فإن قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار ، وهو أعرف بالله ومنزله عنده وبما يليق به ؟ وهلا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم كما قال فضلاء الصحابة ؟ فاجواب أن هذا من تمام الحسكة الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لما امتحانا وابتلاء لرسوله ولجميع الأمة الى يوم القيمة ، ليرفع بهذه القصة أقواماً ويضع بها آخرين ، ويزيد الله الذين اهتدوا بهدي وإيماننا ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . واقتضى تمام الابتلاء والامتحان أن حبس عن رسوله الوحي شهراً في شأنها لتتم حكمته التي قدرها ونضاجها ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصدّيقين من عباده ، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً ، وتظهر لرسوله والمؤمنين سرائرهم ، ولتم العبودية المرادة من الصدّيقة وأبويها وتمّ نعمة الله عليهم ، ولينقطع رجاءها من الخلقين ، وتيأس من حصول النصر والفرج إلا من الله

قولها أغمصه بفتح الميم وكسر الميم وبالصاد المهملة أى أعيها به ، والداجن الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج المرعى . قولها فاستعذر من عبد الله بن أبي أي طلب من يعذره أي ينصنه ، وقيل معناه : من يقوم بعذري إن كافأته على سوء فعاله ، وقيل معنى من يعذرنى : من ينصرنى ، والعذير الناصر ، ويؤيده قول سعد أنا أعذركَ منه ، وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند البخارى ومسلم أشيروا علىّ في أناس أبنوا أهلى هو بفتح الباء الموحدة الخفيفة والنون المضمومة ، وقد حكى عياض أن في رواية الأصيلي بتشديد النوحدة وهى لغة ، ومعناه عابوا أهلى واتهموا ، وهو المعتمد لأن الأتّين بفتحّتين التهمة ، ومنه الحديث الذى فى الشئلى فى مجلسه ﷺ لا تؤبّن فيه الحرم ، وحكى عياض أن فى رواية عبدوس بتقديم النون الثقيلة الموحدة قال : وهو تصحيف ، لأن التأتّيب هو اللوم الشديد ولا معنى له ههنا . والبرحاء هى بضم الموحدة

وفتح الزاء والحاء المهملة والمد وهى الشدة . قولها حتى ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، معنى ليتحدر : ليتصب ، وجان بضم الجيم وتخفيف الميم هو اللؤلؤ ، وقيل حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ . وسرى عن رسول الله أى كشف وأزيل . قوله كنف بفتح الكاف والنون أى ثوبها الذى يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن . قولها هى التى كانت تسامينى أى تفاخرنى وتضاهينى بحالها ومكانها عند النبى ﷺ ، وهى مفاعلة من السمو وهو الارتفاع . قولها أحى سمى أى أحفظه فلا أقول سمعت فيما لم أسمع . قوله وأما المنافق عبد الله بن أبى فهو الذى كان يستوشيه ، أى يستخرجه بالبحث والمسألة ، ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا يدعه يخذ . والله أعلم وفى الحديث من الفوائد جواز رواية الحديث الواحد عن كل واحد قطعة مبهمة . الثانية صحة القرعة بين النساء وفى العتق وغيره . قال أبو عبيد : عمل بها ثلاثة من الأنبياء يونس وزكريا ومحمد ﷺ . قال ابن المنذر : استعمالها كالإجماع قال : ولا معنى لقول من يردّها . الثالثة وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضها . الرابعة أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيات ، وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلا ، وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح . الخامسة جواز سفر الرجل بزوجته . السادسة جواز غزوهن وركوبهن فى الموادج . السابعة جواز خدمة الرجال لمن فى ذلك فى الأسفار . الثامنة أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير . التاسعة جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج ، وهذا من الأمور المستثناة . العاشرة جواز لبس النساء القلائد فى السفر كالخضر . الحادية عشرة أن من يركب البعير لا يكلمها إذا لم يكن محرما إلا الحاجة ، لأنهم حملوا المودج ولم يكلموها . الثانية عشرة فضيلة الاقتصاد فى الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثرن منه ، لأن هذا كان حالهم فى زمن النبى ﷺ ، وما كان فى زمنه فهو الكامل الفاضل . الثالثة عشرة جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له فى الجيش إذا لم تكن ضرورة الى الاجتماع . اربعة عشرة إغاثة الملهوف وعون المنقطع وإيقاد الضائع وإكرام ذوى الأقدار كما فعل

صفوان . الخامسة عشرة استجباب الاسترجاع عند المصائب ، سواء كانت في الدنيا أو في الدين ، وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه . السادسة عشرة تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحاً أو غيره . السابعة عشرة جواز الجلف من غير استجلاف إذا كان فيه فائدة . الثامنة عشرة أنه يستحب أن يستر الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتبوا عن عائشة هذا الأمر شهراً . التاسعة عشرة حسن خلقه ﷺ في ملاطفته أزواجه ومعاشرته لمن بالمعروف . العشرون استجباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة تأسيساً به ﷺ . الحادية والعشرون أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً ونحو ذلك يقلل من التلطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض ، فتسأل عن سببه فتزيله . الثانية والعشرون استجباب السؤال عن المريض عند عيادته . الثالثة والعشرون أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة لها لتأنس بها ولا يعرض لها أحد . الرابعة والعشرون كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح ، كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه . الخامسة والعشرون فضيلة أهل بدر والذب عنهم ، كما فعلت عائشة في ذبحها عن مسطح . السادسة والعشرون لا تذهب لبنت أبيها إلا بإذن زوجها . السابعة والعشرون جواز التعجب بلفظ التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره . الثامنة والعشرون استجباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه في ما ينوبه من الأمور . التاسعة والعشرون جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة لمن له بها تعلق ، وأما غيره فهو منهي عنه ، وهو تجسس وفضول . الثلاثون خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم . الحادية والثلاثون اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين ممن يعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره ، واعتذاره فيما يريد أن يؤدب به . الثانية والثلاثون فضائل صفوان بن المعطل بشهادة النبي ﷺ بما شهد وبأفعاله الجليلة في ركاب عائشة وحسن أدبه في جملة القصة . الثالثة والثلاثون فضيلة سعد بن معاذ وأسيد بن حضير . الرابعة والثلاثون المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب . الخامسة والثلاثون قبول التوبة والحث

عليها . السادسة والثلاثون تقويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف .
السابعة والثلاثون جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ولا خلاف أنه جائز ، قلت
بل يستحب . الثامنة والثلاثون التأسى بالأنبياء والصالحين في البلى والمصائب وغير
ذلك . التاسعة والثلاثون استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة أو
اندفعت عنه بلية ظاهرة . الأربعون براءة عائشة من الإفك ، وهى براءة قطعية بنص
القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله كان كافرا مرتدا بإجماع المسلمين .
قال ابن عباس وغيره : لم تنز امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ،
وهذا إكرام من الله لهم . الحادية والأربعون تجديد شكر الله عند تجدد النعم . الثانية
والأربعون فضائل أبي بكر في قوله ﴿ ولا يأتى أولو الفضل منكم والسعة ﴾ الآية .
الثالثة والأربعون استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين . الرابعة والأربعون
استحباب العفو والصفح عن المسيء . الخامسة والأربعون استحباب الصدقة والإنفاق
في سبيل الخيرات . السادسة والأربعون أن ذلك سبب لمغفرة الله . السابعة والأربعون
أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتى الذى هو خير ويكفر عن
يمينه كما فعل أبو بكر . الثامنة والأربعون أن ابن بنت الخالة من ذوى القربى الذين
تستحب صلّتهم . التاسعة والأربعون فضيلة زينب أم المؤمنين وورعها . الخمسون التثبت
في الشهادة . الحادية والخمسون إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدمه أو أطاعه
كما فعلت عائشة بمراعاة حسان وإكرامه إكراما للنبي ﷺ . الثانية والخمسون الخطبة
تبدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله . الثالثة والخمسون أنه يستحب فى الخطب بعد
الحمد والثناء والصلاة على النبي والشهادتين أما بعد . الرابعة والخمسون غضب المسلمين
عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك . الخامسة والخمسون جواز سب المتعصب
للمبطل ، كما سب أسيد بن حضير سعد بن عباد لبعصبه للمنافق وقال : إنك منافق
تجادل عن المنافقين ، وأراد إنك تفعل فعل المنافقين والله أعلم . السادسة والخمسون أن
تعديل النساء بعضهن بعضا مقبول ، لأنه عليه الصلاة والسلام سأل الجارية وزينب .

السابعة والخمسون أن الاعتراف بما فشا من الباطل لا يحل . الثامنة والخمسون أن عاقبة الصبر الجميل فيه الغبطة والعزة في الدارين . التاسعة والخمسون أن الله قد يتلى عبده المؤمن بأكره المكروهات عنده وهو خير له لا شر له ، كما قال تعالى ﴿ لا تحسبه شراً لكم بل هو خير لكم ﴾ الآية . الستون أن الإنسان قد يفرح بما فيه هلاكه وخزيه في الدنيا والآخرة . الحادية والستون أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل . الثانية والستون أن الوحي ما كان يأتيه ﷺ متى أراد لبقائه شهراً لا يوحى إليه . الثالثة والستون أنه لا يعلم الغيب إلا من علمه الله . الرابعة والستون وجوب حد القذف على من أفصح بالفاحشة . الخامسة والستون ترك الحد لما يخشى من تفريق الكلمة كما ترك رسول الله ﷺ حد ابن أبي بن سلول . انتهى ملخصاً من شرح النووى لسلم وغيره . والله أعلم

فصل

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ، منهم محمد بن حبيب الأخبارى فقال : سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بنى المصطلق ، واختلف أهل المغازى في أى هاتين الغزوتين كانت أولاً . وما يدل على تأخر قصة نزول آية التيمم عن قصة الإفك ما روى الطبرانى عن عائشة : لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي ، وحبس الناس على التماسه ، فقال لى أبو بكر : يا بنىة فى كل سفرة عناء وبلاء على الناس ، فأنزل الله الرخصة فى التيمم ، وفى إسناده من فيه مقال

وفى البخارى : قال موسى بن عقبة : كانت غزوة المريسيع سنة أربع ، وجزم ابن اسحق وتبعه ابن حزم أنها كانت فى شعبان سنة ست ، وأن قوله فى حديث عائشة فقام سعد بن معاذ وهم ، وأن المقالة كانت بين سعد بن عباد وأسيد بن حضير ، قال : وهذا دو الصحيح ، والوهم لا يسلم منه أحد من بنى آدم . قلت : وعلى قول موسى ابن عقبة إنها سنة أربع يزول الإشكال بجملة . والله أعلم

غزوة الخندق وهى الأحزاب

واختلفوا فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة : كانت فى شوال سنة أربع ، وقال ابن اسحق وغيره من أهل المغازى سنة خمس . ومال البخارى إلى قول موسى بن عقبة ، وقواه بحديث ابن عمر ، قال أبو محمد بن حزم : والصحيح الثابت أنه فى اربعة بلا شك لحديث ابن عمر : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَرَدَنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي ، فَصَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا سَنَةٌ وَاحِدَةٌ

قال ابن اسحق : فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا كل قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن مشكم بن أبي اسحاق النضرى وحى بن أخطب وهوذة بن قيس فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وإنكم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُبْحَانَ أَصْنَانِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سُبْحَانًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَكفى بهم سعيرا ﴾ . فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم اليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج ذلك النفر حتى أتوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم الى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابوهم على ذلك ، فخرجت قريش

وقائدهم أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن والحارث بن عوف في مرة ، ومسعر بن دخیلة فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بمسير رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، فدأب فيه فدأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورثون بالضعف عن العمل ، ويتسللون الى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نائبة من الحاجة التي لا بد منها ذكرها رسول الله ﷺ واستأذنه بالتيوف بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتسابا له ، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ الآية ، ثم قال في المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن ﴿ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لَئِذَا ﴾ الآية . انتهى

وكان الذي أشار بالخندق سلمان فقال : يا رسول الله ، إنا كنا بأرض تارس إذا حوصرنا خندقنا علينا ، ولم تكن تعرفه العرب قبل ذلك

وكانت عدة المشركين فيما ذكر ابن اسحق عشرة آلاف ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف قال ابن حزم : وقيل في تسع مائة فقط ، وهو الصحيح بلا شك . وجعل المسلمون ظهورهم الى سلع ، فنزلوا هنالك والخندق بينهم وبين المشركين

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وأمر عليه السلام بالنساء والذراري فجعلوا في الآطام . وفي البخاري عن سهل بن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا وأكتافنا ، فقال رسول الله ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاعف للمهاجرين والأنصار

والأكتاد بالمشاة الفوقية جمع كتيد بفتح فكسر وهو ما بين الكاهل الى الظهر .

وفي بعض نسخ البخارى بالباء الموحدة . وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلى الكبد من الجنب وفي البخارى أيضا عن أنس : خرج رسول الله ﷺ فاذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من الصب والجوع قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرين
فقالوا يمجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا
وفي البخارى أيضا عن البراء : رأيته ﷺ ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنا الغبار جلادة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحه وهو ينقل التراب :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صأينا
فأنزلن سكة علىنا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد رغبوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا
قال : يمد بها صوته . وفي رواية له أيضا :

إن الأولى قد بغوا علينا إن أرادوا فتنة أينا
وفي حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أنه ﷺ حين ضرب فى الخندق قال :

بسم الإله وبه بديننا ولو عبدنا غيره شقينا
حبذا ريا وحبذا ديننا

وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته : منها ما فى الصحيح عن جابر

قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة - وهى بضم الكاف القطعة الصلبة - فجاءوا للنبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق . فقام وبطنه معصوب بحجر ولبنا ثلاثة أيام لاندوق ذواقا ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا أهيلا أو أهيا كذا بالشك من الراوى . وعند الإسماعيلى باللام من غير شك والمعنى أنه صار رملا سيل ولايتاسك ، وأهيم بمعنى أهيل وقد قيل فى قوله تعالى ﴿ شرب الهميم ﴾ : المراد الرمال التى لا يروىها الماء . وقد وقع عند أحمد والنسائى زيادة حسنة بإسناد حسن من حديث البراء قال : لما كان يوم الخندق عرضت لنا فى بعض الخنادق صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكىنا ذلك لرسول الله ﷺ ، فجاء وأخذ المعول فقال : بسم الله ، ثم ضرب ضربة وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأنظر قصورها الحجر الساعة . ثم ضرب الثانية فقطع آخر فقال : الله أكبر ، أعطيت فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن . ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله ، فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني

ومنها ما ثبت فى الصحيح فى حديث جابر من تكثير الطعام القليل ، وإشباعه لجميع أهل الخندق . وعند موسى بن عقبة أنهم أقاموا فى عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة . وعند الواقدي أربعة وعشرين يوما ، وعند ابن القيم فى الهدى أقاموا شهرا . قال ابن اسحق فى حديثه : وخرج عدو الله حي بن أخطب الضيرى حتى أتى كعب بن أسد صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك ، فلما سمع كعب بجي أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأتى أن يفتح له ، فناداه حي ويحك يا كعب افتح لى . قال ويحك يا حي إنك امرؤ مشغوم ، وإني قد عاهدت محمدا ، وإنك لست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلك . فقال : ما أنا بفاعل قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جيشك أن آكل منها . فأحفظ الرجل ففتح له فقال : ويحك يا كعب جئتكم بعز الدهر وبيجر طام ، جئتكم بقريش على قادتها وصادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال

من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم يذنب نَمَى الى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه . قال كعب : جئتني والله بذلّ الدهر وبجهاً قد هرف مأؤه ، فهو يردد ويرث وليس فيه شيء . ويحك يا حي فدعني وما أنا عليه فأني لم أر من أحمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حي يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قریش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الى رسول الله ﷺ أخبر بعث رسول الله سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة . أي كعدر عضل والقارة بأصحاب الزبيج . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين . وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم : قد كان محمد يعدنا أن يأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . وكان رسول الله ﷺ يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الدراري من بني قريظة . وأنزل الله ﷻ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا ﴿ الآيات ﴾ وقال رجال معه ﴿ يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ﴾ وقال بعضهم يا رسول الله أن بيوتنا عورة من العدو ، فأذن ففنا فرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة . فأنزل الله ﷻ وما هي بعورة ، إن يريدون إلا لارا ﴿

فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ الى عيينة بن حصن وإلى الخارث بن عوف
وهما قائدَا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهما عنه وعن أصحابه ،
فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقم الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا
المراوضة في ذلك ، فبعث رسول الله ﷺ الى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما
واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من
العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أنى
رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد
كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ولا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون
أن يكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا . أخين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به تعطيهم
أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم
بحكمه . فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذلك . فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من
الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا
أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن
أبي وشب وضرار بن الخطاب أقبلوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه
قالوا : والله إن هذه لكيدة ما كانت العرب تسكيدها . ثم تيمموا مكانا ضيقا من
الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسماع ،
وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا
منها وأقبلت الفرسان تغرق نحوهم ، وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى أثبتته
الجراحة فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معالما ليرى مكانه ، فلما وقف
هو وخيله قال : من يبارز ؟ فقال له على أنا . فبرز اليه على بن أبي طالب فقال له :
يا عمرو إنك كنت قد عاهدت الله أن لا يدعوك أحد من قريش إلى إحدى خلتين إلا
أخذتها منه . فقال له : أجل . قال له على : فإنى أدعوك الى الله وإلى رسوله وإلى

الإسلام . قال : لأحاجة لى بذلك . قال : فإنى أدعوك الى البراز ، فقال له : يابن أخى ما أحب أن أقتلك . قال له على : ولسكنى والله أحب أن أقتلك . فحى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على على فتنارزلا وتجاولا ، فقتله على ، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - صنع أمراً من عنده خذل به العدو ، وذلك أن نعيم بن مسعود الأشجعى أسلم وهو يخفى إسلامه ، فشى بين الأحزاب وثبط قوما عن قوم ، فاختلفت كلمتهم ، وأرسل الله جندا من الريح على المشركين فجعلت تقوض خيامهم ولا تدع لهم قدرا إلا كفأتها ولا طنبا إلا قلعته ولا يقر لهم قرار ، وجندا من الملائكة يزلزون بهم ويلقون فى قلوبهم الرعب والخوف

وفى البخارى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، أهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وزلزمهم » . وروى أحمد عن أبى سعيد قال : قلنا : يارسول الله ، هل من شئ نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر . قال « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال ف ضرب الله وجوه أعدائنا بالريح . وفى البخارى عن على أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق : ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس . وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت ، فقال رسول الله ﷺ : « شغلونا عن الصلاة الوسطى .. » الحديث . قال ابن دقيق العيد : الحبس انتهى الى ذلك الوقت ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب . وفى الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش قال : يارسول الله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس تغرب . فقال النبي ﷺ : وأنا والله ماصليتها . فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها : فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر ، وفى الموطأ الظهر والعصر ، وفى السنن

ومسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا . قال النووي : وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياما فكان هذا في بعض الأيام ، وهذا في بعضها . قال : وأما تأخيرده عليه السلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف . انتهى

ثم أرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان يأتية بمنجرهم فوجدهم قد تهيأوا للرحيل ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ليلا فأخبره برحيل القوم ، فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله عدوه بغیظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله قتالهم ، وصدق وعده ، وأعز جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

وفي البخاري عن سليمان بن صرد سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الله الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير اليهم »

فصل

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة - حين انصرف من الخندق يوم الأربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح - جاءه جبريل حين اغتسل وهو ينفض الغبار عن رأسه فقال : وقد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناها . أخرج اليهم . قال : فإلى أين ؟ قال : ههنا ، وأشار بيده إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ اليهم كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر قال النبي ﷺ يوم الأحزاب : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم . انتهى

وعند ابن سعد : ثم سار اليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف والخييل ثلاثون فرسا ، قال : وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة ، ونزل عليه الصلاة والسلام على بئر من آبار بني قريظة ، وتلاحق به الناس وقذف الله في قلبهم الرعب ،

وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعا وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال : إما الإسلام ، وإما قتل ذراريهم ونسائهم ثم القتال حتى يموتوا ، وإما تبيت النبي ﷺ وأصحابه ليلة السبت فان المسلمين قد آمنوا منهم . فأبوا كل ذلك ، فأرسلوا إلى رسول الله أن يبعث اليهم أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، فأرسله ، فلما آتاهم قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ، فرقت لهم وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقة أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال : لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ، وعاهدت الله أن لا يظأ بني قريظة أبدا ، أو لا أرى في بلد خنت الله ورسول فيه أبدا . فلما سمع رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ، وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ ، فتولى رسول الله إطلاقه بيده الكريمة ، فنزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ، فلما نزلوا على حكمه قال الأوس : يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد فعلت وهم حلفاء إخواننا الخزرج ، وهؤلاء موالينا . فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال : فذلك سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة في المسجد تسكنها ربيعة امرأة صالحة تقوم على المرضى وتداوى الجرحى تحتسب بذلك الأجر ليعوده من قريب ، فأرسل رسول الله ﷺ الى سعد ليؤتي به ليحكم في بني قريظة ، فأتى به على حمار قد وطئ له بوسادة آدم وأحاط به قومه وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإنما ولاك رسول الله ذلك لتحسن فيهم . فقال : لقد أبي الله لسعد إلا أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من معه الى ديار بني عبد الأشهل ينعي لهم رجال بني قريظة ، فلما أقبل سعد إلى

رسول الله ﷺ قال للمسلمين : قوموا الى سيدكم . فقام المسلمون فقالوا : يا سعد إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم كما حكمت ؟ قالوا نعم . قال : وعلى من ههنا ؟ وأشار به الى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ إجلالا له ، قال رسول الله : نعم . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسب الذراري والنساء . فقال له رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة . ثم أمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا الى موضع سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق ، وقتل معهم يومئذ حي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية ، وكانوا من الستمائة الى السبع مائة ، وقتل من نسائهم امرأة واحدة ، وهي التي طرحت الرحي على خلاد بن سويد بن الصامت قتلته . وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت ، وترك من لم ينبت ، ووهب رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزبير بن باطا ، فاستحياهم منه عبد الرحمن بن الزبير فأسلم وله صحبته ، ووهب أيضا رفاعة بن سموأل القرظي لأم المذذر سلمى بنت قيس من بني النجار وكانت قد صلت الى القبلتين ، فأسلم رفاعة وله صحبة ، وكان ممن لم ينبت عطية القرظي فاستحي ، له صحبة . وقسم عليه السلام أموال بني النضير فأقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما ، ووقع للنبي ﷺ من سيهم ريحانة ينت عمرو فلم تزل في ملسكه حتى مات

فلما تم أمر بني قريظة أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ رضى الله عنه فمات من جرحه الذي أصابه يوم الخندق ، كما في الصحيح عن عائشة قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة رماه في الأكل فضرب له النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال له : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناها . أخرج اليهم . قال النبي ﷺ : فإين ؟ فأشار الى بني قريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه فرد الحكم الى سعد قال : فإني

أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسي النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال ابن هشام فأخبرني أبي عن عائشة أن سعدا قال : اللهم إني أعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قریش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فأجرحها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لبتة ، فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم بسيل اليهم فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلك ؟ فإذا سعد يغدو جرحه دما ، فمات منها رحمه الله

وفي الصحيحين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « اهتز عرش الرحمن لموت سعد ابن معاذ » . وصحح الترمذی من حديث أنس قال : لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المناقبون : ما أخف جنازته ، فقال رسول الله ﷺ « إن الملائكة كانت تحمله »

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال : قبض إنسان يومئذ من تراب قبره قبضة ، فذهب بها ، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك ، قال فقال رسول الله : سبحان الله سبحان الله ، حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال : الحمد لله ، لو كان أحد ناحيا من ضمة القبر لنجا منها ، ضم ضمة ثم فرج الله عنه . وعند ابن اسحق عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ لما دفن سعد فسبح رسول الله وسبح معه الناس ، ثم كبر وكبر معه الناس ، فقالوا : يا رسول الله مم سبحت ؟ فقال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه . قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله ﷺ « إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناحيا لكان سعد بن معاذ » . ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من فقد هالك سمعنا به إلا لموت أبي عمرو

واستشهد من المسلمين يوم الخندق وقريظة سعد بن معاذ وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل كلهم من بني عبد الأشهل ، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن

زيد وخلاد بن سويد طرحت عليه امرأة من بنى قريظة رحي فقتلته ، ومات في الحصار أبو سنان بن محسن أخو عكاشة

قال ابن اسحق : وأنزل الله في أمر الخندق وأمر بنى قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء ويذكر نعمته عليهم وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق من قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم رجحا وجنودا لم تروها﴾ إلى قوله ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم﴾ الآيتين

بعث عبد الله بن عتيك إلى قتل سلام بن أبي الحقيق

وهو أبو رافع . ولما فتح الله في الكافر كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس كما تقدم ، رغبت الخزرج في مثل ذلك تريد من الأجر والثناء في الإسلام ، فتذكروا أن سلام بن أبي الحقيق من العداوة لرسول الله والمسلمين على مثل حال كعب بن الأشرف ، فاستأذنوا رسول الله في قتله فأذن لهم ، فخرجوا إليه خمسة نفر كلهم من الخزرج ، وكلهم من بنى سامة : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي ، ومسعود بن سنان ، وخزاعي بن الأسود حليف لهم من أسلم ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ونهاهم عن قتل النساء والصبيان . فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلا ، وكان سلام ساكنا في دار مع جماعة وهو في عليية منها ، فتسوروا الدار ولم يدعوا بابا من مساكنها إلا استوثقوا منه من خارج ، ثم أتوا العلية التي هو فيها فاستأذنوا عليه ، فقالت امرأته : ممن أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نطلب الميرة فقالت لهم : ذاكم صاحبكم ، فدخلوا . فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم فأيقنت المرأة بالشر فصاحت ، فهموا بقتلها ، ثم ذكروا نهى النبي ﷺ عن قتل النساء فأمسكوا عنها ، ثم تعاوروه بأسيا فهم وهو راقد على فراشه أبيض في سواد الليل كأنه قطنة ، ووضع عبد الله بن أنيس سيفه في بطنه حتى أنفذه ، وعدو الله يقول : قطنى قطنى

ثم نزلوا . وكان عبد الله بن عتيك ضعيف البصر فوقع ، فوتيت رجله وتيا شديدا ، فحمله أصحابه حتى أتوا منبرا من مناهيرهم فدخلوا فيه واستتروا ، وخرج أهل الآطام وأوقدوا النيران في كل وجه ، فلما أيسوا رجعوا ، فقال المسلمون : كيف لنا أن نعلم أن عدو الله قد مات ؟ فرجع أحدهم ودخل بين الناس ، ثم رجع الى أصحابه فذكر لهم أنه وقف مع الجماعة وأنه سمع امرأته تقول . والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم قلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم إنهما نظرت في وجهه فقالت . فاض وإله يهود . قال : فسررت . وانصرف الى أصحابه فأخبرهم بهلاكه ، فرجعوا الى رسول الله ﷺ فأخبروه وتداعوا في قتله فقال عليه السلام . هاتوا أسيافكم . فأتوه بها . فقال عن سيف عبد الله بن أديس هذا قتله ، أى فيه أثر الطعام

غزوة بنى لحيان

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد فتح بنى قريظة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، وخرج عليه الصلاة والسلام في جمادى الأولى في الشهر السادس من فتح بنى قريظة في السنة السادسة من الهجرة . قال ابن حزم . كذا قالوا ، والصحيح أنها الخامسة ، قاصدا إلى بنى لحيان مطالباً بئثار عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وأصحابهما المقتولين بالزجيج ، وذلك إثر رجوعه عليه السلام من دومة الجندل ، وأظهر أنه يريد الشام ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران واد بين أمج وعسفان ، وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الزجيج الذين قتلوا ببئر معونة . فترحم عليهم ، ودعاهم ، فسمعت به بنو لحيان نهبوا في رءوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد . فلما نزلها رسول الله ﷺ أخطأه من غرتهم ما أراد ، قالوا : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، فبعث عليه السلام رجلين من أصحابه وفارسين حتى أتوا كراع الغميم ثم كروا ، ورجع عليه السلام قافلا إلى المدينة

ولم يلق كيذا ، فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعا « آيئون ، تائبون ، إن شاء الله لرَبنا حامدون »

سرية محمد بن مسلمة

قال في المواهب : إلى بطن من بئى بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بال بكرات ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، لعشر ليال خلون من الحرم ، بعثه في ثلاثين راكبا ، فلما أغار عليهم هرب سائرهم ، واستأذنا وشاء ، وقدم المدينة لليلة بقيت من الحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيرا ، فربط بأمره ﷺ بسارية من سوارى المسجد . وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج اليه النبي ﷺ فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي خير يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فاسأل منه ما شئت . فتركه حتى كان الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك ، إن تنعم تنعم على شاكر . فتركه حتى كان بعد الغد فقال له : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قلت . قال أطلقوا ثمامة . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى . والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين إلى . والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى . وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل : صبت . قال لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ، ولا والله لا تأتيناكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ . وأخرجه مسلم أيضا . وذكر ابن القيم في الهدى زيادة بعد قوله « حتى يأذن فيها النبي » : وكانت اليمامة ريف مكة . فانصرف إلى بلاده

ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش ، - فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه
بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى لهم حمل الطعام ، ففعل رسول الله

غزوة الغابة

وتعرف بذى قرد بفتح القاف واءاء ، وهو ماء على برید من المدينة في ربيع الأول
سنة ست قبل الحديبية ، وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام ، ولمسلم نحوه .
قال القرطبي لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية . وقال الحافظ
ابن حجر : الذي في الصحيح أصح مما ذكره أهل السير

وسببها أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقمة - وهي ذوات اللبن القريبة العهد
بالولادة - ترعى بالغابة فأغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء في أربعين
فارسا فاستاقوها وقتلوا الراعى . قال ابن اسحق : وكان فيهم رجل من غفار وامرأة ،
قتلوا الرجل وسبوا المرأة ، ونودى : يا خيل الله اركبي . وكان أول ما نودى بها .
وكان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ، كان ناهضا إلى الغابة ، فلما
علا ثنية الوداع نظر إلى خيل الكفار فصاح ، فأنذر المسلمين ، ثم نهض في آثارهم
فأبلى بلاء حسنا عظيما ، ورماهم بالنبل حتى استنقذ ما كان بأيديهم . فلما وقعت الصيحة
بالمدينة كان أول من أتى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، ثم عباد
ابن بشر الأشهلي وأسمد بن حضير أخو بني حارثة وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة
الأسدي الأخرم وأبو قتادة الحارث بن ربي وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت
الزرق . فلما اجتمعوا أمر رسول الله ﷺ سعيد بن زيد من بني عبد الأشهل ، وقيل
إن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن معص أو عائد بن معص ،
وكان أحكم للفروسية من أبي عياش ، فأول من لحق بهم محرز بن نضلة الأخرم فقتل
رحمه الله ، ولحق أبو قتادة فقتل قاتل الأخرم ، وولى المشركون منهزمين ، وبلغ رسول
الله ﷺ ماء يقال له ذو قرد ، ونحر ناقة من لقاحه المسترجعة ، وأقام عليه السلام يوما

وليلة ثم رجع إلى المدينة ، وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة رسول الله ، فلما أتت المدينة نذرت أن تنجرها ، فأخبرها رسول الله ﷺ أنه لا نذر لأحد في معصية الله ولا فيما لا يملك ، وأخذ عليه السلام ناقته

سرية زيد بن حارثة

قالوا وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى العيص ، موضع على أربع ليال من المدينة في جمادى الأولى سنة ست ، ومعه سبعون راكبا ، لما بلغه عليه الصلاة والسلام أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها ، فآخذها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع ، وقدم بهم المدينة

قال ابن اسحق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم قال : خرج أبو العاص بن الربيع زوج زينب مرجعه من الشام ، وكان رجلا مأمونا ، وكانت معه بضائع لقريش ، فأقبل قافلا ، فلقيته سرية لرسول الله ﷺ فاستاقوا غيره وأفلت ، وقدموا على رسول الله ﷺ بما أصابوا ، فقسمه بينهم . وأتى أبو العاص المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ يريد ماله وما كان معه من أموال الناس ، فدعا رسول الله ﷺ السرية وقال : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا وغيرة ، وهو في الله الذي أفاء عليكم ، فإن رأيتم أن تردوا عليه قافلوا ، وإن كرهتم فأنتم وحقكم . قالوا : بل نرد عليه يا رسول الله ، فردوا عليه والله ما أصابوا ، حتى إن الرجل يأتى بالشئ والرجل يأتى بالإداوة والرجل بالحبل ، فما تركوا قليلا مما أصابوا ولا كثيرا إلا ردوه عليه . ثم خرج حتى قدم مكة فأدى إلى الناس بضائعهم ، حتى إذا فرغ قال : يامعشر قريش ، هل بقى لأحد منكم مال لم أردّه عليه ؟ قالوا لا فجزاك الله خيرا قد وجدناك وفيا كريما ، قال : والله ما منعى أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا تخوفنا أن تظنوا أنى ما أسلمت إلا لأذهب بأموالكم ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

وذكر موسى بن عقبة أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية ، وأنهم أخذوه فيه في رجال من قريش وأخذوا مامعهم وأسروهم ، ولم يقتلوا منهم أحدا لصهر رسول الله من أبي العاص وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد لأمها وأبيها ، فخلوا سبيل أبي العاص ، فقدم على امرأته زينب فسلمها أبو العاص في أصحابه الذين أسر أبو جندل وأبو بصير وما أخذوا له ، فكلمت رسول الله في ذلك ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قام فخطب فقال : إنا صاهرنا أناسا وصاهرنا أبا العاص ، فنعهم الصهر وجدناه . وإنه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم أحدا ، وإن زينب بنت رسول الله سألتني أن أجبرهم فهل أنتم مجبرون أبا العاص وأصحابه ؟ فقال الناس نعم . فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله ﷺ في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده ردوا عليهم كل شيء أخذ منهم حتى العقال ، وكتب رسول الله إلى أبي جندل وأبي بصير يأمرهم أن يقدموا عليه ويأمر من معهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم ولا يتعرضوا لأحد من قريش وعيراتها ، وقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي بصير وهو في الموت ، فمات وهو على صدره ، فدفنه أبو جندل ، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ وأمنت غير قريش وذكر باقي الحديث . قال ابن القيم في الهدى : وقول موسى بن عقبة أصوب ، وأبو العاص إنما أسلم زمن الهدنة ، وكانت زينب هاجرت قبله وتركته على شركه ، وردّها النبي ﷺ بالنكاح الأول ، قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة ، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : ردّها عليه بنكاح جديد سنة سبع

سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرينين

وهم الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل في شوال سنة ست ، قاله الواقدي وابن سعد وابن حبان ، أو في ذى القعدة بعد الحديبية وهو المذكور في البخاري

والعربون حى من بجميلة . وفى البخارى من عكل وعرينة . وفى الصحيحين عن أنس أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم . وفى لفظ لمسلم : وسلموا عين الراعى . وعند البخارى أنهم كانوا مع أهل الصفة قبل أن يخرجوا إلى الذود . وفى البخارى فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها . وفى لفظ فبعث الطلب فى آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا ، وقال أنس : إنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سملوا أعين الراعى ، رواه مسلم

وفى حديث أبى الزبير عن جابر فقال رسول الله ﷺ : اللهم عم عليهم الطريق واجعلها عليهم أضيق من (١) فعلى الله عليهم السبيل فأدركوا ، وذكر القصة . وفى البخارى : قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله . وفى الترمذى عن ابن سيرين إنما فعل رسول الله ﷺ ذلك قبل أن تنزل الحدود

وفىها من الفقه جواز شرب أبوال الإبل وطهارة بول ما كول اللحم ، والجمع للمحارب - إذا أخذ المال وقتل - بين قطع يده ورجله ، وأنه يفعل بالجائى كما فعل لأنهم لما سملوا أعين الراعى سمل أعينهم . وقد ظهر بهذا أن القصة بحكمة ليست منسوخة ، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود فالحدود نزلت بتقريرها لا بإبطالها

غزوة سيف البحر

قال البخارى عن جابر بن عبد الله : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمائة ، يتلقون عيراً لقريش ، فخرجنا فكنا ببعض الطريق ، ففى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ، فكان مزودى تمر ، فكان

يقوتنا كل يوم قليلا حتى نفي فلم يكن يصيبنا إلا ثمرة تمر . فقلت : ما تنغي عنكم ثمرة ؟
قال : لقد وجدنا قنطرة حين فنيتم . وفي لفظ : فأقمنا بالساحل نصف شهر فأصابنا جوع
شديد حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط ، فألقى لنا البحر دابة يقال
لها العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر وادعنا من ودكه حتى ثابت إلينا أجسامنا ، فأخذ
أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه فعمد إلى أطول رجل معه ثم أمر براحلة فرحلت
فمرت تحتها ، فقال جابر : وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم
نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاه . وفي رواية أنه قيس بن سعد . وفي لفظ : فلما
قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ قال : كلوا رزقا أخرجه الله ، أطعمونا إن كان
معكم ، فأتاه بعضهم بعضو فأكله

والصحيح أن هذه الغزوة كانت سنة ست قبل الهجرة كما قاله ابن سعد وصاحب
الهدى

غزوة الحديبية

بتخفيف الياء وتشديدها ، وهي بئر يسمى المكان بها . قال نافع : كانت سنة ست
في ذي القعدة . قال صاحب الهدى : وهو الصحيح ، وهو قول الزهري وقتادة
وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحق وغيرهم

قالوا وسبب هذه الغزوة أنه ﷺ أرى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى
الحديبية أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وطافوا
واعتمروا ، وحلق بعضهم وقصر بعضهم ، فأخبر بذلك أصحابه فقرحوا ، وحسبوا أنهم
دخلوا مكة عامهم ذلك ، فأخبر أصحابه أنه معتمر ، فتجهزوا للسفر ، واستنفر العرب
ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه ، وهو لا يريد الحرب ، ولكنه يخشى من
قريش أن يعرضوا له بحرب أو صدود عن البيت ، فأبطأ كثير من الأعراب ، فغسل
النبي ﷺ ثيابه وركب ناقته القصواء واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج
منها يوم الإثنين غرة ذي القعدة من السنة السادسة ومعه زوجته أم سلمة في ألف

وأربعائة ، ويقال ألف وخمسمائة ، ولم يخرج معه سلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف في القرب . وفي البخارى عن السور بن مخرمة وسروان بن الحكم قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قاد الهدى ، وأشعر وأحرم منها بعمره . وبعث عيناه من خزاعة ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كانوا بغدير الأشطاظ أتاه عينه فقال : إن قريشا جمعوا لك جموعا ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا عليّ أيها الناس ، أترون أن أميل إلى عيالم وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عينا من المشركين وإلا تركناهم محزونين . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله . حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغيم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقفرة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش . وسار النبي ﷺ ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته ، فقال الناس : حل حل . فألحت فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء . فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل . ثم قال : والذي نفسى بيده لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت به ، قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثم قليل الماء يتبرّضه الناس تبرضا ، فلم يلبث الناس حتى نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أسرمهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يمحش بالرى حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة ، وكانوا عيبة نصيح لرسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال رسول الله ﷺ : أنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب

وأضرت بهم ، فان شاءوا ماددتهم مدة ويحلوا بيني وبين الناس ، فان ظهروا فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جوا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره . فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي : هات ماسمعه يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا فخدمهم بما قال النبي ﷺ . فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، أستم بالوالد ؟ قالوا بلى . قال : أأست بالولد ؟ قالوا بلى ^(١) . قال : فهل تهمونى ؟ قالوا لا . قال : أستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى . قال : فان هذا قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها ، ودعونى آتة . فأتاه ، فجعل يسكلم النبي ﷺ ، ويقول له النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك : أى محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وإن تسكن الأخرى فوالله إنى لأرى وجوها ، وإنى لأرى أشواها من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك ^(٢) فقال له أبو بكر الصديق : امصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال عروة : من هذا ؟ فقالوا أبو بكر ، قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك . قال وجعل يسكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف ومعه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال : آخر يدك عن لحية النبي ﷺ . قال فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا :المغيرة بن شعبة . فقال . أى غدر ، أأست أسعى فى غدرتك ؟ وكان

(١) كان عروة بن مسعود اسبيعة بذت عبد شمس

(٢) يعنى أنه يرى فى أصحاب النبي ﷺ أخلاط الناس ، ويرى فى المعسكر الآخر وجوه قريش وأهل المسكنة فيها

الغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . فقال النبي ﷺ :
أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء . ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب
النبي ﷺ بعينه ، قال والله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل
منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون
على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيما له .
قال فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت
على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب
محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ،
إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له . وأنه قد عرض عليكم خطة رشداً
فأقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتة . فقالوا : آتته . فلما أشرف على النبي
ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها .
فبعثت له ، واستقبله الناس يلبّون . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء
أن يصدّوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت ،
فما أرى أن يصدّوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني
آتة . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ : هذا مكرز وهو رجل فاجر ،
فجعل يكلم النبي ﷺ . فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . قال معمر : فأخبرني
أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ : قد سهل لكم من أمركم . وفي
رواية ابن اسحق : فدعت قریش سهيل بن عمرو فقالوا إذهب إلى هذا الرجل فصالحه .
فقال ﷺ : قد أرادت قریش الصلح حين بعثت هذا . فلما انتهى إلى النبي ﷺ
جرى بينهما الصلح

وذكر ابن اسحق أيضاً في روايته أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليعثته
إلى أهل مكة فيبلغ عنه أشراف قریش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قریشا

على نفسى وليس بمكة أحد من بنى عدى بن كعب يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبى سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأت لقتال ولا لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فقالت أشرف قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها حتى ظن رسول الله ﷺ والمسلمون أن عثمان قد قتل . قال ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى فتاجز القوم . ودعا رسول الله ﷺ إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت ، ولكن بايعناه على أن لا نفر . انتهى . قلت : قال بعضهم : معنى القولين واحد . فبايعه جماعة على الموت ، أى لا نزال نقاتل بين يديك حتى نموت . وبايعه آخرون وقالوا : لا نفر

وذكر وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبي أن أول من بايعه أبو سنان الأسدى ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين من حضرها إلا جند بن قيس أحد بنى سلمة ، قال جابر بن عبد الله : وكأنى أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته مستترا بها عن الناس . انتهى

وضرب رسول الله ﷺ بيده اليمنى على اليسرى فقال : هذه لعثمان ، وكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم . وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » انتهى . ولما أبطأ عثمان قال المسلمون : طوبى لعثمان ، دخل مكة وسيطوف بالبيت وحده . فقال النبي ﷺ : ما كان ليطوف وحده . ولما تمت البيعة رجع عثمان ، فقال له المسلمون : اشتفيت يا أبا عبد

الله من الطواف بالبيت . فقال : بئس ما ظننتم بي ، والذي نفسى بيده لو مكنت بها سنة ورسول الله ﷺ بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله ، ولقد دعيتي قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت . فقال المسلمون : رسول الله كان أعلمنا بالله ، وأحسننا ظنا . وكان عمر بن الخطاب أخذاً بيد رسول الله للبيعة ، وكان تحت الشجرة ، وكان معقل بن يسار أخذاً بعضها يرفعه عن رسول الله ، وبإيعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات : في أول الناس ووسطهم وآخرهم

قال ابن اسحق في حديثه عن الزهري : فلما جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ كلمه وطأن بينهما الكلام ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب دعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله اترحن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فكتبها . ثم قال اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . وفي رواية البخارى : فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك . فقال النبي ﷺ : والله إني رسول الله وإن كذبتهموني ، اكتب محمد بن عبد الله . وفي رواية له وسلم : فقال النبي ﷺ لعلي « امحه » . فقال : ما أنا بالذي أمحوه . فقال عليه السلام لعلي : أرني مكانها . فأراه مكانها فمحاها ، وكتب محمد بن عبد الله . وفي البخارى قال الزهري : وذلك لقوله « لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها » فقال النبي ﷺ : على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به . فقال سهيل : والله لا نتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب . وعند ابن اسحق في روايته : واصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وعلى أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن أتى قريشا من مع محمد لم يردوه عليهم . وأن بيننا عيبة مكشوفة ، وأنه لا إرسال ولا إغلal ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد من العرب وفي عهده دخل فيه ،

ومن أحب أن يدخل في عقد قريش من العرب وعهدهم دخل فيه ، (فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثب بنو بكر وقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم) ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقروا بها ثلاثا ، معك سلاح الرأكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها ، وفي رواية البخارى قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فينبأهم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مسكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبي ﷺ : إنا لم نقض الكتاب بعد . فقال : إذا والله لا أصالحك على شيء أبدا . فقال النبي ﷺ : فأجره لى . قال : ما أنا بمجير له . قال بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز بلى قد أجرناه لك . قال أبو جندل : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله . وفي رواية غير البخارى : فقام سهيل إلى سمرة فأخذ منها غصنا وضرب به وجه أبا جندل ضربا رقيق عليه المسلمون وبكوا . وهم رواية ابن إسحق يصرخ بأعلى صوته : أرد إلى المشركين يفتنونى عن دينى ؟ فزاد ذلك الناس على ما بهم . فقال رسول الله : يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولن معك من المسلمين فرجا ومخرجا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك عهدا وأعطينا عهد الله ، وإنا لا نعذر بهم . فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه . قال فضن الرجل بأبيه . وفي رواية أنه لما قال سهيل : على من أتاك منا وإن كان على دينك رددته إلينا ، قال عمر : يا رسول الله أترضى بهذا ؟ فتبسم رسول الله وقال : من جاءنا منهم فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ، ومن أعرض عنا وذهب إليهم فلسنا منه وليس منا بلى

هم أولى به . وفي رواية ابن اسحق : وأشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل ابن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص - وهو يومئذ مشرك - وعلى بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة ، وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحل وكان يصلي في الحرم

وعند البخاري فقال عمر بن الخطاب : فأنت نبى الله قلت : ألسنت نبى الله حقا ؟ قال بلى . قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال رسول الله ﷺ : إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصرى . قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرت أنك تأتية العام قلت لا : قال : فانك آتية ومطوف به . قال فأنت أبا بكر قلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبى الله حقا ؟ قال بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا . قال : أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره ، فاستمسك بعرزته ، فوالله إنه على الحق . قلت : أو ليس كان يحدثنا أن سنأتى البيت ونطوف به . قال : بلى ، فأخبرك أنك تتيه وتطوف به العام . قال الزهري قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا . قال فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات : قال فلما لم يبق أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له أم سلمة : يا نبى الله أتحب ذلك . أخرج ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بُدْنِكَ ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً . ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ - ﴾ حتى

بلغ - عَمَّ الكوافر ﴿ . وطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنزل الله عليه سورة الفتح في مرجعه إلى المدينة كما ثبت في مسلم عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : لما نزلت ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا - إلى قوله - فوزا عظيما ﴾ مرجعه من الحديبية وهم يخاطبونهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال : لقد أنزلت على آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعا . وعند البخارى عن قتادة عن أنس ﴿ إنا ففتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال : الحديبية . قال أصحابه : هنيئاً مرثياً مالنا . فأنزل الله ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ الآية . وفيه عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله كان يسير في بعض أسفاره وعمر يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ، ثم سأل فلم يجبه ، فقال عمر : ثبكتك أمك عمر نزلت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن ، فلما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ ، قال : قفقت لقد خشيت أن ينزل في قرآن . فحقت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : لقد أنزل على الليلة سورة لمي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ . وعن مجمع بن حارث قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس يقرأ عليهم ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ الآية ، فقال رجل : يا رسول الله أوفتح هو . قال أى والذي نفسى بيده إنه لفتح . أخرجه أحمد وأبو داود

وفي هذه الغزوة أصابهم مطر ، فلما صلى النبي ﷺ قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة . قالوا الله ورسوله أعلم . قال « أصبح من عبادى مؤمن وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بى مؤمن بالكوكب » أخرجه البخارى . وفي غزوة الحديبية أيضا أنزل الله فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة أو النسك في شأن كعب ابن عجرة . وفيها دعا رسول الله ﷺ بالمغفرة للمخلفين ثلاثا وللقصرين مرة . وفيها

نحروا البدنة عن سبعة . وفيها أيضا عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها ، إذ جهش الناس نحوه فقال : مالكم . فقالوا يا رسول الله ما عندنا ما نشرب ولا ما نتوضأ به إلا ما بين يديك . فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون . أخرجه البخاري عن جابر قال : فشربوا وتوضأوا وكانوا خمس عشرة مائة ، وهذه غير قصة البئر التي تقدمت

وفي حديث معمر عن الزهري عن عروة عن السور ومروان بعد قوله فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلته لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : أرى سيفك يا فلان جيدا ، فاستلته الآخر فقال أجل والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . قال أبو بصير أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه : لقد رأى هذا ذعرا . فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قتل والله صاحبي ، وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا بني الله ، قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أبحاني الله منهم . فقال ﷺ : ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال وتقلت منهم أبو جندل ابن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش أحد مسلما إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمع منهم عصاة ، فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوه وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناسده الله والرحم لما أرسل إليهم من أئامه منهم فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ إليهم ، فأُنزل الله تعالى ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ﴾ الآية حتى بلغ ﴿ حمية الجاهلية ﴾ وكان حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت انتهى . قال ابن اسحق في روايته : قال ﴿ فأُنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

أزهمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴿١﴾ أى التوحيد بهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : ثم قال ﴿٢﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا لحق ﴿٣﴾ إلى قوله ﴿٤﴾ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴿٥﴾ يعنى صلح الحديبية ، يقول زهرى : فما فتح فى الإسلام قبله فتح أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، لما كانت المدينة ووضعت الحرب وأمن الناس والتقوا فتفاوضوا فى الحديث فلم يكلم حد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى بيتك السنتين مثل من كان فى إسلام قبل ذلك أو أكثر . انتهى

قالوا : وفى هذه السنة كسفت الشمس ، وفيها ظاهر أوس بن الصامت من امرأته ولة . وفيها استسقى رسول الله فى رمضان ومطر الناس . وفيها أيضاً حرمت الخمر كما زعم به غير واحد ، وذكر ابن إسحق أنه كان فى وقعة بنى النضير وهى بعد أحد ذلك سنة أربع على الراجح

غزوة خيبر

وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، على ثمانية برد من المدينة تمشى ثلاثة أيام من جهة الشمال

قال ابن إسحق : خرج ﷺ فى بقية الحرم سنة سبع ، وقيل كانت فى آخر سنة ست ، وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم . قال الحافظ ابن حجر : والراجح ما ذكره ابن إسحق ، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست يناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الأول . انتهى

وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية بقوله ﴿١﴾ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها مجل لكم هذه ﴿٢﴾ يعنى صلح الحديبية ، وبالمغنم الكثيرة فتح خيبر ، فخرج ﷺ يستنجزاً ميعادربه وإثماً بكفايته ونصرته ، وكان معه ألف وأربعمائة راجل ومائتا

فرس ، ومعه أم سلمة زوجته ، وأمر ألا يخرج معه إلا من رغب في الجهاد ، لا من غرضه عرض الدنيا . واستخاف على المدينة سبع بن عرفطة الغفارى

وفى البخارى من حديث سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر . ألا تسمعنا من هنياتك . وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأغفر فداءً لك ما أبقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفى رواية أحمد زيادة :

إن الذين قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينسا
ونحن عن فضلك ما استغنيينا

فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع . قال : يرجمه الله . قال رجل من القوم : وجبت يا رسول الله ، لولا أن متعتنا به . وفى رواية أحمد : فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب ، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل فى السير ، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحال ، وكان معلوماً عندهم أنه ما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد . انتهى

وقيل أرسل ابن أبى إلى يهود خيبر أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم ، فخذوا حذركم ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة ، وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم إلا قليل . فلما علم ذلك أهل خيبر أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهوذة ابن قيس إلى غطفان يستمدونهم لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر ، وشرطوا لهم نصف ثمار

خير إن هم غلبوا على المسلمين . ولم تقبل غطفان خوفاً من الإسلام . وفي رواية ابن إسحق قبلوا ، فلما نزل المسلمون منزل الرجيع ، وكان بينهم وبين غطفان مسيرة يوم وليلة ، تهيات غطفان وتوجهوا إلى خير لإمداد اليهود ، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلفهم حساً ولغطاً ، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهلهم وأموالهم فرجعوا . ثم دعا رسول الله ﷺ الدليلين - وكان اسم أحدهما حسيل - ليدلاهم على الطريق الأحسن حتى يحول بين أهل خير وغطفان ، فقال أحدهما أنا أدلك يا رسول الله ، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة وقال : يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد . فأمر بأن يسميها له واحداً واحداً ، قال : اسم واحد منها حزن ، فأبى النبي ﷺ من سلوكه . وقال : اسم الآخر شاش ، فامتنع منه أيضاً . وقال : اسم الآخر حاطب ، فامتنع منه أيضاً . قال حسيل : فما بقى إلا واحد ، قال عمر : ما اسمه ؟ قال : مرحب . فاختر النبي ﷺ سلوكه

ولما قدم رسول الله ﷺ خير صلى بها الصبح وركب وركب المسلمون ، فخرج أهل خير بمساحيهم ومكاتلهم ولا يشعرون ، بل خرجوا لأرضهم ، وقيل إن النوم غلب عليهم تلك الليلة فلم يقم منهم أحد ، حتى إن الديكة لم تصح ، فلما رأوا الجيش قالوا : محمد ، والله محمد والخميس . ثم رجعوا هارين إلى مدينتهم ، فقال ﷺ كافي الصحيحين عن أنس : الله أكبر خرجت خير ، الله أكبر خربت ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى . ولما دنا النبي ﷺ وأشرف عليها قال : قفوا ، فوقف الجيش ، فقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموا بسم الله . وقاتل النبي ﷺ أهل خير وقاتلوه أشد القتال . واستشهد من المسلمين خمسة عشر ، وفتحها الله عليه حصناً حصناً ، وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك الحمار ، وكانوا

قد غيبوه في خربة . ولما تيقن ﷺ أن اليهود تحارب وعظ أصحابه وحرصهم على الجهاد ورغبتهم في الثواب وبشر بأن من صبر فله الظفر والغنمة

روى أن خباب بن المنذر أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أم نزلك الله أم هو الرأى في الحرب ؟ قال : بل هو الرأى . فقال يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاة ، وجميع مقاتلي خيبر فيها ، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندرى أحوالهم ، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ولا تأمن من بياتهم . وأيضاً هذا بين النخلات ومكان غار وأرض وخيمة ، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفسد نتخذة معسكراً . قال ﷺ : الرأى ما أشرت إليه . وقد جرى مثل هذا في غزوة بدر

وفي البخارى : وكان على بن أبى طالب تخلف عن النبي ﷺ وكان رمداً فلحق ، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال ﷺ : لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غداً رجلاً يحبه الله ورسوله . وفي حديث سهل عند البخارى : ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يُعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : يا رسول الله هو يشتكى عينيه . قال : فأرسلوا إليه . فأتى ، فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاها الراية . فقال على : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الإسلام وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم . وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم : فلما أتينا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلجّب

قال فبرز له عى عامر فقال :

قد علمت خير أنى عامر . شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلعا ضربتين ، فوقع سيف مرحب فى ترس عامر ، وذهب عامر يسفل له . فرجع على نفسه فقطع أكله فكانت فيها نفسه رحمه الله . قال سلمة : فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبى ﷺ يقولون : بطل عمل عامر ، قتل نفسه . قال : فأتيت النبى ﷺ وأنا أبكى فقلت : يا رسول الله بطل عمل عامر ؟ فقال رسول الله : من قال ذلك ؟ قلت ناس من أصحابك . قال : كذب من قال ذلك ، بل له أجره مرتين . وفى رواية البخارى ومسلم وجمع بين إصبعيه : أنه لجاهد مجاهد قلَّ عربى مشى بها مثله . وفى مسلم : قال سلمة وخرج مرحب فقال :

قد علمت خير أنى مرحب . شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلّهب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدر . كليث غابات كرى المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه . انتهى . وعند ابن اسحق : لما دنا من حصنهم اطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال : علوتم وما أنزل على موسى . ثم خرج ياسر أخو مرحب ، فبرز اليه الزبير ، فقالت صفية أمه : يا رسول الله يقتل ابنى . فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فقتله الزبير رضى الله عنه

قال ابن اسحق : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خير فى حصنهم الوطيح والسلام حتى إذا أيقنوا بالهلاك سألوه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها الشق والنطاء والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من

ذینک الحصین . فلما سمع بهم أهل فدک أنهم قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال

وكانت خير بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يخلبوا عليها بخيل ولا ركاب . وقال حماد بن سلمة : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خير حتى ألجأهم الى قصرهم ، فغلب على الزرع والأرض والنخل فصالحوه على أن يخلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ورسول الله الصفراء والبيضاء ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئا ، فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكا فيه مال وحلي لحي بن أخطب كان احتمله معه الى خير حين أجليت النضير ، فقال رسول الله ﷺ : لم حي : ما فعل مسك حي الذي جاء به من النضير؟ قال : أذهبته النفقات والحروب . فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك . فدفعه ؟ رسول الله ﷺ الى الزبير فسه بعداب ، وقد كان قبل ذلك دخل خربة فقال : قد رأيت حيا يطوف في خربة ههنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق - وأحدها زوج صفية بنت حي بن أخطب - وسبي رسول الله ﷺ نساءهم وذرايرهم وقسم أموالهم ، بالنكت الذي نكثوا . وأراد أن يجليهم منها فقالوا : يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها ، فنحن أعلم بها منكم . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها ، فأعطاهم خير على أن لهم الشطر من كل زرع وعمر ، ما بدا لرسول الله ﷺ أن يقرهم . انتهى

قال في الهدى : ولم يقتل رسول الله ﷺ إلا ابني أبي الحقيق للنكت الذي نكثوا ، وأمر بلالا أن يذهب بصفية الى رحله ، فربها بلال على وسط القتلى ، فكره ذلك رسول الله ﷺ وقال : أذهبت منك الرحمة يا بلال ؟ وعرض عليها رسول الله الإسلام فأسلمت واصطفاه لنفسه ، وأعتقها وجعل عتقها صداقها ، وبني بها في الطريق وأولم عليها . ورأى بوجهها خضرة فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا رسول الله رأيت قبل قدومك علينا

كان القمر زال من مكانه فسقط في حجرى ، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئا ،
فقصتها على زوجى فلطم وجهى وقال : تمنين هذا الملك الذى بالمدينة ؟ وشك الصحابة
هل اتخذها سرية أو زوجة ، فقالوا : إن حببها فبى إحدى نسائه ، وإلا فبى
بما ملكت يمينه . فلما ركب جعل ثوبه الذى ارتدى به على ظهرها ووجهها ثم شد طرفه
نحته ، فتأخروا عنه فى السير ، وعلموا أنها إحدى نسائه . وفى رواية البخارى عن
نُس أنها صارت الى دحية فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه ، فجعل عتقها صداقها . وفى
رواية : قال ﷺ لدحية : خذ جارية من السبى غيرها . وفى رواية لمسلم أنه ﷺ
شترها منه بسبعة أرؤس

فصل

وفى السنن والمسند أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خير قسمها على ستة وثلاثين
سهما جمع كل سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ،
عزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب المسلمين . هذا لفظ أبى
ناود . وفى لفظ عزل رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهما وهو الشطر لنوائبه وما ينزل
لوطية والكبيبة وما أجير معها ، وعزل النصف الآخر قسمه بين المسلمين . وكان سهم
رسول الله ﷺ فيما أجير معها . قال فى الهدى قال البيهقى : وهذا لأن خير فتح شطر
صلحا ، فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغنائم ، وعزل ما فتح صلحا لنوائبه
ما يحتاج اليه من أمور المسلمين . قال ابن القيم قلت : وهذا بناء منه على أصل
لشافعى أنه يجب قسم الأرض المفتوحة عنوة كما يقسم سائر الغنائم ، فلما لم يحده قسم
لشطر من خير قال : إنه فتح صلحا . ومن تأمل السير والمغازى حق التأمل تبين له
أن خير إنما فتحت عنوة ، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف
عنوة ، ولو فتح شيئا منها صلحا لم يجعلهم رسول الله فيها ، فانه لما عزم على إخراجهم
منها قالوا نحن أعلم منكم ، دعونا نكون فيها ونعمرها لكم بشطر ما يخرج منها . وهذا

صريح جدا في أنها إنما فتحت عنوة . وقد حصل بين المسلمين واليهود بها من الحرب والمبارزة والقتل بين الفريقين ما هو معلوم . ولكن لما لجأوا الى حصنهم نزولوا على الصلح . والصواب الذي لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام بخير في أرض العنوة بين قسمها ، ووقفها ، وقسم بعضها وترك البعض ، وقد فعل رسول الله الأنواع الثلاثة : قسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر وترك شطرها ، وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الخديبية من شهد منهم ومن غاب وكانوا ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس سهمان ، فقسمت على ألف وثمانمائة . ولم يغب عن خيبر من أهل الخديبية إلا جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله كسهم من حضرها . وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللزاجل سهم ، هذا هو الصحيح الذي لا ريب فيه . انتهى . قلت : وفي الصحيح عن نافع عن عبد الله بن عمر : كان رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها ، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين ، وأراد إخراج اليهود منها ، فسألت اليهود رسول الله ﷺ ليقرم بها وأن يكفوا عملها ولم نصف الثمر ، وقال لهم رسول الله ﷺ : تترك بها على ذلك ما شئنا . فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى ثيأ وأريحا . وفي رواية له : عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر ، وكان يعطى أزواجه مائة وسق ، منها ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير . وقسم عمر خيبر فخير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لمن من الماء والأرض أو يفيض لمن ، فمن من اختار الوسق . وكانت عائشة اختارت الوسق . وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس التصريح بأنه كان عنوة ، وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا . قال : وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالخصنين الذين أسلمهما أهلها لتجفن دماؤهم ، وهو ضرب من الصلح ، لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال . انتهى

قال ابن اسحق : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق والنطاعة والكتيبة ، وكانت في الشق ونطاعة سهمان للمسلمين : وكانت الكتيبة : خمس لله ، وسهم النبي

ﷺ ، وسهم لذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبی ﷺ ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فذك بالصلح ، وفي الصحيح عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان الى النبی ﷺ فقلنا : يا رسول الله إخواننا بنو هاشم لا ننكر فضلهم علينا ، وأعطينا بنى المطلب من خمس خبير وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة . فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد . قال : ولم يقسم لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئا . وفي رواية قال ابن اسحق : لعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم وأُمهم عاتكة بنت مرة ، وكان نوفل أخا لأبيهم . انتهى

فصل

وفي هذه الغزوة حرم رسول الله ﷺ لحوم الأهلية كما فى البخارى ، ولفظه : فلما أمسى الناس مسى اليوم الذى فتحت عليهم - يعنى خيبر - أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : ما هذه النيران ، على أى شيء توقدون ؟ قالوا : على اللحم . قال أى لحم ؟ قالوا : لحم الجمر الإنسية . فقال النبی ﷺ : اهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها وننسلها . قال : أو ذاك . وفي رواية نهى يوم خيبر عن أكل الثوم وعن لحوم الجمر الأهلية . وفي رواية : نهى يوم خيبر عن لحوم الجمر الأهلية ورخص فى الخيل . وفي رواية أنس : جاءه جاء فقال : أكلت الجمر . فسكت . ثم أتى الثانية فقال : أكلت الجمر . فسكت . ثم أتى الثالثة فقال : أفنيت الجمر . فأمر مناديا فنادى فى الناس : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الجمر الأهلية ، فإنها رجس وفي هذه الغزوة نهى ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم ، وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ . وفي رواية ابن إسحق عن رويغ قام فبنا رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فى

المسلمين حتى إذا أجمعها ردها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فراء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه

وفي هذه الغزوة أيضا سمّت النبي ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم كما في البخاري عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم . . الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ قال لليهود : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ فقالوا : أردنا إن كنت كذابا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . وفي حديث جابر عند أبي داود أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة مصلية ثم أهدتها الى رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ فأكل منها وأكل رهط من الصحابة معه ، فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم ، وأرسل الى اليهودية فقال : سممت هذه الشاة ؟ فقالت : من أخبرك ؟ قال أخبرني هذه في يدي - للذراع - قالت : نعم ، قلت إن كان نبيا فلن يضرك ، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها ولم يعاقبها . وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة . واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة . وفي مغازي سليمان التيمي أنها أسلمت وقالت : الآن عرفت أنك نبي ، وإني أشهدك ومن حضر أُنِي على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وفي رواية أنه قتلها لما مات بشر بن البراء ، قال البيهقي : يحتمل أن يكون تركها أولا ، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها . وبذلك أجاب السهيلي بوزاد أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، ثم قتلها يبشر قصاصا . واختلف هل أكل النبي ﷺ منها أو لم يأكل ، وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى قال في وجهه الذي مات فيه . مازلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر ، فهذا أوان انقطاع الأبر مني . قال الزهري : فتوفي رسول الله ﷺ شهيدا

وفي هذه الغزوة أيضا قدم عليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، معهم الأشعريون عبد الله بن قيس أبو موسى وأصحابه ، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت

عميس . عن أبي موسى قال : بلغنا نخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين اليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو رهم والآخر أبو بردة في بضع وخمسين رجلا من قومي ، فركبنا سفينة فالتفتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده . فقال جعفر : إن رسول الله بعثنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فأسهم لنا ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئا إنه من شهيد معه ، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم له معهم . وكان ناس يقولون لنا : سبقناكم بالحجرة . قال : ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ ، فدخل عليها عمر فقال : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس الحبشية . قال : البحرية ؟ قالت أسماء نعم . قال سبقناكم بالحجرة فنحن أحق برسول الله منك ، فغضبت وقالت . يا عمر كلا والله ، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعطى جاهلكم ، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء ، وذلك في الله وفي رسوله . وإيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلما جاء النبي ﷺ قالت يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله . ما قلت له ؟ قالت : قلت له كذا وكذا . قال ليس بأحق بي منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالا يسألونني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم بأفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ . قالت أسماء : ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني

قال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ : إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم من إذا لقي الخيل أو قاتل العدو قال : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم . أخرجه البخاري وهذا لفظه . وروى أن جعفرا

لما قدم على النبي ﷺ تلقاه وقبل جبهته وقال : والله ما أدري بأيهما أفرح : بفتح
خير أم بقدوم جعفر . ذكره ابن هشام في السيرة عن الشعبي

ولما جرت المقاسم في أموال خير شيع المسلمون ووجدوا بها مرققا لم يكونوا
وجدوه قبل حتى قال عمر : ما شعبنا حتى فتحنا خير ، وعن عائشة قالت : لما فتحت
خير قلنا الآن نشبع من الثمر . أخرجه البخاري في صحيحه

قال موسى بن عقبة : وكانت بنو فزارة بمن قدم على أهل خير ليعينوهم ، فراسلهم
رسول الله ﷺ ألا يعينوهم وأن يخرجوا عنهم ولهم من خير كذا وكذا ، فأبوا
عليه ، فلما فتح الله عليه خير أتاه من كان ثم من بني فزارة فقالوا : وعدك الذي
وعدتنا . فقال : لكم ذو الرقبة ^(١) . فقالوا : إذا نقاتلك . فقال موعدكم كذا . فلما
سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ خرجوا هاربين

قال الواقدي قال أبو سلم المزني ، وكان قد أسلم وحسن إسلامه : لما نفرنا الى
أهلنا مع عيينة بن حصن رجع بنا عيينة ، فلما كان دون خير عرسنا من الليل فقرعنا ،
فقال عيينة : إني أرى الليلة في النوم أعطيت ذا الرقبة جبل بخير ، قد والله أخذت
برقبة محمد . فلما قدمنا خير قدم عيينة فوحد رسول الله ﷺ قد فتح خير فقال : يا محمد .
أعطني ما غنمت من حلفائي فاني أنصرف عنك وعن قتالك . قال : كذبت ، ولكن
الصياح الذي سمعت نفرك الى أهلك . قال احذني يا محمد ، قال : لك ذو الرقبة . قال
وما ذو الرقبة ؟ قال الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته . فانصرف عيينة . فلما
رجع الى أهله جاءه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل لك إنك توضع في غير شيء ،
والله والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد
لقد سمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق قال : إنا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت .

(١) في معجم البلدان لياقوت : ذو الرقبة ، وهو جبل مطل على خير

من بنى هرون وموسى ^(١) مرسل ويهود لا تطاوعنى على هذا . ولانا منه ذبحان واحد يثرب وآخر بخيبر . قال الحارث قلت لسلام : يملك الأرض جميعا ؟ قال نعم والتوراة التى أنزلت على موسى ، ما أحب أن تعلم يهود بقولى فيه . انتهى

وقدم أبو هريرة المدينة مسلما فوافى سباع بن عرفطة فى صلاة الصبح فسمعه يقرأ ، فى الركعة الأولى ﴿ كَيْعَص ﴾ وفى الثانية ﴿ وَيْلَ الْمُطَفِّفِينَ ﴾ فقال فى صلاته : ويل لأبى فلان ، له مكىالان إذا اكتال اكتال بالوفاء ، وإذا كال كال بالناقص . فلما فرغ من صلاته أتى سباع فزوده حتى قدم على رسول الله ﷺ فكلم المسلمين فأشركوه وأصحابه سهمانهم

وفى الصحيح عن أبى هريرة قال : افتتننا خير فلم نغنىم ذهابا ولا فضة إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ الى وادى القرى ومعه عبد له يقال له مدعم أهدى له أحد بنى الصبب ، فبينما هو يحيط رحل النبی ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس هنيئا له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : بل والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خير من المغانم لم تصبها للقاسم لتشتعل عليه نارا . فجاء رجل حين سمع ذلك بشراك أو بشراكين فقال : هذا شئ كنت أصبته . فقال رسول الله ﷺ . شراك أو شراكين من نار . انتهى

قال فى الهدى . فعبا رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفحهم ، ودفع لواءه الى سعد ابن عباد ورايته الى الحباب بن المنذر وراية الى سهل بن حنيف وراية الى عباد بن بشر ، ثم دعا اليهود الى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم ، فبرز اليه الزبير فقتله . ثم برز آخر فبرز اليه على فقتله . حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم دعا من بقى الى الإسلام وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلى بأصحابه ، ثم ينصرف فيدعوهم الى الإسلام وإلى

الله وإلى رسوله ، فقاتلهم حتى أمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح وهي بأيديهم ، وفتحها بعنوة ، وغنمه الله أموالهم ، وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وأقام رسول الله ﷺ بوادى القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القرى ، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ماواطأ عليه رسول الله ﷺ أهل خيبر وفدك ووادى القرى صالحوا رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى ^(١) إلى المدينة حجازا وما وراء ذلك من الشام انتهى . وقال غيره : وذلك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال فى وجهه الذى توفى فيه : لا يجتمع بجزيرة العرب دينان ، ففحص عن ذلك حتى وجد الثبت

فصل

قال موسى بن عقبة وغيره : وكان بين قریش رهون عظيمة حين سمعوا بخروج رسول الله ﷺ إلى خيبر فنهزم من يقول يظهر محمد وأصحابه ، ومنهم من يقول يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي قد أسلم وشهد فتح خيبر ، وكانت تحت أم شيبه أخت بنى عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرا من المال ، وكانت له معاذر أرض بنى سليم ، فلما ظهر النبي ﷺ على خيبر قال الحجاج : إن لى ذهباً عند امرأتى ، وإن تعلم هى وأهلها بإسلامى فلا مال لى ، فأذن لى أسرع السير وأسبق الخبر ، ولاخبرن أخبارا أدرأ بها عن مالى ونفسى . فأذن له رسول الله ﷺ . فلما قدم مكة قال لامرأته : اخفى على واجعى ما كان عندك لى من مال ، فإنى أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم ، وإن محمدا قد أسر وتفرق عنه أصحابه ، وإن اليهود قد أقسموا لبيعتهن به إلى مكة ثم ليقتلنه بقتلاهم بالمدينة . وفشا ذلك فى مكة ، واشتد على المسلمين وبلغ منهم ، وأظهر المشركون الفرح

والسرور ، وبلغ العباس عم رسول الله زجلة الناس وجلبتهم وإظهار السرور ، فأراد أن يقوم ويخرج فما تحرك ظهره ولم يقدر على القيام ، فدعا ابنا له يقال له قثم وكان شبيه رسول الله ﷺ ، فجعل يرتجز ويرفع صوته لئلا يشمت به أعداء الله :

قثم شبيه ذى الأنف الأشم ذى النعم برغم من رغم

وحشر الى باب داره رجال كثيرون ، منهم المظهر للفرح والسرور ، ومنهم الشامت والمعزى ، ومنهم من به مثل الموت من الحزن والبلاء . فلما سمع المسلمون رجز العباس وتجلده طابت أنفسهم ، وظن المشركون أن قد أتاها ما لم يأتهم . ثم أرسل العباس غلاما له الى الحجاج وقال له : اخلُ به وقل له : ويلك ما الذى جئت به وما تقول ؟ فالذى وعد الله خير مما جئت به . فلما كلمه قال : اقرئ أبا الفضل السلام وقل له : فليخل لى فى بعض بيوته حتى آتية ، فإن الخبر على ما يسره . فلما بلغ العبد باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . فوثب العباس فرحا كأنه لم يصبه بلاء قط حين جاءه وقبل ما بين عينيه وأخبره بقول الحجاج فأعنته . قال أخبرنى . قال يقول لك الحجاج : اخل به فى بعض بيوتك حتى يأتيك ظهرا . فلما جاءه وخلا به أخذ عليه لتسكتمن خبرى ، فواقفه العباس على ذلك ، فقال الحجاج : جئت وقد افتتح رسول الله خيبر وغنم أموالهم وجرت فيها سهام الله ، وإن رسول الله قد اصطفى صفية بنت حبي لنفسه وأعرس بها . ولكن جئت للمالى ، أردت أن أجمعه وأذهب به ، وإنى استأذنت رسول الله ﷺ أن أقول ؛ فأذن لى ، فأخف على ثلاثا ثم قل ما شئت . قال فجمعت له امرأته متاعه ثم انشمر راجعا . فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ قالت : ذهب . وقالت : لا يخزيك الله يا أبا الفضل ، لقد شق علينا الذى بلغك . فقال : أجل لا يخزىنى الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحب ، ففتح رسول الله خيبر ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله صفية لنفسه ، وإن كان لك فى زوجك حاجة فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا . قال . فانى والله صادق ، والأمر على ما أقول لك قالت من أخبرك بهذا ؟ قال الذى أخبرك بما أخبرك به . ثم

ذهب حتى أتى مجلس قریش ، فلما رأوه قالوا : هذا والله التجلید یا أبا الفضل ، لا یصیبک إلا خیر . قال : أجل لا یصیبنی إلا خیر والحمد لله ، أخبرنی الحجاج بکذا وکذا . وسألنی أن أکتب علیه ثلاثا لحاجته . فرد الله ما کان بالمسلمین من کتابة وجزع علی المشرکین ، وخرج المسلمون من مواضعهم حتی دخلوا علی العباس فأخبرهم الخبر ، فأشرفت وجوه المسلمین

فصل

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خیر الى المدينة مؤیدا منصورا ، فلما کان فی سبد الصهباء أعرس بصفیة بنت حنی ، فأقام ثلاثة أيام یبنی علیه بصفیة ، ثم صنع حیسا فی نطع صغیر ، ثم قال رسول الله ﷺ لأنس بن مالک : أذن من حولک . قال أنس : فدعوت الناس علی ولیمته علی صفیة ، وما کان فیها خبز ولا لحم ، وما کان فیها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فبسطت ، فألقى علیها التمر والأقط والسمن وهو الخیس ، فرأیت النبی ﷺ یحوی لها وراءه بعباءة وطأ لها خلفه ، ثم جلس عند بعیره فیضع ركبته وتضع صفیة رجلها علی ركبته وقد مد الحجاب بینها و بین الناس . قال أنس : فسرنا حتی إذا أشرفنا علی المدينة نظر الی أحد فقال : هذا جبل یحبنا ونحبه . ثم نظر الی المدينة فقال : اللهم إنی أحرّم ما بین لاتیبا بمثل ما حرم إبراهیم مکة ، اللهم بارک لهم فی مدهم وصاعهم . وفی رواية : فلما أشرف علی المدينة قال : آییون تائبون عابدون ، لربنا حامدون . فلم یزل یقول ذلك حتی دخل المدينة

وفی مرجعه الی المدينة سار لیلة من اللیالی ، حتی إذا کان من آخر اللیل نام هو وأصحابه کما فی صحیح مسلم وموطأ مالک عن سعید بن المسیب عن رسول الله ، وعند مسلم عن أبی هريرة أن رسول الله ﷺ حین قفل من غزوة خیر سار لیلة ، حتی إذا أدركه السکرى عرس وقال لبلال : اکلاً لنا اللیل . وصلى ما قدر له : ونام رسول الله وأصحابه . فلما تقارب الفجر استند بلال الی راحلته مواجه الفجر ، فغلبت بلالا

عيناه ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظا ، ففرغ رسول الله ﷺ فقال : أى بلال . فقال بلال : أخذ بنفسى الذى : أخذ - بأبى أنت وأمى يا رسول الله - بنفسك . فقال : اقتادوا رواحلكم شيئا . ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح ، فلما قضى الصلاة قال من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله قال ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ قال يونس وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى . وفى رواية لمسلم فقال هذا منزل حضرنا فيه الشيطان . وفيه ثم صلى سجدتين ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة . وفيها من الفقه أن من نام عن صلاة أو نسيها فوقتها حين يستيقظ أو يذكرها . وفيها أن السنن تقضى كما تقضى الفرائض ، لأنه قضى سنة الفجر معها وقضى سنة الفجر لما فاتته وحدها ، وكان هديه قضاء السنن الرواتب مع الفرائض . وفيه أن الفائتة يؤذن لها ويقام ، فإن فى بعض طرق هذه القصة أنه أمر بلالا فنادى بالصلاة . وفى بعضها أمر بلالا فأذن وأقام . ذكره أبو داود . وفيها قضاء الفائتة جماعة ، وأن قضاءها على الفور ، وإنما أخرها عن مكان معرسهم قليلا لكونه مكانا فيه شيطان وفيه تنبيه على اجتناب الصلاة فى أمكنة الشيطان كالحمام والحش بطريق الأولى . انتهى

وفى صحيح مسلم عن ابن شهاب عن أنس قال لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر الى المدينة رد المهاجرون الى الأنصار منأحبهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم ، وكان المهاجرون لما قدموا من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شئ ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤنة ، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذقا لها . وفى رواية فأمرنى أهلى أن آتى النبی ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه . وكان النبی ﷺ قد أعطاه أم أيمن ، فأتيت النبی ﷺ فأعطينيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقي وقالت : والله لا يعطيكهن وقد أعطينيهن ، فقال النبی ﷺ : يا أم أيمن اتركيه

ولك كذا وكذا . وتقول : كلا والذي لا إله إلا هو . فجعل يقول : لك كذا لك كذا حتى أعطها عشرة أمثاله . وفي رواية أعطى رسول الله ﷺ أم أين مكانهن من حائطه

فصل

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد مقدمه من خيبر الى شوال ، ويبعث في خلال ذلك السرايا :

فمنها (سرية أبي بكر الصديق) إلى نجد ، إلى بني إزارة ، ومعه سلامة بن الأكوخ ، فوقع في سببه جارية حسناء فاستوهبها منه رسول الله ﷺ وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم

ومنها (سرية عمر بن الخطاب) في شعبان سنة سبع ، ومعه ثلاثون رجلا ، فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكن النهار ، فأتى الخبر الى هوازن فهربوا ، وجاء عمر الى محالهم فلم يلق أحدا ، فانصرف راجعا الى المدينة

ومنها (سرية بشير بن سعد الأنصاري) الى بني مرة بفدك ، معه ثلاثون رجلا ، فقتلوا ، وقاتل بشير بن سعد حتى ارتث وقيل قدم مات . وقدم ابن زيد الحارثي بنجرهم ثم قدم بعده بشير بن سعد

ومنها (سرية الى الحركات من جبهة) وقيل إن الأمير غالب بن عبد الله الكلبي ، فلما دنا منهم بعث الأمير الطلائع ، فلما رجعوا بنجرهم أقبل حتى إذا دنا منهم ليلا وقد هدأوا فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تتخالفوا أمرى فإنه لا رأى لمن لا يطاع . ثم رتبهم فقال يا فلان أنت وقلان ، ويا فلان أنت وفلان ، لا يفارق كل منكم صاحبه وزميله . وإياي كأن يرجع أحد منكم فأقول أين صاحبك ؟ فيقول لأأدرى ، فإذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف فكبروا فحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم وأخذتهم

سيوف الله وفي البخارى عن أسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصارى عنه وطعنته برمحى حتى قتلتها ، فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ ، فقال يا أسامة ، أقمته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم

ومنها (سرية بشير بن سعد الأنصارى) الى يمن وبار بفتح الجيم ، وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذر ، وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة ، فساروا الليل وكنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا ، وأصاب لهم نعا كثيرة وأسر رجلين فقدم بهما الى المدينة الى رسول الله فأسلما .

وبعث رسول الله ﷺ (سرية قبل نجد) وفيها ابن عمر ، قال فبلغت أسبامنا اثني عشر بعيرا ، ونفلنا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا

ومنها (سرية عبد الله بن رواحة) فى ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن أنيس ، الى البشير بن رزام اليهودى ، لأنه بلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوهم بهم ، فأتوه بخير فذكروا له أن رسول الله أرسلنا اليك ليستعملك على خير ، فلم يزالوا به حتى تبعهم فى ثلاثين رجلا مع كل رجل رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة سار - وهى من خير على ستة أميال - ندم البشير فأهوى بيده الى سيف عبد الله بن أنيس ، ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثم اقتحم عن بعيره يسوق التوم حتى إذا امتمكن من البشير ضرب رجله قطعها ، فاقتحم البشير وفى يده مخرش من شوخط فضرب به وجه عبد الله فشجه مأومة ، فاتكأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل من يهود أعجزهم شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، فقدموا على رسول الله ﷺ فبصق ﷺ فى شجة عبد الله فلم تتح ولم تؤذه حتى مات

(سرية عبد الله بن حذافة السهمى) ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : نزل

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في عبد الله بن حذافة السهمي ، فبعثه رسول الله ﷺ في سرية . وفي الصحيحين عن علي قال : بعث رسول الله ﷺ رجلا من الأنصار على سرية ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال فأغضبوه في شيء ، فقال : اجمعوا لي خطبا ، فجمعوا . فقال : أوقدوا لي نارا ، فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى . قال : فادخلوها . فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله من النار . قال فسكن غضبه ، وطفئت النار . فلما قدموا على رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له قال « لو دخلوها ماخرجوا منها . إنما الطاعة في المعروف » قال في الهدى : وهذا هو عبد الله بن حذافة

عمرة القضاء

قال الحاكم : تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلك ذو القعدة يعني سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمرُوا قضاء لعمرتهم التي صدم عنها المشركون بالحديبية ، وأن لا يتخلف أحد من شهد الحديبية ، فلم يتخلف عنهم أحد منهم إلا رجلا استشهدوا بخير ورجالا ماتوا ، وخرج معه عليه السلام من المسلمين ألفان ، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري ، وساق عليه السلام ستين بدنة وأحرم لها من ذى الحليفة ، ولبي ولبي المسلمون معه ، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسامي ، فلما نزل بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن ياجج كيستم وهو موضع بمكة حيث ينظر إلى أنصاب الحرم وخلف عليه أوس بن حولى الأنصاري في مائتي رجل ، ودخلوا بسلاح الزاكب السيوف في القرب ، وخرجت رؤساء قريش من مكة إلى رؤوس الجبال لئلا يروه ، عداوة لله ولرسوله ، وقدم رسول الله ﷺ الهدى أمامه فحبس بذي طوى ، وركب ﷺ ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون . فلما قدم رسول الله ﷺ أمرهم أن يكشفوا عن المناكب ، وأن يسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم ، وكان يكايدهم بكل ما استطاع

وفى البخارى عن ابن عباس قال المشركون : يقدم عليكم وقد هنتهم حتى يثرب ،
 يأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا فى الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين ، ولم
 بمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . انتهى . وهو أول اضطباع ورمل فى
 الإسلام . فصاف المشركون وقوفاً ينظرون اليه . ، ودخل رسول الله ﷺ مكة من
 الثنية التى تطلعه على الحجون وابن رواحة أخذ بزمام راحلته
 وفى الشئال للترمذى عن أنس أنه دخل مكة فى عمرة القضاء ، وابن رواحة
 يمشى بين يديه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيه
 ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
 ورواه عبد الرزاق من وجهين ، وزاد :

قد أنزل الرحمن فى تنزيه بأن خير القتل فى سبيله
 نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيه
 وأخرجه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل ، وفيه :

يارب إني مؤمن بقبيله
 وزاد ابن عتبة بعد قوله « قد أنزل الرحمن فى تنزيه » :
 فى صحف تتلى على رسوله بأن خير القتل فى سبيله
 وزاد ابن اسحق :

يارب إني مؤمن بقبيله إني رأيت الحق فى قبوله انتهى
 قالوا : ولم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن بمحجته مضطبعا بشوبه ،
 وطاف على راحلته والمسادون يطوفون معه قد اضطبعوا بذيابهم . وفى الشئال فى حديث
 أنس فقال عمر : يا ابن رواحة ، بين يدي رسول الله تقول شعرا ؟ (١) أسرع فيهم

من نضج النبل . انتهى . ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال : هذا المنجر ، وكل فجاج مكة منجر . فنحز عند المروة وحلق هناك . وكذلك فعل المسامون . وأمر رسول الله ﷺ ناسا منهم الى أصحابهم بيطن ياجج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقتضون نسكهم ، ففعلوا . وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا . وفى البخارى عن البراء فلما مضى الأجل أتوا عليا فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل . فخرج النبي ﷺ فبعته ابنة حمزة تنادى : ياعم ، ياعم . فتناولها على فأخذها بيده وقال لفاطمة : دونك بنت عمك . فحملتها . فاختصم فيها على وزيد وجعفر ، فقال على : أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : بنت أخى . فقضى بها النبي ﷺ خالتها وقال : الخالة بمنزلة الأم . وقال لعلى أنت منى وأنا منك . وقال لجعفر أشبهت خاتى وخلقى ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا . وقال له على : ألا تتزوج بنت حمزة ؟ قال إنها بنت أخى من الرضاعة . انتهى

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة فى عمرة القضاء . وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل اليه ميمونة حين يمسى ، وأقام بسرف حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء المشركين وصبيانهم فبنى بها بسرف ، ثم أدج وسار حتى قدم المدينة . وقدر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى بها ، وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد . قال ابن عباس وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال . وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه . قال سعيد بن المسيب : وهى ابنة ابن عباس وإن كانت خاتمة ما تزوجها رسول الله ﷺ إلا بعد ما حل . وهى بكسر الهماء أى غلط . وفى مسلم عن ميمونة تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف . وقال المنذر : إنها آخر من تزوجه ﷺ ، وآخر من مات من أزواجه . والله أعلم

غزوة مؤتة

قالوا : فلما انصرف رسول الله ﷺ من عمرة القضاء أقام بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفر وشهرى ربيع ، وفي صفر من هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة الحنظلي وأسلموا ، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » . ذكره في الاستيعاب

ثم بعث رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة من السنة الثامنة من الهجرة بعث الأمراء الى الشام ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب الى ملك بصرى ، فلما نزل مؤتة - وهى بضم الميم وهى من عمل البلقاء بالشام دون دمشق - عرض له شرحبيل بن عمرو النسماني قتلته ، ولم يقتل رسول الله ﷺ رسول غيره ، فأمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه على ثلاثة آلاف وقال : إن قتل جعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة . قالوا وعقد لهم لواء أبيض ودفعه الى زيد بن حارثة ، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك الى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقتلواهم . وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم ، فبكى ابن رواحة ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما بى حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود . فلما ساروا نادى المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم صالحين غانمين . فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدتي يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فلما نزلوا معان من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء فى

مائة ألف من الروم ، وانضم اليهم من لحم وجذام وبلى مائة ألف ، فلما بلغ المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا : نكتب الى رسول الله نخبه بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضى له . فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : والله يا قوم إن الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين : إما ظفر وإما شهادة . فغضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيهم الجوع بقرية يقال لها مشارف ، فدنا العدو ، وانحاز المسلمون الى مؤتة ، فالتقى الناس ، فتعبأ المسلمون ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعا ، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أوردقه القتال اقتبحم عن فرسه فمقرها ثم قاتل ، وكان أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال ، فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فمقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول :

قسمت يا أنفـس لتنزلـه لتنزلن أو لتكرهـنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالى أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنـه هل أنت إلا نطفة فى شنه
ويقول : يانفس إن لا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلـى فعلمها هديت

يريد صاحبيه زيداً وجعفر ، ثم قاتل رضى الله عنه حتى قتل . ثم أخذ الراية ثابت ابن أفرم أخو بنى العجلان فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . فقالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد . فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس . وذكر ابن سعد أن

الهزيمة كانت على المسلمين والذي في صحيح البخارى أن الهزيمة كانت على الروم ، قال في الهدى : والصحيح ما ذكره ابن اسحق أن كل طائفة انحازت واحيز عنها . انتهى
 روى عن أبى هريرة قال : لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون ، فجعل خالد يدعو
 أخرامهم ويمنعهم عن الفرار وهم لا يسمعون ، حتى نادى قطبة بن عامر : أيها الناس ، لئن
 يقتل الرجل في حرب الكفار خير من أن يقتل حال الفرار . فلما سمعوا كلام قطبة
 تراجعوا

وفى البخارى عن خالد بن الوليد قال : لقد انقطع فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف ،
 فما بقى فى يدى إلا صحيفة يمانية

وفيه عن أنس أن النبى ﷺ فمى زيدا وجعفرا وابن رواحة فى الناس قبل أن
 يأتيهم خبرهم فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن
 رواحة فأصيب وعيناه نذرقان ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتوح الله
 عليهم . وفيه عن ابن عمر كنت فيهم تلك الغزوة فألقينا جعفر بن أبى طالب فوجدناه
 فى القتلى ، ووجدنا ما فى جسده بضعا وتسعين بين طعنة ورمية . وفى رواية فعددت به
 خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء فى دبره . والطبرانى بسند حسن عن عبد الله بن
 جعفر قال : قال لى رسول الله ﷺ « هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء » .
 وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : رأيت جعفر بن أبى طالب يطير مع
 الملائكة . أخرجه الترمذى والحاكم . وفى رواية عن ابن عباس أن جعفر يطير مع جبريل
 وميكائيل له جناحان عوضه الله عن يديه . وإسناده جيد . وفى البخارى عن ابن عمر
 كان إذا حيا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذى الجناحين . وفيه عن عائشة : لما
 جاء النبى ﷺ قتل ابن حارثة وابن رواحة وجعفر جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر
 من صائر الباب ، تعنى شق الباب ، فأتاه رجل فقال : إن نساء جعفر . . فذكر
 بكاءهن . قالت : فأمره أن ينهأهن . قالت : فذهب الرجل ثم أتاه فقال : قد نهيتهن .
 وذكر أنهن لم يطعنه ، قال : فأمره أيضا فذهب ثم أتاه الثالثة فقال : والله لقد غلبتنا .
 م - ٢٢ • مختصر السيرة

فرعمت أن رسول الله ﷺ قال : فاحت في أفواههن من الزراب . قالت عائشة : أرغم الله أنفك فوالله ما أنت تفعل وما تركت رسول الله من العناء ، وفي رواية ابن اسحق قالت وربما ضر التكلف أهله . قال موسى بن عقبة : قدم يعلى بن أمية على رسول الله ﷺ بنجر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله : إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتك . قال : فأخبرني يا رسول الله . فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره . فقال رسول الله ﷺ : إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم

واستشهد يومئذ من المسلمين : الأمراء ثلاثة ، ومسعود بن أوس ، ووهب بن سعد ابن أبي سرح ، وعبادة بن قيس ، وحارثة بن النعمان ، وسراقة بن عمرو بن عطية ، وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد ، وعمرو وعاصم ابنا سعد بن الحارث وغيرهم . رضى الله عنهم أجمعين . انتهى

ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله مقبل مشيع القوم على دابة فقال : خذوا الصبيان فاحلوم وأعطوني ابن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله . فيقول رسول الله : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله . رواه ابن اسحق في السيرة

غزوة ذات السلاسل

وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان جزم به في الهدى ، وقيل كانت سنة سبع جزم به ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ

قال ابن سعد بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من قضاة قد تجمعوا للإغارة على

المدينة وأن يدنوا منها ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره أن يستعين بمن مر به من بليّ وعذرة وبلقين ، فسار الليل وكن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين ، وعقد له لواء ، وبعث له سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمره أن يلحق بعمر وأن يكونا جميعا ولا يختلفان ، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو إنما قدمت على مدد الى وأنا الأمير . فإطاع له بذلك أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس ، وسار حتى وطئ بلاد قضاة ، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولهم وسلامتهم . قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال : بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب وقال لهما : تطاوعا . قال وكانوا أمروا أن يغيروا على بكر ، فانطلق عمرو وأغار على قضاة لأن بكرأ أخواله قال فانطلق المغيرة بن شعبه الى أبي عبيدة فقال : إن رسول الله ﷺ استعملك علينا ، وإن ابن فلان قد اتبع أمر العسر فإله معه أمر . قال أبو عبيدة : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاول ، فإنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو

وفي هذ الغزوة احتلم أمير الجيش عمرو بن العاص ، وكانت ليلة باردة فخاف على نفسه من الماء فتييم وصلى بأصحابه الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ فأخبره الذي منعه من الاغتسال وقال : إني سمعت الله يقول ﴿ ولا تقموا أنفوسكم إن الله كان بكم رحيم ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا (سرية أبي قتادة بن ربعي إلى بطن إضم) فيما بين ذى خشب وذى المروة على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ثمان ، وذلك أنه عليه السلام لما هم أن يغزو أهل مسكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن إضم ، ليظن ظان أنه ﷺ توجه

الى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار ، فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحيةة الإسلام فقتله محم بن جثامة فأنزل الله ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً ﴾ الى آخر الآية رواه أحمد . وفي الهدى : وخل عليه محم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وزاد ابن جرير : فجاء محم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له فقال رسول الله « لاغفر الله لك » فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له ساعة حتى مات فلفظته الأرض ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال « إن الأرض تقبل من هو شر منه ، ولكن يريد الله أن يعظكم » ونسب ابن اسحق هذه السرية لأبي حدرد

وبعث أبا حدرد ومعه رجلاان الى الغابة لما بلغه رسول الله ﷺ أن رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - الجشمي أقبل في عدد كثير حتى نزلوا الغابة يريد أن يجمع قيسا على محاربة رسول الله ﷺ وكان ذا شرف ، فخرجوا حتى إذا جاءوا قريبا منهم فكمنوا في ناحية العسكر وخرج رفاعه وقد غشيهم الليل يطلب راعيا لهم قد أبطأ عليهم ، حتى مر بأبي حدرد فنفضه بسهم فوضعه في فؤاده فاحتز رأسه ، ثم شدوا في ناحية العسكر وكبروا ، فهرب القوم بكل ما قدروا عليه وما خف من أموالهم ونسائهم وأبنائهم ، واستأفأ أبو حدرد وصاحباة إبلا عظيمة وغنا كثيرة فجاءوا بها رسول الله ، وجاء أبو حدرد برأسه يحمله ، فأنعاه من الإبل ثلاثة عشر . هذا معنى ما ذكر ابن اسحق

غزوة الفتح

قال في زاد المعاد : وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، ودخل الناس في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا . خرج رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قریش العهد الذي وقع بينهم وبين رسول الله بالحديبية كما تقدم ، وذلك في رمضان سنة ثمان . وفي البخاري : على رأس ثمان ونصف من مقدمه المدينة .

وكان سبب ذلك على ما ذكره إمام أهل المغازي والأخبار محمد بن اسحق بن يسار أن بنى بكر بن عبد مناة كانت بينهم وبين خزاعة حروب قبل الإسلام وقتل ، فلما جاء الإسلام تشاغل الناس به ، فلما كانت الهدنة دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله وعقده . فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو بكر وأرادوا أن يصيبوا الثأر من خزاعة ، فخرج نوفل بن معاوية في نفر من بنى بكر فبيت خزاعة على ماء بأسفل مكة يقال له الوثير ، فأصابوا منهم رجالا وتناوشوا واقتتلوا ، وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة الى الحرم ، فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر : يا نوفل أنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك . فقال كفة عظيمة : لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرفون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ فقاتلوهم حتى لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بما قد وقع ، ويستنصرونه ، فقام وهو يجر رداءه ويقول ^(١) إن لم أنصر بما أنصر منه نفسى . وفى معجم الطبرانى الصغير عن ميهونة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول فى متوضئه ليلا : لبيك لبيك (ثلاثا) ، نصرت نصرت (ثلاثا) . فلما خرج قلب : يا رسول الله ، سمعتك تقول فى متوضئك : لبيك لبيك ثلاثا ، نصرت نصرت ثلاثا ، كأنك تكلم إنسانا ، فهل كان معك أحد ؟ فقال : هذا راجز بنى كعب يستصرخنى ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر . ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا يعلم أحد ، قالت : فدخل عليها أبو بكر فقال : يا بنيه ما هذا الجهاز ؟ قالت والله ما أدرى . فقال : والله ما هذا زمان غزو بنى الأصفر ، فأين يزيد رسول الله ؟ قالت : والله لأعلم لى . قالت فأقمنا ثلاثا ، ثم صلى الصبح بالناس ، فسمعت الراجز ينشده :

يارب إني ناشد محمدا حلف أيينا وأبيه الأتلا
 إن قریشا أخلقوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
 وزعموا أن لست أدعو أحدا فانصر هداك الله نصرا أيدا
 وادع عباد الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا
 إن سيم خسفا وجهه تربدا

زاد ابن اسحق :

في فيلق كالبحر يجري مزبدا هم يبتوننا بالوتير هجدا
 وقتلوننا ركما وسجدا وهم أذل وأقل عددا

فقال رسول الله ﷺ : نصرت ياعمرو بن سالم . وفي رواية : نصرت نصرت
 ثلاثا ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال : إن هذه السحابة لتسهل لنصر
 كعب ، وهم رهط عمرو بن سالم

ثم ندمت قريش على ما صنعت ، وعلموا أن ذلك نقض لما كان بينهم وبين رسول
 الله ، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس : كأني سمع بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد
 ويزيد في المدة . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما
 ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية أرغبت بي عن
 هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت
 رجل مشرك نجس . فقال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول
 الله ، فكلمه فلم يرد عليه شيئا . ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ،
 فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فقال : أنا أشفع لكم ؟ فوالله لو لم أجد
 إلا الذر لجاهدتكم به . ثم أتى علي بن طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وعندها
 الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال : يا علي أنك أمس القوم بي رحما ، وإني
 قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا ، اشفع لي إلى رسول الله . فقال : ويحك

يا أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . ثم التفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟ فقالت : ما بلغ ابني ذلك ، وما يجبر أحد على رسول الله . فقال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمر قد اشتدت على ، فانصحنى . قال : والله ما أرى شيئا يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . فقال : أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال : لا والله ، ولكن ما أجد لك غيره . فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق . فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيت محمدا فكلمته ، فوالله مارد على شيئا ، ثم ابن أبي قحافة فلم أجد منه خيرا . ثم أتيت ابن الخطاب فوجدته أدنى لعدو . وفي لفظ : أعدى العدو . ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم . وقد أشار على بشي صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى شيئا أم لا . قالوا : وبهم أمرك . قال : أمرني أن أجبر بين الناس ، ففعلت . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : وبلك إن زاد الرجل على أن لعب بك

وأمر رسول الله ﷺ بالناس بالجهاز ، وأعلمهم أنه سائر الى مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . فتجهز الناس ، فكتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا الى أهل مكة يسير رسول الله ﷺ اليهم . وفي رواية كتب فيه : إن رسول الله ﷺ قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسميل ، وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم ، فانه منجز له وعده . فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء . وفي البخارى عن على قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها . وفي رواية : فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة فخذوه منها . قال : وكلنا فارس . قال : فادركنها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ . فقلنا : الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فأخناها فالتسنا فلم نر كتابا ، فقلنا : ما كذب

رسول الله ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك ، فلما رأت الجذ أهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته ، فانطلقنا بها الى رسول الله ﷺ ، فاذا فيه من حاطب ابن أبي بلنعة الى ناس من المشركين يخبرهم ببعض أمور رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ لحاطب : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : والله ما بى إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله ، أردت أن تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلى ومالى ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال : صدق ، ولا تقولوا له إلا خيرا . فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى أضرب عنقه . فقال : إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وفى رواية : فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم . قدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . وفى رواية له : فأنزل الله السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ ﴾ الى قوله ﴿ سِوَا السَّبِيلِ ﴾ انتهى

وبعث رسول الله ﷺ الى من حوله من العرب فجلبهم : أسلم وغفار ومزينة وجبينة وأشجع ووليم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لاقاه بالطريق . وخرج فى عشرة آلاف من المسلمين : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم الغفارى . وفى البخارى عن ابن عباس : صام النبى ﷺ حتى إذا بلغ الكديد - الماء الذى بين قديد وعسفان - أفطروا وأفطر الناس معه ، قال الزهرى : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر ، وفى رواية عن ابن عباس لمسلم عن ابن شهاب : ويروونه الناسخ المحكم . وفى رواية عن ابن عباس : فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر . وفى رواية عن ابن عباس : صام رسول الله ﷺ فى السفر وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر . انتهى

قال ابن اسحق وقد كان العباس عم رسول الله ﷺ خرج بأهله وعياله مهاجرا مسامحا فلقى

رسول الله بالجحفة ، وكان من لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحارث بن المطلب ابن عمه وعبد الله ابن أبي أمية بن عمتة أخو أم سلمة أم المؤمنين ، لقيه بالأبواء ، فكلمته أم سلمة فيها فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذى قال لي بمكة ما قال . فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان ومعه بنى له : والله ليأذن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا . فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك رق لها وأذن لها . وحكى أبو عمر أن عليا قال لأبى سفيان : أت رسول الله من قبل وجهه ، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿ تالله لقد آترك الله علينا ، وإن كنا لخاطئين ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا . ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ فأنشده أبو سفيان أبياتا منها :

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسى فدلنى الى الله من طردته كل مطرد

قال ابن اسحق : فزعموا أن رسول الله ﷺ ضرب صدره وقال : أنت طردتني كل مطرد قال أبو عمر وحسن إسلامه بعد ذلك ، ويقال : ما رفع رأسه الى رسول الله منذ أسلم حياء منه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة ، وقال : أرجو أن يكون خلفا من حمزة . ولما حضرته الوفاة قال لأهله : لا تبكوا على ، فوالله ما تنطفت بخطيئة منذ أسامت

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الظهران عشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا أكثر من عشرة آلاف نار ، ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم . قال العباس : قلت واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يأتوه

فيستأمنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهر . قال فركبتُ بغلة رسول الله فخرجت حتى أتيت الأراك ، فقلت لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال فوالله إنني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، قال يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت نعم . قال مالك فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت : هذا رسول الله في الناس ، واصباح قريش والله . قال أبو سفيان : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك . فركب خلفي ، ورجع صاحبا . قال فجئت به ، فكلما مررنا بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا : عم رسول الله على بغلة رسول الله . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام الى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، فركضت البغلة فسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء ، واقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت : والله لا يناجيه الليلة أحد دوني . فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدى بن كعب ما قلت هذا . قال : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب الى رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ : إذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به . فذهبت به إلى رحلي ، فلما أصبحت غدوت به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله قال : ويمك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله

إلا الله؟ قال: يا بـنـي أنت وأمي ما أحـمـك وأكرـمـك وأوصـلـك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال يا بـنـي أنت وأمي ما أحـمـك وأكرـمـك . وأوصـلـك ، أما هذه فى النفس حتى الآن منها شيء . فقال له العباس : ويحك أسـلـم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . فأسلم وتشهد شهادة الحق ، فقال العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئا .

ال نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل لمسجد فهو آمن . وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يحبسه بمضيق من الوادى عند نطم الجبل تمر به جنود الله فيراها ، ففعل ، فمرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة نال : يا عباس من هذه ؟ فأقول سليم ، فيقول : مالى وسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالى ولمزينة . حتى نددت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا سألتنى عنها فأخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان . حتى مر به رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال قلت : هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة . ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما . قال قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة . قال فنعم إذن . قلت النجاء لى قومك . وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد ، فلما مر بأبى سفيان قال له ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، اليوم أذل الله قريشا . وفى رواية البخارى فى الصحيح : فقال أبو سفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار . يعنى أن تكون له يد فيجمل فومه . وفى رواية البخارى : وراية النـبـى ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عباد ؟ قال ما قال ؟ قال قال كذا وكذا . قال كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال فأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحبون ، وفى رواية ابن اسحق : فقال عثمان

وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم أعز الله قريشا . ثم أرسل رسول الله ﷺ الى سعد ففزع منه اللواء فدفعه الى قيس ابنه ، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار الى ابنه ، وروى أن رسول الله ﷺ لما أخذ الراية دفعها الى الزبير . ومضى أبو سفيان حتى جاء قريشا فصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . قالوا : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابي فهو آمن ، قال فتفرقت الناس الى دورهم وإلى المسجد ، وسار رسول الله ﷺ فدخل مكة من أعلاها ، وضربت هناك القبة . وفي رواية البخارى عن عروة : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كذا ، ودخل النبي ﷺ من كذا فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حنش بن الأشقر وكرز بن جابر الفهري ، قال الحافظ ابن حجر : وهذا يخالف الأحاديث الصحيحة الآتية للبخارى عن ابن عمر وغيره ، أنه ﷺ دخل يوم الفتح من أعلى مكة حل راحلته مردفا أسامة بن زيد ، قال وقد ساف موسى بن عقبة سيقا واخفا فقال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كذا من أعلى مكة ، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة وسلمين وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت ، وبعث ابن عبادة في كتبية الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا أيديهم عن القتال ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة وقد جمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدًا فقاتلهم فانهزموا ، وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور فارتفعت طائفة منهم على الجبال ، وصاح أبو سفيان : من أغلق بابي وكف يده

فهو آمن . قال ونظر رسول الله الى البارقة ، فقال : ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟ فقالوا : نظن أن خالدًا قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بدم من أن يقتلهم . ولمسلم عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد ، وعلى الأخرى الزبير ، وبعث أبا عبيدة على الحُسر أي الذين لا سلاح معهم ، فقال لى : يا أبا هريرة ائتف لى بالأنصار . فبهتت فجاءوا فطافوا به فقال لهم أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم . ثم قال بإحدى يديه على الأخرى احصوهم حصدا حتى توافونى بالصفا ، فقال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل منهم أحدا إلا قتلناه . قال فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، ثم قال : من دخل دار أبي سفيان فهدم آمن ، فقالت الأنصار بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لا يخفى علينا ، فإذا جاء ليس أحد يرفع طرفه الى رسول الله ﷺ حتى ينقضى الوحي . قال رسول الله : يامعشر الأنصار ، قالوا : لبيك يا رسول الله ، قال قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ، قالوا : قد كان ذلك ، قال : كلا إني عبد الله ورسوله . هاجرت الى الله وإليكم ، والحيا محيا والمات مماتكم . فاقبلوا يسكنون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا للضن بالله ورسوله . فقال رسول الله : فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم الحديث . قالوا ولما انتهى رسول الله ﷺ الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد أحمر وعليه المغفر وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع وإنه ليضع رأسه تواضعا لله وشكرا له حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده ولم يحله لأحد بعده ، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ، والعثنون بالعين والمثناة والنونين بينهما واو هو اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين كذا فى القاموس ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه ألا يقتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه عهد فى نفر سماهم أمرهم بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة : الحويرث بن نفيل وهلال بن خطل وهبار بن الأسود ومقيس ابن صبابه وعبد الله بن أبي سرح وعكرمة بن أبي جهل وقينتان لابن خطل كانتا

تغنيان بهجاء رسول الله ومولاة لبعض بني المطلب اسمها سارة . فأما ابن خطل فقتله أبو برزة الأسلمي وهو متعلق بأستار الكعبة وقيل قتله الزبير ، وأما الحويرث ومقيس وإحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وأما هبار بن الأسود فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله حين هاجرت حتى سقطت على صخرة فأسقطت جزيها فقر أسلم وحسن إسلامه ، واستؤمن رسول الله لسارة وإحدى القينتين فأمهما فأسامتا ، وأما ابن أبي سرح فانه أسلم فجا به عثمان بن عفان فاستأمن له رسوله ﷺ فأمنه بعد أن أمسك رجاء أن يقوم اليه بعض الصحابة فيقتله ، وكان قد أسلم قبل ذلك ثم هاجر ثم ارتد ورجع الى مكة ، وأما عكرمة فاستأمنت له امرأته بعد أن هرب فقدم وأسلم وحسن إسلامه

ثم نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله حتى دخل المسجد ، فأقبل الى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس ، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنهما في عيونهما بالقوس ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » والأصنام تتساقط على وجوهها ، وكانت مثبتة بالحديد والرصاص

وكان طوافه على راحلته ، ولم يكن محرما يومئذ فاقصر على الطواف . قلت كذا ذكر في الهدى . وفي صحيح مسلم في حديث أبي هريرة : فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فملا عليه حتى نظر الى البيت ، فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو . انتهى . ثم دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فأمر بها ففتحت فدخلها وفيها الصور ، ورأى صورة إبراهيم وإسماعيل يستسنان بالأزلام ، فقال : قاتلهم الله ، والله إن استسما بها قط . ورأى في الكعبة حمامة من عيدان فكسرها بيده ، وأمر بالصور فحيت ، ثم أغلق عليه الباب وعلى أسامة وبلال وعثمان بن طلحة فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب حتى إذا كان بينه وبينه قدر ثلاثة أذرع وقف وصلى هناك . وفي الترمذي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أراد أن يدخل البيت وفيه الآلة فأمر بها فأخرجت ،

فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزرلام فقال رسول الله : قاتلهم الله ، أما والله لقد علموا أنهما لم يستسما بها قط . فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل . وسلم عن ابن عباس أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج ، فلما خرج رُكِع في قبل البيت ركعتين . انتهى

وفي حديث ابن عمر عند مسلم قال بلال : جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ، انتهى . ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحده الله ، ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينظرون ماذا يفعل ، فأخذ بضادتي الباب وهم تحته فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا فقيه الدية مغلفة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الآية . ثم قال : يامعشر قريش ، ماتظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس في المسجد . فقام إليه عليّ ومفتاح السكبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . وفي رواية أن الذي قال ذلك العباس بن عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء . وفي رواية : وكان النبي ﷺ يريد أن يدفعه إلى العباس فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية . وذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال : كنا نفتح السكبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس ، فأقبل النبي ﷺ يريد أن يدخل السكبة مع الناس

فأغلقت له ونلت منه ، فلم عني ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي
أضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذات . فقال : بل عمرت
وعزت يومئذ . ودخل الكعبة فوَقعت كلمته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى
ما قال ، فلما كان يوم الفتح قال : يا عثمان انثنى بالمفتاح ، فأتيت به فأخذه ثم دفعه إلى
وقال : خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم . يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته
فكفوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف . قال : فلما ولت ناداني فقال : ألم
يكن الذي قلت لك ؟ قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة فقلت : بل أشهد أنك
رسول الله انتهى . وأمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة ، وأبو
سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وأشراف قريش جلوس بفناء
الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه .
فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته . فقال أبو سفيان : والله لا أقول
شيئا ، ولو تكلمت لأخبرت عني هذه الخصباء . فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : قد
علمت الذي قلتم ، ثم ذكر لهم ذلك . فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ،
والله ما أطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك

وفي البخاري عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح . يا رسول الله أين نزل غدا ؟
قال النبي ﷺ . وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من
رباع أو دور ؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئا
لأنهما كانا مسلمين ، وكان عقيل وطالب كافرين ، وكان عمر بن الخطاب يقول : لا يرث
الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر . وفي رواية أخرى قال عليه السلام : منزلنا إن
شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ، يعني به الحصب ، وذلك أن
قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحهم ولا يبايعوهم حتى
يسلموا إليهم النبي ﷺ كما تقدم

فصل

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانيء بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات في بيتها وكانت ضحى كافي الصحيحين من حديث أم هانيء . وفي رواية لم أره صلى صلاة قط أخف منها غير أنه أتم الركوع والسجود فظنوا من ظنها عملة الضحى ، وإنما هذه صلاة الفتح . وكان أمر الإسلام إذا فتحوا حصنا أو بلدا صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداء برسول الله وفي هذه القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكر الله عليه فإنها قالت ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها . وأجارت أم هانيء حمويها فقال النبي ﷺ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلها فأغلقت عليهما باب بيتها وذهبت إلى النبي ﷺ فقال لها ذلك

فلما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه كما في البخاري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله حرمها ولم يحرمها الناس ، لا يحل لاسرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعصدها شجراً ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب . . الحديث

ومسلم من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة : لاجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا . وقال يوم الفتح فتح مكة : إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ، إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمه الله

الى يوم القيامة ، لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط ؛ ساقطته [إلا من عرفها ، ولا يحتلى خلاه . فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فانه لقينهم وليوتهم ، فقال : إلا الإذخر . وفي رواية له عن أبي هريرة أن خزاعة طلبت [رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك رسول الله ، فركب راحلته فخطب فقال : إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي وإن تحل لأحد بعدى ، ألا وإنها أحلت لى ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعى هذه حرام ، ولا يخبط شوكرها ولا يعصده شجرها ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يعطى - يعنى الدية - وإما أن يقاد أهل القتيل . قال فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال : اكتب لى يا رسول الله ، فقال : اكتبوا لأبى شاه . الحديث

وفي الممدى : وهم فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله وهو يطوف بالبيت ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة . قال نعم . قال ماذا تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء كنت أذكر الله . فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده الى صدره فسكن قابه ، وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئا أحب إلىّ منه قال فضالة : فرجعت الى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت شعرا فأجبتها شعرا :

قالت هلم الى الحديث قفلت لا يآبى الإله عليك والإسلام
لو قد رأيت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
رأيت دين الله أضهى بيننا والشرك يغشى وجهه الإظلام

وفى يومئذ صفوان بن أمية ، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحى رسول الله ﷺ فأمنه وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة ، فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فردّه وقال : يا صفوان فذاك أبى وأمى ، أذكر الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان رسول

الله قد جئتكم به . فقال : أغرب عني فلا تسكمني . قال : أي صفوان فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك ، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف به على رسول الله فقال : هذا يزعم أنك أمنتني قال : صدق . قال : فاجعلني بالخيار شهرين . قال : أنت بالخيار أربعة أشهر

فصل

ثم اجتمع الناس للبيعة ، فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا يبايع الناس ، وعمر ابن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا . وفي المذارك : روى أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه ، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متذكرة خوفا من رسول الله أن يعرفها لما صنعت بمحزة ، فقال رسول الله ﷺ : أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ، فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئا . فقال رسول الله ﷺ ولا تسرقن . فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح فأنا أصبت من ماله هנות . فقال أبو سفيان : ما أصبت فهو لك حلال . فضحك رسول الله وعرفها فقال لها : وإنك لهند ؟ قالت : نعم فاعتف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك . فقال : ولا يزينين . فقالت : أو تزني الحرة . فقال : ولا يقتلن أولادهن . فقالت : ريبناهم صغارا وقتلوهم كبارا ، فأنتم وهم أعلم . وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر . فضحك عمر حتى استلقى . فتبسم رسول الله فقال : ولا يأتين بيهتان . فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فقال : ولا يعصينك في معروف . فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك

ولما رجعت جعلت تكسر صنمها ، وتقول : كفا منك في غرور
وفي الصحيح عن مجاشع قال : أتيت النبي ﷺ بأخى بعد الفتح فقلت : يا رسول
الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة . قال : ذهب أهل الهجرة بما فيها . فقلت : على أى
شئ تبايعه ؟ قال : أبايه على الإسلام والإيمان والجهاد
قال في الهدى : وأمر رسول الله ابن أسد الخزاعى فحدد أنصاب الحرم . وبث
رسول الله ﷺ سراياه الى الأوثان التى كانت حول الكعبة فكسرت كلها ، منها
اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يدع فى بيته صنما إلا كسره

سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة من كنانة

قال ابن سعد : ولما رجع خالد من هدم العزى ورسول الله مقيم بمكة بعثه الى بنى
جذيمة داعيا لهم الى الإسلام ، فخرج فى ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار
وبنى سليم فلما انتهى خالد اليهم قال : ما أنتم ؟ قالوا مسلمون صبانا وصدقنا بمحمد وبنينا
المساجد فى ساحتنا وفى صحيح البخارى بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد الى بنى جذيمة
فدعاهم الى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون « صبانا صبانا » فجعل
خالد يقتلهم ويأسرهم ، ودفع الى كل رجل ممن كان معه أسيرا ، فأمر يوما أن يقتل
كل رجل أسيره ، فأبى ابن عمر وأصحابه حتى قدموا على النبي ﷺ فذكروا له فرفع
ﷺ يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين . وفى الهدى : فلما كان فى
السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليضرب عنقه . فأما بنو سليم فقتلوا من كان
بأيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم ، فبلغ النبي ﷺ فقال : اللهم
إني أبرأ إليك مما صنع خالد . وبعث عليا فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ، وكان بين
خالد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام وشر ، فبلغ النبي ﷺ فقال : مهلا يا خالد ،

دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته

قال ابن اسحق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من سليم سبع مائة وقيل ألف ومن غفار أربعائة ومن أسلم أربعائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عفت ذات الأصابع فالجواء	الى عذراء منزلها خلا
ديار من بني الحسحاس قفر	تعقها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس	خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف	يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعنا التي قد تيممت	فليس لقلبي منها شفاء
كأن خبيثة من بيت رأس	يكون مزاجها غسل وماء
إذا ما الأشربات ذكرن يوما	فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إن ألبنا	إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا	وأسدا ما ينهنها اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها	تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات	على أكتافها الأسل الظاء
نساء بنى أمية صاغرات	عرتهن المذلة والرداء
تظل جيادنا متطمرات	تلطمهن بالخر النساء
فأما تعرضوا عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم	يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق ليس به خفاء
 وقال الله قد سيرت جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء
 لنا في كل يوم من بعد سباء أو قتال أو هجاء
 فنحسب بالقواني من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
 ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلة فقد برح الخفاء
 بأن سيفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإماء
 هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتهجوه ولست له بكفء قسركا لخيركما فداء
 هجوت مباركا برأ حنيفا رسول الله شيمته الوفاء
 فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
 فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
 لساني صارم لا عيب فيه وبخري لا تكدره الدلاء

قال ابن هشام : قالها حسان قبل يوم الفتح ، وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخليل بالخر تبسم الى أبي بكر . وقال في الهدى : كان قد قالها في عمرة الحديبية وذكرها بهذا اللفظ فيه ، وذكر أكثرها مسلم في صحيحه

فصل

في الإشارة الى بعض ما في هذه الغزوة من الفقه واللطائف

كان صلح الحديبية مقدمة وتوطئة بين يدي هذا الفتح ، أمن الناس به وكلم بعضهم بعضا وتمكن من اختفى من المسلمين بمكة بإظهار دينه والدعوة اليه ، ودخل بسببه بشر كثير في الإسلام ، ولهذا سماه الله فتحا وفيها أن أهل العهد إذا حاربوا من هم في ذمة الإمام صاروا حربا له بذلك ، فله أن يبيتهم في ديارهم ، ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء . وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة

وفيه انتقاض عهد جميعهم بذلك ، ردّهم ومباشرهم ، إذا رضوا بذلك وأقروا عليه ولم ينكروه ، فإن الذين أعانوا بني بكر بعضهم

وفيه أن رسول الكفار لا يقتل ، فإن أباسفيان من جرى عليه حكم انتقاض العهد ولم يقتله رسول الله

وفيه جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلما ، لأن عمر سأله قتل حاطب ولم يقل رسول الله لا يحل قتله بل قال : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر . . الخ

وفيه استجباب إظهار كثرة المسلمين وشوكتهم لرسول العدو كما أمر بإيقاد النيران ، وأمر العباس أن يحبس أباسفيان حتى عرضت عليه عساكر الإسلام

وفيه البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه جمهور أهل العلم ، ولا نعرف في ذلك خلافا إلا عن الشافعي وأحمد في أحد قوليّه ، وسياف القصة أوضح شاهد لمن تأمله . انتهى ملخصا من الهدى

وفي هذه الغزوة سرقت امرأة من بني مخزوم فأمر رسول الله ﷺ بقطع يدها كما في الصحيح عن عروة أن امرأة سرقت في غزوة الفتح ففرع قومها الى أسامة بن زيد ابن حارثة يستشفعونه . قال عروة : فلما كمله أسامة فيها تلون وجه رسول الله فقال : أتكلمني في حد من حدود الله ؟ فقال : أستغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيبا فأتى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنما أهلك الناس قبلما سكت أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذي نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت . قالت عائشة : فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله ﷺ رواه مسلم . وفيه فقالوا : من يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله . . الحديث . وفي رواية له عن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجده

ومما وقع في غزوة الفتح إباحته متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة كما ثبت في صحيح مسلم عن بسرة الجهنى أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة قال : فأقمنا بها خمس عشرة ليلة ، ثلاثين بين ليلة ويوم . قال فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء الحديث . وفي رواية فقال : يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيمة ، فمن كان عنده منهن شيء فليدخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا . وقال طائفة من العلماء إنها حرمت يوم خيبر ثم أبيحت ثم حرمت ، منهم الشافعي وقال : لأعلم شيئا أبيح ثم حرم ثم أبيح ثم حرم إلا المتعة ، واحتجوا بما ثبت في الصحيحين عن علي أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن لحوم الجمر الإنسية . قلت : وأجيب عن ذلك بأن هذا الحديث صحت روايته بلفظين وهذا أحدهما ، والثاني الاقتصار على نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الجمر الأهلية يوم خيبر ، هذه رواية ابن عينة عن الزهري ، قال قاسم بن أصبغ قال سفيان بن عيينة يعني أنه نهى عن لحوم الجمر الأهلية زمن خيبر لاعتنا نكاح المتعة ، ذكره أبو عمر في التمهيد ثم قال : على هذا أكثر الناس انتهى . قال في الهدى . فتوهم بعض الرواة أن يوم خيبر ظرف لتحرمة فرواه . حرم رسول الله المتعة زمن خيبر ، فجاء بالغلط البين . فإن قيل فإى فائدة في الجمع بين التحريمين إذ لم يكونا قد وقعا في وقت واحد ، وأين المتعة من تحريم الجمر ؟ قيل . هذا الحديث رواه علي رضي الله عنه محتجا به علي ابن عمه عبد الله بن عباس في المسألتين ، فانه كان يبيح المتعة ولحوم الجمر فناظره علي في المسألتين فقيده تحريم الجمر زمن خيبر وأطلق تحريم المتعة ، فقال : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ حرم المتعة ، وحرم لحوم الجمر الأهلية يوم خيبر والله أعلم

وفي البخارى عن ابن عباس . أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين . قال ابن عباس . ونحن إذا سافرنا فأقمنا تسعة عشر قصرنا ، وإن زدنا أتمنا . وفيه عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضهم : لم تدخل

هذا معفا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنه ممن قد علمتم . قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ما أريته دعاني يومئذ إلا ليريههم مني ، فقال : ما تقولون في ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وقال بعضهم . لا ندري ، ولم يقل شيئا بعضهم . فقال لي : يا ابن عباس أ كذلك تقول ؟ قلت لا . قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله ، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . قال عمر . ما أعلم منها إلا ما تعلم . وفيه عن عائشة قالت . كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده . سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن . وفي رواية لمسلم سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك . قالت : قلت يا رسول الله ماهذه الكلمات التي أراك أحدثها تقولها ؟ قال . جعلتها علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ والفتح فتح مكة الى آخر السورة

غزوة حُنين

قال في المواهب . وهو واد قرب ذى الحجاز ، وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف ، وتسمى غزوة أوطاس . قال في الهدى . وهما موضعان بين مكة والطائف فسميت الغزوة باسم مكانهما .

قال أهل السير . وسببها أن الله لما فتح على رسوله مكة أطاعت له قبائل العرب كلها وأسلموا ، إلا هوازن وثقيف فانهم كانوا عتاة ، فاجتمع أشrafهم فقالوا : إن محمدا قاتله قوم لم يحسنوا القتال ولم يكن لهم علم بالحرب فغلب عليهم ، فانه سيقصدنا ، فقبل أن يظهر ذلك منه سيروا اليه . فقصدوا محاربة المسلمين ، واجتمعت هوازن كلها ، وكان على هوازن رئيسهم مالك بن عوف النضري ، وعلى ثقيف قائدهم ورئيسهم قارب ابن الأسود ، واتفق معهما نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهد من قيس عيلان إلا هؤلاء ، واجتمعوا في أربعة آلاف مقاتل ، وخرجوا بأموالهم وأولادهم ونساءهم لثلاث يقرؤا ، وكان فيهم دريد بن الصمة في بني

جشم وكان شيخا كبيرا قد عمى من السكر وكان له مائة وخمسون سنة ، وكان صاحب رأى وتدير وله معرفة بالحروب ، فساروا حتى انتهوا إلى أوطاس ، فلما نزلوا بأوطاس اجتمع الناس - وفيهم دريد بن الصمة - فلما نزل قال : فى أى واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال : نعم مجال الخليل ، لاحزن ضرر ، ولا سهل دهس ، قال : مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء ؟ قيل : سافى مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال أين مالك ؟ فدعى له ، فقال : يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا اليوم له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : راعى ضأن والله ، وهل يرّد المهزم شئ ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد . قال غاب الجذ والجذ ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر ، قال ذانك الجذعان لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن فى نحر الخليل شيئا ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليها قومهم ، ثم ألق الصبأة على متون الخليل ، فإن كانت لك خلق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال لا والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتبطيئنى يامعشر هوازن أو لأنكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى . قالوا أطعناك . قال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى

يالىتى فيها جذع أخبّ فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

وبعث مالك بن عوف عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم

ماشأنا نكم؟ قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق ، والله ما تماسكنا أن أصابنا ماترى .
فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد

ولما سمع بهم النبي ﷺ بعث اليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمى وأمره أن
يدخل فى الناس ، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا عليه من حرب رسول الله
فأتاه وأخبره الخبر

فاما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية
أدراعا وسلاحا فأرسل اليه - وهو يومئذ مشرك - فقال : يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا
نلقى فيه عدونا . فقال أغصبا يا محمد ؟ فقال بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك . قال :
ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ
سأله أن يكفهم حملها ففعل

واستعمل رسول الله ﷺ على مكة عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية بن عبد
شمس ومعاذ بن جبل إماما بها ومنقها لمن فيها . قال ابن عبد البر فأقام بها أميراً على
مكة حتى قبض رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر ، فلم يزل عليها إلى أن مات . وكانت وفاته
نما ذكر الواقدي يوم مات أبو بكر وماتا فى يوم واحد . قال السهيلي قال أهل التعبير :
أى رسول الله ﷺ فى المنام أسيد بن أبى العاص واليا على مكة مسلمات على
لكفر ، وكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم ، فولاه رسول الله ﷺ على مكة وهو ابن
أحدى وعشرين سنة

ثم خرج رسول الله ﷺ عامدا إلى حنين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف
من أصحابه الذين فتح الله عليهم ، فكانوا إثنى عشر ألفا

وذكر أن رجلا قال يوم حنين : لن تغلب اليوم من قلة ، فشق ذلك على رسول
الله ﷺ فخرج من مكة إلى حنين يوم السبت لست ليال خلون من شوال ، وخرج
به ناس من المشركين منهم صفوان بن أمية ، فلما كان عشية فجاء فارس فقال :

يا رسول الله إني طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة للمسلمين غدا إن شاء الله . ثم قال : من يحرسنا الليلة ؟ قال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله . قال اركب . فركب فرسا له فقال : استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ، ففعل : فلما أصبح جاء وقال : طلعت الشعبين كلاهما فلم أر أحدا . فقال له رسول الله : هل نزلت الليلة ؟ قال لا إلا مصليا أو قاضى حاجة . فقال رسول الله : فلا عليك أن تعمل عملا بعد هذا . رواه أبو داود

وعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بالجاهلية ، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها « ذات أنواط » يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما . قال فرأينا ونحن نسير معه إلى حنين سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق : أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال لهم رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى أجعل لنا إلها كما لهم آله . قال إنكم قوم تجهلون . إنها السنن ، لتركن سنن من كان قبلكم . رواه الترمذي والإمام أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن اسحق في السيرة وهذا لفظه . قال العلماء في الكلام على هذا الحديث : فأنكر ﷺ عليهم مجرد مشابهتهم للمشركين في ذلك ، فكيف بما دو أعظم من ذلك من الشرك بعينه ، فإذا كان العكوف حول هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله ، مع أنهم لا يسألونها ولا يعبدونها ، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده ، فأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون ؟ قال بعض أصحاب مالك وهو أبو بكر الطرطوشي : فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فاقطعوها انتهى .

فلما انتهى النبي ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال كان قد سبقهم مالك بن عوف فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي وفرقهم في الطرق والمداخل وحرضهم على قتال المسلمين وأمرهم أن يكمنوا لهم ويرشقوهم أول ما طلوعوا ويحملوا عليهم حملة واحدة وقال : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة واحدة . فلما كان وقت السحرباً رسول الله ﷺ جيشه وعمد أوليته والرايات وفرقها على الناس ، ثم ركب النبي ﷺ بغلته البيضاء لدل ، ولبس درعين والمغفر والبيضة . قال ابن اسحق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما نتحدر فيه انحداراً ، وذلك في عمارة الصبح ، وكان التوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأخبائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهايأوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال : إلى أيها الناس هلم إلى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، فلا شيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، منهم أبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه الفضل وربيع بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ انتهى . ولما رأى رسول الله ﷺ تفرقة أصحابه طفق يركض بغلته قبل الكفار ، وكان العباس ابن عبد المطلب أخذ بركابه الأيمن ، وفي رواية : أن العباس أخذ بركابه الأيمن وأبو سفيان بالأيسر يكفأهما إرادة ألا تسرع وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن أبي اسحق عن البراء بن عازب أنه قال له رجل : يا أبا عمارة أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال : لسن رسول الله لم يفر ، إن هوازن كانوا قوماً رماة ، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فقبل الناس

على الغنائم فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس ، فلقد رأيت رسول الله على بلغته البيضاء فنزل واستنصر وقال : اللهم أنزل نصرك ، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام بقلته وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفي رواية لمسلم : ولكنه خرج شبان أصحابه وخفافهم حشراً ليس عليهم سلاح - أو كبير سلاح - فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم ، جمع هوازن وبني نصر ، فرشقوهم رشقاً ما يسكادون يخطئون ، فأقبلوا إلى رسول الله ﷺ ورسول الله على بقلته البيضاء ، فنزل واستنصر وقال : اللهم أنزل نصرك . قال البراء : وكنا والله إذا احمر البأس نتقى به ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به . وفي رواية سامة بن الأكوخ عند مسلم وقال عبد الله بن إبراهيم رحمه الله : فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن بقلته ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال : شأهت الوجوه . فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين . وفي حديث العباس عند مسلم فقال رسول الله : أى عباس ، ناد أصحاب السمرة . فقال عباس - وكان رجلاً صيتاً - فقلت بأعلى صوتي : يا أصحاب السمرة . قال فوالله لكان عطقهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا : يالبيك يالبيك . قال فافتمتوا والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يابني الحارث بن الخزرج ، يابني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بقلته كالمتناول عليها إلى قتالهم فقال : هذا حين حمى الوطيس . قال ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بهن في وجوه [القوم] ثم قال : انهزموا ورب محمد . قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته في ما أرى ، فوالله ما هو إلا أن رباهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلاً وأمرهم مدبراً . قال وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بقلته . وفي رواية جابر عند ابن اسحق : فقال رسول الله ﷺ : اصرخ : يامعشر الأنصار يا أصحاب السمرة . فأجابوا لبيك لبيك ،

فجعل انرجل يذهب ليعطف بغيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ
السيف وترسه ثم يؤم الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله منهم مائة فاستعرض الناس
فأقتلوا . قال جابر بن عبد الله : ما رجعت راجعة الناس حتى وجدوا الأسارى مكتفين
بين يدي رسول الله ، والتفت رسول الله إلى أبي سفيان بن الحارث وكان حسن
إسلامه وممن صبر يومئذ معه وهو أخذ بثفين بغلته فقال : من هذا ؟ قال ابن عمك
يا رسول الله ، وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار وكان أبوه قتل
يوم أحد : قلت اليوم أدرك ثأري أقتل محمدا ، فأردت رسول الله لأقتله ، فأقبل شئ
حتى تغشى فؤادي فلم أطلق ذلك وعلمت أني ممنوع منه . وفي سيرة ابن هشام : فعرفت
أنه ممنوع مني . وذكر ابن أبي خيثمة حديث شيبة هذا قال : لما رأيت النبي ﷺ يوم
حنين ذكرت أبي وعي قتلهما حمزة قلت اليوم أدرك ثأري في محمد ، فخبته عن يمينه
فإذا أنا بالعباس قائما عليه درع بيضاء ، قلت عمه لن يخذله ، فخبثت عن يساره فإذا أنا
بأبي سفيان بن الحارث قلت ابن عمه لن يخذله ، فخبته من خلفه فدنوت ودنوت حتى لم
يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف فرفع إلي شواظ من النار كأنه البرق ، فنكصت
على عقبي القهقري ، فالتفت رسول الله فقال : يا شيبة أدن ، فدنوت ، فوضع يده على
صدرى فاستخرج الله الشيطان من قلبي ، فرفعت اليه بصرى فهو أحب إلي من سمعي
وبصرى ، فقال لي : يا شيبة هكذا قاتل الكفار ، فقاتلت معه ﷺ . وفي رواية ففسح
صدرى وقال : اللهم أعذه من الشيطان ، فوالله فهو كان ساعته أحب إلي من سمعي
ويصرى ، وأذهب الله عني ما كان ، ثم قال : أدن فقاتلت ، فتقدمت بين يديه ، ولو
لقيت تلك الساعة أبي أوقعت به السيف . فلما تراجع المسلمون كروا كرة رجل واحد ،
فركب بغلته ﷺ فاستوى عليها فخرج في أثرهم فتفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى
معسكره فدخل خباءه ، فدخلت عليه فقال : يا شيبة ، الذي أراد الله بك خير مما أردت
لنفسك . ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن أذكره لأحد قط . قلت :
أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . قلت : استغفر لي يا رسول الله . قال : غفر

الله لك

قال ابن اسحق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل أخو صفوان بن أمية لأمه : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان بن أمية : اسمكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربنى رجل من قريش أحب إليّ من أن يربنى رجل من هوازن ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف من بنى مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وكانت معه راية ثقيف وكانت راية الأحلاف مع قارب ابن الأسود ، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين ، ثم أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، وتبعته خيل رسول الله من سلك نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا ، فذكر ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام البعير وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه كان في شجار له فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال أقتلك . قال من أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي . ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا . فقال بئس ما سلحتك أمك ، خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فاني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك أخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تسكف ، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل عراء ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا

سرية أبي عامر الأشعري

وهو عم أبي موسى الأشعري . قال ابن اسحق : ابن عمه ، والأول أشهر .

وأوطاس واد معروف بين حنين والطائف . إن رسول الله ﷺ لما فرغ من حنين عقد لواء دفعه إلى أبي عامر الأشعري وأمره على جمع من الأصحاب وبعثه في آثار من توجه قبل أوطاس من فرار هوازن ، فأدرك بعض المهزمة فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامر بسهم فقتل ، فاخذ الراية أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه وهزمهم الله . وفي الصحيح عن أبي موسى قال : لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة ، فقتل دريدا وهزم الله أصحابه . قال أبو موسى : بعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته فأنهيت إليه فقلت : يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رمانى فقصدت له فلاحقته فلما رآني ولى فأتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ألا تثبت ؟ فكف ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك . قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء . قال : يا بن أخي أقرئ النبي ﷺ مني السلام وقل له استغفر لي . واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيرا ثم مات . فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه فاخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وأنه قال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال : اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر ، ورأيت بياض أبطيه . ثم قال : اللهم أجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك ومن الناس . فقلت : ولى فاستغفر ، فقال : اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيمة مدخلا كريما . قال أبو بردة إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى

فأمر رسول الله ﷺ بالسبي والغنائم أن تجمع ، فجمع ذلك كله وحبس بالجرانة إلى أن فرغ من غزوة الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفا والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة ، وكان على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري

قال ابن هشام وأنزل الله في يوم حنين ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذا أعجبكم أكثر تكسبكم فلم تكن عنكم شيئا﴾ الآيات

وروى أن المسلمين أخذوا السبايا يوم حنين وأوطاس ، وكانوا يتسكرهون نساء السبي إذا كن ذوات أزواج ، فاستفتوا في ذلك رسول الله ﷺ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم يريد ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسايين والنكاح مرتفع بالسبي ، قال أبو سعيد : أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن تقع عليهن ، فسألنا النبي ﷺ فنزلت الآية فاستحللناهن . وأمر النبي ﷺ في سبايا حنين وأوطاس ألا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة ، فسألوا عن العزل فقال : ليس من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء

وأخذوا في جملة السبي الشياخ أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فقالت يا رسول الله إني أختك من الرضاعة . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عضه عضضتها في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وفي رواية : ودعمت عيناه ، وخبرها وقال : إن أحببت فأقيمي عندي محبة مسكرمة ، وإن أحببت أمتعتك وترجعي إلى قومك فعلت ، قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فأسلمت ومتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها . فزعم بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت أحدهما للآخر ، فلم يزل فيهم من نسلها بقية

وقال في المواهب : جاءته عليه السلام يوم حنين أمه من الرضاعة حليلة السعدية بنت أبي ذئب من هوازن ، وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه [فالتفت إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه . واختلف في إسلامها وإسلام زوجها كما اختلف في إسلام ثوية

وفي الصحيح عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربه من وراء على جبل عاتقه بسيف فقطعت الدرع ، وأقبل على وضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس

قال: أمر الله . ثم رجعوا . فجلس النبي ﷺ فقال : من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه . فقلت من يشهد لي ؟ ثم جلست . فقال النبي ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست . قال ثم قال النبي ﷺ مثله ، فقلت فقال : مالك أبا قتادة ؟ فقال رجل : صدق ، وسلبه عندى فأرضه . فقال أبو بكر : لاها الله إذا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه . فقال النبي ﷺ : صدق فأعطه فأعطاه ، فابتعت به مخرفا^(١) في بنى سامة ، وإنه لأول مال تأثلته في الإسلام

قالوا : واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة نفر منهم أيمن بن أم أيمن ويزيد بن زمعة بن الأسود وسراقة بن الحارث رجل من الأنصار وأبو عامر الأشعري ، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا . والله أعلم

غزوة الطائف

قالوا : ولما أراد رسول الله ﷺ المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذى الكفين صنم من خشب لعمر بن جمحة ليهدمه ويوافيه بالطائف ، فخرج الطفيل سريعا فهدمه وجعل يحشوه النار ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك

إني حشوت النار في فؤادك

وانحدر معه من قومه أربعائة رجل سراعا فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدموا معهم بالمنجنيق والدبابة - بالدال المهملة وتشديد الموحدة - آلة تتخذ للحرب تدفع أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفه . كذا في القاموس

قالوا : ولما فرغ رسول الله ﷺ من حنين لعشر من شوال في السنة الثامنة من الهجرة سار إلى الطائف يريد جمعا من هوازن وثقيف قد هربوا من معركة حنين وتحصنوا بحصن الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته طليعة في ألف رجل ،

(١) أى حديقة نخل

فسلمك عليه الصلاة والسلام في طريقه إلى الطائف نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على بحرة الرعاء من لية فابتنى فيها مسجدا فصلى فيه ، وأقاد فيها يومئذ بدم رجل من هذيل قتله رجل من بني ليث فقتله به وهو أول دم أقيد به في الإسلام ، ومر في طريقه بحصن مالك بن عوف فهدمه ، ثم سلك في طريق فسال عن اسمها فقيل الضيقة فقال : بل هي اليسرى . ثم خرج منها حتى نزل تحت سدره قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك ، فأبى أن يخرج فأمر بإخراجه . ثم مضى حتى انتهى إلى الطائف فنزل قريبا من حصنه فضرب به عسكره ، فرموا المسامين رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسامين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن أبي أمية ، ورمى يومئذ عبد الله بن أبي بكر الصديق فخرج فاندمل ، ثم انتقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه ، فارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم ووضع عسكره هناك ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طول حصاره الطائف ، فحاصرهم بضعة عشرة ليلة وهو الصحيح ، وقيل بضعا وعشرين ليلة ، وفي حديث أنس عند مسلم فحاصرناهم أربعين ليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ورمائهم ، وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام ، وأمر ﷺ بقطع أعنان ثقيف وتحريرها فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ، ثم سأله أن يدعو الله وللرحم فقال : إني أدعها لله وللرحم . ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا من الحصن فهو حر ، فخرج منهم بضعة عشر رجلا ، منهم أبو بكر واسمه نفيح بن الحارث فتسور حصن الطائف وتدلّى منه بيكرة مستديرة يستقي عليها فكناه رسول الله « نبا بكرة » فأعقب رسول الله ﷺ من نزل منهم ، ودفع كل رجل إلى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، فلما أسلم أهل الطائف تسكلم نفر منهم في أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : أولئك عتقاء الله . ولم يؤذن له في فتح الطائف سنتئذ

وفي الصحيح عن أم سلمة قالت : دخل على النبي ﷺ وعندي نخث ، فسمعه

يقول لعبد الله بن أبي أمية : يا عبد الله أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بآبنة غيلان ، فانها تقبل بربع وتدبر بثمان . فقال النبي ﷺ : لا يدخلن عليكم . وفي رواية له : وهو محاصر الطائف يومئذ

وفي الصحيح أيضا عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئا قال : إنا قافلون غدا إن شاء الله . فنقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ فقال اغدوا على القتال ، فغدوا فأصابهم جراح فقال : إنا قافلون غدا إن شاء الله ، فأعجبهم ، فضحك النبي ﷺ . وقال سفيان مرة : فتبسم . انتهى

وقفت عين أبي سفيان بن حرب يومئذ ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده : أيهما أحب إليك ، عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك ؟ قال : عين في الجنة . ورمى بها . وشهد اليرموك فقاتل ، وقفت عينه الأخرى يومئذ . ذكره الحافظ زين الدين العراقي

وقال ﷺ لأصحابه : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحل قال : قولوا آيئون عابدون ، لربنا حامدون . قال العلماء فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح من وما إليه يحتاج آلات الجهاد والسفر ، ثم إذا رجع عليه الصلاة والسلام يتعري من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه لا لغيره . وانظر إلى قوله عليه السلام وهزم الأحزاب وحده ، فنفى ما تقدم ، ذكره وهذا هو التوكل على الله حقا ، لأن الإنسان وفعله خلق لربه ، فهو الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الأمور على أيدي من يشاء ومن اختيار من خلقه ، فكل منه واليه ، ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل ، قال الله تعالى ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ فيثيب الصابرين ويحزل الثواب للشاكرين . ولما قيل له ﷺ : ادع الله على ثقيف قال : اللهم اهد ثقيفا واثبت بهم . وذكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر إني رأيت أني أهديت إلى قبة مملوءة زبدا فقرها ديك فهرق ما فيها - وكان

أبو بكر ماحرا في تعبير الرؤيا مشهورا به بين العرب - فقال : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله : وأنا لأرى ذلك . ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف مارا على دحنا ثم على قرن المنازل ثم على نخلة حتى خرج إلى الجعرانة ونزلها وهي إلى مكة أدنى وبها قسم غنائم حنين . وفي هذا السفر أسلم صفوان بن أمية

واستأني ﷺ بهوازن - أي انتظر أن يقدموا عليه مسلمين - بضع عشرة ، ثم بدأ يقسم الأموال فقسمها وأعطى المؤلفة قلوبهم قبل الناس وهم سادات العرب من قريش وغيرهم من وجوه القبائل . فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الإبل . روى أن أبا سفيان بن حرب جاء إلى النبي ﷺ والأموال من نقود وغيره مجموعة عنده فقال : يا رسول الله أنت اليوم أغنى قريش ، فتبسم ﷺ ، فقال أبو سفيان : حفظنا من هذه الأموال . فأمر ﷺ بلالا فأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة ، فقال : حظ ابني يزيد ، فأعطاه أيضا مائة من الإبل وأربعين أوقية . فقال أبو سفيان فأين حظ ابني معاوية ، فأمر له أيضا بمائة من الإبل وأربعين أوقية حتى أخذ أبو سفيان يومئذ ثلاثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة . فقال أبو سفيان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لأنك كريم في الحرب والسلام ، هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا . وأعطى صفوان بن أمية من الإبل مائة ثم مائة ثم مائة كذا في الشفا . وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل فسأله مائة أخرى فأعطاه إياها . وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة أخا بني عبد الدار - وهو أخو النضر بن الحارث عدو الله ورسوله - أعطاه مائة من الإبل والحارث بن هشام أخا أبي جهل وعبد الرحمن بن يربوع الخزوميين وسهيل ابن عمرو وحويطب بن عبد العزى والعلاء بن حارثة الثقفي وعده بعضهم في أهل الخمسين والأفرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النضري أعطى كل هؤلاء المسادين من قريش وغيرهم على مائة بغير ، وأعطى دون المائة رجالا من قريش وغيرهم ، منهم نخرمة بن نوفل وعمر بن وهب وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي ، قال ابن اسحق لا أحفظ ما أعطاهم إلا أنها دون المائة . وأعطى سعيد بن يربوع

الحزومي وعدى بن قيس السهمي وعثمان بن نوفل خمسين خمسين ، وأعطى عباس بن مرداس إبلا فسخطها كما في مسلم وقال شعرا :

أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ

قال فُتِّمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مِائَةٌ . زاد ابن اسحق فقال رسول الله : أقطعوا عني لسانه .
ومن أعطى رسول الله عددا دون ذلك طليق بن سفيان بن أمية بن عبد شمس وخالد
ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو الذي أراد
الفتك برسول الله كما تقدم ، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث من بني عبد الدار
وزهير بن أبي أمية الحزومي أخو أم المؤمنين أم سامة وخالد بن هشام بن المغيرة
الحزومي وهشام بن الوليد أخو خالد وسفيان بن عبد الأسد بن هلال الحزومي
والسائب بن أبي السائب الحزومي ومطيع بن الأسود أخو بني عدى وأبو جهم بن
حذيفة العدوي وأحيحة بن عدى بن خالف الجمحي ، ونوفل بن معاوية من بني بكر بن
عبد مناة وعلقمة بن علاثة بن عوف وخالد بن هوذة

وقال رسول الله قاتل من أصحابه : أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس
مِائَةً مِائَةً وَتَرَكْتُ جَعِيلَ بْنَ سَرَّاقَةَ الضَّمْرِيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي
مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَجَعِيلُ بْنُ سَرَّاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طَلَّاحِ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِثْلَ عَيْنَيْهِ ، وَلَكِنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا
لِيَسْلَمَا وَوَكَلْتُ جَعِيلَ بْنَ سَرَّاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ . وفي الصحيحين عن عبد الله ولفظه لمسلم
قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ
فِي الْقِسْمَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ الْقِسْمَةُ مَا عَدِلَ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ .
قال فقلت : واللّٰه لأخبرنّ رسول الله ، قال فأتيتّه فأخبرتّه ، فغضب من ذلك غضبا

شديدا واحمر وجهه حتى تمنيت أنى لم أذكره له ، ثم قال : فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال : يرحم الله موسى ، قد أودى بأكثر من هذا فصبر . قال قلت : لا جرم لا أرفع اليه حديثا بعدها

ولمسلم عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله يتقبض منها يعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل . فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل . فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله فاقتل هذا المنافق ؟ فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية . وفي رواية ابن اسحق عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم . فقال ، أجل فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت . فغضب النبي ﷺ فقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ قال دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، ينظر فى النصل فلا يوجد فيه شئ ثم فى القدح فلا يوجد شئ ، ثم فى الفوق فلا يوجد شئ سبق القرث والدم

وفى الصحيحين عن عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ لما فتح حنين قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم ، فبأخه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس . وللبخارى : فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فقام رسول الله فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي ، ومتفرقين فجمعكم الله بي ؟ ويقولون : الله ورسوله أمين . فقال ألا تجيبونى ؟ فقالوا الله ورسوله أمين . فقال : أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا - لأشياء عددها زعم عمرو أنه لا يحفظها - فقال ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟

الأنصار شعار والناس دثار ، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وواديا لسلكته وادى الأنصار وشعبهم . إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض . وفي رواية أنس في الصحيحين أن ناسا من الأنصار قالوا : يغفر الله لرسوله ، يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . قال أنس : حدثت بذلك رسول الله ، فجمعهم في قبة من آدم ، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله فقال ما حديث بلغني عنكم ؟ فقال له فقهاء الأنصار : أما ذوو رأينا فلم يقولوا شيئا ، وأما أناس حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسوله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، [قال ﷺ] : فاني أعطى رجلا حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ، قالوا يا رسول الله قدر علينا . فقال لهم النبي ﷺ : ستجدون أثرة شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فاني على الحوض . قالوا سنصبر . قال أنس : فلم يصبروا . وفي رواية ابن اسحق عن أبي سعيد الخدري قال : ألا تحببوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتهم ولصدقتهم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، وغدولا فنصرناك ، وطريدا فأويناك ، وعائلا فواسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكبتكم إلى إسلامكم ، أما ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال : فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله وتفرقوا

فصل

وقد كان وفد هوازن قد أسلموا وأتوا رسول الله ﷺ قبل أن يقسم أموالهم ، وهم أربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن سرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله من الرضاة ، فسأله أن يمن عليهم بالسبي والأموال . قال ابن اسحق : حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامن علينا من الله عليك . وقام رجل من هوازن يقال له زهير يكنى أبا سرد فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر عمالك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحننا (١) للجارث بن شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين

وفي الصحيح من حديث الزهري أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسأله أن يرد إليهم سبيهم وأموالهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : معي من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقاه ، فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي . وقد كنت استأنيت بكم - وكان أنظرهم رسول الله بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول الله غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فانا نختار سبينا . فقام رسول الله في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فان إخوانكم قد جاءوا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه نعطيه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل . فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم . فرجع الناس فكلهم عرفاؤكم ، ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا . هذا الذي بلغنا عن سبي

هوازن . وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن اسحق : فقال رسول الله : أما من تمسك بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم

قال ابن اسحق وقال رسول الله ﷺ لو فد هوازن : ما فعل مالك ؟ فقالوا هو في الطائف مع ثقيف . فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا إن هو أنى مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف فأدركه بالجرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، فأسلم وحسن إسلامه . فقال مالك بن عوف النضري المذكور :

ما إن سمعت ولا رأيت بمثله في الناس كلهم كمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى وإذا تشأ ينخبرك عما في غد
وإذا السكتية عردت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهبأة خادر في مرصد

فاستمهله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم

وعن جبير بن مطعم قال : بينما أنا مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلا من حنين عقلت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ فقال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاة نعا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا » أخرجه البخاري في الصحيح . وفي سيرة ابن اسحق أن رسول الله ﷺ قال لهم : أيها الناس ، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الجلس ، والجلس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والحيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيمة . فجاء رجل من الأنصار يكبه من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه السكة أعمل بها برذعة بعير لى من وبر ، فقال : أما نصيبى منها فلك .

قال : إذا بلغت ذلك فلا حاجة لي بها . ثم طرحها من يده

وروى أنه ﷺ لما أراد أن يقسم الغنائم أمر زيد بن ثابت حتى أحضر الناس ، ثم عد الإبل والغنم وقسمها على الناس ، فوقع في سهم كل رجل أربع من الإبل مع أربعين شاة من الغنم ، وإن كان فارسا فسهمة اثنا عشر بعيرا مع مائة وعشرين شاة من الغنم

قال ابن اسحق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرا ، فلما فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، وكانت عمرته في ذى القعدة ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذى القعدة أو في أول ذى الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد الذي استعمله رسول الله على مكة وهو ابن نيف وعشرين سنة ، وكان في غاية الورع والزهد ، وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام

قال ابن حزم : وحسن إسلام المؤلفه قلوبهم حاشا عيينة بن حصن فلم يزل مغمورا وكان خيرهم متفاضلين : فيهم الفاضل المجتهد كالحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم ابن حزام ، وفيهم خيار دون هؤلاء كصفوان بن أمية وعمر بن وهب ومطيع بن الأسود ومعاوية بن أبي سفيان ، وسائرهم لا يظن بهم إلا الخير . وكان ممن أسلم يوم الفتح وبعده من الأشراف نظراء من ذكرنا ، ووثق عليه الصلاة والسلام بصحة نياتهم في الإسلام فلم يدخلهم فيمن أعطاه ، عكرمة بن أبي جهل وعتاب بن أسيد وجبير ابن مطعم رضى الله عنهم أجمعين

وكان مدة غيبته منذ خرج من المدينة إلى فتح مكة وأوقع بهوازن وحارب الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما . انتهى والله أعلم

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي ، وأقام أهل الطائف على شركهم . وامتناعهم ما بين ذى القعدة إلى انصراف رسول الله من غزوة تبوك سنة تسع في

رمضان . قال ابن اسحق : وكان من حديث ثقيف أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع الى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال له عروة : يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم - ويقال من أبصارهم - وكان فيهم كذلك محبا مجابا مطاعا ، فخرج يدعو قومه الى الإسلام ورجا أن لا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف عليهم على عليه له وقد دعاهم الى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فقيل له : ما ترى في دمك ؟ فقال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، قاذفوني معهم . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوه وأسلموا ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ؟ فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله رجلا كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير - وكان في سن عروة بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا . فأجمعوا أن يرسلوا معه رجلين من الأحناف وثلاثة من بنى مالك فيكونون ستة ، فبعثوا الحكيم ابن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان بن سامة ، ومن بنى مالك عثمان بن أبي العاص ابن بشر بن عبد دهان وأوس بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية أن يصنع به مثل ما صنع بعروة لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا الى الطائف رهطه ، فلما دنوا من المدينة وتركوا قناة لقوا بها المنيرة بن شعبة يركب في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رعيتهما نوبا عليهم ، فلما رأهم ترك الركاب عند النقيين ومر يشتد لبشر رسول

الله ﷺ بقدمهم عليه ، فلقىه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام وأن يشترطوا شروطا ويكتبوا من رسول الله كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بأن لا تسبقني الى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظاهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله فلم يفعلوا إلا بفتح الجاهلية ، ولما قدموا ضرب رسول الله ﷺ قبة عليهم في ناحية مسجده كما يزعمون ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله حتى كتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي يكتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم . وقد كانوا فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهى اللات - لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ذلك ، فراحوا يسألونه سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون في ذلك - فيما يظهر - أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونساءهم وذرايعهم ، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدمانيها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا ، فانه لا خير في دين لا صلاة فيه . فقالوا : يا محمد فسنؤتكها ولو كانت دناءة . فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه من أحرصهم على التفقه في الدين وفي الإسلام ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن قال ابن اسحق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدهم قال : كان بلال يأتيينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ما بقى من شهر

رمضان بظهورنا وسجورنا من عند رسول الله ، فيأتينا بالسحور وإنا لنقول : إنا لنرى
الفجر قد طلع فيقول : قد تركت رسول الله يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بظهورنا
وإنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد ، فيقول : ما جئتمكم حتى أكل رسول الله ،
ثم يضع يده في الجفنة فيأكل قسمه منها

قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن
عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ حين بعثني إلى
ثقيف أن قال : يا عثمان تجاوز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير
والصغير والضعيف وذا الحاجة

قال ابن اسحق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث معهم
رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية مع القوم ، حتى
إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال :
ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى المدم ، فلما دخل المغيرة علاها
يضر بها بالمعول ، وقام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ،
وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ، ويقول أبو سفيان والمغيرة يضر بها بالفأس :
واهالك واهالك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان ، وحليها
مجموع ومالها من الذهب والجزع . وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما
على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن
لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئنا . قالوا : نتولى
الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : وخالكما أبا سفيان . قالوا : وخالنا أبا سفيان
ابن حرب

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل
رسول الله ﷺ أبو المليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديننا كان عليه من مال الطاغية .
فقال رسول الله ﷺ نعم . فقال رسول الله ﷺ إن الأسود مات مشركا . فقال قارب رسول الله

لكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين على وإنما أنا الذى أطلب به .
فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية . فلما
جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود
ديهما ، فاقضى عنهما . انتهى

فهذه قصة هوازن وثقيف من أولها الى آخرها سقناها كما هي ، وإن كان إسلامهم
بعد غزوة تبوك لينتظم أولها بآخرها ليقع الكلام على فقه هذه القصة وأحكامها فى
موضع واحد فنقول : فيها من الفوائد والحكم ما ذكره ابن القيم وغيره ، أن الله
سبحانه قد وعد رسوله وهو الصادق الوعد أنه إذا دخل مكة دخل الناس فى دينه
أنواجا ودانت له العرب بأسرها ، فلما أتم له الفتح المبين واقتضت حكمة الله أن أمسك
قلوب هوازن عن الإسلام ، وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله والمسلمين ، ليظهر
أمر الله وتمايز إعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكران أهل الفتح ،
وليظهر الله رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون مثلاً فلا
يقاومهم بعد أحد من العرب ، وغير ذلك من الحكم الباهرة التى تلوح للمتأملين وتبدو
للتوسمين . واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع
كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليظلمن رؤوساً رفعت بالفتح ، ولم تدخل بآذنه
وحرمة كادخله رسوله واضعاً رأسه منحنياً على فرسه حتى إن ذقنه يسكاد أن يمس
سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لمزته أن أحل له حرمة وبلده ولم يحله
لأحد قبله ولا لأحد بعده ، وليبين الله سبحانه لمن قال لن تغلب اليوم من قلة أن النصر
إنما هو من عنده وأنه من ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له ، وأنه هو الذى
تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التى أعجبتكم فأنها لن تغنى عنكم شيئاً فوليتم مدبرين ،
فلما انكسرت قلوبهم أرسل اليها خلع الجبر مع بريد ﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ ، وقد اقتضت حكمته أن خلع النصر وجوائز
إنما تلحق على أهل الانكسار ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم

أئمة في الآيتين

ومنها أن الله سبحانه منع الجيش غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهباً ولا متاعاً ولا سبياً ولا أرضاً ، كما روى أبو داود عن وهب بن منبه قال : سألت جابراً هل غنموا يوم الفتح شيئاً ؟ قال : لا . وكانوا قد فتحوها بإيحاء الخليل والركاب وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاج إليه الجيش من أسباب القوة ، فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم ونعيمهم وشأنهم وسبيهم معهم نزلاً وضيافة وكرامة ولحزبه وجنده ، وتم القدير سبحانه بأن أطعمهم في الظفر ، وألاح لهم مبادئ النصر ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً . فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه ، ويردت الغنائم لأهلها ، وجرت فيها سهام الله ورسوله قيل : لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذرائعكم ، فأوحى الله إلى قلوبهم التوبة والإجابة فجاءوا مسلمين ، فقبل إن من شكر أن إسلامكم أن يرد عليكم أبناءكم ونساءكم ، ﴿ وَإِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ومنها أن الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوة بدر ، وختم غزوهم بغزاة حنين ، ولهذا يقرن بين هاتين الغزاتين بالذكر - بدر وحنين - وإن كان بينهما سبع سنين ، وقاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين ، والنبي ﷺ رمى وجوه المشركين بالحصباء ، وبهذا يتبين أن بهاتين الغزاتين طفت جرة العرب لغزو رسول الله والمسلمين ، فالأولى خوفهم وكسرت من حدثهم ، والثانية استفرغت قواهم واستنفدت سهامهم وأذلت جمعهم ، حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله

ومنها أن الله سبحانه جبر بها أهل مكة وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم ، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم ، وإن كان عين جبرهم ، وعرفهم تمام نعمه عليهم بما صرف عنهم من شر هوازن ، وأنه لم يكن لهم بهم طاقة ، وإنما نصروا عليهم بالمسلمين ، ولو أفردوا عنهم لأكلتهم عدوهم ، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يحيط بها إلا الله

وفيهما من الفقه أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه
بخبيرهم وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوه وفي جيشه قوة ومفعة لا يقعد لينتظرهم بل
يسير اليهم كما سار رسول الله إلى هوازن

وفيهما أن الإمام يجوز له أن يستعير سلاح الكفار وعدتهم لقتال عدوه
ومنها أن من تمام التوكل استعمال الأسباب لمسيباتها قدرا وشرعا ، فإن رسول الله
وأصحابه أكل الخلق توكلًا ، وإنما كانوا يلقون عدوهم وهم متحصنون بأنواع السلاح
وفيهما كمال خُلقه ﷺ وعفوه عنهم بقتله ، ولم يعاجله بل دعا له ومسح صدره
حتى عاد كأنه ولي حميم

ومنها ما ظهر من معجزات النبوة في هذه الغزاة من إخباره لشيبة بما أضر في
نفسه ، ومن ثباته وقد تولى عنه الناس ، وهو ينوه بذكره ويقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقد استقبلته كتائب المشركين وهو على البغلة التي لا تعد للفر والكر

ومنها إيصال الله قبضته التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه ، وبركته في
تلك القبضة حتى ملأت أعين القوم ، إلى غير ذلك من الآيات ، كنزول الملائكة
للقتال حتى رآهم العدو جبهة ورآهم بعض المسلمين

ومنها جواز انتظار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم في الطاعة ، فيرد
عليهم غنائمهم وسبيهم ، وفي هذا دليل لمن يقول إن الغنيمة إنما تملك بالقسمة لا بمجرد
الاستيلاء عليها ، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء لم يستأن بهم النبي ﷺ ليردها
عليهم ، وعلى هذا فلو مات من الغانمين أحد قبل القسمة وإحرازها بدار الإسلام رد
نصيبه على بقية الغانمين دون ورثته ، وهو مذهب أبي حنيفة

ومنها جواز التنفيل من أربعة أخماس الغنيمة ، وقد نص الإمام أحمد على أن

النفل يكون من أربعة أخماس الغنيمة ، وهذا العطاء الذى أعطاه النبى ﷺ المؤلفه قلوبهم هو من النفل ، نفل به رءوس القبائل والعشائر ليعتاقهم به وقومهم على الإسلام فهو أولى بالجواز من تنفيل الثلث بعد الخمس وانزيع به لما فيه من تقوية الإسلام وشوكته وأهله واستجلاب عدوه اليه ، وهكذا وقع ، سواء كما قال بعض هؤلاء الذين نفاهم : لقد أعطانى رسول الله وأنه لأبغض الخلق إلى ، فما زال يعطينى حتى إنه لأحب الخلق إلى ، فما ظنك بعطاء قوسى الإسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه ، واستجلب به رءوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم ، وإذا رضوا رضوا لرضاهم ، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلف أحد من قومهم . فإله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجده وأنفعه للإسلام وأهله . ومعلوم أن الأنفال لله ولرسوله يقسمها رسوله حيث أمره لا يتعدى الأمر ، فلو وضع الغنائم بأسرها فى هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل . ولما عميت أبصار ذى الخويصرة التميمي وأضرابه عن هذه المصلحة والحكمة قال له قائلهم : اعدل فانك لم تعدل ، وقال غيره إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . ولعمرك إن هؤلاء من أجهل الخلق برسوله وبمعرفته بربه وطاعته له وتمام عدله وإعطائه لله ومنعه لله ، والله سبحانه أن يقسم الغنائم كما يحب ، وله أن يمنعها الغنائمين جملة كما منعهم غنائم مكة وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابهم ، وله أن يسلط عليها نارا من السماء تأكلها ، وهو فى ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين ، وما فعل من ذلك عبثا ولا قدره سدى ، بل هو عين المصلحة والحكمة والعدل والرحمة ، مصدره كمال علمه وعزته ورحمته . ولقد أتم نعمته على قوم ردهم إلى منازلهم برسوله يقودونه إلى ديارهم وأرضى من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير كما يعطى الصنير ما يناسب عقله ومعرفته . ويعطى العاقل اللبيب ما يناسبه ، وهذا فضله وهذا فضله ، وليس هو سبحانه تحت حجر أحد من خلقه فيوجبون عليه بعقولهم ويحرمون ، ورسوله منفذ لأمره . والله أعلم

وفيهما أن السلامة من ألسنة الناس غاية لا تدرك كما قال الشافعى ، فعليك

بما يصلحك عند الله ودع عنك الناس ، فإذا كان رسول الله تسكلم فيه ونسب إلى الجور والظلم وهو رسول رب العالمين وأعظم الخلق عدلا وأمانة ومع هذا قيل فيه ما قيل ، فكيف يطمع العاقل في السلامة من الناس ؟

ومنها التأسى بالأنبياء ، والصبر كصبرهم ، لقوله عليه السلام « قد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر »

ومنها - وهي من علامات نبوة نبي الله ﷺ - إخباره بخروج الخوارج قبل وقت خروجهم بمدة ، فصار الأمر كما أخبر ﷺ

وفيها أنها تنفذك الخوف العظيم على نفسك ولا تغتر بالمالك ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم

وفيها معرفة المؤمن أن كل ما خالف هدى رسول الله ﷺ وهدى أصحابه فهو باطل مردود على صاحبه ، وإن كان قصده رضی الله ، لأن الخوارج لم يقصدوا بيدعتهم إلا رضى الله والجنة ، ولكن لما كان دينهم ومذهبهم خلاف هدى رسول الله وهدى أصحابه كانوا هم شر الخلق والخلقة ، ولهذا حرض النبي ﷺ على قتالهم إذا خرجوا وقال « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » ، وقال « هم شر الخلق والخلقة »

وفيها معرفة المؤمن أن المنتسب إلى الإسلام والسنة والزهد والعبادة قد يمرق من الإسلام ، فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام ، وذلك بأسباب : منها الغلو الذي ذمه الله حيث قال في كتابه ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ وقال ﷺ « إياكم والغلو ، فانما أهلك من قبلكم الغلو » . ومن ذلك أيضا الغلو في الخلق كأئنا من كان ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح كالسيح أو عزيز أو علي بن أبي طالب أو عبد القادر أو معروف الكرخي أو غيرهم وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يدعو مع الله أو يستغيث به في

رخاء أو شدة ليفرج كربته أو يجلب اليه منفعته أو ينذر له ليحلب له خيرا أو يدفع عنه شرا ، أو يذبح له ذبيحة يتقرب بها اليه أو يقول إذا ذبح شاة « باسم سيدى » أو يعبد به بالسجود له أو لقبره ، فكل هذا شرك وضلال وغلو فى الدين وجعل إله مع رب العالمين ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، فإن الله إنما أرسل أنزل السكتب ليعبد وحده ، ولا يدعى معه آلهة أخرى . وقد عمت البلوى بهذا الأمر فى كثير من البلاد نسأل الله العفو والعافية

ومنها أنه قال ﷺ فى هذه الغزوة « من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه » وقاله قبله فى غزوة أخرى ، فاختلف الفقهاء هل هذا السلب مستحق بالشرع أو بالشرط ، على قولين هما روايتان عن أحمد أحدهما أنه له - شرطه الإمام أو لم يشترطه - وهو قول الشافعى ، والثانى أنه لا يستحقه إلا بشرط الإمام وهو مذهب أبى حنيفة ، وقال مالك : لا يستحقه إلا بشرط الإمام بعد القتال ، فلو نصر قبله لم يحز . ومأخذ النزاع أن النبى ﷺ هو الإمام والحاكم والمفتى وهو الرسول ، فقد يقول الحكم لمنصب الرسالة فيكون شرعا عاما الى يوم القيمة ، وقد يقوله لمنصب الفتوى كقوله لهند « خذى ما يكفيك وولدىك بالمعروف » فهذه فتيا لا حكم ، وقد يقوله لمنصب الإمامة فيكون مصلحة للأمة فى ذلك الوقت وذلك المسكان على تلك الحال فيأزم من بعده من الأمة مراعاة ذلك على حسب المصلحة التى راعاها النبى ﷺ زمانا ومكانا وحالا . ومن ههنا تختلف الأمة فى كثير من المواضع التى فيها أثر عنه كقوله « من قتل قتيلا فله سلبه » هل قاله بمنصب الإمامة فيكون حكمه متعلقا بالأئمة ، أو بمنصب الرسالة والنبوة فيكون شرعا عاما ؟ وكذلك قوله « من أحيا أرضا ميتة فهى له » هل هو شرع عام لكل أحد أذن فيه الإمام أو لم يأذن له ، أو هو راجع إلى الأئمة فلا تملك بالإحياء إلا بإذن الإمام على قولين : فالأول للشافعى وأحمد فى ظاهر مذهبهما ، والثانى لأبى حنيفة وفرق مالك بين القلوات الواسعة وما لا يتشاح فيه الناس وبين ما يقع فيه التشاح ، فاعتبر إذن الإمام فى الثانى دون الأول

وقوله ﷺ « عليه بينة » يدل على مسألتين : إحداهما أن دعوى القاتل أنه قتل هذا الكافر لا تقبل ، الثانية ثبوت هذه الدعوى بشاهد واحد من غير يمين لحديث أبي قتادة المتقدم في الصحيح في قتل الرجل ، وهذا أحد الأقوال في المسألة وهو وجه في مذهب أحمد ، والثاني أنه لا بد من شاهد ويمين كاحدى الروایتين عن أحمد ، والثالث لا بد من شاهدين نص عليه أحمد لأنه دعوى قتل فلا تقبل إلا بشاهدين

وفي القصة دليل على مسأله أخرى وهى أنه لا يشترط فى الشهادة التلفظ بلفظ أشهد ، قال فى الهدى : وهذا أصح الروايات عن أحمد فى الدليل ، قال شيخنا : ولا نعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط لفظه الشهادة ، وقد قال ابن عباس : شهد عندى رجال مرضيون وأرضاهم عندى عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح ، ومعلوم أنهم لم يتلفظوا بلفظة أشهد

وقوله « له سلبه » دليل على أن له سلبه غير خموس ، وقد صرح بهذا فى قوله اسامة بن الأكوع لما قتل قتيلا : له سلبه . وفى المسألة ثلاثة مذاهب : هذا أحدها . والثانى يخمس كالغنيمة ، وهذا قول الأوزاعى وأهل الشام ، وهو مذهب ابن عباس لدخوله فى آية الغنيمة . والثالث إن استكثره الإمام خمسه وهو قول اسحق ، وفعله عمر ابن الخطاب رواه عنه ستة فى مبارزة البراء المرزبان ، قال صاحب الهدى : والأول أصح ، فإن النبى ﷺ لم يخمس السلب وقال : هو له أجمع ، ومضت على ذلك سنة وسنة الصديق بعده ، وما فعله عمر اجتهاد

وفى الحديث دليل على أنه من أصل الغنيمة ، فإن النبى ﷺ قضى به للقاتل ولم ينظر فى قيمته وقدره واعتبار خروجه من خمس الخمس

وفى جواز نصب المنجنيق على الكفار ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يقاتل من النساء والنرية

ومنها جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يضعفهم ويعيظهم وهو أنكى فيهم

ومنها أن العبد إذا أبقى من المشركين إلى المسلمين صار حرا

ومنها استجابة الله دعاء رسوله لثقيف أن يهديهم ويأتى بهم ، وقد حاربوه وقاتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه وقتلوا رسوله الذى أرسله اليهم يدعهم إلى الله ، ومع هذا كله فدعاهم ولم يدع عليهم ، وهذا من كمال رحمته ونصيحته

ومنها كمال محبة الصديق وقصده التقرب اليه بكل ما يمكنه ، ولهذا أنشد المغيرة أن يدعه هو يبشر النبي ﷺ بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذى فرحه بذلك ، وهذا يدل على أنه يجوز للرجل أن يسأل أخاه أن يؤثره بقرية من القرب ، وأنه يجوز للرجل أن يؤثر أخاه ، وقول من قال من الفقهاء لا يجوز الإيثار بالقرب لا يصح ، وقد آثرت عائشة عمر بن الخطاب بدفنه فى بيتها بجوار النبي ﷺ وسألها عمر ذلك فلم تذكره له السؤال ولا لها البذل ، وهل إهداء القرب المجمع على جوازها والمتنازع فيها إلى الميت إلا إيثار بالقرب ، فأى فرق بين أن يؤثره بفعلة ليجرز ثوابها وبين أن يعملها ثم يؤثره بثوابها ؟

ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطلها يوما واحدا ، فانها شعائر الكفر والشرك ، وهى أعظم المنكرات ، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التى تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شئ منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأعظم شركا عندها وبها وبالله المستعان . ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد فيها أنها تخلق وترزق وتحى وتميت ، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبليهم وسلكوا مبيليهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ،

وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ على ذلك الصغير وهرم فيه الكبير ، وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام ، وقل العلماء وغلبت السفهاء ، وتفاقم الأمر واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ، ولكن لا يزال طائفة من العصابة الحمدية بالحق قائمين ، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصل إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين ، فيجوز للإمام - بل يجب عليه - أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق اليها كلها ويصرفها الى الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام ، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاها لأبي سفيان يئألفه بها ، وقضى منها دين عروة والأسود ، وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا ، وله أن يقطعها للمقاتلة أو يبيعها ويستعين بثمنها على مصالح المسلمين ، وكذلك الحكيم في أوقافها والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع ، فينصرف في مصالح المسلمين ، فان الوقف لا يصح إلا في قرينة وطاعة لله ورسوله ، فلا يصح الوقف على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويحج اليه ويعبد من دون الله ويتخذ وثنا من دون الله ، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الإسلام ومن اتبع سبيلهم . انتهى ملخصا من الهدى النبوي لابن القيم رحمه الله تعالى . وفيها من الفوائد والفقہ أكثر مما ذكر . والله أعلم

ذكر قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ

قال ابن اسحق : ولما قدم رسول الله من الطائف كتب بجير بن زهير الى أخيه كعب ، وكان بجير قد أسلم وهو حسن الإسلام يخبره أن رسول الله قتل رجلا بمسكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كنت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله فانه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك . وكان كعب قد قال :

ألا أبْلِغَا عَنِي بِحَيْرَا رِسَالَةَ فهِلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيَحْكُ هَلْ لَكَ
فَبَيْنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَى شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَاكَ
عَلَى خَلْقٍ لَمْ تَلَفْ أَمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَلَمْ تَلَفْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِأَسَفٍ وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَهَا كَا
سَقَاكَ بِهَا الْمُأْمُونُ كَأَسَا رُويَةً فَانْهَلِكِ الْمُأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

قال فبعث بها الى بحير ، فلما أتت بحيرا كره أن يكتمها رسول الله ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ : سقاك بها المؤمن ، صدق وإنه لكذوب ، وأنا المؤمن . ولما سمع : « على خلق لم تلاف أما ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه . ثم قال بحير لأخيه كعب :

مَنْ مَبْلَغُ كَعْبَا فهِلْ لَكَ فِي التِّي تَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْلَا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَزَى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمَقْلَتٍ مِنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زَهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينَهُ وَدَيْنُ أَبِي سَلَمَى عَلَى مُحْرَمُ

فلما بلغ كعبا ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جبهة كما ذكر ، فعدا به الى رسول الله ﷺ ، ثم أشار له الى رسول الله فقال : هذا رسول الله ، فقم اليه واستأمنه ، فذكر لى أنه قام الى رسول الله حتى جلس اليه فوضع يده في يده - وكان رسول الله لا يعرفه - فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء ليستأمنك تابعا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به ؟ قال رسول الله : نعم . قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير . قال ابن اسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب اليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله : دع عنك ، فقد جاءنا تابئا نازعا . قال

فغضب كسب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال قصيدته اللامية المشهورة يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها :

بانث سعاد قلبي اليوم متبول	متميم إثرها لم ينفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غصبيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة	لا يشتكى قصر منها ولا طول
تمشى الغواة بجنيها وقولهم	إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله	لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم	فكل ما قدّر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته	يوما على آلة حذباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدنى	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى اك نافلة أعط	الآن فيها مواعيط وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم	أذنب ولو كثرت في الأفاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به	أرى وأسمع ما لم يسمع الفيل
لظل يردد إلا أن يكون له	من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعت يميني ما أنازعها	في كف ذى ثقات قوله القيل
فلهو أخوف عندي إذ أكله	وقيل إنك منسوب ومسئول
من ضيغم من ضراء الأسد مخدرة	في بطن عثر غيل دونه غيل
إن الرسول لنور يستضاء به	مهتد من سيوف الله مسلول
في عصبة من قریش قال قائلهم	يبطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف	عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشى الجمال الزدر يعصمهم	ضرب إذا عرّد السود التنايل
شم العرائن أبطال لبوسهم	من نسج داود في الهيجا سرايل

بيض سوانغ قد شكت لما حلق كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفارح إن نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا في نخورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

قال ابن اسحق قال عاصم بن قتادة : فلما قال كعب « إذا عرد السود التنايل »
وإنما يريد معاشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحته
غضبت الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ :

من سره كرم الحياة فلا يزل في منقب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كبراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهرى بأذرع كسواف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين ميمرة كالجر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يروونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت بيطن خفية غلب الرقاب من الأسود ضوار
وإذا حلت لينعوك اليهم أصبحت عند معاقل الأغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الأقوام علمى كله فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم إذا خوت النجوم فانهم للطارقين النازلين مقارى

قال ابن هشام ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : لولا
ذكرت الأنصار بخير . فان الأنصار لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات . وفى رواية
أبى بكر بن الأنبارى لما وصل إلى قوله :

إن أنزل رسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

رمى عليه ﷺ بردة كانت عليه ، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال :

ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحدا . فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا وأخذها منهم ، قال وهى البردة التى عند السلاطين إلى اليوم . وكان كعب بن زهير من فحول الشعراء هو وأبوه زهير ، وابنه عقبة ، وابن ابنه العوام بن عقبة

فصل

قالوا : ولما دخلت سنة تسع بعث ﷺ المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب ، قال ابن سعد : ثم بعث رسول الله ﷺ المصدقين . قالوا لما رأى رسول الله هلال الحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون الأعراب ، فبعث عيينة بن حصن إلى بنى تميم ، وبعث يزيد بن الحصين إلى أسلم وغفار ، وبعث رافع بن مكيث إلى جهينة ، وبعث عمرو بن العاص إلى فزاره ، وبعث الضحاك بن سفيان إلى بنى كلاب ، وبعث بشير بن سفيان إلى بنى كعب وبعث ابن اللثبية الأزدى إلى بنى ذبيان ، وأمرهم رسول الله أن يأخذوا العفو منهم ويتوَّقوا كرائم أموالهم . قال ابن اسحق : وبعث المهاجر بن أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسى وهو بها ، وبعث زياد بن ليلى إلى حضرموت ، وبعث عدى بن حاتم إلى طيء وبنى أسد . وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقات بنى سعد على رجلين : فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية ، وقيس بن عاصم على ناحية ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث عليا إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بحزيتهم

فصل

فى السرايا والبعوث فى سنة تسع

فمنها سرية عيينة بن حصن الفزارى إلى بنى تميم ، وذلك فى الحرم من هذه السنة فى تخمين فارسا ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى ، فكان يسير الليل ويمكن النهار ، فهجم عليهم فى صحراء وقد سرحوا مواشيهم ، فلما رأوا الجمع ولوا فأخذ منهم أحد عشر

رجلا وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فساقهم إلى المدينة فنزلوا في دار رملة بنت الحارث .
 فقدم فيهم عدة من رؤسائهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم
 والأقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمر بن الأهمم ورياح بن
 الحارث ، فلما رأوا نساءهم وذرايرهم بكوا اليهم ، فعجلوا فجاءوا إلى باب النبي ﷺ
 فنادوه : يا محمد أخرج إلينا لنفاخرك ونشاعرك ، فنزل فيهم ، وإن الذين ينادونك من
 وراء الحجرات أكرهم لا يعقلون في الآية . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فأقام بلال .
 الصلاة وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه فوقف معهم ، ثم مضى فصلى الظهر ، ثم جلس في
 من المسجد ، فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب ، وأمر عليه السلام ثابت
 ابن قيس بن شماس فأجابهم فغلبهم ، فقام الزبرقان شاعر بني تميم فأنشد مفاخرأ فقال :

نحن السكرام فلا حى يعادلنا	منا الملوك وفيما تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم	عند الزهاب وفعل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا	من الشواء إذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراتهم	من كل أرض هوى ثم نصطنع
فننجر السكوم عبطا في أرومتنا	للائلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم	إلا استقادوا فكانوا الرأس يقطّع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه	فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنا أئينا ولم ياب لنا أحد	أنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال ابن اسحق وكان حسان غائبا فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءني رسول
 رسول الله ﷺ فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ
 ﷺ وأنا أقول :

منعنا رسول الله ﷺ إذ حل وسطنا	على ألف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا	بأسياقنا من كل باغ وظالم

هل المجد إلا السؤدد والعود والندى وجاه الملوك واحتمال العظام
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصوارم

زاد بعضهم :

بنى دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالأ عند ذكر المكارم
وإن كنتم جئتم لخلق دماءكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

فلما انتهيت إلى رسول الله وقام شاعر القوم فقال ما قال فلما فرغ قال رسول الله :
قم يا حسان فأجب الرجل ، فقام حسان فقال :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم وأحاولوا النفع في أشياعهم نفعا
سجية تلك منهم غير محدثة إن كان في الناس سباقون بعدهم
لا يرقع الناس ما أوهت أكتفهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يخلون على جار بفضلهم عند الدفاع ولا يوهون مارقعا
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم ولا يسهم من مطمع طبع
نسوم إذا الحرب نالتنا مخالبا كما يدب إلى الرحشية الذرع
لا يتخرون إذا نالوا عدوهم إذا الزعانف من أظفارها خشعا
كانهم في الوغى والموت مكتنع وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا أسد بجملة في أرساغها فدع
فان في حربهم فاترك عدوتهم ولا يكن هك الأمر الذي منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم سرا يخاض عليه السم والسلع
إذا تفاوتت الأهواء والشيع إذا تفاوتت الأهواء والشيع

أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره فيما أحب لسان حائك صنع
فأنهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو شمعوا
فلما فرغ حسان قال الأفرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتى ، لخطيبه أخطب من
خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم أسلموا
وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم ورد عليهم نساءهم وأبناءهم
سرية قطبة بن عامر في سنة تسبع

قالوا : بعث رسول الله ﷺ قطبة في عشرين رجلا إلى حى من خثعم بناحية تبالة
وأمره أن يشن الغارة ، فخرجوا على عشرة أبعرة فاعتقبوها فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا
قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين ، وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم
والشاء والنساء إلى المدينة . وفي القصة أن القوم اجتمعوا وركبوا في آثارهم ، فأرسل
الله سيلا عظيما حال بينهم وبين المسامين فساقوا النعم والسبي وهم ينظرون لا يستطيعون
أن يعبروا إليهم

سرية الضحاك بن سفيان الكلبي إلى بني كلاب

في ربيع الأول سنة تسع . قالوا : بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى بني كلاب وعليهم
الضحاك بن سفيان بن عوف ومعهم الأصيلد بن سامة ، فلقوهم بالرخوخ ، فدعوههم إلى
الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأصيلد أباه سامة وسامة على فرس له في غدير
بالرخ ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبه وسب دينه ، فضرب الأصيلد
عرقوب فرس أبيه ، ولما وقع الفرس على عرقوبه ارتكز سامة على الرمح في الماء ثم
استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ، ولم يقتله ابنه

سرية علقمة بن محرز المدلجي إلى الحبشة

في ربيع الآخر سنة تسع ، وقال الحاكم في صفر . قال ابن سعد : فلما بلغ رسول
الله ﷺ أن ناسا من الحبشة رأوا آثم أهل جدة بعث إليهم علقمة بن محرز في ثلاثمائة

فانتهى إلى جزيرة وقد خاض اليهم البحر فهربوا منه

ذكر سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طيء ليهدمه

وفي هذه السنة قالوا : بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلس وهو صنم طيء ليهدمه ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموه ، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء ، وفي السبي أخت عدى بن حاتم ، وكان عدى قد هرب إلى الشام ووجدوا في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الماشية والرقعة عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق ، وعزل الصفي لرسول الله ، ولم يقسم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة

قال ابن اسحق قال عدى بن حاتم : ما كان رجل من العرب أشد كراهة لرسول الله ﷺ مني حين سمعت به ، وكنت امرءا شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالرباع ، وكنت في نفسي على دين ، وكنت ملاحا في قومي . فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلام عربي لي - وكان راعيا لإبلي - لا أبالك ، أعد لي من إبلي أجالا ذلالا سمانا فاحبسها قريبا مني ، فاذا سمعت بخيل محمد قد وطئت هذه البلاد فاذني . ففعل . ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن . فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . قال فقلت : قرب لي أجمالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها ، وخالفتني خيل رسول الله فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام ، فربها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله غاب الوافد ، وانقطع الوالد ، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فنَّ عليَّ من الله عليك . فقال : من وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الذي فر

من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله وتركنى ، فلما كان من الغد مر بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت فقممت اليه فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامتن على من الله عليك : قال رسول الله : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم أذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن كليمه فقيل : على بن أبى طالب . فأثقت حتى قدم ركب من طيء أو قضاة . قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام . قالت : فجنبت رسول الله فأخبرته ، فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة . قال عدى : فأثنتى أختى بالشام فقالت : لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها ، ائته راغباً أو راهباً ، فقد أتاه فلان فأصاب منه وفلان فأصاب منه . قال عدى : فأثيته وشو جالس فى المسجد ، فقال القوم : هذا عدى بن حاتم . ووجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما دفعت إليه أخذ بيدي ، وقد كان قبل ذلك قال : إني لأرجو أن يجعل الله يده فى يدي . قال فقام بى ، فلقيته امرأة ومعهما صبى فقالا إن لنا إليك حاجة . فقام معهما حتى قضى حاجتهما . فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملك . ثم أخذ بيدي حتى أتى داره فأثقت له الوليدة وسادة فجلس عليها وجلس بين يديه . وعند ابن اسحق : فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقفزها الى فقال : اجلس على هذه . فقلت : بل أنت فاجلس إليها . قال : بل أنت . فجلست عليها وجلس رسول الله على الأرض . قال فقلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : ايه يا عدى بن حاتم ، ألم تكن ركوسياً ؟ قال قلت بلى . قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالرباع ؟ قال قلت بلى . قال فإن ذلك لم يحل لك فى دينك . قال قلت أجل والله ، قال وعرفت أنه نبي مرسل يعرف ما يُجهل . ثم قال : يا عدى ، لعلك إنما منعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من

القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل أن تفتح عليهم . قال : فأسلمت . فكان عدى يقول مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن . قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تخرج هذا البيت ، ووالله لتكونن اثنتان ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه . كذا في رواية ابن اسحق

وفي رواية غيره بعد قوله جلست بين يديه : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما يضرك أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ؟ قلت لا . ثم تكلم ساعة ثم قال : إنما تفر أن يقال الله أكبر ، وهل تعلم شيئا أكبر من الله ؟ قال قلت لا . قال فان اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون . قال قلت : فأني حنيف مسلم . فرأيت وجهه منبسطا فرحا . قال ثم أمر بي فأنزلت عند رجل من الأنصار ، وجعلت أغشاه آتية طرفي النهار . قال فبينما أنا عنده إذ جاء قوم في ثياب من الصوف من هذه الثمار ، قال فصلي وقام فحث عليهم ثم قال : أيها الناس ارضخوا من الفضل ، ولو صاعا ، ولو بنصف صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض قبضة ، يقي أحدكم نفسه من جهنم أو النار ، ولو بتمررة ، فان أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم : ألم أجعل لك مالا وولداً ، فيقول بلى . فيقول : أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئا يقي به وجهه جهنم ، ليق أحدكم وجه النار ولو بشق تمررة ، فان لم يجد فبسكلمة طيبة ، فأني لا أخاف عليكم الفاقة فان الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة ما بين يثرب والخيرة أكثر ما تخاف على مطيتها السرق . قال فجعلت أقول في نفسي : فأين لصوص طيء ؟ رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرها بزيادات وتقص

وفي رواية أحمد : دخلت على رسول الله وهو يقرأ في هذه الآية ﴿ اتخذوا أحمبارهم وربانهم أربابا من دون الله ﴾ قال فقلت : انهم لم يعبدوهم . قال بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم . ثم قال : يا عدى أسلم

تسلم . فقلت إني من أهل دين . قال أنا أعلم بدينك منك . فقلت أنت أعلم بديني مني ؟ قال : نعم ، ألت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك ؟ فقلت : بلى . قال فان هذا لا يحل لك في دينك . قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها . وذكر نحو ما تقدم

فصل

قالوا : وفي هذه السنة هجر رسول الله نساءه وقال : ما أنا بداخل عليكن شهرا ، فاعتزل في مشربة له ، فنزل بعد تسع وعشرين ليلة ، فبدأ بعائشة ، فقالت له : يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا ، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدأ . فقال : الشهر تسع وعشرون ، وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين . والقصة في الصحيحين

غزوة تبوك

قالوا : وكانت في رجب من هذه السنة ، وهي آخر غزواته ﷺ . وتبوك موضع معروف ، وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق ، وهي غزوة العسرة ، والفاضة : لافتتاح المنافقين فيها . ولعبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال : خرجوا في قلة من الظهر ، وفي حر شديد ، حتى كانوا ينتحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، وفي الظهر وفي النفقة ، فسميت « غزوة العسرة » . وللطبراني من حديث عمران بن حصين قال : كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل : أن هذا الرجل الذي خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون ، فهلكت أموالهم . فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا ، فبلغ ذلك النبي ﷺ - ولم يكن للناس قوة - وكان عثمان قد جهز عيرا للشام فقال : يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلامها ومائتا أوقية . قال فسمعتة يقول « لا يضر عثمان ما عمل بعدها » . وعن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ فرأيت^(١) قلبها في

(١) بياض : أعله : رسول الله ﷺ

حجره ويقول « ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم » خرجه الترمذى وقال : حسن غريب
وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة - وكانوا كلهم
مسلمين في هذا الوقت - يستنفرهم ، وحض رسول الله من عنده من المسلمين على الجهاد ،
وأمرهم بالصدقة فجاءوا بصدقات كثيرة ، وكان أول من جاء بها أبو بكر ، جاء بماله
كله ، وكان أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله . وجاء العباس بن عبد المطلب
بمال كثير . وجاء طلحة بمال . وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة . وجاء
سعد بن عباد بمال . وجاء محمد بن مسلمة بمال . وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من
تمر . وبعث النساء كل ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخالخل وقرط وخواتم .
قال ابن اسحق : فذكر لنا الزهري وي زيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن
عمر وغيرهم من أصحابنا وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض أن رسول الله ﷺ أمر
أصحابه بالتهيو لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من
البلاد حين طابت الثمار والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص على حال من الزمان
الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قل ما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه
يريد غير الوجه الذي يعمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة
وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يعمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهتبه ، فأمر الناس
بالجهاز وأخبر أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن
قيس أحد بني مسلمة : يا جد ، هل لك العام في جلاد بنى الأصفر ؟ فقال يا رسول الله أو
تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني ،
وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أني لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله وقال :
قد أذنت لك . فقيه نزلت هذه الآية ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ الآية
قال قوم من المناقين : لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً
بالرسول ، فأنزل الله ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً ﴾ الآية
ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره ، ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله

وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير وغلبة بن زيد أحد بنى حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن أخو بنى مازن بن النجار وعمرو ابن الحام بن الجوح أخو بنى سامة وعبد الله بن مغفل المازنى - وبعض الناس يقول : هو عبد الله بن عمرو المازنى - وهرمي بن عبد الله أخو بنى واقف وعرباض بن سارية ، فاستحموا رسول الله وكانوا أهل الحاجة ، فقال : لا أجدا ما أحملكم عليه . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون . قال وجاء المذذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله . وجاءه المنافقون وهم ثمانون فأذن لهم . ثم استحث برسول الله السير في سفره وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بنى سلمة ومسارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بنى واقف وأبو خيثمة أخو بنى سالم ، وكانوا نفر صدق لا يهتمون في إسلامهم

فأما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى . وذكر الدراوردي أنه استعمل سباع بن عرفة . وخلف رسول الله على أهله على بن أبى طالب وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استنقلا منه وتحققا منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف فقال : يا نبى الله زعم المنافقون أنك إنما خلقتنى أنك استنقلتنى وتحققت منى ، قال : كذبوا ، ولكنى خلقتك لما تركت ورائى ، فأرجع فاخلقنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى . فرجع إلى المدينة . قلت وفى الصحيح عن سعد أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا ، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى ؟ انتهى . فهذا يدل على أنه استخلف عليا على المدينة كما رجحه ابن عبد البر ، وجزم ابن القيم بأن خلافة على خاصة على الأهل ، وأما الاستخلاف العام فهو لمحمد بن مسلمة كما تقدم . قال

ابن اسحق : ومضى رسول الله ﷺ على سفره

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريش لهما في حائط قد رشت كل واحدة منها عريشها وبردت فيه ماء وهيات له فيه طعاما . فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله في الضحى والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام ميبأ وامرأتين حسناوين في ماله مقيم ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيناً لي زادا . ففعلتا . ثم قدم ناضجه فارتحل ، ثم خرج في طلب رسول الله حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الحمصي في الطريق يطلب رسول الله فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنبا فما عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله . ففعل . حتى إذا دنوا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق . فقال رسول الله : كن أبا خيثمة . فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله وأخبره خبره . فقال له رسول الله خيراً ، ودعا له بخير

وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلاً واستسقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله : لا تشربوا من مائها شيئاً ولا توضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين مجتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ، إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فحملته الريح حتى طرحته بجبل طيء ، فأنخبر رسول الله فقال : ألم أنهيكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه ؟ ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فأنهذه طيء لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة . وفي صحيح مسلم عن أبي حميد : انطلقنا حتى أتينا تبوك ، فقال رسول الله ﷺ :

تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله . فهبّت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقت به بجبل طي . وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : لما مر النبي ﷺ بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين . ثم قنع رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي . وفي البخاري أنه أمرهم بإلقاء العجين . وفي مسلم أنه أمرهم أن يعلفوه الإبل وأن يهريقوا الماء وأن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة . ورواه البخاري أيضا ، وقد حفظ راويه ما لم يحفظ الأول

وقال ابن اسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ، فدعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سبحانه وأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء قليل لبعض المنافقين : ويحك هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة . حتى إذا كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها فقال زيد بن لصيت : أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ، وأنا والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد داني الله عليها وهي في هذا الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فأنطلقوا حتى تأتونني بها . فذهبوا فجاءوا بها

ثم مضى رسول الله ﷺ سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكن فيه خير فسيحلّقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه . حتى قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره . فقال : دعوه فإن يكن فيه خير فسيحلّقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوّم على أبي ذر بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم فقالوا : يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت

وحده ، ويبعث وحده . قال ابن اسحق : فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن مسعود قال : لما نفي عثمان أبا ذر إلى الربيعة فأصابه بها قدره لم يكن معه بها أحد إلا امرأته وغلामه ، قال فأوصاهما أن غسلاني وكفنانني ثم ضعاني على قارعة الطريق فنزل راكب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ، فاعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمارا ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبل تطأها ، وقام اليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فاعينونا على دفنه ، فاستهل عبد الله يبكي ويقول : صدق رسول الله ، تمشي وحدك وتموت وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك

وقد كان رهط من المنافقين منهم ودیعة بن ثابت أخو عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشى بن حير قال بعضهم لبعض : أتمحبسون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض ؟ والله لكانني بكم غداً مقرنين في الجبال - إرجافاً وترهيباً للمؤمنين - فقال مخشى بن حير : والله لو ددت على أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا لنفقت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلتكم هذه . وقال رسول الله ﷺ لعبار بن ياسر : أدرك القوم ، فانهم قد احترقوا فسلمهم عن ما قالوه ، فان أبسكروا قتل : بلى قتلتم كذا وكذا . فانطلق اليهم عمار فقال لهم ، فأتوا رسول الله يعتذرون اليه ، فقال : ودیعة بن ثابت : كنا نخوض ونلعب [فأنزل الله عز وجل فيهم] وإن سألهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب [، وقال مخشى بن حير : يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي ، وكان الذي عني عنه في هذه الآية وتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . قلت : روى ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب

ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله . فبلغ ذلك رسول الله ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : وأنا رأيته متعاقبا عقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله يقول . أبا الله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . قال ابن كثير . وقد رواه الليث بن سعد عن هشام بن عمار

فصل

قال ابن اسحاق . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وأعطاه أهل جربا وأذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة أيام فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله كتابا . وذكر ابن عائد في معازيه أن رسول الله ﷺ نزل بتبوك في زمان قد قل ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله بيده غرفة من ماء فضمض بها ثم بصقه فيها فقارت عينها حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة . قلت : في صحيح مسلم عن معاذ أنه ﷺ قال قبل وصوله إليها : إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من ماءها شيئا حتى آتى . قال فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين تبض بشئ من ماءها ، فسألها رسول الله ، هل مسستما من ماءها شيئا ؟ قالا نعم . وقال لها ما شاء الله أن يقول . ثم غرف من العين قليلا قليلا حتى اجتمع الوشل ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويده ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ بجنانا وذكر البيهقي في الدلائل والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله لما كان منها على ليلة ، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، فقال : ألم أقل لك يا بلال اكأ لنا الفجر ؟ فقال ، يا رسول الله ذهب بي النوم الذي ذهب بك ، فانتقل رسول الله من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ، ثم ذهب بقية يومه وليلته

ثم أصبح في تبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال ، أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير المثل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص القرآن ، وخير الأمور عوارفها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعشى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما قرى في القلب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من حر جهنم ، والسكر كي من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدهم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هوات قريب ، وسباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به ، ومن يتصبر يغفر الله له ، ومن يعص الله يعذبه . ثم استغفر ثلاثاً . انتهى

ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاتين في غزوة تبوك ، فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، قال شعبة فقلت لابن عباس : ما حمله على ذلك ؟ قال : أراد أن لا يخرج أحد من أمته . وله عن معاذ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً . وأخرجه مالك في الموطأ وزاد : فأخر الصلاتين يوماً ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر

جميعاً ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً . وفي رواية أبي داود والترمذى عن معاذ أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل بعد زيف الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ، لكن أعلّ هذه الرواية جماعة من أئمة الحديث . وذكر البخارى أن بعض الضعفاء أدخلها على قتيبة حكاه الحاكم في علوم الحديث . قال ابن عبد البر : هذا أوضح دليل على من قال لا يجمع إلا إذا جد به السير . انتهى

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك من كندة ، وكان ملكاً عليها وكان نصرانيا بدومة الجندل . قال أبو عبيد : دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طي ، ودومة من قرى من وادى القرى ، وذكر أن عليهم حصناً حصيناً يقال له مارد وهو حصن أكيدر الملك ، فقال خالد : يا رسول الله كيف لى به وسط بلاد كلب وأنمار ، وأنا فى أناس يسير ؟ فقال رسول الله : ستلقاه يصيد الوحش أو قال البقر فتأخذه . فخرج خالد ومن معه فلما بلغ خالد قريباً من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صائقة وهو على سطح له فى الحصن معه امرأته ، فباتت البقر تمك بقرونها باب الحصن ، وأشرفت امرأته على باب الحصن فقالت : ما رأيت كالأيلة . وفى لفظ : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال لا والله . قالت : فمن يترك هذه الأيلة ؟ قال لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان فخرجوا من حصنهم بمطاردهم ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ، فاستأسر أكيدر وامتنع حسان فقاتل حتى قتل ، وهرب من كان معه ودخل الحصن ، وكان على أكيدر قباء نحو خمس بالذهب فاستلبه خالد وبعث به على رسول الله قبل قدومه به عليه . وفى الصحيح عن أنس قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : تعجبون من هذا ؟ لئناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا . انتهى

وقال خالد لأكيدر : هل لك على أن أخيرك من القتل حتى آتى بك رسول الله على أن تفتح دومة الجندل ؟ قال نعم ذلك لك . فلما صالح خالد أكيدراً وأكيدر فى

وثائق ومضاد أخو أكيدر في الحصن ، أبي مضاد أن يفتح باب الحصن لما رأى أخاه في الوثائق ، فطلب أكيدر من خالد أن يصلح له على شيء حتى يفتح له باب الحصن وينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما شاء ، فرضى خالد بذلك فصالحه أكيدر على ألفي بعير وثلاثمائة فرس ، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ، ففعل خالد وخلي سبيله ، ففتح له باب الحصن فدخله وحقن دمه ودم أخيه ، فانطلق بهما إلى رسول الله ﷺ وهو قد وصل إلى المدينة ، فلما قدم بهما إلى رسول الله ﷺ صالحه على الجزية وخلي سبيلهما ، وكتب لهما كتاب إمارة . قال ابن الأثير : ومات أكيدر نصرانيا بلا خلاف بين أهل السير ، لأنه بعد المصالحة عاد إلى حصنه وبقي فيه فحاصره خالد زمن أبي بكر فقتله مشركا بنقضه العهد

فصل

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ، وقيل عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ركعتين ولم يلق كيدا . وفي مسند أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ : إني مسلم ، فقال النبي كذب وهو على نصرانيته . ولأبي عبيد بسند صحيح نحوه ولفظه : قال كذب عدو الله ، ليس بمسلم . وفي المواهب اللدنية كتب رسول الله ﷺ كتابا من تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس . وفي المنتقى شاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم والمسير إليهم ، فقال عمر : إن كنت أجبرت بالمسير فسر ، فقال رسول الله ﷺ : لو أمرت ما استشرتكم فيه ، فقال عمر : يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنوت وأفزعهم دنوك ، لو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً عظيماً . فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلق كيدا . وكان في الطريق ماء يخرج من وشل يروى الراكب والزراكين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى الماء فلا يسقين منه شيئا حتى تأتيه ، فسبقه إليه نفر من المناققين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يرف فيه شيئا فقال : من سبقنا إلى هذا ؟ فقبل

يا رسول الله فلان وفلان . فقال ألم أنهيكم أن تستقوا منه شيئا حتى آتية ؟ ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل ووضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضجه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فأنخرق من الماء كما يقول من سمعه ، أما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو بقي منكم لتسمعن بهذا الطريق وقد أخضب ما بينه وما خلفه

وفي مرجعه ﷺ من تبوك هم المنافقون بالفتك به فعصمه الله منهم ، ذكر البيهقي في الدلائل من حديث ابن اسحق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختری عن حذيفة قال : كنت آخذا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة وأنا أسوق وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا أنا بألفي عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فأنهت رسول الله ﷺ فصرخ فيهم فولوا مدبرين ، فقال رسول الله ﷺ : هل عرفتم القوم ؟ قلنا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ، ولكن عرفنا الركاب . قال : هؤلاء المنافقون إلى يوم القيمة . قال : هل تدرن ما أرادوا ؟ قلنا لا . قال : أرادوا أن يرجعوا رسول الله ﷺ في العقبة فيقتلوه بها . قلنا يا رسول الله ألا تبعث لعشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال لا ، أكره أن تتحدث العرب أن محمدا قاتل بالقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم . اللهم ارمهم بالديلة . قلنا يا رسول الله وما الديلة ؟ قال : شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك : ولأحد عن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى : إن رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رشط متلثمون على الرواحل ، فسبقوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال النبي ﷺ قد قد ، حتى هبط رسول الله ﷺ ، فلما هبط ونزل رجع عمار فقال : يا عمار هل عرفت القوم ؟ فقال عرفت الرواحل والقوم متلثمون . قال : وهل تدري ما أرادوا ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ ويطرحوه . قال فساد عمار رجلا من أصحاب النبي

فقال نشدتك بالله هل تعلم كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة . قال إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر ، قال فتعذر رسول الله منهم ثلاثة وقالوا والله ما سمعنا منادى رسول الله ما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعماراً بأسمائهم وما هموا به وأمرهما أن يكتبما عليهما ، وكان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره . قال الضحاك في قوله تعالى ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ الآية ، أنها نزلت في أهل العقبة

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عبد الله بن مسعود يحدث قال : قمت من جوف الليل في غزوة ، قال فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله في حفرة وأبو بكر وعمر يدليانه إليه ، وهو يقول إديا لي أخا كما ، فدلياه إليه ، فلما هياه لشقه قال : اللهم إني أُمسيت راضيا عنه فأرض عنه . قال يقول عبد الله بن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة . قال ابن هشام : إنما سمي ذا البجادين لأنه كان ينزع إلى الإسلام فيمعه قومه من ذلك وضييقون عليه حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد الكساء الغليظ . فهرب منهم إلى رسول الله ، فلما كان قريبا منه شق بجاده باثنتين فاتزر بواحدة واشتمل بالأخرى ، ثم أتى رسول الله فقيل له ذا البجادين

قال ابن اسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ من تبوك حين نزل بذي أوان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، جاءه خبر مسجد الضرار من السماء ، وذكر غيره أن بني عمرو بن عوف لما اتخذوا مسجد قباء فبعثوا إلى رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلي فيه ، فحسدتهم إخوانهم بني غنم - وكانوا من منافق الأنصار - فقالوا : نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله فيصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام . وروى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس في قوله ﴿ والذين

اتخذوا مسجداً ضراراً ﴿١﴾ هم ناس من الأنصار ابتنوا مسجداً ، فقال لهم أبو عامر :
 ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك
 الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي
 ﷺ فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحن نرجو أن تصلي فيه وتدعو بالبركة ، فأنزل
 الله ﷻ لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم - يعني مسجد قباء -
 أحق أن تقوم فيه ﴿٢﴾ إلى قوله ﴿٣﴾ فأنهار به في نار جهنم ﴿٤﴾ يعني قواعده ﴿٥﴾ لا يزال بنيانهم
 الذي بنوا ريبة في قلوبهم ﴿٦﴾ من الشك ﴿٧﴾ إلا أن تقطع قلوبهم ﴿٨﴾ يعني بالموت . انتهى
 قال ابن اسحق : وقد كان أهل مسجد الضرار ، أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى
 تبوك فقالوا : يا رسول الله إنا بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة
 الشاتية ، وأنا نحب أن تأتينا فنصلي لنا فيه . فقال رسول الله : إنا على جناح سفر وحال
 شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله أتينا فصلينا لكم فيه . فلما انصرف رسول الله من تبوك
 ونزل بذي أوان أتاه المناقون الذين بنوا مسجد الضرار فسألوه إتيان مسجدهم فدعا
 بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبرهم وما هموا به ، فدعا
 رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن فقال لهم : انطلقوا إلى
 هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه . فخرجوا سراعا حتى أتوا بني سالم بن عوف
 وهم رحط مالك بن الدخشم فقال مالك : انظروني حتى أخرج إليكم بنار من أهلي .
 فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد فحرقوه
 وهدموه وتفرق أهله عنه . ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه
 وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
 وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال في الهدى : وبعض الناس يهيم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه من
 مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام . فلما أشرف على

المدينة قال « هذه طابة وهذا جبل أحديجبنا ونحبه ». وفي البخارى لما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال : إن بالمدينة رجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعهم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر . قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال . وهم بالمدينة

فصل

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين - كما في حديث كعب بن مالك في الصحيحين - ثم جلس للناس ، فجاء الخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل رسول الله ﷺ منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله . وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرة بن الربيع وهلال بن أمية ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يكلموا هؤلاء الثلاثة

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكان غزوة بدر لم يعاتب أحد تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد غير قريش ، فجمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبه حين تواتنا على الإسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر أذكر في الناس منها . وكان من خبرى حين تخلفت عنه في غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعنا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قل ما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل عدواً كثيراً فجاء للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبطه ، وأخبرهم بوجهه الذى يريده ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وجعلت أغدو لأعجز معه فأرجع ولم أقض

شيئا فاقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إن أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى شمر بالناس الجد وأصبح رسول الله غاديا والمسامون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، قتل أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا الأتجهز فرجعت فلم أقض شيئا ، ثم غدوت ورجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى أصرعوا وتفاطروا الغزو . فهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ولم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم يحزنني أن لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالنفاق ، أو رجلا من عذره الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداء ونظره في عطفه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرا ، فسكت رسول الله . فلما بلغني أن رسول الله ﷺ توجه قافلا حضرنى همى وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بما أخرج من سخطه رسول الله غدا ؟ وأستفتى على ذلك كل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل لى إن رسول الله قد قفل نادما زاح عني الباطل وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه . أصبح رسول الله قادما إلى المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه كعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء الخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل رسول الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، واكل رائرهم الى الله ، حتى جئت فسلمت عليه ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب ثم قال : ما لى . فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال : ما خلقتك ؟ ألم تكن قد ابتعت لهرتك ؟ فقلت : بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكن والله قد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد لى فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط قوى ولا أيسر منى حين تخلفت . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدق ، فقم

حتى يقضى الله فيك . وثار رجال من بنى سامة فاتبعوني فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله بما اعتذر به الخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك ، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالوا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين شهدا بدرا فيهما أسوة - ولم يذكر ابن اسحق فى روايته قد شهدا بدرا - فمضيت حين ذكرهما لى

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف ، فلبشنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتها يسكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق فلا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى ، فإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام ، فقلت . يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت له فأنشدته فسكت ، فعدت له فأنشدته فقال . الله ورسوله أعلم . فقاضت عيماى وتوليت حتى تسورت الجدار قال فيينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام بمن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع الى كتابا من ملك غسان ، وكنت كتابا فقرأته فإذا فيه « أما بعد فإنه قد بغلنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسيك » فقلت لما قرأتها ،

وهذا أيضا من البلاء . زاد ابن اسحق قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . فتيمنت بها التنور فسجرتها بها . حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ فقال : إن رسول الله يأمرك أن تعزل امرأتك : فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقربنها . وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك . فقلت لامرأتي الحق بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة ضلال بن أمية إلى رسول الله فقالت . يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تسكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك . قالت : إنه والله ما به حراك إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسين ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا . فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله . قد ضاقت على نفسي وضافت على الأرض بما رحبت - زاد ابن اسحق . وقد كنت ابتليت خيمة في ظهر سطح فكنت أكون فيها - إذ سمعت صوت صارخ على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجدا ، وعرفت أن جاء الفرج . قال وأذن رسول الله بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون . وركض رجل إلى فرسا وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاء الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوته بإياه يبشراه ، والله ما أملك غيرها يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فلتقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله جالس وحوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهنأني ، والله ما قام إلى رجل من

المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . فلما سلمت على رسول الله ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قال قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قلت : فإني أمسكت سبعمى الذى بخير ، فقلت يا رسول الله إنما نجأتى الله بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسامين ابتلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما ابتلانى ، وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى . وأنزل الله على رسوله ﷺ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار ﷻ إلى قوله ﷻ وكونوا مع الصادقين ﷻ قال كعب . فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله يومئذ أن لا أكون كذبتة ، فهاك كما ملك الذين كذبوا ، فان الله تبارك وتعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال ﷻ سيحلفون بالله لكم إذا اقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ﷻ الآيتين . قال كعب : وكنا خلقنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلقوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله ﷻ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﷻ وليس الذى ذكر الله من تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر اليه فقبل منه . انتهى

وقوله فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرأ . قال فى الهدى : هذا الموضع مما عد من أوهام الزهرى ، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازى والسير البتة ذكر هذين الرجلين فى أهل بدر ، لا ابن اسحق ولا ابن عقبة ولا الواقدي ، وكذلك ينبغى أن لا يكونا من أهل بدر ، فإن النبى ﷺ لم يهجر حاطبا ولا عاقبه وقد حبس اليه ، وأين

ذنب التخلف عن ذنب الحبس ؟ قال أبو الفرج بن الجوزى . ولم أزل حريصا على كشف ذلك وتحقيقه حتى رأيت أبا بكر الأثرم قد ذكر الزهرى وفضله وحفظه وإتقانه وأنه لا يكاد يحفظ عليه غلطا إلا فى هذا الموضع ، وهذا لم يقله أحد غيره ، والعلط لا يعصم منه إنسان

فصل

قالوا . ولما قدم رسول الله ﷺ من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما كما ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرها

وفىها رجم رسول الله المرأة الغامدية وذلك أنها جاءتة فقالت . يا رسول الله إني قد زنت وأنا أريد أن تطهرنى ، فقال لها النبى ﷺ : ارجعى . ثم أتته الغد فقالت أيضا ، وبعد الغد أيضا وقالت : يا رسول الله طهرنى ، فلعلك تردنى كما رددت ماعز بن مالك ، فوالله إني لحبلى من الزنا ، فقال لها ، ارجعى حتى تلدى . فلما ولدت جاءت بالنسبى فى يده كسرة خبز فقالت : يا نبى الله ، هذا فطمته . فأمر النبى ﷺ بالنسبى فدفن إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها حفرة فجعلت فيها إلى صدرها ثم أمر الناس أن يرجوها ، فأتى خالد بن الوليد بمحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد ابن الوليد فسبها ، فسمع النبى ﷺ سبه إياها فقال : مهلا يا خالد ، لا تسبها فوالذى نفس محمد بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له . فأمر بها فصلى عليها ودفنت

قالوا وفى هذه السنة توفى النجاشى ملك الحبشة فى المغرب واسمه أسحمة وهو الذى هاجر إليه المسلمون ، فعناه النبى ﷺ ، وخرج إلى المصلى وصف أصحابه خلفه وكبر عليه أربع تكبيرات كما ثبت ذلك فى الصحيحين ، وتقدم ذلك عند ذكر هجرة الحبشة

وفىها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ تحت عثمان بن عفان ، فحزن عليها حزنا شديداً فقال ﷺ لو كانت عندى مائة لزوجتكها يا عثمان . وجلس عليه الصلاة والسلام

على قبرها وعيناء تدمعان وقال : هل منكم أحد لم يقارف الليلة أهله ؟ فقال أبو طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : انزل ، فنزل في قبرها أبو طلحة كما ثبت ذلك في صحيح البخارى

وفيها مات عبد الله بن أبى راس المناققين ، فأتاه النبي ﷺ فشده وصلى عليه وألبسه قيصه . ولما قام ﷺ ليصلى عليه وثب اليه عمر فقال : يا رسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال كذا يوم كذا وعدد قوله ، فتبسم رسول الله وقال أخر عني يا عمر . فلما أكثر عليه قال : إني خيرت فاخترت ، ولو أعلم أى إن زدت على السبعين يغفر له زدت عليها . فصلى عليه رسول الله ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﷺ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً الآيتان قال عمر : فعجبت من جرأتى على رسول الله يومئذ ، والله ورسوله أعلم . وعن جابر بن عبد الله قال : أتى رسول الله عبد الله بن أبى عندما أدخل حفرة فأمر به فأخرج فوضع على ركبته فنفت فيه من ريقه وألبسه قيصه ، وكان كسا عباساً قيصاً لما أتى به يوم بدر ولم يكن عليه ثوب ، فوجدوا قيص عبد الله بن أبى يقدر عليه كساه النبي ﷺ إياه فلذلك ألبسه عليه الصلاة والسلام قيصه ، قال ابن عيينة كانت له عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه

وفى هذه السنة قدم النبي ﷺ كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك سنة تسع ، وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان بن قيل ذى رعين وهمدان ومعاقر ورسولهم اليه ﷺ مالك بن مرة الرهاوى . قال الواقدى : بعث زرعة ذويزن إلى رسول الله مالك بن مرة بإسلام ملوك حمير ومفارقتهم الشرك وأهله ، وقد كان رسول الله فى مسيره الى تبوك يقول : إني بشرت بالكافرين فارس والروم ، وأمددت بالملوك ملوك حمير يأكلون فى الله ويجاهدون فى سبيل الله ، فلما قدم مالك بن مرة بإسلامهم كتب اليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي ، الى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان بن قيل ذى رعين ومعاذ وهمدان . أما بعد فانى أحمد

اليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم
فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قلتم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن
الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم
من المغنم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة (وبين لهم
صدقة الزرع والإبل والبقر والغنم . ثم قال) : فمن زاد فهو خير له ، ومن أدى ذلك
وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم .
ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو
أنثى حر أو عبد دينار وافر من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك إلى رسول
الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ورسوله . أما بعد فإن محمدا النبي
أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسل فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن
زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم ، وإن جمعوا ما عندكم من
الصدقة والجزية من مخاليفكم فأبلغوها رسل ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلب إلا
راضيا . أما بعد فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله . ثم إن مالك بن
مرة الرهاوى قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حير وقتلت المشركين ، فأبشر بخير ،
وأمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تتخاذلوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم .
وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يزكى بها على الفقراء والمساكين
وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخير وحفظ الغيب وأمركم به خيرا ، وإني قد
أرسلت إليكم من صالحى أهلى ، وأولى دينهم وأولى عملهم ، وأمركم بهم خيرا فإنه
منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهذا ما ذكره ابن اسحق من شأن ملوك حير وما كتبوا به وما كتب إليهم
وفي هذه السنة فى ذى القعدة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج ذكره ابن سعد
وغیره بسند صحيح عن مجاهد ، وواقعه عكرمة بن خالد ، وقال قوم : فى ذى الحجة ، وبه
قال الداودى والماوردى ومحمد بن سعد ، ويؤيده أن ابن اسحق صرح بأن النبى ﷺ

أقام بعدما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر على الحج ، فيكون حجه في ذى الحجة . والله أعلم

ثم حج رسول الله ﷺ في العام القابل في ذى الحجة وذلك حين قال رسول الله في حجه تلك « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وذلك أن العرب كانوا يستعملون النسيء فيؤخرون الحرم إلى صفر ثم كذلك حتى تدافع الشهور فيستدير التحريم على السنة كلها ، روى نحو هذا عن مجاهد . قال ابن كثير في تفسيره : وقول مجاهد فيه نظر . وأيضا كيف تصح حجة في ذى القعدة وأنى هذا ؟ وقد قال الله ﷻ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ﴿ الآية . وإنما نودى بذلك في حجة أبي بكر ، فلو لم يكن في ذى الحجة لما قال الله ﷻ وأذان من الله ورسوله يوم الحج الأكبر ﴿ ولا يلزم من فعلهم النسيء الذى ذكره من دوران السنة عليهم وحجهم في كل عام شهرا ، فإن النسيء حاصل بدون هذا ، فانهم لما كانوا يحلون شهر الحرم عاما عوضوا صفر وبعده ربيعا وربيع الآخر والسنة حالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ، ثم في العام القابل يحرمون الحرم ويتروكونه على تحريمه وبعده صفر وربيعا وربيعا الآخر إلى آخرها ، فيحلونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله أى في تحريمه أربعة أشهر من السنة ، إلا أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو الحرم وتارة ينسونه إلى صفر أى يؤخرونه . وأما قوله ﷺ « إن الزمان قد استدار كهيئته » إلى آخره ، فهو تقدير منه وتثبيت للناس على ما جعله الله لهم في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيمة » وهكذا قال فيها « إن الزمان قد استدار » الخ ، أى الأمر شرعا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض . انتهى كلامه

قال ابن اسحق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل

الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، قال في المواهب : وكان معه ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة . قال ابن اسحاق ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه : أن لا يصدوا عن البيت أحداً جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص الى آجال مسماة ، فنزلت فيه وغيمت تخلف من المنافقين عنه في تبوك وفي قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمي لنا ومنهم من لم يسم لنا . قال ابن اسحاق : وكانت براءة تسمى في زمان رسول الله وبعده المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس

قال وحديثي حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي أنه لما نزلت براءة على رسول الله قيل له : يا رسول الله لو بعث بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ، فدعا علي بن أبي طالب فقال : أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك . ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له مدته . فخرج علي على ناقة رسول الله العضاء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ قال : بل مأمور . ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج

وللنسائي عن جابر قال كنا مع أبي بكر في حجته ، فلما كان بالعرج ثوب بالصبح ، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره ، فوقف عن التكبير فقال : هذه رغوة ناقة رسول الله الجدعاء ، لقد بدا لرسول الله في الحج ، فلعله أن يكون رسول الله فنصلي معه فإذا هو علي عليها ، فقال له أبو بكر : أمير أم رسول ؟ فقال : لا بل رسول ، أرسلني رسول الله ﷺ براءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج . فقدمنا مكة ، فلما كان قبل يوم التروبة بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى إذا فرغ

قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، ثم كان يوم النحر فأفضنا ، فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون ، يعامهم مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . ثم أردف النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة ، فأذن معنا في أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله ﷺ حجة الوداع مشرك ، فأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ الآية . وفي رواية للبخاري : فكان حميد بن عبد الرحمن يقول يوم النحر يوم الحج الأكبر ، من أجل حديث أبي هريرة . وقال الحميدي : حدثنا سفيان حدثني أبو إسحق الحمداني عن زيد بن يثيع قال : سألنا عليا بأى شيء بعث في الحج ؟ قال « بعث بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطرف بالبيت عريان ، ولا يجتمع كافر ومؤمن في المسجد الحرام بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهدته إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر »

قال في الهدى : واختلف في حجة الصديق هل هي التي أسقطت القرض ، أو المسقطه هي حجة الوداع مع النبي ﷺ ؟ على قولين أحدهما الثاني والقولان مبنيان على أصليين : أحدهما هل كانت حجة الصديق في ذى الحجة أو وقعت في ذى القعدة من أجل النسيء الذي كان أهل الجاهلية يؤخرون له الأشهر ؟ والثاني قول مجاهد وغيره ، وعلى هذا فلم يؤخر النبي ﷺ الحج بعد فرضه عاما واحداً ، بل بادر إلى الامتثال في العام الذي فرض فيه ، وهذا هو الأليق بهديه وحاله ، وليس بيد من ادعى تقدم فرض الحج

سنة ست أو سبع أو ثمان دليل واحد ، وغاية ما احتجوا به قوله تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ وهى نزلت بالحديبية سنة ست ، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج ، وإنما فيه الأمر بإتمامه إذا شرع فيه ، وآية فرض الحج هى قوله ﴿ والله على الناس حج البيت ﴾ الآية وهى نزلت عام الوفود أو آخر سنة تسع . انتهى والله أعلم

فصل

فى قدوم وفود العرب وغيرهم على رسول الله ﷺ

وقد كان ابتداء الوفود بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة آخر سنة ثمان وما بعدها . وقال ابن اسحق : لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسملت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى « سنة الوفود » . قال ابن اسحاق : وإنما كانت العرب ترصد بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسمعيل ابن ابراهيم ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ، فدخلوا فى دين الله كما قال عز وجل ﴿ أفواجا ﴾ فقدم عليه وفد هوازن وهو بالجعرانة كما تقدم ، وقدم عليه وفد ثقيف وتقدم ذلك أيضا . وقدم عليه وفد بنى تميم وتقدم ذلك أيضا ، وقدم عليه وفد بنى عامر بن صعصعة وفيهم عامر بن الطفيل عدو الله وأربد بن قيس أخو ابيد الشاعر لأمه وخالد بن جعفر وجبار بن أسلم ابن مالك ، وكان هؤلاء النفر الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فأقبل عدو الله عامر وأربد يريدان أن يغدرا برسول الله ، فقيل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، إن يرد الله به خيرا يهده . فأقبل حتى قام عليه فاستشرف الناس لجمال عامر ، وكان من أجل الناس ، فقال : يا محمد ما لى إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم . فقال : تجعل الأمر لى بعدك ؟ قال : ليس ذلك إلىّ ، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء . قال : فاجعلنى على الوبر وأنت على المدر . قال : لا . قال : فما ذا تجعل لى ؟ قال : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها . قال وليس ذلك إلىّ اليوم ؟ وكان عامر قال لأريد : إذا قدمنا على الرجل فأننا شاغل عنك وجهه فاذا رأيتنى أكله فدر من خلفه فاضربه بالسيف ، فدار أربد ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبس الله يده فلم يقدر على سله فعصم الله نبيه . فالتفت رسول الله فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال : اللهم اكفنيهما بما شئت . فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : أين ما أمرتك به ؟ قال : ويحك والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا وحلت بينى وبينه ، أفأضربك بالسيف ؟ فأرسل الله على أريد وجهه صاعقة فأحرقته وكان أربد أخا لبيد لأمه ، فبكاه ورثاه . وبما قال :

أخشى على أربد الختوف ولا أرهب نوء السماء والأسد
ما أن تعرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
لجعنى الرعد والصواعق بالفراس يوم الكريهة النجد
يا عين هلا بكميت أريد إذ قننا وقام الخصوم فى كبد
وقال :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجراب
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
إن الرزية لا رزية مثلها فقدان كل أخ كضوء السكوكب
قال ابن عبد البر : وما يستجاد قوله فى قصيدة يرفى بها أخاه :

أعاذل ما يدريك إلا تظننا إذا رحل السفار من هو راجع
أتمجزع مما أحدث الدهر بالقتى وأين كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدرى الضوارب بالخصى ولا زاجرت الطير ما الله صانع
وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يعود رمادا بعد إذ هو ساطع

وما البر إلا مضمرات من التقى وما المال إلا معمرات ودائع

قال ابن اسحق : وأنزل الله عز وجل ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾
وفى رواية قال عامر : والله لأرْبِطَن بكل نخلة فرسا . فقال رسول الله : يمنعك الله من
ذلك وأبناء قيلة . يعنى الأوس والخزرج . وفى صحيح البخارى : إن عامرا أتى النبي
ﷺ فقال أخْبِرْكَ بين خصال ثلاث : يكون لك أهل السهل ولِى أهل المدر ، أو
أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء . فطعن فى
بيت امرأة فقال : أغدة كغدة البعير فى بيت امرأة من بنى فلان ؟ ايتونى بقرسى ،
فركب ، فمات على ظهر فرسه

وقد وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، وهى قبيلة كبيرة ينسبون الى عبد
القيس بن أفضى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الصحيحين عن
ابن عباس أن وفد عبد القيس قدموا ، فقال رسول الله : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة
قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى . فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحى من
كفار مضر ، وإنا لا نصل اليك إلا فى شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل نأخذ به من وراءنا
وندخل به الجنة . فقال « أمرى بأربع وأنها كم عن أربع : أمرى بالإيمان بالله وحده ،
أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس . وأنها كم عن أربع : الدباء والحنتم
والنقىر والمزفت . فاحفظوا دين وادعوا إليهم من وراءكم » زاد مسلم قالوا : يا رسول الله
ما علمك بالنقىر ؟ قال : بلى ، جذع تنقرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء
حتى يغلى ، فإذا سكن شربتموه ، فعسى أن يضرب ابن عمه بالسيف . وفى القوم رجل
به ضربة لذلك . قال : وكنت أخبئها حياء من رسول الله . قالوا : فقيم نشرب يا رسول
الله ؟ قال : اشربوا فى أسقية الأدم التى ثلاث على أفواها . قالوا : يا رسول الله إن
أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقى بها أسقية الأدم . قال : وإن أكلتها الجرذان (مرتين أو
ثلاثا) . ثم قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : إن فيك نخلتين يحبهما الله : الحلم

والأناة . قال في الهدى : وفي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم كلهم . ذكره الشافعي في المبسوط . وفيها أنه لم يعد الحج من هذه الخصال . وكان قدومهم في سنة تسع ، وهذا أحد ما يحتاج به على أن الحج لم يكن فرض بعد ، وأنه إنما فرض في العاشرة

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد بني حنيفة) فيهم مسيئة الكذاب . قال ابن اسحق عن شيخ من أهل اليمامة : إن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله وخلقوا مسيئة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا : يا رسول إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا . فأمر له رسول الله بما أمر للقوم وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، يعني حفظه ضيعة أصحابه . ثم انصرفوا وجاءوه بالذي أعطاه ، فلما قدم اليمامة ارتد عدو الله وتبنا وقال : إني أشركت في الأمر معه ، ألم يقل لكم حين ذكرتموني : إنه ليس بشركم مكانا . ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين شغاف وحشا » ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله أنه نبي . فأصفت معه بنو حنيفة على ذلك . وقد كان كتب لرسول الله ﷺ : من مسيئة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ولقریش نصف الأمر ، وليس قریش قوما يعدلون . فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسول الله « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيئة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فكان في آخر سنة عشر . وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : لما قدم مسيئة الكذاب على عهد رسول الله فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته . وقدمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة من جريد حتى وقف على مسيئة في أصحابه فقال : إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، وإن تعد أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإن أراك

الذى رأيتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت بن قيس يجهل عني . ثم انصرف . قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ﷺ : وإن أراك الذى رأيتُ فيه ما رأيتُ ، فأخبرنى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيتُ فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أفضخهما فنفضختهما ، فأولتهما كذا بين يخرجان من بعدى : أحدهما المنسى صاحب صنعاء ، والآخر مسيلة صاحب اليمامة . وهذا أصح من حديث ابن اسحاق المتقدم

وقدم (وفد طي) على النبى ﷺ وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم ، فلما انتهوا اليه كلهم وعرض عليهم الإسلام فأساءوا وحسن إسلامهم ، وقال ﷺ : ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى إلا رأيتُهُ دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه ، ثم سماه « زيد الخير » وأقطعه فيد وأرضين معه وكتب بذلك . وخرج من عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه . فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد يقال له فردة أصابته الحمى فمات . كذا ذكر ابن اسحق . قال ابن عبد البر . وقيل مات فى آخر خلافة عمر . وفى رواية قال ﷺ « يا زيد تقتلك أم ملدم » يعنى الحمى ، فلما رجع إلى أحله حم ومات . وله ابنان حريث ومكثف أسلما وصحبا رسول الله وشهدا قتال أهل الردة

وقدم (وفد كندة) سنة عشر . قال ابن اسحق حدثنى ابن شهاب أنهم قدموا فى ثمانين أو ستين راكبا من كندة فيهم الأشعث بن قيس ، فدخلوا عليه مسجده وقد رجلوا جمعهم وتكحلوا عليهم جبات الخبرات مكفوفة بالحرير ، فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ : أو لم تسلموا ؟ قالوا : بلى . قال : فما هذا الحرير فى أعناقكم ؟ فشقوه ونزعوه فألقوه . وفى المسند عن الأشعث بن قيس قال : قدمنا على رسول الله ﷺ وفد كندة ولا يرون إلا أنى أفضلهم ، قلت يا رسول الله ألسن منا ؟ قال : لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نفقوا أمنا ولا نتغنى من أيننا . فكان الأشعث يقول : لا أوتى برجل نقى رجلا من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد . قال فى الهدى : وفيه من الفقه

أن من كان من ولد النضر فهو من قريش . وفيه جواز إتلاف المال المحرم استعماله كثياب الحرير على الرجال ، وأن ذلك ليس إضاعة . وللنبي ﷺ جدة من كندة مذكورة وهى أم كلاب بن مرة وإياها أراد الأشعث . وفيه أن من انتسب الى غير أبيه فقد انتفى من أبيه ، وقفا أمه أى رماها بالفجور . وفيه أن كندة ليسوا من ولد النضر ابن كنانة . وفيه أن من أخرج رجلا من نسبه المعروف جلد حد القذف .

قال ابن اسحق : وقدم فروة بن مسيك المرادى مفارقا لملوك كندة ومباعدة لها إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ فقال : من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك ؟ فقال له رسول الله : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرا . واستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها . وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله

وقد كان بين مراد وهمدان وقعة قبل الإسلام أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أئمنوهم فى يوم كان يقال له يوم الردم ، وفى ذلك يقول فروة بن مسيك .

مررت على لقات وهى خوص	ينازعن الأعنة ينتجيننا
فان تغلب فغلابوت قدما	وإن تغلب فغير مغليننا
وما إن طبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخريننا
كذلك الدهر دولته سجال	تكر صروفه حيننا فحيننا
فئيننا ما نسر به ونرضى	ولو لبثت غضارته سئيننا
إذا تقلبت به كرات دهر	وألفيت الألى غبطوا طحيننا
فمن يغبط بريب الدهر منهم	يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا	ولو بقى الكرام إذا بقينا
فأقضى ذلهم سرواب قومي	كما أفنى القرون الأولينا

وقدم عمرو بن معدى كرب على رسول الله ﷺ في أناس من زبيد فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فأقام فيهم وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفي رسول الله ارتد عمرو بن معدى كرب ثم رجع إلى الإسلام وقتل في قتال العجم زمن عمر رضى الله عنه

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعريون وأهل اليمن ، روى يزيد بن هرون من حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال : يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا ، فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون :

غداً نلقى الأحبه محمداً وحزبه

ولسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ « جاء أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وأضعف قلوبا . الإيمان يمان والحكمة يمانية . السكينة في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس » وفي البخارى عن عمران أن نفراً من بنى تميم جاءوا إلى رسول الله فقال « أبشروا يا بنى تميم » فقالوا بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه النبي ﷺ ، وجاءه نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى إذا لم يقبلها بنو تميم . قالوا قد قبلنا . ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنبتغى في الدين ، ونسألك عن أول هذا الأمر ، فقال : كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شئ . انتهى . وليس أراد اجتماع الأشعريين وأهل اليمن في الوفادة ، فإن الأشعريين قد قدموا مع أبي موسى سنة سبع في فتح خيبر ، وقدوم هؤلاء كان سنة الوفود سنة تسع ، ولهذا اجتمعوا مع تميم

وقدم على رسول الله ﷺ عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزدي ، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد من أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فخرج يسير بأمر رسول الله حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل العرب ، قال : وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم فحاصروهم قريبا من شهر وامتنعوا فيها

فرجع عنهم قافلاً حتى إذا كان في جبل لم يقال له سكن ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً ، وقد كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله : بأي بلاد الله شكر ؟ فقال الجرشيان فقالا : يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كسر ، وكذلك يسميه أهل جرش . فقال : إنه ليس بكسر ولكن شكر . قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بدن الله لتنحدر عنده الآن . قال فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما : ويحكما إن رسول الله ﷺ لينمى لكما قومكما ، فقوماً فسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك فقال : اللهم ارفع عنهم . فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحى لهم حى حول قريتهم . ذكره ابن اسحق في السيرة

وقدم وفد بنى الحارث بن كعب . قال ابن اسحق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فان استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث اركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس أسلموا تساموا . فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه . قال : فقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام ، فكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فكتب إليه رسول الله ﷺ أن أقبل ويقبل معك وفدهم . فأقبل وأقبل معه وفدهم ، منهم قيس بن الحصين ذى النضة ويزيد بن عبد المدان ويزيد بن الجمل وعبد الله بن قراد وشداد بن عبد الله ، وقال لهم رسول الله ﷺ بم كنتم تغلبون من قاتلتكم في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم . قال صدقتم . وأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا إلى قومهم فلم يكتنوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ

وقدم عليه وفد همدان ، منهم مالك بن النمط ومالك بن أيفغ وضمهم بن مالك وعمر بن مالك ، فلقوا رسول الله مرجه من تبوك وعليهم مقطعات الخبرات والعائم العذنية على انزواحل المهرية ومالك بن النمط يرتجز بين يدي رسول الله يقول :

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الأبطال لها اطابات بها وآكال
ويقول الآخر :

اليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف
مخطات بمجال الليف

وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحاً ، فكتب لهم رسول الله كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه ، وأمر عليهم مالك بن النمط ، وقال مالك بن النمط شعراً :

ذكرت رسول الله في فحة الدجى ونحن بأعلى رحران وصلد
وهن بنا خوص طلائع تعلى بركبانها في لاحب متمد
على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مر الهجب الحفيد
حلقت برب اراقصات إلى منى صوادر بالركبان من هضب قرد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهند
فاحملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بحد المشرقى المهند

وروى البيهقي بسند صحيح عن أبي إسحق أن النبي ﷺ بعث خالداً إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء : فكنيت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقننا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا . ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقلل خالداً إلا رجلاً كان ممن مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء : فكنيت فيمن عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي ثم

صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمت همدان جميعا ، فكتب علىّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان السلام على همدان . وأصل الحديث في صحيح البخارى ، ولأحمد وأبى داود والترمذى عن علىّ قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثنى إلى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر القضاء ، قال فوضع يده فى صدرى وقال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه . وقال : يا على إذا جلس اليك الخصمان لا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر . . الحديث . انتهى

وقدم وفد مزينة على رسول الله ﷺ . روى البيهقى عن النعمان بن مقرن ، قال : قدمنا على رسول الله ﷺ أربعائة رجل من مزينة ، فلما أردنا أن ننصرف قال : يا عمر : زود القوم . فقال : ما عندى إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا . قال : انطلق فزودهم . قال فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى عليه ، فلما دخلنا إذا فيه من التمر مثل الجبل الأورق ، فأخذ القوم منه حاجتهم . قال النعمان : وكنت فى آخر من خرج ، فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها

وقد وفد نجران عليه ﷺ سنة عشر . قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد نجران بالمدينة ، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده ، فأتت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده ، فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله : دعوهم . فاستقبلوا المشرق فصلا صلاتهم . قال وحدثنى يزيد بن سفيان عن السمانى عن كرز بن علقمة قال : قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم ، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم : العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدر عن إلا عن رأيه وأمره واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلتهم ومجتمعتهم واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل

أستقفيهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك ازوم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما توجهوا إلى رسول الله من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له متوجها إلى رسول الله ، وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره ، إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز : تعس الأبعد - يريد رسول الله - فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ، فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الأمي الذي ينتظرونه . فقال له كرز : فما يمنعك وأنت تعلم هذا ؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعات نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك قال ابن اسحق : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال : حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله فتنازعوا عنده ، فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا . وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانيا فتنازعوا فأنزل الله فيهم ﴿ يا أيها أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴾ إلى قوله ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ فقال رجل من الأخبار : أتريدنا يا محمد أن نعبدك كما عبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من النصارى : وذلك تريد يا محمد واليه تدعوننا ؟ فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن نعبد غير الله وأمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثي ولا أمرني . فأنزل الله في ذلك من قولها ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ﴾ إلى قوله ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ ، ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم فقال ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ الآية . وحدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله يسألونه عن عيسى بن مريم نزل فيهم فاتحة آل عمران الثمانين منها . انتهى

قال ابن اسحق : وكانوا مختلفين في أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد

الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة : وكذلك قولهم في النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيى الموتى ويبرىء الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا ، وذلك كله بأمر الله وليجعله آية للناس ، ويحتجون في قولهم إنه ولد الله بأنهم يقولون لم يكن له أب يعلم ، وقد تسكّم في المهدي شي لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون في قولهم إنه ثالث ثلاثة بقول الله : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وقضيت وأمرت وخلقته ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففي ذلك من قولهم نزل القرآن . فلما كلفه الخبران قال لهما رسول الله : أساميا . قالوا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تساميا فأساميا . قالوا : بل قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتما بمنكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير . قالوا : فمن أبوه ؟ فصمت رسول الله عنهما فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فقال ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فاستفتح السورة في تنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده إياها بالخلق والأمر والإلهية ، ردا عليهم ما ابتدعوه من الكفر ، ﴿ الْحَيُّ ﴾ الذي لا يموت وقد مات عيسى وصلب في قولهم ، ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى وصلب في قولهم عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره إلى قوله ﴿ هُوَ الَّذِي يَصُورُكَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي قد كان عيسى ممن صور في الأرحام — لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه — كما صور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل ؟ ثم قال تنزيها لنفسه وتوحيداً لها مما جعلوا معه ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ في انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ حجة للرب وعصمة للعباد ودفع للخصوم والباطل ليس لمن تصريف ولا تأويل ﴿ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ولا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق ، يقول الله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ميل عن الهدى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أي

لتسكون لهم الحجة فيما ابتدعوا وأحدثوا ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ أى
 التلبس ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ ذلك أى على ما ركبوا من الضلالة ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ أى
 الذى أرادہ ﴿ إلا الله ﴾ ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴿ فكيف
 يختلف وهو قول واحد من رب واحد ؟ ثم ردوا تأويل التشابهة على ما عرفوا من
 تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتفق بقول الكتاب وصدق
 بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح الباطل ودمغ به الكفر ، يقول الله
 ﴿ وما يذكر ﴾ فى مثل هذا ﴿ إلا أولو الأبواب ﴾ ، إلى قوله ﴿ إن مثل عيسى عند الله
 كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك ﴾ فيما جاءك من الخبر
 عن عيسى ﴿ فلا تسكن من המתين ﴾ أى قد جاءك الحق من ربك فلا تترين فيه ،
 وإن قالوا خاق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أن
 ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحما ودماء وشعرا وبشرا ، فليس خلق عيسى من غير
 ذكر بأعجب من هذا ﴿ فن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ أى من بعد ما قصصت
 عليك من خبره وكيف كان أمره ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
 وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ قال ابن هشام قال أبو
 عبيدة : نبهل ندعو باللعنة . وقال غيره أى ثم نجتهد فى الدعاء ، قال ابن اسحق ﴿ إن
 هذا ﴾ الخبر الذى جئت به عن عيسى ﴿ لهو القصص الحق ﴾ من أمر الله ﴿ وما من إله
 إلا الله ﴾ ، وإن الله هو العزيز الحكيم ، فإن تولوا فإن الله عليهم بالفسدين . قل يا أهل
 الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
 بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿ فدعاهم إلى
 النصف ، وقطع عنهم الحجة . فلما أتى رسول الله الخبر عن الله عنه والفصل من القضاء
 بينهم وبينه وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك . وروى
 الحاكم بإسناده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران : باسم إله إبراهيم وإسحق
 ويعقوب . أما بعد فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله

من ولاية العباد ، فان أيتيم فالجزية ، فان أيتيم فقد آذنتكم بحرب الإسلام . فلما أتى إلى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر ذعرا شديداً ، فبعث به إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من أهل همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله ، لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب ، فدفع إليه الأسقف كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، رأيي لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأيي وجهدت لك فيه . فقال الأسقف : تنح فاجلس ، ثم دعا الأسقف رجلاً آخر منهم [يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح ^(١)] فقال مثل قول شرحبيل . فبعث إلى آخر [يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب ^(٢)] فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله . فلما اجتمع الرأى على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا نزل أمر بالنهار ، وإذا فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمع أهل الوادى أعلاه وأسفله ، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأى فيه ، فاجتمع رأى أهل الوادى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن قيس الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله ، فذكر مجيئهم لرسول الله ﷺ وسألهم له عن عيسى عليه السلام ، فأصبح الغد وقد أنزل الله ﷻ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴿ إلى قوله ﴾ لعنة الله على الكاذبين ﴿ فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خيل له وفاطمة تمشى عند ظهره للمباهلة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل إن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعنائه لا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك .

فقال له صاحباؤه : فما الرأي ؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فهايت رأيك . فقال : رأيي أن أحكمه ، فإنني أرى رجلا لا يحكم شططا أبداً . فقال له : أنت وذاك . فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت خيرا من ملاءمتك . فقال : وما هو ؟ قال شرحبيل : أحكمك ، ففها حكت فينا فهو جائر . فرجع رسول الله ولم يلاعنهم ، حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران ، إذا كان عليهم حكمه : في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فافضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وكل صفر ألف حلة ، وكل حلة أوقية ما زادت على الخرج أو نقصت عن الأوقا في حساب ، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب ، وعلى نجران مائة رسل ومنعهم من عشرين فدونه ، ولا يجبس رسول فوق شهر . وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا إذا كان كيد باليمن ذو معذرة ، وما هلك مما أعاروا رسول من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان على رسول حتى يؤديه اليهم ، ولنجران وحشيتها جوار الله وذمة النبي على أنفسهم وسكنهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم وبيعهم ، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه ، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم ، ولا يغير سقف من أساققتهم . وإن راحب من رهبايتهم ولا وقه من وقهيتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . وإيس عليهم دية ولا جاهلية ولا يخسرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل فيهم فيسهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل ربا من ذى قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر ، وعلى ما في هذه الصحيفة بجوار الله وذمة محمد رسول الله حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مبتلين بظلم . شهد أبو سفيان وغيلان بن عمرو ومالك ابن عوف والأقرع ابن حابس الحنظلي والغيرة وكتب . حتى إذا قبضوا كتابهم وانصرفوا إلى نجران فتلقاهم الأشقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة ومع الأشقف أخ له من أمه وهو ابن

عنه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله إلى الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كتبت بشر ناقته فتعس بشر — غير أنه لا يكنى عن رسول الله — فقال له الأسقف عند ذلك : قد والله تعتت نبيا مرسلا . فقال بشر : لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتى آتية ، فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه فقال له : افهم عني ، إنما قلت هذا ليلبغ عني العرب مخافة أن يقولوا إنا أخذنا حقه ، أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم دارا . فقال له بشر : لا والله لا أقيلك ما خرج من رأسك ، فضرب بشر ناقته وهو مول ظهره للأسقف وهو يقول :

إليك تغدو قلقتا وضيئها معترضا في بطنها جنيئها

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى النبي ﷺ فأسلم ولم يزل مع رسول الله حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك ودخل الوفد نجران . وروى البخارى عن حذيفة قال : جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لاتفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لن نفلح نحن ولا عقبتنا من بعدنا . قال إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا . فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله ﷺ : هذا أمين هذه الأمة

وله أيضا عن ابن عباس قال أبو جهل : إن رأيت رسول الله يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه . قال فقال : لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لما تواروا ومقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا . انتهى

وفى ذلك من الفقه : مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة ، ووقع

ذلك لجماعة من العلماء ودعوا اليها سلفا وخلفا . ومما عرف بالتجربة أن من باهل - لو كان مبطلا - لا تمضى عليه سنة من يوم الباهلة

وفى القصة أيضا أن من عظم مخلوقا فوق منزلته التى يستحقها بحيث أخرجه عن منزلة العبودية المحضة فتمد أشرك وعبد مع الله غيره ، وذلك مخالف لجميع دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (١)

وقول ابن اسحق : إن النبي ﷺ بعث على بن أبى طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بحزيتهم فقد يظن أنه كلام متناقض لأن الصدقة والجزية لا يجتمعان ، وأشبه كل منه ما ذكره هو وغيره أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم ، وقد تقدمت القصة عند ذكر وفد بنى الحارث بن كعب ، وتقدم فى قصة أهل نجران أنهم وفدوا وصالحوه على ألفى حلة . وجواب هذا أن أهل نجران كانوا صنفين نصارى وأميين ، فصالح النصارى على ما تقدم ، وأما الأميون منهم فبعث اليهم خالدا فأسلموا ، وقدم على النبي ﷺ وفدهم ، وهم الذين قال لهم رسول الله : بم كنتم تغلبون من قاتلكم الخ . . فقوله بعث عليا إلى أهل نجران ليأتيهم بصدقاتهم وجزيتهم أراد به الطائفتين من أهل نجران صدقات من أسلم منهم وجزية النصارى

وقدم وفد دوس وكان قدومهم عليه بخير

وقدم وفد فروة بن عمرو الجذامى وكان عاملا للروم . قال ابن اسحق : وبعث فروة بن عمرو الجذامى إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه وأهدى اليه بغلة بيضاء وكان عاملا للروم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله معان ، فلما بلغ الروم ذلك طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه وقتلوه ، وزعم الزهرى أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

(١) بعد هذا يياض بالأصل قدر خمسة أسطر

بلغ سراة المسامين بأننى سلم نربى أعظمى ومقامى

وقدم وافد بنى سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة ، ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أنه قال : بينما نحن جلوس مع النبى ﷺ فى المسجد إذ دخل رجل عنى جهل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال : أياكم محمد ؟ والنبى ﷺ متكى بين ظهرانيهم . فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكى . فقال له الرجل : يا بن عبد المطلب ؟ فقال له النبى : قد أجبتك . قال الرجل : إني سائلك ومشدد عليك فى المسألة فلا تجدد على فى نفسك . فقال : سل عما بدا لك . قال : أسألك بربك ورب من قبلك ، الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . فقال : نشدتك بالله ، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : اللهم نعم . قال : نشدتك بالله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا وتقسّمها على فقرائنا ؟ قال النبى ﷺ : اللهم نعم . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورأى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر . قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن الوليد عن كريب عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ، فذكر نحو ما تقدم ، وزاد : قال فأتى أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : الله أمرك أن نعبد لا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون ؟ فقال رسول الله ﷺ : اللهم نعم . ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ، الصلاة والزكاة والصيام والحج وفرائض الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وسأودى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف راجعا إلى بعيه . فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة ، وكان ضمام رجلا جادا أشقر ذا غديرتين . ثم أتى بعيه فأطلق عقاله ثم خرج ، حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه ، وكان أول ما تكلم به أن قال بثت اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ؟ اتق البرص والجنون والجذام . فقال : ويلكم إنهما ما يضران ولا ينفعان : وإن الله قد

بعث رسولا وقد أنزل عليه كتابا استنقذكم مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله أن محمدا عبده ورسوله ، وإني جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فوالله ما مضى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما . قال ابن عباس : فما سمعنا وافد قوم أفضل من ضام من بن ثعلبة

وذكره الحج في هذه القصة يدل على أن قدوم ضام كان بعد فرض الحج ، وهذا ميد ، فالظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة . والله أعلم

وقدم وفد طارق بن عبد الله وقومه ، وفي رواية ابن اسحق قال طارق : ثم دخلنا مدينة فدخلنا المسجد ، فاذا هو قائم على المنبر يخطب ، فأدركنا من خطبته وهو يقول : تصدقوا فان الصدقة خير لكم ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، أمك وأباك ، أختك وأخاك ، وأدناك أدناك » إذ أقبل رجل من بني يربوع - أو قال من الأنصار - نال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية ، فقال : إن أما لا تجنى على ولد ثلاث مرات

وقدم وفد نجيب سنة تسع وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات موالم التي فرض الله عليهم ، فقال رسول الله : ردوها فاقسموها على فقرائكم . نالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن قرائنا ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما وفد العرب بمثل ما وفد به هذا الحى من نجيب . فقال رسول الله ﷺ : إن لمدى بيد الله فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان . وسألوا رسول الله فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ، فازداد رسول الله فيهم رغبة . وأمر بلالا أن سمن ضياقتهم ، فلما أرادوا أن ينصرفوا أمر بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به وفود . قال : هل بقي منكم أحد ؟ قالوا : غلام خلفناه على رحالنا . قال : أرسلوه إلينا . بناء الغلام فقال : يا رسول الله ، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي ، إني والله ما حملني من لادى إلا أن تسأل الله أن يغفر لى ويرحمى ويجعل غناى فى قلبى . قال رسول الله :

اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فاطلقوا راجعين إلى أهلهم . ووافوا رسول الله في الموسم بمضى سنة عشر فقالوا : نحن بنوا يدي . فقال : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : يا رسول الله ما رأينا مثله قط ، ولا حدثنا بوقع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها . ولا التفت إليها . . فقال : الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعا . فقال رجل منهم : أو ليس انزل يموت جميعا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله : تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا ، فاعمل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله في أيها هلك . قالوا : فمأش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهد في الدنيا وأقنع بما رزق . فلما توفي رسول الله ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله والإسلام ، فلم يرجع منهم أحد . وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه حين بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن أسد يوصيه به خيرا

وقدم وفد بنى سعد هذيم بن قضاة في سنة تسع وهم من أهل اليمن ، وقد وفد بنى فزارة سنة تسع ، قال أبو الزبيع بن سالم في كتاب الاكتفاء : ولما رجع رسول الله من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحرب بن قيس ابن أخي عيينة بن حصن وهو أصغرهم فنزلوا في دار بنت الحارث ، وجاءوا رسول الله مقرين بالإسلام وهم مستنون على ركاب عجاف ، فسألم رسول الله عن بلادهم فقال أحدهم : يا رسول الله أسنت بلادنا وهلكتنا مواشينا وجدبت جناننا وغرث عيالنا ، فادع لنا ربك يغيثنا ، وتشفع لنا إلى ربك وليشفع ربك إليك . فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ، ويلكم إنما شفعت إلى ربي عز وجل ، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه ، لا إله إلا هو العظيم ، وسع كرسيه السموات والأرض ، فهي تثبط من عظمتها وجلاله كما ينط الرحل الجديد . وقال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحك من شفقتكم وأزلكم وقرب غيائكم . فقال الأعرابي : يا رسول الله ويضحك ربنا ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي : إن نعدمك من رب يضحك خيرا . فضحك النبي ﷺ من قوله .

وصعد المنبر فتكلم بكلمات ، وكان لا يرفع يديه في شئ من الدعاء إلا رفع الاستسقاء ، فرفع يديه حتى رأى بياض إبطيه ، وكان مما حفظ من دعائه ، اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريحا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار . اللهم سقيا رحمة لاسقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق . اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء

وقدم وفد بنى أسد على رسول الله ﷺ عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطلحة ابن خويلد ، ورسول الله جالس في المسجد مع أصحابه فتكلموا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبدك ورسوله وجئتناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ، ونحن لمن وراءنا . قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله على رسوله ﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا مَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ الآية . وكان مما سأله رسول الله عنه يومئذ العيافة والسكينة وضرب الحصى ، فنهاهم عن ذلك كله . قالوا : أ رأيت خصلة واحدة بقيت ؟ قال : وما هي ؟ قالوا : الخط . قال : علمه نبي من الأنبياء ، فمن صادف مثل علمه علم

وقدم وفد بهراء من اليمن سنة تسع ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا ، ونزلوا على المقداد ابن عمرو وأقاموا أياما وتعلموا الفرائض ، ثم ودعوا رسول الله وأمرهم بالجواز وانصرفوا إلى بلادهم

وقدم وفد عذرة في سنة تسع ، وكانوا اثني عشر رجلا ، منهم حمزة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال متكلمهم : ممن لا تنكر ، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنى بكر ، ولنا قرابات وأرحام . فقال رسول الله : مرحبا بكم وأهلا ، ما أعرفني بكم . فأسلموا وبشرهم رسول الله بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده ، ونهاهم عن سؤال السكينة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها ، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأصحية . ثم انصرفوا إلى بلادهم وقد أجزوا

وقدم وفد بئلى فى ربيع الأول سنة تسع ، فنزلوا على رويقع بن ثابت البلوى ، فقال رسول الله : الحمد لله الذى هداكم إلى الإسلام ، فكل من مات على غير الإسلام فهو فى النار . ثم ودعوا رسول الله بعد أن أجازهم . وقال له أبو الضبيب شيخ الوفد : يا رسول الله إني رجل فى رغبة من الضيافة ، فهل لى فى ذلك أجر ؟ قال : نعم ، وكل معروف صنعته إلى غنى أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله كم وقت الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام . ما كان بعد ذلك فصدقة ، ولا يحمل للضيف أن يقيم عندك حتى يخرجك

وقدم وفد ذى مرة ، وكانوا ثلاثة عشر ، ورئيسهم الحارث بن عوف ، فقال رسول الله ﷺ : كيف البلاد ؟ فقالوا : والله إنا لمسنتون فادع الله لنا . فقال : اللهم اسقهم الغيث . ثم أقاموا أياما ورجعوا بالجائزة ، ووجدوا بلادهم قد أمطرت فى ذلك اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله ﷺ

وقدم وفد خولان فى شعبان سنة عشر ، وكانوا عشرة مسلمين ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما فعل صنم خولان الذى كانوا يعبدونه ؟ قالوا : أبدلنا الله ما جئت به ، إلا أن عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به ، وإن قدمناه عليه هدمناه إن شاء الله . ثم أعلمهم فرائض الدين ، وأمرهم بالوفاء بالعهد والأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا ، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم وهدموا الصنم

وقدم وفد محارب عام حجة الوداع ، وكانوا أفض العرب وأغلظهم عليه أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم إلى الله ، فجاءه منهم عشرة فأسلموا ثم انصرفوا إلى أهلهم

وقدم وفد صداء فى سنة ثمان فأسلموا ، وهم خمسة عشر رجلا ، فبايعوه على الإسلام ورجعوا إلى قومهم ، فقتلوا فيهم الإسلام ، فوفى رسول الله منهم مائة رجل فى حجة الوداع ، ذكره الواقدي

وقدم وفد غسان فى شهر رمضان سنة عشر ، وكانوا ثلاثة نفر ، فأسلموا وأجازهم رسول الله وانصرفوا راجعين وقالوا : لاندري أيتبعنا قومنا أم لا ، وهم يحبون بقاء

لكنهم وقرب قيصر ، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم ، وكتبوا لإسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام ، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب عام اليرموك فلقى 'با عبدة فخره بإسلامه فكان يكرمه

وقدم وفد مسلمان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي ، وهم ستة عشر نفرًا أسلموا ، وشكوا إليه جذب بلادهم فدعاهم ، ثم ودعوه وأمرهم بالجوائز ، فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه تلك الساعة

وقدم وفد عبس فقالوا : يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن هجرة له ، ولنا أموال ومواش ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا . قال عليه السلام : اتقوا الله حيث كنتم فإن يلتكم من أعمالكم شيئا ، وسألهم رسول الله عن خالد بن سنان هل له عقب ؟ فأخبروه أنه لا عقب له ، كانت له ابنة فأنقرضت ، أنشأ رسول الله يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال : نبي ضيعه قومه

وقدم وفد عامر كما قال الواقدي ، وكانوا عشرة فأقروا بالإسلام ، وكتب لهم كتابا فيه شرائع الإسلام ، وأمر أبي بن كعب فعلمهم قرآنا وأجازهم عليه السلام . انصرفوا

وقدم وفد الأزدي سنة عشر ، ذكر أبو نعيم في معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى لم يثنى من حديث أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال : حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال : رفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكلناه وأعجبه بما رأى من سمنا وزينا فقال : من أنتم ؟ قلنا : مؤمنون . فتبسم رسول الله ﷺ وقال لكل قوم حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قلنا : خمس عشرة خصلة : خمساً أمرنا بسلك أن تؤمن بها ، وخمساً أمرتنا أن نعمل بها ، وخمساً تحلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا إن تكره منها شيئا . فقال رسول الله ﷺ : ما الخمس التي أمرتكم رسلي

أن تؤمنوا بها ؟ قالوا : أمرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت . قال : وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قلنا أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤدى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشهادة بالأعداء . فقال رسول الله ﷺ : حكاء علماء ، كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء . ثم قال : وأنا أزيدكم خسا فتم لكم عشرون خصلة : إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا في ما عليه تقدمون وفيه تخلصون . فانصرف القوم من عند رسول الله وقد حفظوا وصيته وعملوا بها

وقدم على رسول الله وفد بنى المنتفق ، روى الإمام عبد الله بن أحمد في مسند أبيه قال : كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى : كتبت إليك هذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك ، فحدث به عنى . قال : حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلم بن الأسود بن عبد الله بن حاطب بن عامر بن المنتفق العقبلي عن أبيه عن عمه لقيط ابن عامر . قال دلم : وحدثني أبي الأسود بن عبد الله عن عاصم بن لقيط ، أن لقيط بن عامر خرج وافدا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيبا فقال : يا أيها الناس ، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتستمعوا اليوم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله ؟ ألا ثم رجل لعله يليه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهميه ضال . ألا وإني مسئول ، هل بلغت ؟ ألا اسمعوا تعيشوا . ألا اجلسوا . فجلس الناس . وقت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا قواده ونظره قلت : يا رسول الله ما عند

من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله وعلم أنى أبتغى السقط فقال : ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب ، لا يعلمها إلا الله - وأشار بيده - فقلت : ما هن يا رسول الله ؟ فقال : علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه . وعلم المني متى يكون في الرحم ، قد علمه ولا تعلمونه . وعلم ما في غد ، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه . وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك وقد علم أن خوفكم إلى قريب . قال لقيط فقلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا يا رسول الله . وقال : وعلم الساعة . قلت : يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم ، فأنا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد من مذبح التي ربو علينا وخضعم التي توالينا وعشيرتنا . قال : تلبسون فيها ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تبعث الصالحة ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئا إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك عز وجل ، فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وخت البلاء ، فأرسل ربك السماء بهضبان عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه عند رأسه فيستوى جالسا ، فيقول ربك : مهيم ؟ لما كان فيه . فيقول : يا رب أمس اليوم . لعمره بالحياة يحسبه حديثا بأهله . فقلت : يا رسول الله ، فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا بالرياح والبلى والسباع ؟ قال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية . فقلت لا تحي أبدا ، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر إلهك لو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فتخرجون من الأصواء من مصارعكم فتظفرون اليه وينظر إليكم . قال قلت : يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبتك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ويريانكم ساعة واحدة ولا تضامون في رؤيتهما . قلت : يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تحفي عليه خافية ، فيأخذ ربك بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم ، فلعمر إلهك ما تخطى وجه أحد منهم قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الزينة البيضاء ،

وأما الكافر فتخطمه بمثل الحميم الأسود . ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون ، فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدهم الجرة يقول : حس ، يقول ربك عز وجل : أو أنه . فتطلعون على حوض نبيكم على أظماً والله ناهلة قط ما رأيتم ، فلعمر إلهك ما يبسط أحدهم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والآذى ، وتحنس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا . قال قلت : يا رسول الله فم ينصر ؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار . قال قلت : يا رسول الله فم تجزي من حسناتنا وسيئاتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، إلا أن يعفو الله . قال قلت : يا رسول الله ما الجنة ، ما النار ؟ قال : لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا ويسير الراكب بينهما سبعين عاما . قال قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار من خر ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج ، ومنهن مصلمات ؟ قال : المصلمات للمصلحين ، وفي لفظ الصالحات للصالحين ، تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم في الدنيا ، غير أن لا توالد . قال لقيط فقلت : يا رسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه ؟ قال : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(١) قلت : يا رسول الله علام أبايعك ؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال : على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره . قال قلت : يا رسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي ﷺ يده وظن أنى مشروط ما لا يعطينيه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ، وأن لا ينجى على امرئ إلا نفسه . فبسط يده وقال : لك ذلك ، تحل حيث شئت ، ولا ينجى عليك إلا نفسك . قال فانصرفنا عنه . ثم قال : ها إن ذين ، ها إن ذين (مرتين) . من أتقى الناس في الأولى ،

(١) قال في الأصل وجدت في نسخة أخرى ماصورته : فلم يحبه النبي ﷺ

والآخرة . فقال له كعب بن الخدارية أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق بنو المنتفق ، أهل ذلك منهم . قال فانصرفنا : وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله ، هل لأحد ممن مضى من خير في الجاهلية ؟ فقال رجل من عرض قريش : إن أباك المنتفق لفي النار . قال فكأنه وقع حريين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رءوس الناس ، فهيمت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلى لعمر الله . حيث ما أتيت عليه من قبر كافر عامري أو قرشي أو دوسي قل : أرسلني إليك محمد ، فأبشر بما يسوؤك ، تجر على وجهك وبطنك في النار . قال قلت : يا رسول الله وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحبون إلا إياه ، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون ؟ قال ﷺ : ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن يعصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين

قال ابن القيم رحمه الله : هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن المديني ، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى ، وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح ، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن اسمعيل البخارى ورواه أئمة السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانتقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ، ولا فى أحد من رواه . قال أبو عبد الله بن منده : وقد رواه بالعراق بجميع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن اسمعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم فى إسناده ، بل روه على سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة . هذا كلام ابن منده رحمه الله . وقوله « تهذب » أى تطر « والأصواء » القبور ، « والشربة » بفتح الراء الحوض الذى يجتمع فيه الماء وبالسكون الحنطة ، يريد أن الماء قد كثر فن حيث شئت شربت ، وعلى رواية السكون يكون قد شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة وامتنائها . وقوله « حسن » هى كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما يحرقه على غفلة أو

يؤله ، قال الأصمعي : وهى مثل أوه . وقوله « يقول ربك أو انه » قال ابن قتيبة : فيه قولان : أن يكون « انه » بمعنى نعم ، والآخر أن يكون الخبر محذوفا كأنه قال أنتم كذلك أو انه على ما يقول . و « الطوف » الفائط . وفى الحديث : لا يصلى أحداً وهو يدافع الطوف والبول . و « الجسر » الصراط . وقوله « مهيم » أى ما شأنك وما أمرك وفيه كنت ؟ وقوله « أزلين » الأزل بسكون الزاى الشدة والأزل على وزن كتف هو الذى أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقتط . وقوله « فيظل يضحك » هو من صفات أفعاله سبحانه التى لا يشبهه فيها شئ من مخلوقاته كصفات ذاته . وقوله « حتى يخلفه من عند رأسه » هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده ، شبه النشأة بعد الموت بإخلاف الزرع بعد ما حصد ، وتلك الحلقة من عند رأسه كما ينبت الزرع . وقوله « يقول يا رب أمس اليوم » استقلالاً لمدة لبثه فى الأرض ، وكأنه لبث فيها يوماً فقال أمس ، أو بعض يوم فقال اليوم ، يحسب أنه حديث عهد بأهله وإنما فارقهم أمس أو اليوم . وقوله « على أظلم وأظلم والله ناهلة قط » الناهلة العطاش الواردون للماء ، أى يردونه أظلماً ما هم عليه . وقوله « وتخنس الشمس والقمر » أى يختفيان وينخسان ولا يريان ، الانخناس التوارى والاختفاء ، وقوله « ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً » يحتمل أن يريد به أن بعد ما بين الباب والباب هذا المقدار ، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين ، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين : أحدهما أنه لم يصرح به راويه بالرفع بل قال ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين أربعين عاماً ، والثانى أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير وبطئه . وقوله « أقصى ما نحن بالغوف ومنتهون اليه » لا جواب لهذه المسألة ، لأنه إن أراد أن أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله ، وإن أراد أقصى ما نحن منتهون اليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما تنتهى اليه من ذلك ، وإن كان الانتهاء إلى نعيم أو جحيم ، ولهذا لم يجبه عليه السلام . وقوله فى عقد البيعة « وزيال الشرك » أى مفارقتة ومعاداته فلا يجاوره ولا يواليه كما فى الحديث الذى فى السنن « لا تراءى ناراهما » يعنى المسلمين والمشركين .

وقوله « حيث ما مررت بقبر كافر فقل : أرسلنى اليك محمد » هذا إرسال تقرير وتوبيخ ، لا تبليغ أمر ونهى ، وفيه دليل على سماع أهل القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم ، ودليل على أن من مات مشركا فهو فى النار وإن مات قبل البعثة ، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام واستبدلوا بها الشرك وارتكبهوه ، وليس معهم حجة من الله به ، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوما من دين الرسل كلهم ، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنا بعد قرن ، فله الحجة البالغة على المشركين

وقدم على رسول الله ﷺ وفد النخع ، وهم آخر الوفود قدوما عليه ، فى نصف الحرم سنة إحدى عشرة فى مائتى رجل ، فزلوا دار الأضياف ، ثم جاءوا رسول الله مقرين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث معاذا إلى اليمن قبل ذلك هو وأبا موسى الأشعرى كل واحد منهما على خلاف ، قالوا : واليمن مخلافان ثم قال : يسروا ولا تعسروا . وبشرا ولا تنفروا ، وتطوعا ولا تخالفا . وقال لمعاذ « إنك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينهما وبين الله حجاب » أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عباس . والخلاف بكسر الهمزة وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة أهل اليمن الكورة والإقليم . وروى أنه قال له « يا معاذ ، إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة ، فأخبرهم أن مفاتيح الجنة » لا إله إلا الله « وأنها تخرق كل شئ حتى تنتهى إلى الله ولا تحجب دونه ، من جاء بها يوم القيامة خلصا رجحت بكل ذنب » . فقال معاذ : أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلى فيه مما ليس فى كتاب الله ولم أسمع منك سنة الله ؟ فقال : تواضع يرفعك الله ، ولا تقضين إلا بعلم ، فإن أشكل عليك أمر فسل ولا تستحى ، واستشر ثم اجتهد ، فإن الله

إن علم من قلبك الصدق يوقهك ، فإن التبس عليك قف حتى تنتبه أو تكتب إلى فيه ، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار . وعليك بالرفق . وفي رواية أنه قال له لما بعثه إلى اليمن . كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله . قال فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله . قال : فان لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو . قال فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد لله الذى سدد رسول رسول الله لما يرضى رسول الله . رواه الترمذى وأبو داود والدارمى . وللبخارى أن أبا موسى قال : يا رسول الله إن أرضنا بها شراب من الشعير المزهر وشراب من العسل البتع ، فقال : كل مسكر حرام . فانطلقا . فقال معاذ لأبى موسى : كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائما وقاعدا وعلى راحلتى ، وأتوقه تفوقا . قال : أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما احتسبت قومتى . فضرب فسطاطا فجعل يتروران ، فزار معاذ أبا موسى ، فإذا رجل موثق ، فقال : ما هذا ؟ فقال أبو موسى : يهودى أسلم ، ثم ارتد . فقال معاذ : لأضربن عنقه . انتهى

رجعنا إلى حديث الوفد . فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو : يا رسول الله إني رأيت فى سفرى هذا عجبا . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت أتاناً تركتها فى الحى كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى . فقال له رسول الله : هل تركت أمة لك مصرة على حمل ؟ قال نعم . قال : فإنها ولدت لك غلاماً وهو ابنك . قال : يا رسول الله ما باله أسفع أحوى ؟ قال : أدن منى . فدنا منه ، فقال : هل بك من برص تكتمه ؟ قال : والذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك . قال : يا رسول الله : ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان . قال ذلك ملك العرب إلى أحسن زيه وبهجهته : قال : يا رسول الله ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض . قال : تلك بقية الدنيا . قال : ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول : لظى لظى ، بصير أعمى ، أطعمونى أكلكم وأهلكم ومالككم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون فى آخر الزمان . قال : يا رسول الله وما

الفتنة؟ قال يقتل الناس إمامهم ويشتجرون أطباء الرأس - وخالف رسول الله بين أصابعه - يحسب المسمي فيها أنه محسن ، يكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء ، إن مات ابنك أدركت الفتنة ، وإن متّ أدركها ابنك . قال : يا رسول الله ادعُ الله أن لا أدركها . فقال له رسول الله : اللهم لا يدركها . فمات وبقى ابنه ، وكان ممن خلع عثمان . والله أعلم

فصل

قالوا وفي هذه السنة - سنة تسع - بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذى الخلصة وقد تقدم ذلك في ذكر أصنام العرب في أول الكتاب ^(١) . قالوا : وفيها بعث جرير ابن عبد الله إلى ذى الكلاع فأسلم وأسلمت امرأته خزيمة بنت أبرهة بن الصباح ، واسم ذى الكلاع سميفع ، وكان قبل ذلك قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية فأطيع ، ووفد ذو الكلاع في خلافة عمر ومعه ثمانية عشر ألف عبد ، وأعتق من عبيده أربعة آلاف ، قال : يا أمير المؤمنين لى ذنب ما أظن أن الله يغفره . قال : وما هو؟ قال : تواريت يوماً ممن يتعبدنى ، ثم أشرفت عليهم من مكان عال فسجد لى زهاء مائة ألف إنسان . فقال عمر : التوبة يا خلاص والإناابة بإقلاع يرجى بهما مع رافة الله الغفران . وفي رواية أعتق ذو الكلاع اثني عشر ألف بيت ، وقتل بصفين

وفيها فى يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول توفى إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، ودفن بالبقيع ، ورش قبره وعلم بعلامة . قال الزبير : وهو أول قبر رش ، وقيل صلى عليه بالبقيع ، وقيل لم يصل عليه . وقال ﷺ : « القلب يحزن والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما رضى الرب ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لحزونون »
وفيها انكسفت الشمس يوم موت إبراهيم ، فقال الناس : إنما كسفت لموت إبراهيم ، قال رسول الله ﷺ : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان

لموت أحد ولا لحياته » رواه الشيخان . قيل الغالب الكسوف في الثامن والعشرين
فكسفت يوم مات إبراهيم في العاشر فإذ لك قالوا كسفت لموته

قالوا : وفيها طلع جبريل على مجلس النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب
شديد سواد الشعر وطيب الرائحة وحسن الوجه ، رآه حضار المجلس لا يرى عليه أثر السفر
ولا يعرفه أحد ، فجاء حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه
على فخذه وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والقيامة وأماراتها ، فأجاب النبي
ﷺ عن غير القيمة وقال فيها : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . فخرج جبريل من
الجلس ، فأمر النبي ﷺ حتى طلبوه فاجدوه ، قال ﷺ : أتدرون من السائل ؟
قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . أخرجه مسلم من
حديث عمر ، والبخاري من حديث أبي هريرة

وفيها قدم فيروز الديلمي المدينة فأسلم ، وهو الذي قتل الأسود العنسي الكذاب
المتنبي قتلته في الحادية عشرة من الهجرة

قال ابن اسحق : كان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى
كل ما وطئ الإسلام ، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه
العنسي وهو بها . وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى
صدقاتها . وبعث عدي بن حاتم على كل طيء وصدقاتها وعلى بني أسد . وبعث مالك
ابن نويرة على صدقات بني حنظلة . وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، فبعث
الزبرقان بن بدر على ناحية ، وقيس بن عاصم على ناحية . وبعث العلاء بن الحضرمي
على البحرين . وبعث على بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه
بجزيتهم

حجة الوداع ، وتسمى : حجة الإسلام ، وحجة التمام

قال ابن اسحق : فلما دخل على رسول الله ﷺ شهر ذى القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له انتهى . وذلك سنة عشر ، فأجمع الخروج إلى الحج . وفي البخارى عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة حجة الوداع ولم يحج بعدها ، وأخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله : حج رسول الله ﷺ ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة . هذا لفظه وصححه الحاكم . قال ابن حزم : حج رسول واعتمر قبل النبوة وبعدها وقبل الهجرة حججا وعمراً لا يعرف عددها ، ولم يحج عليه السلام بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع سنة عشر ، واعتمر بعد أن هاجر إلى المدينة أربع عمر : عمرتين مفردتين قصد بهما في ذى القعدة وأتمهما ، إحداها عمرة القضية سنة سبع ، والأخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان إثر وقعة حنين في ذى القعدة أيضاً ، واعتبر عمرة ثلاثة قرنهما مع حجة الوداع ، والرابعة عمرته التي صد عنها المشركون سنة ست في ذى القعدة عام الحديبية . فخرج ﷺ من المدينة بعد ما صلى الظهر بها أربعاً ثم ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها وجوه الإحرام وواجباته وسننه ، يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة ثبت في الصحيحين : صلينا مع النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً ، والعصر بذى الحليفة ركعتين . ولمسلم عن جابر : أذن رسول الله ﷺ في الناس في العاشرة وأعلم الناس أنه حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأتهم برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله انتهى . وخرج معه عليه الصلاة والسلام سبعون ألفاً ويقال مائة وأربعة عشر ألفاً ويقال أكثر كما حكاه البيهقي ، وكان أول يوم الحجة يوم الخميس ، وخروجه من المدينة يوم السبت كما تقدم ، ودخوله مكة صبح ابعة ذى الحجة كما ثبت في حديث عائشة ، وذلك يوم الأحد ، فيكون المسك في طريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى ، وكانت الوقفة يوم الجمعة . وأخرج ﷺ معه

نساءه كلهن في الموادج ، وساقى معه الهدى هو وأبو بكر وعمر وذوو اليسار من أصحابه ، فقلده وأشعره ، وبات بذى الخليفة وقال : أتانى الليلة آت من ربى وقال : صل بهذا الوادى المبارك ، وقل : عمرة وحجة . رواه البخارى عن عمر ، وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر ، فصلى بها خمس صلوات وطاف على نساءه كلهن تلك الليلة ، فلما أراد الإحرام اغتسل غسلًا ثانيًا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذيرة وطيّب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان ويبيض المسك يرى في مفارقة وحيته ، ثم استدامه ولم يغسله ، ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ، وقرن بينهما ، ولم ينقل أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر ، وكان قارنا بين الحج والعمرة لبضعة وعشرين دليلًا ذكرها في الهدى . ولمسلم عن جابر ، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش وعن يمينه بمثل ذلك وعن شماله بمثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شئ عملنا به ، فأهل رسول الله ﷺ بالتوحيد : لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . وأهل الناس بهذا الذى يهلون به ، فلم يرد رسول الله شيئًا منه . ولزم رسول الله تلييته . قال جابر : لسا نرى إلا الحج ، لسا نعرف العمرة . وفى الصحيحين عن عائشة ، خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع ، ففنا من أهل بعمره ، ومنا من أهل بحج وعمرة ، ومنا من أهل بالحج ، وأهل رسول الله بالحج . فإما من أهل بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يخلق حتى كان يوم النحر . انتهى . وجمع شيخ الإسلام ابن تيمية بين الأحاديث المختلفة فى صفة حجه ﷺ بأن قال : والصواب أن الأحاديث فى هذا الباب متفقة ليست بمختلفة إلا اختلافًا يسيرًا يقع مثله فى غير ذلك ، فإن الصحابة ثبت عنهم أنه تمتع ، والتمتع عندهم يتناول القرآن ، والذين روى عنهم أنه أفرد روى عنهم أنه تمتع كما فى الصحيحين عن عمران أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة ، ثم إنه لم يمه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه .

وفى رواية عنه تمتع نبي الله ﷺ وتمتعنا معه ، فهذا عمران وهو من أجل السابقين الأولين أخبر أنه تمتع ، وأنه جمع بين الحج والعمرة . والقارن عند الصحابة متمتع ، ولهذا أوجبوا عليه الهدى ، ودخل في قوله تعالى ﴿ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ﴾ ، وما ذكره بكر بن عبد الله المزني أنه لبي بالحج وحده فجوابه أن الثقات الذين هم أثبت في ابن عمر - مثل سالم ابنه ونافع - رَوَوْا عنه أنه قال : تمتع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج . فتغليط بكر أولى من تغليط سالم . ويشبهه أن ابن عمر قال له « أفرد الحج » فظن أنه قال لبي بالحج ، فإن أفراد الحج كانوا يطلقونه ويريدون به أفراد أعمال الحج ، وذلك رد منهم على من قال إنه قرن قرانا طاف فيه طوافين وسعى فيه سعيين ، وعلى من يقول إنه حل من إحرامه ، فرواية من روى من الصحابة أنه أفرد الحج فهم ثلاثة عائشة وابن عمر وجابر ، والثلاثة نقل عنهم التمتع ، وحديث عائشة وابن عمر أنه تمتع بالعمرة والحج أصح من حديثهما عنه أنه أفرد الحج ، وما صح من ذلك عنهما فعناه أفراد أعمال الحج أو أن يكون وقع فيه غلط كمنظاره ، فإن أحاديث التمتع متوافرة رواها أكابر الصحابة كعمر وعلى وعثمان وعمران بن حصين ، بل رواها عن النبي ﷺ بضعة عشر من الصحابة والله أعلم . قلت : وهذا الكلام من أحسن ما يجمع لك بين الأحاديث في هذا الباب ، وبه يتفق معناه

عدنا إلى سياق حجة ﷺ . ولبد رسول الله ﷺ رأسه بالغسل ، وهو بالغين المعجمة على وزن كفل ، وهو ما يغسل به الرأس من خطمي ونحوه يلبد به الرأس حتى لا ينتشر ، وأهل في مصلاه ، ثم ركب على ناقته فأهل أيضا ، ثم أهل لما استقلت به على البداء . قال ابن عباس : وأيم الله لقد أوجب في مصلاه ، وأهل حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا شرف البداء . وكان يهل بالحج والعمرة تارة ، وبالحج تاوة ، لأن العمرة جزء منه . فمن ثم قيل قرن ، وقيل تمتع ، وقيل أفرد . ثم لبي وأمر الصحابة بأمر الله أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية . وكان حجه على رجل ، لا في محمل ولا هودج ولا عمارية

ثم إنه ﷺ خير أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة : القرآن ، والتمتع

الخاص ، والإفراد . ثم نذبهم عند دنوهم من مكة إلى فسخ الحج والقرآن إلى العمرة لمن لم يكن معه هدى ، ثم حتم ذلك عليهم عند المروة

وولدت أسماء بنت عميس بذي الحليفة محمد بن أبي بكر ، فأمرها رسول الله أن تغتسل وتستنقر بثوب وتحرم وتهل ، ففي هذه ثلاث سنن : غسل الحرم ، وأن الحائض تغتسل لإحرامها ، وأن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله ولزم تلييته الناس يزيدون فيها وينقصون منها وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ، فلما كان بالروحاء رأى حمار وحش عقيرا فقال : دعوه فانه يوشك أن يأتي صاحبه ، فجاء صاحبه فقال : يا رسول الله شأنك بهذا الحمار . فأمر رسول الله أبا بكر أن يقسمه بين الرفاق . وفي هذا دليل على جواز أكل الحرم من صيد الحلال إذا لم يصده لأجله ، وأن الهبة لا تقتصر إلى لفظ وهبت ، وجواز قسمة اللحم مع عظامه بالتحري ، وأن الصيد يملك بالإثبات ، وعلى أكل الحمار الوحش ، وعلى التوكل في القسمة ، وعلى كون القاسم واحدا

ثم مضى حتى إذا كان بالإثاية بين الرويثة والعرج إذا ظبي حاقف في ظل فيه نسيم ، فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس . والفرق بين هذا والذي قبله أن الذي صاد الحمار كان حلالا فلم يمنع من أكله ، وهذا لم يعلم أنه حلال فلم يأذن في أكله للمحرم . وفيه دليل على أن قتل الحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة في عدم الحل ، إذ لو كان حلالا لم يضيع ماليته . ثم سار حتى نزل بالعرج وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة ، وكانت مع غلام لأبي بكر ، فجلس رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء زوجته إلى جانبه وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير ، فقال : أين بعيرك ؟ فقال : أضلته البارحة . فقال بعير واحد تضله ! قال فطلق يضربه ورسول الله يبتسم ويقول : انظروا إلى الحرم ما يصنع ؟ وما يزيد رسول الله أن يقول ذلك ويبتسم . ومن تراجم أبي داود على هذه القصة « باب الحرم يؤدب »

ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز

حمار وحش ، فرده عليه وقال : إنا لم نرده إلا أنا حرم . أخرجه في الصحيحين . وإذا حمل حديث أبي قتادة على أنه لم يصده لأجله وحديث الصعب على أنه صيد لأجله زال الإشكال ، ويشهد له حديث جابر المرفوع « صيد البر حلال ما لم تصيدوه ويصاد لكم » . فلما مر بوادي عسفان قال : يا أبا بكر أى واد هذا ؟ قال : وادي عسفان . قال : لقد مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطمهما الليف ، وأزرهم العبا ، وأردتهم النمار يلبنون ، يحجون البيت العتيق . ذكره الإمام أحمد في مسنده

فلما كان بسرف حاضت عائشة ، وقد كانت أهلت بعمرة ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : ما بك ؟ لعلك نفست . قالت : نعم . قال هذا شئ كتبته الله على بنات آدم ، افعل ما يفعل الحاج غدير أن لا تطوفى بالبيت . أخرجه في الصحيحين . وفيها عن عروة عنها : خرجنا مع رسول الله ﷺ قالت : أهلنا بعمرة ، فقدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : انقضى رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعى العمرة . قالت : ففعلت فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن إلى التنعيم فاعتمرت ، فقال : هذه مكان عمرتك . فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبالصفا والمروة ثم رحلوا ، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم . وأما الذين كانوا يجمعون الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحدا انتهى . فلما كان بسرف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ، ومن كان معه هدى فلا . وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الإحرام . فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة من إحرامه ، ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ، ولم ينسخ من ذلك شئ البتة ، بل سأله سراقة بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالنسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أم الأبد ؟ فقال ﷺ : إن العمرة دخلت في الحج إلى يوم القيامة . وقد روى عنه ﷺ الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من الصحابة رضى الله عنهم وأحاديثهم كلها صحاح وهم : عائشة وصفية وعلى بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ

وأسماء بنت أبي بكر وجابر بن عبد الله وأبو معيد الخدرى والبراء بن عازب وعبد الله ابن عمر وأنس بن مالك وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وسبرة بن معبد وسراقة بن مالك . ففي الصحيحين عن ابن عباس : قدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة ، فتعاطم ذلك عندهم فقالوا : يا رسول الله أى الحل ؟ قال : حل كله . وفي لفظ : وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يجعلوا إحرامهم بعمرة إلا من كان معه الهدى . وفي الصحيحين عن جابر : أهل النبي ﷺ وأصحابه وليس مع أحد هدى غير النبي ﷺ وطلحة . وقدم على من اليمن ومعه هدى . فقال أهملت بما أهل به النبي ﷺ . فأمر النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويطوفوا ويقصروا ، إلا من كان معه الهدى . قالوا ننطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معى الهدى لا حلت . وفي لفظ فقام فقال : علمتم أنى أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم ، ولولا هديي لحلت كما تحلون ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، فخلوا . فخلنا ، فسمعنا وأطعنا . وسلم عن عائشة : دخل رسول الله ﷺ على وهو غضبان ، فقلت : من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار ؟ قال أو ما شعرت ؟ إني أمرت الناس بأمر فاذا هم يترددون . . الحديث . قال فى الهدى : ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمتنا بحج لرأينا فرضا علينا فسخه إلى عمرة تفاديا من غضب رسول الله ﷺ واتباعا لأمره ، فوالله مانسح هذا فى حياته ولا بعده ، ولاصح حرف واحد يعارضه ، ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه على لسان سراقة أن سأله : هل ذلك يختص بهم ؟ فأجابه بأن ذلك كائن لأبد الأبد . فما ندرى ما يقدم على هذه الأحاديث ، وهذا الأمر المؤكد قد غضب رسول الله ﷺ على من خالفه . والله در الإمام أحمد إذ يقول لسامة بن شبيب ، قال له : يا أبا عبد الله كل أمرك عندى حسن إلا خلة واحدة . قال : وماهى ؟ قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة . فقال : يا سامة كفت أرى لك عقلا ، عندى فى ذلك أحد عشر حديثا صحاحا عن رسول الله ﷺ أتتركها لقولك ؟ وفى صحيح مسلم عن ابن عباس أن رجلا

قال له : ما هذه الفتيا التي قد فشت بالناس أن من طاف فقد حل ؟ فقال : سنة نبيكم ﷺ وإن زعمتم . وصدق ابن عباس : كل من طاف بالبيت بمن لا هدى معه من مفرد وقارن أو متمتع فقد حل إما وجوبا وإما حكما . هذه هي السنة التي لا راد لها ولا مدفع . وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال : من جاء مهلا بالحج فإن الطواف بالبيت يصير إلى عمرة شاء أو أبى . قلت : إن الناس ينكرون ذلك عليك . قال : وهذه سنة نبيهم وإن زعموا . وهذا مذهب أهل بيت رسول الله ومذهب حبر الأمة وبحرها ابن عباس وأصحابه ومذهب إمام أهل السنة وأتباعه أحمد بن حنبل وأهل الحديث معه ومذهب أهل الظاهر . وأما قول عروة وغيره : نهى عنها أبو بكر وعمر فقد أجابه ابن عباس فأحسن جوابه ، فروى الأعمش عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : تمتع رسول الله ، فقال عروة نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس : أراهم سيهلون ، أقول رسول الله وتقول قال أبو بكر وعمر ؟ وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله يأمر الناس بالعمرة في هذا العشر وليس فيها عمرة فقال أو لا تسأل أمك عن ذلك ؟ فقال عروة : فإن أبا بكر وعمر لم يفعل ذلك . قال الرجل : من ههنا هل كنتم . ما أرى الله إلا سيعذبكم ، إني أحدثكم عن رسول الله وتخبروني بأبي بكر وعمر . قال عروة : إنهما والله كانا أعلم بسنة رسول الله منك . فسكت الرجل . قال أبو محمد بن حزم : نحن نقول لعروة : ابن عباس أعلم بسنة رسول الله منك وبأبي بكر وعمر منك وخير منك وأولى بهم ثلاثهم منك ، لا يشك في ذلك مسلم ، مع أنهما قد روى عنهما خلاف ما قال عروة ومن هو خير من عروة وأفضل وأعلم وأوثق . ثم روى من طريق ابن عباس : تمتع رسول الله حتى مات ، وأبو بكر حتى مات ، وعمر حتى مات ، وعثمان كذلك . وأول من نهى عنها معاوية وقد رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن . وقال عبد الله بن عمر لمن سأله عنها فقال له السائل إن أباك نهى عنها قال : أفرسول الله أحق أن يتبع ، أو أبى ؟ وأجاب الشيخ تقي الدين رحمه الله عن

ذلك بأن قال : إن عمر لم ينه عن المتعة البتة ، وإنما قال : إن أتم لحجكم وعمرتكم أن تفصلوا بينهما ، فاختار لهم عمر أفضل من القرآن والتمتع الخاص بدون سفرة أخرى ، وقد نص على ذلك الإمام أحمد وأبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم ، وهذا هو الأفراد الذي فعله أبو بكر وعمر ، وكان عمر يختاره للناس وكذلك علي ، وقال عمر وعلى في قوله ﴿ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ قال إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك ، وقال عليه السلام لعائشة في عمرتها : أجرك على قدر نصيبك . قال في الهدى : فهذا الذي اختاره عمر للناس ، فظن من غلط منهم أنه نهى عن المتعة . ومن الناس من جعل عنه فيها روايتين ومنهم من جعل النهى عنه قولاً قديماً رجع عنه كما فعل أبو محمد بن حزم

عدنا إلى سياق حجه عليه السلام : نهض عليه السلام إلى أن نزل بذي طوى ، وهي المعروفة اليوم بآبار الزاهر ذكره في الهدى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة ، وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها . ثم سار حتى دخل المسجد ، وذلك نهي ، وذكر الطبراني أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة . وروى عنه أنه كان يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، حيناً ربنا بالسلام اللهم زد . . . وهو مرسل ، لكن هذا سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب يقوله . فلما دخل المسجد عمد إلى البيت ولم يركع تحية المسجد فإن تحية المسجد الحرام الطواف ، فلما حاذى الحجر استلمه ، ثم أخذ على يمينه وجعل البيت عن يساره ، ولم يدع عند الباب بدعاء ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكرنا معينا ، لا بفعله ولا بتعليمه ، بل حفظ عنه بين الركنين : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ورمل في طوافه هذه الثلاثة الأشواط الأول يسرع في مشيه ويقارب بين خطاه . واضطبع بردائه فجعله على إحدى كتفيه وأبدى كتفه الأخرى ومنكبه . وكذا حاذى الحجر الأسود أشار إليه واستلمه بمحجنه وقبل المحجن . والمحجن

عصا بحجته الرأس . وثبت عنه أنه استلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه ، وثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وأنه استلمه بيده ووضع يده عليه ثم قبلها ، وثبت أنه استلمه بمحجن فبهذه ثلاث صفات ولم يستلم ولم يمس من الأركان إلا اليمانيين فقط . فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام فقرأ ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ فيصلي ركعتين والمقام بينه وبين البيت ، فقرأ فيها بعد الفاتحة سورتي الآخرة ^(١) فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله فلما دنا منه قرأ ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ أبداً بما بدأ الله به ، وفي رواية النسائي ابدأوا على الأمر ، ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ووجد الله وكبره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة يمشي فلما انتصب قدماء في بطن الوادي وأصعد مشى وذلك اليوم قبل الميادين الأخضرين في أول السعي ، هكذا في حديث جابر قال : حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لا هدى معه أن يحل حتماً ولا بد . قارنا كان أو مفرداً . الحل كله من وطء النساء والطيب والخيط ، وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية ، ولم يحل هو من هديه . وهناك دعا المحلقين بالغفرة ثلاثاً وللمقصرين مرة . وهناك سأله سراقه بن مالك عقيب أمره لهم بالفسخ والإهلال : هل ذلك لعامهم خاصة أم للأبد . ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى . وأما نساؤه فأنزلن إلا عائشة فإنها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها . وأمر من أهل إهلال كإهلاله ﷺ أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى ، وكان يصلي مائة قيامه إلى يوم التروية بمنزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فقام أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والإثنين والثلاثاء .

(١) عند النسائي والترمذي : قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون

والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس نحيى توجه بمن معه من المساكين إلى منى فأحرم بالحج من كان أحل منه من رحلهم ، ولم يدخلوا إلى المسجد ، بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم . وفي حديث جابر : وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر وبات بها ليلة الجمعة حتى طلعت الشمس ، وأمر بقية له من شعر تضرب بنمرة ، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية . فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرنة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم - وفي رواية غيره وأعراضكم - حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث (كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل) ، وربا الجاهلية موضوعة وأول ربا أضع ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله . واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد (ثلاث مرات) ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا . قال في الهدى : وذلك يوم الجمعة ، فدل على أن المسافر لا يصلى الجمعة ، ومعه أهل مكة فصلوا بصلاته قصرأ جميعا بلا ريب ولم يأمرهم بالإتمام وإنما قال ﷺ لأهل مكة « أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر » في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ، ولهذا كان أصح أقوال العلماء أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي ﷺ ، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يحدد بمسافة معلومة ولا بأيام ، ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة

وقال جابر : ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ولم يزل واقفا حتى غربت الشمس . قال في الهدى : وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال : وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف ، وأرسل إلى الناس أن يكونوا على مشاعرهم ويقفوا بها فانها من إرث أبيهم إبراهيم . وهناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال : الحج يوم عرفة ، من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة أيام التشريق ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه . وكان في دعائه رافعا يديه إلى صدره كاستطعام المسكين ، وأخبر أن خير الدعاء الدعاء في عرفة ، وهناك نزلت عليه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات . فأمر رسول الله ﷺ أن يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه ، وأخبر أن الله يبعثه يوم القيامة يلبي ، فلما غربت الشمس واستحکم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أقاض من عرفة ، وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بسكينة وضم إليه بزمام ناقته حتى إن رأسها ليصيب طرفا رحله . وفي حديث جابر : ويقول بيده اليمنى : أيها الناس عليكم بالسكينة . وكما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد . انتهى وأفاض من طريق المازمين ودخل عرفة من طريق ضب ، وهكذا كانت عادته عليه السلام في الأعياد أن يخالف الطريق ، ثم جعل يسير العنق ، وهو ضرب من السير ليس بالسرير ولا البطيء ، فاذا وجد فجوة وهو المتسع نص سيره أى رفعه فوق ذلك . وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية ، ثم أمر بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجبال ، فلما حطوا رحلهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان ولم يصل بينهما بشيء ، ثم نام حتى أصبح وأذن تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر وذلك عند غيوب القمر ، وأمرهم أن لا يرموا الجرة حتى تطلع الشمس . حديث صحيح صححه الترمذى . والذي دلت عليه

السنة جواز الرمي قبل طلوع الشمس للعذر بمرض أو كبر يشق عليه مزاحمة الناس لأجله ، وأما القادر الصحيح فلا يجوز له ذلك ، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعاً بأذان وإقامة يوم النحر ، وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر

ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القبلة فأخذ في الدعاء والتضرع والتسكيب والتهليل والذكر حتى أسفر جداً ، ووقف وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف ، ثم سار من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس وهو يلبي في سيره ، وكان الفضل رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت ظعن يجرين ، فظفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع ﷺ يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلقط له حصي الجمار سبع حصيات ، ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما فعل من لا علم عنده ، ولا التقطها بالليل ، فالتقط له سبع حصيات من حصي الخذف ، فجعل ينفذه من كفه ويقول : أمثال هؤلاء فارموا ، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين

فلما أتى بطن محسر حرك ناقته وأمرع السير ، وهذا كان عادته في المواضع التي نزل بها بأس الله بأعدائه ، فإن هناك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله عنه ، وسعى محسراً لأن الفيل حسر فيه أي أعيا وانقطع عن الذهاب . وقال جابر في حديثه : ثم سلك الطريق التي تخرج على الجرة ، حتى أتى الجرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات مثل حصي الخذف ، يكبر مع كل حصاة منها من بطن الوادي . انتهى . وكان رميه إياها راكباً بعد طلوع الشمس واحدة ، وحينئذ قطع التلبية ورمى ، وبلال وأسامة معه أحدهما أخذ بنظام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر ، وفيه دليل على جواز استظلال الحرم بالحمل ونحوه إن كانت هذه القصة يوم النحر ، وإن كانت أيام منى فلا حجة فيها ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بمحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله ، وحرمة مكة على جميع البلاد . وأمر بالسمع والطاعة لمن قادم بكتاب

الله ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال : آتوا لا أحج بعد عامي هذا ، وعلمهم مناسكهم ، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع ، وقال في خطبته : لا ينجى جان إلا على نفسه ، وأنزل المهاجرين عن يمين القبله والأنصار عن يسارها والناس حولهم ، وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعه أهل منى في منازلهم ، وقال في خطبته تلك : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم . وودع حينئذ الناس فقالوا « حجة الوداع »

ثم انصرف إلى المنحرج فنحرج ثلاثا وستين بدنة بيده ، وكان ينحرجها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد ما نحر عدد سنى عمره ، ثم أمسك وأمر عليا أن ينحرج ما بقى من المائة ، ثم أمر عليا أن يتصدق بجلاتها وجلودها ولحومها في المساكين ، وأمره أن لا يعطى الجزار في جزارتها شيئا منها وقال : نحن نعطيهم من عندنا . وقال : من شاء اقتطع ، ونحر ﷺ بمنحرجه بنى وأعلمهم أن منى كلها منحرج ، وأن فجاج مكة طريق ومنحرج ، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من فجاج مكة أجزأه . وسئل ﷺ أن يبنى له بمنى مظلة من الحر فقال : لا ، منى مناخ من سبق

فلما أكمل ﷺ نحره استدعى بالحلاق فقال للحلاق - وهو معمر بن عبد الله - وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال : يا معمر أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفي يده الموسى . قال معمر : فقلت أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله عليّ . قال أجل . ذكره أحمد . وقال للحلاق : خذ . وأشار إلى جانبه الأيمن . فلما فرغ قسم شعره بين من يليه ، ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر قال : ههنا أبو طلحة ؟ فدفعه إليه . هكذا وقع في صحيح مسلم . قيل أصاب خالد بن الوليد شعرات من ناصيته فجعلها في قلنسوته فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر

قال جابر في حديثه : وأشرك ﷺ عليا في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببعضه

فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها . ثم ركب ﷺ فافاض إلى البيت ، وصلى بمكة الظهر ، فأتى بنو عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بني عبد المطلب ، فلو أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم . فناولوه دلوفا فشرب منه

وطاف في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة ليراه الناس وليسألوه . ثم رجع إلى منى . واختلف أين صلى الظهر يومئذ ، ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه ﷺ أفاض يوم النحر فصلى الظهر بمنى . وفي مسلم عن جابر أنه صلى الظهر بمكة . وكذلك قالت عائشة . وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها وهي شاكية ، وكانت استأذنت رسول الله ، وطافت عائشة في ذلك اليوم طوافا واحدا وسعت سعيها واحدا أجزأها عن حجها وعمرتها . وطافت صفية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع فلم تودع ، فاستقرت سنته ﷺ في المرأة الطاهر إذا حاضت قبل الطواف أن تقرر وتكتفي بطواف واحد وسعى واحد ، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة اجتزأت به عن طواف الوداع

ثم رجع ﷺ إلى منى من يومه ذلك فبات بها ، فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجرة الأولى التي تلي مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات : واحدة بعد واحدة ، يقول مع كل حصاة : الله أكبر . ثم تقدم عن الجرة أمامها حتى أسهل فقام مستقبل القبلة ، ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ، ثم أتى الجرة الوسطى فرماها كذلك ، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادي فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول . ثم أتى الجرة الثالثة وهي جرة العقبة فاستبطن الوادي واستعرض الجرة ، فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ، ولا جعلها عن يمينه ، واستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها ، فليل لضيق المسكن بالجبل ، وقيل وهو أصح

إن دعاءه كان في نفس العبادة قبل الفراغ منها ، فلما رمى جمرَةَ العقبة فرغ الرمي ، والدعاء في صلب العبادة أفضل منه بعد الفراغ منها ، وهذه كانت سنته في دعائه في الصلاة . وذكر الإمام أحمد أنه كان يرمي يوم النحر راكباً وأيام منى ماشياً في ذهابه ورجوعه . فقد تضمنت حجته ﷺ ست وقفات للدعاء : الأولى على الصفا ، والثانية على المروة ، والثالثة بعرفة ، والرابعة بمزدلفة ، والخامسة عند الجمرَةِ الأولى ، والسادسة عند الجمرَةِ الثانية

واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبني بمكة ليالي منى من أجل السقاية فأذن له ، واستأذنه رعاء الإبل في البيوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما . قال مالك : ظننت أنه قال في أول يوم منها ثم يرمون يوم النفر ، وقال ابن عيينة في هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً ، فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى ، وأما الرمي فلا يتركونه ، بل لهم أن يؤخروه إلى الليل فيرمون فيه ، ولهم أن يجمعوا رمي يومين في يوم ، وكذلك من له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه ، أو كان مريضاً لا يمكنه البيوتة سقطت عنه بتعيينه النص على هؤلاء . والله أعلم

ولم يتعجل ﷺ في يومين ، بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر إلى الحصب - وهو الأبطح وهو خيف بني كنانة - فوجد أبا رافع قد ضرب قبته هناك ، وكان على ثقله ، توفيقاً من الله دون أن يأمره ﷺ ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة . ثم نهض إلى مكة فطاف طواف الوداع ليلاً سحراً ، ولم يرمل في هذا الطواف ، ورغبت إليه عائشة أن تعمر عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالمبيت وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها . فقالت : يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع أنا بحجة ؟ قال : أو ما طفت ليالي قدمنا مكة ؟ قالت : لا . قال : فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم فأهلي بعمرة ، ثم موعذك كذا وكذا ، ففرغت من عمرتها ليلاً ثم وافت الحصب مع أخيها فأتيا في جوف الليل ، فقال

رسول الله ﷺ : فرغتما ؟ قالت : نعم . فنادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس . ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، هكذا عند البخارى في حديث القاسم عنها . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله قال حين أراد أن ينفر من منى : نحن نازلون إن شاء الله غدا بجحيف بنى كنانة حيث تقاسموا على بنى هاشم وبنى المطلب لا يناكحهم ولا يكون بينهم شئ حتى يسلموا اليهم رسول الله انتهى ، فقصد النبي ﷺ إظهار شعائر الإسلام في المكان الذى أظهروا فيه شمائر الكفر والشرك ، وكان ابن عمر يرى نزوله سنة ، وذهب ابن عباس وعائشة إلى أنه ليس سنة ، وإنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ ليكون أسمح لخروجه

قال ابن اسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون . انتهى . وهى آخر سرية جهزها النبي ﷺ ، وأول شئ جهزه أبو بكر

فلما كان يوم الأربعاء بدى برسول الله وجهه ، فحمّ وصدع ، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده ، فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة الأسلمى فسكن بالجرف ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين ! فغضب من ذلك غضبا شديدا ، ففى الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس فى إمارته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : بلغنى أنكم قلتم فى أسامة وإنه أحب الناس إلى . وفى لفظ : إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه ، وأيم الله إنه كان خليقا لإمارته وإنه كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده . قال ابن اسحق وانكش الناس فى جهازهم ، فخرج أسامة بجيشه حتى نزلوا الجرف ، وتنام اليه الناس ، وثقل رسول الله ، فأقام أسامة والناس معه لينظروا ما الله قاض فى رسوله ، وعن محمد بن أسامة عن أبيه قال : لما ثقل رسول الله

هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله وقد صمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، أعرف أنه يدعو لي وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثلاث سنين صلاته على الميت كالمدح للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : إني فرطكم ، وإني شبيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله ﷺ الناس فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله . قال فبكي أبو بكر ، فعجبنا لمكانه أن يخبر رسول الله عن عبد خير ، فكان رسول الله هو الخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا . فقال رسول الله ﷺ : إن من آمن الناس على في محبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبي بكر

قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة مولى رسول الله قال : بعثنى رسول الله من جوف الله فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، لين لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل على فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . قال فقلت : يا أبا أنت وحي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة . قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة . ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله وجهه الذي قبضه الله فيه

قال : وحديثي يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع . فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول : وارأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . ثم قال : وماضرك لو مت قبلي فقامت إليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك . قالت : قلت والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرمت فيه ببعض نساءك . قالت : فتبسم رسول الله . وتتام به وجهه وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به وهو في بيت ميمونة . فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له . قالت : خرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي . قال عبيد الله : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال قلت لا . قال : علي بن أبي طالب . ثم غمى رسول الله ﷺ واشتد به وجهه ، فقال : هريقوا علي سبع قرب من إبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : وأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم . انتهى . قلت : وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري من طريق الزهري عن عبيد الله عن عائشة . زاد البخاري في هذه الرواية : ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم

وله عن عروة عن عائشة أنها قالت : إن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة قلت : إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فر عمر فليصل بالناس^(١) . قالت عائشة : فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ : مه ، إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيرا . وفي رواية لمسلم : ثم إن

(١) في السكتب الأخرى أن عائشة كررت له هذا القول ، وكرر ﷺ الإجابة

النبي ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا تتأخر ، وقال لهما : اجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، وكذا في رواية الأسود عن عائشة وكذا في رواية عروة عنها . وله في رواية أبي موسى في هذه القصة فأتاه الرسول صلى الله عليه وسلم بالناس في حياة النبي ﷺ . وللبخارى عن عائشة في حديث عبيد الله قالت عائشة : لقد راجعت رسول الله في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل رسول الله عن أبي بكر

قال الزهري : وأخبرنا عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خيصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا وفي رواية أحمد « قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحرم ذلك على أمته . وفي رواية للبخارى قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا

وله عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجهه الذي مات فيه فقال الناس : يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له « أنت والله بعد ثلاث عبد العصى وإني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا . إني لأعرف بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله فأنسأله في من هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال علي : إنا لنسألها رسول الله فنعلمها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسأله رسول الله . وللبخارى أن رسول

الله ﷺ قال لعائشة « ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » قال ابن اسحق : فكان المسمومون يرون أن رسول الله مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة . وقالت عائشة : لدنا [رسول الله] فى مرضه ، فجعل يشير إلينا أن لا تلذوني ، فقلنا كراهية المريض للدواء . فلما أفاق قال : ألم أنهيكم أن تلذوني ؟ قلنا كراهية المريض للدواء . فقال : لا يبقى أحد فى البيت إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم . انتهى . والد شئ تصنعه العرب دواء يصب فى أحد شقي الفم ، فأمر بلدهم كلهم اقتصاصا

فلما كان يوم الخميس قبل موته بأربع ليال اجتمع عنده ناس من أصحابه فقال عليه السلام اثنوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتد برسول الله وجعه فقال : اثنوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبى تنازع . فقال بعضهم : إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول قربوا يكتب لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك . وفى رواية فقالوا : ما له أجهر ، استفهموه . فذهبوا يردون عليه فقال : دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه وأوصاهم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . وسكت عن الثالثة ، أو قال فنسيها . وفى رواية : فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال : قوموا عني . قال عبد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولغتهم . انتهى . ولا شك أنه لو كان من واجبات الشريعة لم يغيره عليه السلام كلام عمر ولا غيره . وكان قال لعائشة فى تلك المروضة : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتابا وأعهد عهدا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل « أنا أولى » ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . رواه البخارى . فلم يكن والله أعلم الكتاب الذى أراد أن يكتب إلا فى استخلاف أبى بكر ، ولقد ظهرت

رزية ذلك وكاد الناس أن يهلكوا في الاختلاف في من يلي أمر المسلمين بعده ، ولقد هلكت الشيعة في ذلك وتمادى ضلالهم إلى اليوم نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى . وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفس على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجهه الذي مات فيه طفقت أنفاس عنه بالمعوذات التي كان ينفس ، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه لبركتها . رواه البخارى . ولها عن أنس قال : لما كان يوم الإثنين والناس في صلاة الفجر وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم إلا رسول الله يكشف ستر حجرة عائشة ، فنظر اليهم وهم صفوف في الصلاة ، ثم تبسم بضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهم الناس أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار اليهم بيده أن أتوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر . زاد ابن اسحق في روايته عن الزهري عن أنس : وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله قد أفاق من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسبح . وعن عائشة أنها كانت تقول : إن من نعم الله على أن رسول الله توفي في بيتي وفي يومى وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه ، ودخل على عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله إلى صدرى فرأيتَه ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناوله فاشتد عليه . وقلت : أليته لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته بأمره فاستن به وهو مستند إلى صدرى ، وبين يديه ركوة أو عليه - يشك عمر - فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات . وكان رسول الله يقول : إنه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحجى أو يخير . فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه ، فلما أفاق شئخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم اغفر لى وارحمى ، وألحقنى بالرفيق الأعلى . وفي رواية : مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وفي رواية قلت : إذا لا يختارنا . وعرفت أنه الحديث الذى يحدثنا به وهو صحيح . قالت : فكانت آخر كلمة تسكلم بها : اللهم الرفيق

الأعلى . زاد ابن اسحق قالت عائشة : فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله ﷺ قبض فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى . وفى رواية للبخارى : فلا أكره شدة الموت لأحد بعد النبى ﷺ . وعن الأسود قال : ذكر عند عائشة أن النبى ﷺ أوصى إلى على فقالت : من قاله ؟ لقد رأيت النبى ﷺ وإنى لسندته إلى صدرى . فدعا بالطست فانخث فمات وما شعرت ، فكيف أوصى إلى على ؟ وعن طلحة قال : سألت ابن أبى أوفى : أوصى النبى ﷺ ؟ فقال : لا . فقلت : كيف كتب على الناس الوصية وأمر بها ؟ فقال : أوصى بكتاب الله . رواه البخارى . وفى مسند أحمد أن النبى ﷺ جعل يقول وهو يجود بنفسه : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حتى ما يغيض بها لسانه

وعن عمرو بن الحارث قال : مات النبى ﷺ ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة . وعن عائشة : توفى رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير . رواها البخارى

وعن أنس بن مالك قال : لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه ، فقالت فاطمة : واكرب أباه ، فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم . فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل نفعاه . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس ، أطابت نفوسكم أن تحموا على رسول الله التراب ؟ وعن عائشة قالت : دعا النبى ﷺ فاطمة فى شكواه التى قبض فيها فسارّها فبكت ، ثم دعاها فسارّها فضحكت ، فسألناها عن ذلك فقالت : سارنى أنه يقبض فى وجهه الذى توفى فيه فبكيت ، ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته يتبعه فضحكت . رواها البخارى

ويذكر أنه لما توفى جاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص . السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته . كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون

أجوركم يوم القيمة ، إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل شالك ودركا من كل فائت ، فبالله ثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وتوفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين نصف النهار ثلاثي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة . وللبخارى عن أنس قال : مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبيكون فقال : ما يبكيكم ؟ فقالوا ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، قال فخرج النبي وقد عصب على رأسه حاشية برد قال : فصعد المنبر - ولم يصعد بعد ذلك اليوم - حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعييتي ، وقد قضوا الذي عليهم وبقى الذي لهم ، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . وله عن ابن عباس قال : خرج النبي ﷺ وعليه ملحفة منعظا بها على منكبيه ، وعليه عصا دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح للطعام ، فمن ولي منكم أمرا يضر به أحدا أو ينفعه ، فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم

وله عن عائشة أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال اسماعيل يعني بالعالية - فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله . قالت وقال عمر : والله ما كان في نفسى إلا ذلك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . فجاء أبو بكر على فرس من منزله بالسنح حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتميم رسول الله وهو مغشى بثوب حبره ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ، والذي نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا . ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، وفي رواية قال : أيها الخالف على رسلك . فأقبل إليه الناس وتركوا عمر . فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : أما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله

فإن الله حي لا يموت . وقال عز وجل ﴿ إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيتُونَ ﴾ وقال ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ الآية . قال فتشجج أناس يبكون . قال ابن عباس : والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها . قال ابن المسيب قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففقرت حتى ما تقلى رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعلمت أن رسول الله قد مات . وعن ابن عباس قال : أنزل على النبي وهو ابن أربعين سنة ، فقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة رواه البخاري

ولما عرفوا أنه مات دهش الناس وطاشت عقولهم ، فمنهم من خبل ومنهم من أصمت ، ولم يكن أثبت وأحزم من أبي بكر والعباس

ذكر أمر سقيفة بني ساعدة

وفي البخاري في حديث عائشة قالت : اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فذهب اليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، فتكلم أبو بكر أبلغ الناس فقال في كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء . [إن قريشا هم أوسط العرب دارا وأعزهم أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر : بل أبايعك ، فأنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله . فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل منهم : قتلت سعد بن عباد . فقال عمر : بل قتله الله . قال القاسم في حديثه : فما كان من خطبتها من خطبة إلا نفع الله

بها ، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا ، فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم ، فخرجوا يتلون ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية

وقال ابن اسحق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عباد فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر وانحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل . فأتى آت إلى أبى بكر وعمر فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عباد فى سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا اليه ، فإن كان لكم بأمر الناس من حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم . ورسول الله فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه . فانطلقا يؤمانهم ، فلقىها رجال صالخان : عويم بن ساعدة ومعن بن عدى فذكرا لهما ما تمألا عليه القوم وقالوا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قالوا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالوا : فلا عليكم أن لا تقر بهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمرهم . قال عمر : والله لنأتينهم . فانطلقا حتى أتياهم فى سقيفة بنى ساعدة فاذا بين ظهرا نيهما رجل مزمل ، فقال عمر : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد . قال : ماله ؟ قالوا : وجع . قال فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم فاذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر . قال عمر : فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت مقالة قد أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الجد ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم . وهو كان أعلم منى وأبلغ ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديته أو مثلها أو أفضل حتى سكنت . قال : أما ما ذكرت فىكم من خير فأنتم له أهل ، وإن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا .

وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيها شتم ، وأخذ بيدي ويد أبي عبدة وهر جالس بيننا ، ولم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي - ولا يقربني ذلك إلى إثم - أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . قال فقال قائل من الأنصار - الحباب بن المنذر - أنا جُذِلها المحكك وعُدِّقها المرجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال عمر : فكثرت اللغط ، وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قلت : قتل الله سعد ابن عبادة

وعن عبد الله بن مسعود قال : كان رجوع الأنصار - يوم سقيفة بني ساعدة - بكلام قاله عمر قال : أنشدك الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فأياكم تطيب أنفسه أن يزيله عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله ؟ قالوا : كلنا لا تطيب أنفسنا ، نستغفر الله . فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعده على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى ، وشغلوا عن دفن جِهاز رسول الله ، حتى كان آخر الليل - ليلة الثلاثاء - مع الصبح

قال ابن اسحق حدثني الزهري قال حدثني أنس بن مالك قال . لما يبيع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال : يا أيها الناس ، إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت بما وجدته في كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهدا إلى رسول الله ، وكنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني

وإن أسأت فقوّموني . الصديق أمانة والكاذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرحم عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . انتهى

وتخلف عن بيعته على بن أبي طالب وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد ابن العاص وسعد بن عباد الأنصارى ، ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عباد فانه لم يبايع أحدا إلى أن مات ، وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر . وذكر موسى بن عقبة أن رجلا من المهاجرين غضبوا في بيعة أبي بكر منهم على والزبير ، فدخل بيت فاطمة معها السلاح ، فجاءها عمر في عصاة من المهاجرين والأنصار ، فيهم أسيد بن حضير وسامة بن وقش وثابت بن قيس فكلموها ، حتى أخذ أحد القوم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ، ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر اليهم فقال : والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما قط ولا ليلة ، ولا سألتها الله قط سرا ولا علانية ، ولكنى أشفقت من الفتنة ، ومالى في الإمارة من راحة ، ولقد قلت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم . فقبل المهاجرون منه ، وقال على والزبير : ما غضبنا إلا أن أخرنا عن المشورة ، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ، إنه لصاحب الفار وثانى اثنين ، وإنا لنعرف له شرفه ومنه ، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهو حى . وذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقيلهم من بيعته ويستقيلهم مما تحمله من أمرهم ، كل ذلك يقولون له : والله لا تقيلك ولا نستقيلك . وروى عن الحسن البصرى عن على قال : قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه فضلى بالناس ، وإنى شاهد غير غائب ، وإنى لصحيح غير مريض ، ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى . فرضينا لدنيانا من رضى الله ورسوله لدينا

وفي الصحيحين عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة . وإنما يأكل آل محمد في هذا المال » وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله عن حلها التي كانت عليها في عهد رسول الله ، ولأعلن فيها بما عمل به رسول الله . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا . فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرتة فلم تسكمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر ، فصلى عليها علي . وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، كراهية محضر عمر بن الخطاب ، فقال عمر لأبي بكر : والله لا تدخل عليهم وحدك ، فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بي ؟ إني والله لآتينهم . فدخل عليهم أبو بكر فتنشده على ابن أبي طالب ثم قال : إنا يا أبا بكر قد عرفنا فضيلتك وما أعطاك الله ، ولم نفس خيرا ساقه الله اليك ، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله . فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عيننا أبي بكر . فلما تكلم أبو بكر قال : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي . وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله يصنعه فيها إلا صنعته . فقال علي لأبي بكر : موعذك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى على المنبر وتشهد وذكر شأن علي وتحلفه عن البيعة وعذره الذي اعتذر اليه ثم استغفر . وتشهد على بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر ، وأنه لم يحمله على الذي صنع نقاسة على أبي بكر ، ولا إنكار للذي فضله الله به ، ولكننا كنا نرى لنا في الأمر نصيبا فاستبد علينا به ، فوجدنا في أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت . وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف

ذكر غسله ﷺ وتكفينه ودفنه

ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وجمعهم الله عليه وصرف عنهم كيد الشيطان أقبلوا على تجهيز نبيهم ، قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله وأسامة بن زيد هم الذين ولوا غسله وأن أوس بن خولى - وكان بدريا - دخل معهم وحضر غسل رسول الله وأسنده إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يلقونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يفسله قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلске به من ورائه لا يقضى بيده إلى رسول الله ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حيا وميتا . ولم ير من رسول الله ما يرى من الميت . حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله من ثيابه ؟ قالت فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مبكم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، قالت فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يعصبون الماء فوق القميص ويدلكون والقميص دون أيديهم ، فلما فرغ من غسله كفن في ثلاثة أثواب : صحارين وبرد حبرة أدرج فيه إدراجا

وحدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة وللآخر اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خره لرسول الله ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ، فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال

قائل : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض ، فرفع فراش رسول الله الذى توفى عليه فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ أرسالا حتى إذا فرغوا أدخل النساء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله أحد . قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الأربعاء ، وكان الذين نزلوا فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه وأوس بن خزلى ، وجعل تحته - ﷺ قطيفة كان يلبسها ويفترشها . وقال على : آخر الناس عهدا به قثم بن عباس

ذكر الردة

قال ابن اسحق : ولما توفى رسول الله عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة فيما بلغنى تقول : لما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، واشترأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر

قال ابن هشام حدثنى أبو عبيدة وغيره أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله هموا بالرجوع عن الإسلام ، حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى ، ققام سهيل بن عمرو خمد الله وأتى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه . فتراجع الناس ، وكفوا . وكان هذا هو المقام الذى أراد رسول الله حيث قال لعمر وقد قال له : انزع ثنىتى سهيل يلدغ بلسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله ﷺ « عسى يقوم مقاما يسرك »

وفى معالم التنزيل : لما قبض رسول الله ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس . انتهى . ومن تمسك بالإسلام ما بين المسجدين أسلم وغفار وجهينة ومزينة وكعب وثقيف ، قام فيهم عثمان بن أبى العاص ، وأقامت طيى كلها على

الإسلام ، قام فيهم عدى بن حاتم ، وهذيل وأهل السراة وبجيلة وخثعم ومن قارب تهامة من هوازن ونضر وجشم وسعد بن بكر وعبد القيس قام فيهم الجارود وعبس وبعض أشجع ودوس وتحيب وهدان . وارتد عامة بني تميم وأسد وغطفان وطوائف من سليم وأهل اليمامة كلهم وبكر بن وائل وأهل البحرين وأهل دبا وأزد عمان والنمر ابن قاسط وكلب ومن قاربهم من قضاعة وفزارة وبني عامر بن صعصعة ، وقيل تربصوا ينتظرون لمن تكون الدائرة

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على الله ؟ فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه . فقال عمر : فإنا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق . قال عمر : والله لرجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعا في قتال أهل الردة . وروى رزين عن عمر قال قلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم ، فقال لي : أجبار في الجاهلية وخوَّار في الإسلام ؟ قد انقطع الوحي وتم الدين ، أيفقض وأنا حي ؟ وفي كتاب الواقدي من قول عمر لأبي بكر : وإنا شحت العرب على أموالها ، وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئا ، فلو تركت للناس صدقة هذه السنة . وذكر يعقوب بن محمد الزهري عن جماعة من شيوخه قال : كان أبو بكر أمير الشاكرين الذين ثبتوا على دينهم ، وأمير الصابرين الذين صبروا على جهاد عدوهم وهم أهل الردة ، ويرأى أبي بكر أجمعوا على قتالهم ، وذلك أن العرب افتقرت في ردتها فقالت فرقة : لو كان نبيا مات ، وقال بعضهم : انقضت النبوة بموته فلا نطيع أحدا بعده ، وفي ذلك يقول قائلهم وهو الخطيئة :

أطعنا رسول الله ما عاش بيننا فإلعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكرًا إذا مات بعده فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

وقال بعضهم تؤمن بالله ونشهد أن محمدًا رسول الله ونصلي ، ولكن لا نطيعهم في أموالنا . قلت : وفي هؤلاء وقعت الشبهة والمراجعة بين أبي بكر وعمر وغيره حتى ناظرهم أبو بكر فرجعوا إلى قوله ، وتبين لهم صوابه في قتالهم انتهى . وجادل أبا بكر أصحابه في جهادهم ، وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ، فقالوا : احبس جيش أسامة يكون عمارة وأمانًا بالمدينة ، وارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فإن هذا الأمر شديد غوره ، فلو أن طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك من ارتد ، وقد اتفقت العرب على الارتداد ، فهم بين مرتد ومانع صدقة مثل مرتد ، وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوك ، قدم رجلا وآخر رجلا . فقال أبو بكر : والذي نفسى بيده لو علمت أن السباع تأكلنى بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذى أمر رسول الله بإيقاضه ، ولا أحل لواء عقده رسول الله بيده . ثم قال لأسامة إن رأيت أن تخلف معى عمر فافعل . وأمره بالانتهاء إلى ما أمر به رسول الله ﷺ ، وشيعه ماشيا وأسامة راكب لأنه أقسم عليه ألا ينزل . ومضى أسامة فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فهزمهم ورجعوا سالمين

وجد بأبى بكر الجد فى قتال أهل الردة ، وأراد الله رشده فيهم ، وعزم على الخروج بنفسه إليهم ، وأمر الناس بالجهاز ، وخرج هو فى مائة من المهاجرين والأنصار وخالد بن الوليد يحمل اللواء حتى نزل بقعا يريد أن يتلاحق الناس ويكون أسرع لخروجهم ، ووكل بالناس محمد بن مسامة يستحثهم ، وأشار عليه عمر وغيره بالرجوع وقالوا : ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردءا أفإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلموا الباطل الحق ، وأبو بكر مظهر المسير بنفسه ، وسألهم بمن نبدا من أهل الردة ؟ فاختلفوا عليه ، قال أبو بكر : نعمد لهذا الكذاب على الله وعلى رسوله طليحة . ولما ألحوا على أبى بكر بالرجوع وعزم هو عليه استعمل عليهم خالد بن الوليد وقال : يا خالد ،

عليك بتقوى الله وإيثاره على من سواه والجهاد في سبيله ، فقد وليتك على من ترى من أهل بدر من المهاجرين والأنصار . ورجع أبو بكر ومن معه ، وسار خالد حتى نزل على طيء في جبلهم سامى وأجأ ، وانضم إليه عدى بن حاتم ومن كان من المسلمين في تلك القبائل

وسار إلى طليحة وهو على ماء من مياء أسد فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انهزم طليحة وانهزم الناس ، ثم لحق بالشام ، ثم جاء طليحة بعد ذلك فأسلم وحسن إسلامه وقتل بنهاوند شهيدا ، فدخلت القبائل في الإسلام : بنو حنظلة وأسد وفزارة وغطفان وبنو عامر وبنو سليم وغيرهم وبايعوه على الإسلام ، وأخذ كل ما ظهر من سلاحهم ، واستحلهم على ما غيبيوا منه ، فإن حلفوا تركهم ، وإن أبوا شدهم أسرى حتى أتوا بما عندهم ، فأخذ سلاحا كثيرا فأعطاه أقواما يحتاجون إليه في قتال عدوهم ، وكتبه عليهم ، ثم رده بعد فقدم به على أبي بكر

وعن ابن عمر قال : شهدت بزاخة مع خالد ، فأظفرنا الله على طليحة ، وكنا كلما أبحرنا على قوم سبيننا الذراري واقتسمنا الأموال . وعن يزيد بن شريك الفزاري قال : قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر وافدا حين فرغ خالد من بزاخة ، وجعلت أسد وغطفان تسلل فاجتمعوا عند أبي بكر ، ففهم من بايع خالد ومنهم من لم يبايعه وجاءوا إلى أبي بكر ، فقال : اختاروا بين خصلتين : حرب مجلية أو سلم مخزية . قال خارجة ابن حصن : الحرب المجلية قد عرفتها فما السلم المخزية ؟ قال : تقولون أن قتالنا في الجنة وقتلاكم في النار ، وأن تردوا علينا ما أخذتم منا ولا نرد ما أخذنا منكم شيئا ، وأن تدوا قتالنا دية كل قتيل مائة بعير أربعون في بطونها أولادها ولا ندى قتلاكم ، ونأخذ منكم الحلقة والكراع وتلحقون بأذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم ، أو يرى منكم إقبالا إلى ما خرجتم منه . فقال خارجة : نعم يا خليفة رسول الله . قال أبو بكر : عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار ، وتعلموه أولادكم ونساءكم ، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم ، قالوا : نعم .

قال عمر : يا خليفة رسول الله كل ما قلت كما قلت إلا أن يدوا من قتل منا فانهم قوم
قتلوا في سبيل الله ، فتتابع الناس على قول عمر . وقبض أبو بكر كل ما قدر عليه من
الحلقة والسكراع . فلما توفي أبو بكر رأى عمر أن الإسلام قد ضرب بجرانه فدفعه إلى
أهله أو إلى عصبة من مات منهم . وأصله في صحيح البخارى من حديث طارق بن شهاب
بمنجوه مختصر

ثم توجه خالد إلى اليمامة لحرب مسيلمة الكذاب ، وكان خالد في بضعة عشر ألفا
ومع مسيلمة أربعون ألفا ، فقتل الله مسيلمة وقتل من أصحابه عشرة آلاف ، وكانت
المزيمة أولا على المسلمين حتى دخل أصحاب مسيلمة فسطاط خالد فرعبلوا الفسطاط
بالسيف ، ثم حمل عليهم المسلمون وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل الله محكم بن الطفيل
وفتح الله على المسلمين ، واشترك في قتل مسيلمة وحشى بن حرب قاتل حمزة ورجل من
الأنصار ، وكان وحشى يقول : ربك أعلم أينما قتله . وقتل من خيار المسلمين نحو ألف
رجل ، منهم زيد بن الخطاب وثابت بن قيس وأبو دجانة وعباد بن بشر وسالم مولى
أبي حذيفة . ثم صالح مجاعة خالدا على من في الحصون من قومه ، بعد أن خدع خالدا
وبعث إلى قومه وأمرهم أن يلبسوا النساء السلاح وأن يشرفوهن والذرارى على رؤوس
الحصون ، وقال له : انظروا إلى المقاتلة والسلاح ، وكان المسلمون يرون أنه لم يبق من
مقاتلتهم أحد ، فلما رأوا ذلك ظنوا صدق ما قال ، فصالحه خالد على الصفراء والبيضاء
والحلقة والسكراع ونصف السبي ، وكان أبو بكر يتروح الخبر عن اليمامة ، وكان رأى
في النوم كأنه أتى بتمر من هجر فأكل منه ثمرة واحدة وجدها نواة على خالقة التمرة ،
فلاكمها ساعة ثم رمى بها ، فتأولها فقال : ليلتين خالد من أهل اليمامة شدة ، وليفتحن
الله على يديه . فأرسل خالد أبا خيشمة بشيرا إلى أبي بكر ، فلما رآه قال : ما وراءك
يا أبا خيشمة ؟ قال : خير يا خليفة رسول الله ، قد فتح الله علينا اليمامة . فسجد أبو بكر
وقال زيد بن طلحة : قتل يوم اليمامة من قریش سبعون ، ومن الأنصار سبعون ،
ومن سائر الناس خمسمائة . وفي البخارى عن قتادة قال : ما نعلم حيا من أحياء العرب

أكثر شهيدا وأعز يوم القيامة من الأنصار . قال قتادة : حدثنا أنس أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بدر معوفة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . وزاد غيره وفي جسر أبي عبيد سبعون

ذكر مسير خالد إلى العراق

ولما فرغ خالد من قتال أهل اليمامة وأهل الردة انصرف راجعا إلى المدينة . وقيل لما دخلت السنة الثانية من خلافة أبي بكر كتب إلى خالد : إذا فرغت من اليمامة فسر إلى العراق ، فقد وليتك حرب فارس والحيرة ، فسار خالد إلى العراق في بضعة وثلاثين ألفا ، فصالح أهل السواد ، ثم أقبل حتى نزل الحيرة وكان عليها قبيصة بن إياس الطائي . أميرا لكسرى ، فصالح خالدا أيضا على تسعين ألف درهم كل سنة . فكانت أول جزية وقعت بالعراق . ثم سار خالد إلى الأبلّة وخرج له هرمز في مائة وعشرين ألفا فالتقى مع خالد واقتربوا في السلاسل ، فقيل لهم قيدتم أنفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فان هذا طائر سوء . فأجابوهم : أما أنتم فتجدثوننا أنكم تريدون الحرب ، ثم زحف اليهم فاقتتلوا فانهزم أهل قارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل ، فقتل الله من المشركين سبعين ألفا ، وقتل خالد هرمز ، ونفله أبو بكر قانسوته وكانت تساوي مائة ألف ، وسميت هذه الوقعة ذات السلاسل ، وكتب خالد إلى كسرى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى الملك كسرى والملوك . أما بعد فالحمد لله الذي فرق كلمتكم وكسر شوكتكم ، فأسلموا تسلموا ، وإلا فآدوا الجزية ، وإلا فقد جئتمكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

فلما قرأوا كتابه أخذوا يتعجبون ، فصالحوا على مائة ألف وتسعين ألفا في كل

سنة

ثم قصد خالد الروم ، وكان أبو بكر كتب إليه بذلك انتهى . وارتدت ربيعة بالبحرين كما تقدم إلا الجارود بن عمرو فانه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه عبد

القيس ، وعلى البحرين يومئذ العلاء بن الحضرمي ، وكان بعثه عليه رسول الله ﷺ ، فحاصروهم المشركون بجوatha حصن بالبحرين ، وأصاب المسلمين جهد شديد من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا ، فخرج عبد الله بن حذافة ليلة من الليالي ليتجسس أخبارهم فوجدهم سكارى ، ف أخبر المسلمين بذلك ، فبيتهم العلاء ومن معه من المسلمين فقتل من قتل منهم وأصبح ما أذاء الله على المسلمين من خيولهم عند العلاء في جواثا . ثم سار العلاء إلى المدينة فقاتلهم قتالا شديداً ، وهزمهم الله حتى لحقوا إلى باب المدينة فتحصنوا بها ، فضيق عليهم ، فطلبوا الصلح والأمان ، فصالحوهم على ثلث ما بالمدينة بأيديهم من أموالهم ، وما كان من شيء خارج عنها فهو له ، فبعث العلاء بمال كثير إلى المدينة . فلما ظهر العلاء على أهل الردة من أهل البحرين بعث أربعة عشر رجلا من رؤساء عبد القيس وفدا إلى أبي بكر فزولوا على طلحة والزبير ، فدخلوا على أبي بكر وأخبروه بمسارعتهم إلى الإسلام وقيامهم في أهل الردة ، ثم دخل القوم على أبي بكر وعنده طلحة والزبير فسألوه أن يعطيهم أرضا من البحرين وطواحين فأسعف أبو بكر وقال : إنني فعلت وأعطيتهم كل ما سألوني وعرفت لهم قدر إسلامهم ، وكتب لهم بذلك كتابا . فلما خرجوا من عنده أقرؤوا عمر الكتاب ، فلما قرأه تفل فيه ، فرجعوا إلى أبي بكر فأخبروه . ودخل طلحة والزبير فقالا : والله لا ندرى أنت الخليفة أم عمر ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبروه ، فقال أبو بكر : لئن كان عمر كره من ذلك شيئا فإنني لا أفعله ، فينبأهم على ذلك إذ أقبل عمر ، فقال له أبو بكر : ما كرهت من هذا الكتاب ؟ فقال : كرهت أن تعطى خاصة دون عامة ، ولكن اجعل أمر الناس عندك واحدا لا يكون عندك خاصة دون عامة فتأبى أن تفضل أهل السابقة وأهل بدر وتعطى هؤلاء قيمة عشرين ألفا دون الناس ، فقال أبو بكر : وفقك الله وجزاك خيرا . فهذا هو الحق

وفي أيام أبي بكر رضى الله عنه تنبأت سجاح بنت الحارث بن سويد التيمية واتبعتها بنو تميم وأخواها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة ، وقصدت مسيلة فأرسل

إليها : هل لك أن أتزوجك فيقال نبي تزوج نبيه ؟ قالت : نعم . فأقامت عنده ثلاثاً ، ثم انصرفت إلى قومها ، ثم أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها

ذكر خبر الأسود العنسي و قتله

وفي مدة مرض رسول الله ﷺ قتل الأسود العنسي ، واسمه عبهلة ، وكان يشعبد ويرى الجبال الأعاجيب ، ادعى النبوة ، وكاتبه أهل نجران ، وسار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها ، وصفاه الملك باليمن ، واجتمع جماعة من المسلمين في قتله واجتمعوا بامرأته وكان الأسود قد قتل أباهما فقالت : والله إنه أبغض الناس إليّ ، ولكن الحرس محيطون بقصره ، فانقبوا عليه البيت ، فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه ، فدخل عليه فيروز الديلمي فقتله واحتز رأسه ، فحارخوار الثور . فابتدر الحرس الباب ، فقالت زوجته : هذا النبي يوحى إليه . فلما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأن عبهلة كذاب . وكتب أصحاب النبي ﷺ إليه بذلك ، فورد الخبر من السماء إلى النبي وأعلم أصحابه بقتل الأسود ، ووصل الكتاب بقتله في خلافة أبي بكر فكان كما أخبر . وفي الصحيح قال عبيد الله بن عبد الله : سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله فقال ابن عباس : ذكر لي أن النبي ﷺ قال : بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففطعتهما وكرهتهما ، فأذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان . قال عبيد الله : أحدهما العنسي الذي قتله فيروز ، والآخر مسيلة الكذاب

وفي هذه السنة - وهي الأولى من خلافة أبي بكر - ماتت فاطمة رضي الله عنها ،

وهي بنت تسع وعشرين سنة

وفيها أمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن لما رأى كثرة من قتل من القراء يوم اليمامة . كما في البخاري عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر جالس عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر جاءني فقال إن القتل استحر

يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استعجر بالقراء في المواطن فيذهب كثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال زيد فقال لى أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نهملك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجعه . قال زيد قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعنى - حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعصب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمه أو أبى خزيمه الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر . زاد ابن شهاب عن أنس أن حذيفة قدم على عثمان - أى فى خلافته - وكان يغازى أهل الشام مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القرآن فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف فنسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها إليه ، فأمر بنسخها وأرسل إلى كل أفق بمصحف ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . انتهى

ولما دخل شهر ذى الحجة أُمّر أبو بكر وعمر على الحج ، فخرج بالناس سنة إحدى عشرة فحج بالناس ، واشترى فى حجته تلك مولاه أسلم

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة فبعث أبو بكر الجنود إلى الشام ، بعث عمرو بن العاص إلى فلسطين ، وبعث يزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرجيل بن حسنة رضى الله عنهم إلى الشام ، وأمرهم أن يأخذوا طريق الشام من أعلى الشام . وخرج أبو بكر مع يزيد يوصيه ، ويزيد راكب وأبو بكر يمشى ، فقال له يزيد : إما أن تركب وإما أن أنزل . فقال : ما أنا براكب ولا أنت بنازل ، إني أحسب خطاى هذه فى سبيل الله . ثم مضوا ونزلت الروم بثنية جلق بأعلى فلسطين فى سبعين ألفا عليهم تذارق

أخو هرقل ، فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يخبره ويستمدده ، فكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالخيرة يأمره أن يد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلا منهم ، وقال له : إذا التقيتم فانت أمير الجماعة . فسار خالد بأهل القوة ، ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة ، واستخلف على من أسلم بالعراق من العرب وغيرهم المنفى بن حارثة الشيباني

ثم سار خالد حتى أغار على غسان بمرج راضط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد ، فصالح أهل بصرى حين رأوا كثرة العسكر على الجزيرة ، وفتنهم الله للمسلمين ، وكانت أول مدينة فتحت من مدائن الشام

ثم ساروا جميعا مدداً لعمرو بن العاص إلى فلسطين ، فسمع الروم باجتماع المسلمين ، فانكشفوا إلى أجنادين ، فسار المسلمون اليهم فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزم الله المشركين ، وقتل المسلمون منهم في المعركة ثلاثة آلاف ، واتبعوهم يأسرون ويقتلون ، فخرج فل الروم إلى إيلياء وقيسارية ودمشق ، وكانت وقعة أجنادين هذه أول وقعة عظيمة كانت بالشام وكانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة

ثم ساروا إلى دمشق فحاصروها ، فبينما هم كذلك أتاهم آت فأخبرهم أن هذا جيش قد جاء من قبل ملك الروم ، فهض خالد بالناس على تعبئة حتى لقوهم ، فهزمهم الله ، ورجع الناس قد ظفروا ، ويقال لهذه الوقعة « يوم مرج الصفر » ، ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها وضيقوا عليهم ، فكان المسلمون يغيرون ، فكلما أصاب رجل منهم شيئا جاء به يلقيه في القبض ، لا يستحل أن يأخذ منه قليلا ولا كثيرا ، فسأل صاحب دمشق بعض عيونه عن أعمالهم وسيرتهم فوصفهم له بهذه الصفة في الأمانة ، ووصفهم بالصلاة بالليل وطول القيام ، فقال : هؤلاء رهبان بالليل أسود بالنهار ، لا والله مالى هؤلاء طاقة ، ومالى فى قتالهم خير ، فراود المسلمين على الصلح

وفى هذه السنة مات الصديق رضى الله عنه مسى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة

مضت من جمادى الآخرة بين المغرب والعشاء . وفي سبب موته قولان : أحدهما أن اليهود سمته ، والثاني أنه اغتسل في يوم بارد غث . فأمر عمر أن يصلى بالناس . وقيل له في مرضه : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال : قد رأيته . فقالوا : فما قال لك ؟ قال قال : إني فعال لما أريد

ولما أيس من الحياة دعا عثمان وأملى عليه كتاب العهد لعمر فقال :

اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها ، وحين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ، إني استخلفت

ولما انتهى إلى هذا الموضع غشى عليه ، فكتب عثمان «عمر بن الخطاب» ، فأمسك حتى أفاق أبو بكر قال : أكتب شيئا ؟ قال : كتبت عمر بن الخطاب ، فقال : جزاك الله عن الإسلام وأهله خيرا . ثم رفع أبو بكر يديه وقال : اللهم وليتهم خيرهم ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم ، وقد حضرني من أمرك ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأي ، ووليت عليهم خيرهم لهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد مخاطبة عمر وأنا خارج من الدنيا إلى الآخرة ، فاخفني فيهم ، فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم واليهم عمر ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبع هدى نبيه نبي الرحمة وهدى الصالحين بعده ، وأصلح له أمر رعيته

وكتب بهذا العهد إلى أمراء الأجناد : إني قد وليت عليكم خيرا ولم آل نفسي ولا المسامين خيرا . ثم دعا عمر رضى الله عنها فقال : إني مستخلفك على أمتاب رسول الله يامر إن لله حقا في الليل لا يقبله في النهار ، وحقا في النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق غدا أن يكون ثميلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحق

ليزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفا . إنما نزلت آية الرجاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرجاء ليسكون المؤمن راغبا راها ، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب فيها رهبة تلقى فيها ما بيدك ، إنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم ما كان من حسن ، فاذا ذكرتهم قلت إني لأخشى أن أكون من هؤلاء ، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيئ ، فاذا ذكرتهم قلت : أى من أعمالهم أعمل ؟ فان حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو نازل بك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أكره إليك من الموت ولست تمجزه

وبلغ أبا قحافة وهو بمكة موت ابنه ، سمع المائة فقال : ما هذا ؟ فقيل : مات ابنك . فقال : رزء جل . قال : فالى من عهد ؟ قالوا : إلى عمر . قال : صاحبه

ومات بمكة عتاب بن أسيد يوم مات الصديق ، وكانا قد سما جميعا

وكان عمر أبى بكر ثلاثا وستين سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام . وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس

ولما توفى ارتجت المدينة بالبكاء ، وصلى عليه فى مسجد رسول الله . ونزل فى قبره عمر وعثمان وطليحة وابنه عبد الرحمن . وكان له من الولد ستة ، ثلاثة بنين : عبد الله وهو أكبرهم وعبد الرحمن وهو شقيق عائشة ومحمد ، وثلاث بنات : عائشة وأسماء وهى أكبرهن وأم كلثوم . ماتت وهى فى بطن أمها

وعن عائشة قالت : لما مرض أبو بكر قال انظروا ما زاد فى مالى منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى . فلما مات : نظرنا فإذا عبد نوبى كان يحمل صبياته ، وإذا ناضح كان يسقى بستانا له ، فبعثنا بهما إلى عمر . فبكى عمر وقال : رحمة الله على أبى بكر ، لقد أتعب من بعده تعبنا شديدا . وعنها قالت : ما ترك أبو بكر دينارا ولا درهما ضرب الله سمكته

ذكر خلافة عمر بن الخطاب

بويح له بالخلافة يوم مات أبو بكر ، وكان أول كلام تسكّم به حين صعد المنبر أن قال : اللهم إني شديد قلبي ، وإني ضعيف فقوني ، وإني بخيل فسخني . أيها الناس ، القوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق ، والضعيف عندي قوي حتى آخذ له الحق

وهو أول خليفة دعى بأمر المؤمنين ، وأول من وضع القارنخ بعام الهجرة : وضعه في السنة السابعة عشرة ، وهو أول من جمع الناس على إمام واحد في قيام رمضان ، وأول من حمل الدرة لتأديب الناس ، وكان نقش خاتمه « كفى بالموت واعظا يا عمر » وحج بالناس عشر حجج متواليات ، وحج بزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها

وكان في أيامه فتوح الأمصار ، منها دمشق فتحت صلحا على يد أبي عبيدة وخالد وكان عمر قد عزل خالدا واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس . وكان قد قدم على أبي عبيدة كتاب عمر بعزل خالد وتوليته ، فاستنجا أبو عبيدة أن يقرئه الكتاب ، فلما فتحت أظهر أبو عبيدة ذلك

ثم فتح الله الروم وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان ، وسار عمر بنفسه ففتح بيت المقدس صلحا ، وفتحت أيضا بعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجولاء والرقّة وحّرّان والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرشّيا ، وفتحت القادسية والمدائن على يدى سعد بن أبي وقاص ، وزال ملك الفرس وانهزم يزجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك . وفتحت أيضا كورة الأبله على يد عتبة بن غزوان ، وفتحت كور الأهواز والجابية على يد أبي موسى ، وفتحت نهاوند واصطخر وأصبهان وبلاد فارس وتستر وسوس وهذان والنوبة والبربر ، وفتحت أذربيجان وبعض أعمال خراسان ، وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين . وفتح عمرو أيضا الإسكندرية وطرابلس الغرب وما يليها من الساحل . وفي حياة الخيوان : وعدوا بما فتح رأس العين والخابور وبيسان واليرموك والرى وما بينهما

وفي أيام عمر مصرت البصرة سنة سبع عشرة ، والكوفة ونزلها سعد بن أبي وقاص
وفي سنة ثمان عشرة كان عام الرمادة ، واستسقى عمر بالعباس فسقى ، وفيها كان
طاعون عمواس مات فيه خمسون ألفاً منهم أبو عبيدة ومعاذ وغيرهم من الصحابة

أبو عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام لقيه الجنود وعليه عمامة وقد خلع
خفيه وهو يخوض الماء أخذوا بزمام راحلته ، وخفاه تحت إبطه . فقالوا له : يا أمير
المؤمنين الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام وأنت هكذا ؟ فقال : إنا قوم أعزنا الله
بالإسلام ، فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله

وعن معاوية أنه قال : أما أبو بكر فانه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته
ولم يردّها ، وأما عثمان فأصاب منها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن

قيل : كان في خدي عمر خطان أسودان من البكاء

وكثر المال في دولته إلى الغاية حتى عمل بيت المال ، ووضع الديوان ، وفضل
أهل السابقة على غيرهم ، ورتب لرعيته ما يكفيهم ، وفرض للأجناد

ولما استخلفه أبو بكر كره بعضهم إمارته ، وقال له طلحة : تولى علينا فظاً غليظاً ،
ما تقول ربك إذا لقيته ؟ فقال أبو بكر : ساندوني . فأجلسوه ، فقال : أبا الله تخوفوني ؟
أقول : استخلفت عليهم خير أهلك . وحلفت بالله ما تركت أحداً أشد حبا له من
عمر وستعلمون إذا قارفتموها وتنافستموها

وقال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة : صاحب مصر حين قال ﴿ اكرمي مثواه ﴾
عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، وابنة شعيب حين قالت ﴿ يا أبت استأجره إن
خير من استأجرت القوى الأمين ﴾ ، وأبو بكر حين استخلف عمر

ذكر مقتل عمر

كان رضى الله عليه ملازماً للحج في سنى خلافته ، وكان من سيرته أن يأخذ عماله

بموافاته كل سنة في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية ويحجز عنهم الظلم ويتعرف أحوالهم عن قرب ، وليكون للرعية وقت معلوم ينهون اليه شكواهم

وقال سعيد بن المسيب : لما صدر عمر من منى أنانخ بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداءه واستلقى ، ثم مد يديه إلى السماء ثم قال : اللهم كبر سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط . ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فأنانخ ذو الحجة حتى قتل . روى أن عمر لما انصرف من حجته التي لم يحج بعدها أتى ضحجان ووقف فقال : الحمد لله ولا إله إلا الله ، يعطى من يشاء ما يشاء . لقد كنت بهذا الوادي أرفع إبلا للخطاب ، وكان فظا غليظا يتعمى إذا علمت ، ويضربني إذا قصرت . وقد أصبحت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه . ثم تمثل بهذه الأبيات :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تقن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والجن والإنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوما كما وردوا

وعن حفصة بنت عمر وأسلم مولاه عن عمر أنه قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتى في بلد رسولك . قالت حفصة قتلت : أنى يكون هذا ؟ قال : يأتيني به الله إذا شاء . رواه البخاري

وفي الصحيحين ولفظه أسلم عن معدان بن طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة فذكر نبي الله ، وذكر أبا بكر ، ثم قال : إني رأيت كأن ديكاً نقرني ثلاث نقرات ، وإني لا أراه إلا لحضور أجلى ، وإن أقواماً يأمروني أن أستخلف عليكم ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولا الذي بعث به رسوله ﷺ . فان عجل بي

أمر بالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض وإني قد علمت أن أقواما يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام ، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال ، ثم إني لا أدع بعد شيئا أهم عندي من السكالة^(١) ، وما راجعت رسول الله ﷺ ما راجعته في السكالة ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ فيها حتى طعن بإصبعه في صدري وقال : يا عمر ، ألا تكفيك آية الضيف التي في آخر النساء ، وإن أعش أقض فيها بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأه . ثم قال : اللهم إني أشهدك على أسراء الأمصار ، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعبدوا ، وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، ويتسموا فيهم ، ويرفعوا إلى ما أشكل عليهم من أمرهم . ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراها إلا خيبتين البصل والثوم ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع ، فمن أكلهما فليتمهما طبخا . فما كانت إلا الجمعة الأخرى حتى طعن عمر . انتهى . وروى أن عمر خرج يوما يطوف بالسوق ، فلقيه أبو أولؤة غلام المغيرة ابن شعبة ، وكان نصرانيا أو مجوسيا ، فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة أقتل على غلتي ، فكلمه يخفف عني . قال : فما صناعتك ؟ قال : نجار حداد نقاش . قال : ما أرى خراجك كثيرا . قال : بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحي تطحن بالريح لفعلت . قال : نعم . قال فاعمل لي رحي . فقال : لئن سلمت لأعملن لك رحي يتحدث بها من بالشرق والمغرب . ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدني العلاج أنفا . وفي حديث عمرو بن ميمون في البخاري : فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة ، وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استموا ، حتى إذا لم يرف فيهم خلا تقدم فكبر ، قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ونحو ذلك في الركعة الأولى ، حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبر فسمعه يقول : قتلى - أو أكلنى - السكب حين طعنه ،

(١) السكالة : أن يموت الميت وليس له وارث من والده أو ولد

فطار العليج بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً ، فمات منهم تسعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا ، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه ، فتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذى رأيت ، وأما نواحى المسجد فأنهم ما يدرون ما الأمر ، غير أنهم قددوا صوت عمر وهم يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلتى ، بئال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبه . فقال : الصنع ؟ قال : قاتله الله : لقد كنت أمرت به معروفاً . ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل مسلم ، قد كنت وأبوك تحبان أن تكسرا العلوج بالمدينة

ثم احتمل إلى بيته فانطلقنا معه ، قال فسكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب منه فخرج من جوفه ، فعرفوا أنه ميت . وجاء رجل شاب فقال : أبشري يا أمير المؤمنين يبشرى الله ، قد كان لك من صحة رسول الله وقدم فى الإسلام ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة . فقال : وددت أن ذلك كفافاً لا على ولا لى . فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال : يا ابن أخى ارفع ثوبك ، فإنه أبقي لثوبك وأتقى لربك . يا عبد الله انظر ما على من الدين ؟ شسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه فقال : إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف به أموالهم فسل فى قریش ، ولا تعدهم إلى غيرهم ، وأد عنى هذا المال . انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يقرأ عليك عمر السلام . ولا تقل أمير المؤمنين فأتى لست اليوم للمؤمنين بأمر ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه . قال : فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدتها قاهدة تبهكى فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام . ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه . فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأثرنه اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا عبد الله قد جاء . قال ارفعونى . فأسنده رجل اليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذى

تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت . قال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم من ذلك إلى . فإذا أنا قضيت فأحلونى ، ثم سلم وقل : يستأذن عمر ، فإن أذنت فأدخلونى ، وإن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين . فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين ، استخلف . قال : ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذى توفى رسول الله وهو عنهم راض . فسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف . وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك . وإلا فليستعن به أيكم ما أمر . فانى لم أعزله عن مجز ولا خيانة . وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين . أن يعرف لهم حرمتهم . وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم . وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردة الإسلام وجباة المال وغيظ العدو . وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم . وأوصيه بالأعراب خيرا . فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام . وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم . وأوصيه بذمة الله وذمة نبيه ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم . وأن يقاتل من ورائهم . ولا يكفوا إلا طاقهم

قال سعد بن أبى وقاص : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . انتهى . ودفن يوم الأحد صبيحة هلال الحرم . ونزل فى قبره عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص . وكان عمره يوم توفى ثلاثا وستين . وصلى عليه صهيب الرومى . فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال . وكان له من الولد ثلاثة عشر : تسعة بنين . وأربع بنات

خلافة عثمان بن عفان

قال أبو عمر : بويع لعثمان رضى الله عنه يوم السبت غرة الحرم سنة أربع وعشرين . بعد دفن عمر بثلاثة أيام باجماع الناس . وفى البخارى فى حديث المسور : إن الرهط

الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا ففعلوا ذلك إلى عبد الرحمن ، فلما صلى الناس الصبح اجتمع أولئك الرهط عند المنبر ، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان خارجا من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا قد وافوا تلك الحجة مع عمر ، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن وقال : أما بعد يا علي فإني نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل لي على نفسك سبيلا . فأخذ بيد عثمان وقال : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفةين من بعده . فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وهو أقرب العشرة إلى رسول الله ﷺ بعد عليّ نسا ، وفضائله كثيرة ، وافتتح في خلافته الإسكندرية ثم نيسابور ثم طبرستان وسجستان وكرمان ثم الأساورة في البحر ثم إفريقية ثم حصون قبرس ثم ساحل الأردن ثم مرو . وفي أيامه قتل يزدرج ملك فارس في مرو ، وغزا معاوية التسطنطينية وفتحت أرمينية ، وفي أيامه ركب معاوية نائب الشام البحر بالجيوش فافتتح قبرص . وسار نائبه على مصر عبد الله بن أبي سرح بالجيوش إلى إفريقية والتقى هو والعدو فنصر الله المسلمين . وكانت وقعة عظيمة هائلة بحيث طلع سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار من الغنيمة . وامتد ملك المسلمين حتى بلغ المحيط . وافتتح عبد الله بن عامر بن كريز عامله على البصرة من أرض فارس مدينة جور وغيرها . وافتتح المسلمون في أشهر معدودة نحو من عشرين مدينة . ثم خرج ابن كريز من نيسابور محرما بالحج من بقمته شكراً لله لما فتح الله عليه من هذه المدائن الكبار . واستناب على خراسان الأحنف ابن قيس . وسار حتى دخل مكة وطاف وسعى وحل . ثم أتى وافدا على أمير المؤمنين عثمان بالمدينة . وقدم ابن كريز إلى البصرة فاستقر بها . ونوابه على خراسان وسجستان والجهال . وكثر المال والخراج على عثمان . وأتاه الخراج من النواحي . واتخذ الخزائن العظيمة بالمدينة . وكان يقسم بين الناس فئامر للرجل بمائة ألف درهم . واتسعت الدنيا وكثرت الأموال حتى كانت الفرس تشتري بمائة ألف . وكان البستان يباع بالمدينة بأربع مائة ألف . وكانت المدينة عامرة كثيرة الأموال والخيرات والناس . ويحيى

إليها خراج الممالك ، وهى دار الأمان وقبة الإسلام ، فبطر الناس بكثرة الأموال والنعم ، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا ، فأخذوا ينقسمون على خليفتهم لكونه يعطى الملك أقاليمه ويوليهم الولايات الجليلة ، فتكلموا فيه وكان قد صار له أموال عظيمة وله ألف مملوك ، فأل الأمر إلى أن قالوا : هذا لا يصلح للخلافة ، وهما بعزله وجرت أمور طويلة نسأل الله العافية . وروى الإمام أحمد فى مسنده حدثنا معاوية بن عمر حدثنا زيد عن عاصم عن شقيق قال : لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال الوليد : أراك قد جفوف أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أنى لم أفر يوم عينين ^(١) ، قال عاصم يقول : يوم أحد ، ولم أتخلف يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر قال فانطلق الوليد فخبّر بذلك عثمان ، قال فقال : أما قوله إني لم أفر يوم عينين ، فكيف يعيرنى بذلك وقد عفا الله عنه فقال ﴿ إيا الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ﴾ وأما قوله إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ، وقد ضرب لى رسول الله ﷺ بسهم ، ومن ضرب له رسول الله بسهم فقد شهد . وأما قوله : إني لم أترك سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو ، فأتاه فحدثه بذلك . انتهى

ثم اجتمع المنحرفون عن عثمان وحاصروه فى داره بالمدينة ، وعلى الكوفيين الأشتر النخعي ، وعلى المصريين ابن عديس وعمرو بن الحق ، وعلى البصريين حُكيم بن جبلة ، فسير اليهم عثمان رضى الله عنه المغيرة بن شعبه وعمرو بن العاص ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فردوها أقبح رد ولم يسمعوا كلامها ، فبعث اليهم عليا فضمن لهم ما يعدهم به عثمان ، وكتبوا على عثمان كتابا يإزاحة علتهم والسير فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ، وأخذوا عليه عهدا بذلك ثم نقضوا العهد بعد ذلك . ذكر ابن الجوزى فى شرح الصحيحين أنهم هجموا على المدينة وكان عثمان يخرج فيصلى بالناس وهم يصلون خلفه

(١) عينان اسم الجبل الذى أقام عليه الرماة يوم أحد ، فسمى به يوم أحد

شهرًا ، ثم خرج من آخر جمعة خرج فيها خصبوه حتى وقع على المنبر ولم يقدر أن يصلي بهم ، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، ثم حصروه ومنعوه الصلاة في المسجد ، وكان يصلي بهم ابن عديس تارة وكنانة بن يشر أخرى وهما من الخوارج على عثمان . وفي مسند أحمد أن عثمان قال يوم الدار حين حصر : إن النبي ﷺ عهد إلىَّ عهدًا فإنا صابر عليه ، فكانوا يرونه ذلك اليوم . وروى عبد الله بن أحمد في زيادة المسند أن عثمان رضى الله عنه أعتق عشرين مملوكًا ، ودعا بسرًا ويل فشدّها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما وأنهم قالوا : اصبر فانك تظفر عندنا القابلة . ثم دعا بمصحف فنشر بين يديه فقتل وهو بين يديه . انتهى . ويذكر أن الدم نضح على هذه الآية ﴿ فسيكفّهم الله وهو السميع العليم ﴾ قال وإني في المصحف ما حكى . وفي حديث أبي سعيد عند أبي حاتم : فأخذت نائلة بنت الفرافصة حليها فوضعتها في حجرها - وذلك قبل أن يقتل - وتفاجت عليه ، فقال بعضهم : قاتلها الله ما أعظم عجزها . فلم أن أعداء الله لم يريدوا إلا الدنيا . انتهى . وأرسل على ابنه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته ، وأمرهم أن يمنعوا عنه ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمدًا ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباءهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصدوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالسهام ، واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة . وكان معه في الدار جماعة يريدون الدفع عنه ، منهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن وأبو هريرة ونحمد بن حاطب والمغيرة ابن الأخنس ، ويومئذ قتل المغيرة قبل عثمان . وفي الاستيعاب : روى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : إني لمحصور مع عثمان في الدار قال فرمى رجل منا ، فقلت : يا أمير المؤمنين الآن طاب الضرب . قتلوا منا رجلاً . فقال عثمان : عزمت عليك يا أبا هريرة لما رميت نفسك . فإنما يراد نفسي . وسأقى المؤمنين بنفسى . قال أبو هريرة : فرميت بسيفي فلا أدري أين هو الساعة

وحج بالناس تلك السنة عبد الله بن عباس - وعثمان محصور - بأمر عثمان ،
وخرت عائشة للحج هاربة

وعن ابن شهاب قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ؟ وما
كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ قال : قتل عثمان مظلوما ، ومن
قتله كان ظالما ، ومن خذله كان معذورا . قلت : وكيف كان ذلك ؟ فذكر السبب في
ذلك إلى أن قال : فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم
أحد من كان معه ، لأن من كان معه كان فوق البيت ، ولم يكن معه إلا امرأته ،
وقتنوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من
الجلعة فصعدت إلى الناس فقالت : إن أمير المؤمنين قتل ، فدخل عليه الحسن والحسين .
ومن كان معها فوجدوه مذبوحا ، فانسكبوا عليه ليكون ، ودخل الناس فوجدوا عثمان
مقتولا ، فبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم
حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا ، فاسترجعوا وقال علي لابنه كيف قتل أمير
المؤمنين وأنتم على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد
ابن طلحة ، وشتم عبد الله بن الزبير

وخرج هلى فأتى منزله وجاء الناس كلهم إلى علي ليبايعوه ، فقال لهم : ليس هذا
اليوم ، إنما هو إلى أهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو الخليفة . فلم يبق أحد من
أهل بدر إلا قال : ما نرى أحق بها منك . وقتل عثمان رضى الله عنه شهيدا في ذى
الحجة . قال الواقدي يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت من ذى الحجة يوم التروية سنة خمس
وثلاثين . قال ابن اسحق : قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا
واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر بن الخطاب . انتهى . وهى أول مصائب الإسلام
وخرومه ، لأن المسادين استضيئوا في قتله جهرة ، وبقتله فتح باب الفتنة إلى يوم
القيامة . قال حسان بن ثابت :

من سره الموت صرفا لا مزاج له فليأت مأسدة في دار عثمانا

ضحوا باسمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
صبرا فداء لكم أمى وما ولدت قد ينفع الصبر فى المكروه أحيانا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم : الله أكبر يا ثارات عثمان
وقال حسان أيضا ، وقيل هى لكعب ، وقيل هى للوليد بن عتبة :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن ذنب اسرى لم يقاتل
وكيف رأيت الله ألقى عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعهده عن الناس إدار السحاب بالحوامل

وعن سعيد بن زيد قال : لو أن رجلا انقض لما فعل عثمان كان حقيقا أن ينقض .
وقال ابن عباس : لو اجتمع الناس على قتل عثمان لموا بالحجارة كما رمى قوم لوط . قال
ابن اسحق : قتل وهو ابن ثمانين سنة . وقال قتادة : ابن ست وثمانين ، ودفن ليلا
بموضع يقال له حش كوكب ، وكوكب : رجل من الأنصار ، والحش البستان .
وتفرقت الكلمة بعد قتله ، وماج الناس واقتلوا للأخذ بثأره حتى قتل من المسلمين
تسمعون ألفا . وفضائله وسببه إلى الإسلام معروف . رضى الله عنه

ذكر خلافة على بن أبى طالب

روى أحمد فى المناقب عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع أبى حين قتل عثمان ،
فقام فدخل منزله ، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له : إن هذا الرجل قد قتل ،
ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر ولا أقدم سابقة ولا
أقرب من رسول الله منك . قال : لا تفعلوا ، فإنى وزيراً خير من أن أكون أميراً .
قالوا : لا والله ما نحن بقاعلين حتى نباعك . قال : ففى المسجد ، فان بيعتى لا تكون
خفية ، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين . فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ، ثم
بايع الناس . وقيل أول من بايعه طلحة وكانت يده شلاء فقيل : يد شلاء وأمر لا يتم .

وقال الزهرى : أرسل إلى طلحة والزبير فدعاهما إلى البيعة ، فتلكأ طلحة ، فقال الأشتر وسل سيفه : والله لتباعدن أو لأضرين به بين عينيك . فبايعه الزبير . وذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة . وقال محمد بن حبيب الهاشمي : لم يبايعه سعد وابن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسامة وسامة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد

وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان ، فحزن عليه المسلمون ، ولا سيما أهل دمشق ، وأتى البريد بشو به بالدم فصب على منبر دمشق ، ونعاه معاوية إلى أهلها فبكوا ، وتعاهدوا على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفا . وآلى رجال منهم لا يأتون النساء ولا يغتسلون من جنابة إلا من احتلام حتى يقتلوا قتلته ومن عرض دونهم . وتحلف عن بيعة على معاوية في أهل الشام وأظهروا له الخلاف ونسبوه إلى الإغاة على قتل عثمان والرضى بها ، وقد برأه الله من ذلك . واجتمع ناس إلى على فقالوا إن هؤلاء القوم قد اشتهروا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم ، فقال لهم : يا إخوتاه إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعا للقدرة على شئ مما تريدون ؟ قالوا : لا والله . وقال طلحة لعلى : دعنى آتى البصرة ولا يفجأك إلا وأنا فى خيل ، وقال الزبير : دعنى آتى الكوفة ولا يفجأك إلا وأنا فى خيل . فقال : حتى أنظر فى ذلك . ودخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له : إن لك حق الطاعة والنصيحة . أقرر معاوية على عمله وابن عاص والعامل على أعمالهم حتى إذا أنتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر . وخرج من عنده ثم أتاه من الغد فقال : إنى أشرت عليك أمس ، وإن الرأى أن تماجلهم فتعرف السامع من غيره . فتنهاه ابن عباس . وقد أتى من الحج . وهو خارج من عند على ، فدخل على على ، فلما انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خرج من عندك . قال : جاءنى أمس بكذا واليوم بكذا . فقال : أما أمس فقد نصحتك ، وأما اليوم فقد غشك . قال فما انراى ؟ قال

كان رأى قبل اليوم أن تخرج حين قتل الرجل أو قبله فتأتى مكة فتدخل دارك وتغلق بابك ، فكانت العرب محايلة ومضطربة فى أثرك لا تجد غيرك ، فأما اليوم فان بنى أمية يستحثون الطلب وأن يلزموك شقة من هذا الأمر . وفى رواية وإنى أخشى أن ينتقض عليك الشام ، مع أنى لا آمن طلحة ولا الزبير أن يخرجوا عليك . وإنى أشير عليك أن تقر معاوية ، فإن بايع لك فعلى أن أقتلعه من منزله متى شئت ، فقال على : والله لا أعطيه إلا السيف . ثم تمثل :

وما ميمته إن متهيا غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقات : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ، ولست صاحب رأى ، فقال : إذا عصيتك فأطعنى . قال ابن عباس : أيسر مالك عندى الطاعة

وكانت عائشة مقيمة بمكة تريد عمرة الحرم ، فلما قضت عمرتها وخرجت إلى المدينة سمعت بما جرى ، فانصرفت راجعة إلى مكة ، فأتاها عبد الله بن عامر وإلى مكة من قبل عثمان فقال : يا أم المؤمنين ما ردك ؟ قالت : ردى أن عثمان قتل مظلوما ، وإن هذا الأمر لا يستقيم ولهذا الغوغاء أسر ، وإنهم يادروا بالعدوان ، وسفكوا الدم الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، وإن هذا حدث عظيم وأمر منكسر ، فاطلبوا دم عثمان . فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر . وذلك أول ما تكلمت به بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم . ثم إن طلحة والزبير رضى الله عنهما ندما وعظم عليهما قتله ، فخرجا هارين إلى مكة من غير أمر على ، فاجتمعا بعائشة ومن معها من بنى أمية ، وجعوا جمعا عظيما ، وانتفق رأيهم على المضى إلى البصرة وقالوا : معاوية بالشام قد كفانا أمرها . وكان عبد الله بن عمر قد قدم مكة فدعوه إلى المسير معهم فامتنع ، وأرادت حفصة المسير معهم فردها أخوها عبد الله ، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأى على فى قتال أهل القبلة وقد بلغهم أن الحسن دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس . فدسوا زياد بن حنظلة التميمي فدخل فجلس إليه ساعة ثم قال : يا زياد تسير ؟ قال : لأى شئ ؟ قال : لغزو الشام . فقال زياد : الأناة والرفق أمثل ، وقال :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضربش بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على :

مضى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حيا تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس فقالوا : ما وراذك ؟ قال : السيف يا قوم . فلما بلغه خبر الزبير وطلحة وأم المؤمنين وأنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح بينهم فتعباً للخروج نحوهم ، واشتد على أهل المدينة الأمر وتناقلوا ، فسار على نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة فالتقى هو وطلحة والزبير ومن معها عند البصرة فحرت وقعة الجمل المشهورة بلا علم ولا قصد ^(١) والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير ، وقتل من الفريقين نحو عشرين ألفاً وقتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه عمرو بن جرموز بوادي السباع فقتله ، وكانت عائشة راكبة الجمل وهي في هودج وقد صار كالقنفذ من النشاب ، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة . ولما كثرت القتلى عند الجمل وقطع على خطامه أيد كثيرة قال علي : اعقروا الجمل ، فمقر فسقط . فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل ، وأدخلها أخوها محمد إلى البصرة ثم أمر علي عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر في بيتها ، فسارت وشيعها الناس ، وجهرها علي بما احتاجت إليه ، وكانت بعد ذلك إذا ذكرت مسيرها هذا بكنت حتى تبيل دموعها خاها وتقول : ياليتني كنت نسيا منسيا ، ولوددت أني مت قبل ذلك بعشرين سنة

واستعمل عليّ علي البصرة عبد الله بن عباس ، وسار عليّ إلى الكوفة فنزلها ، واستخكم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ، وأرسل عليّ جرير بن عبد الله إلى معاوية يطلب منه البيعة ويدخل فيما

(١) لأن الفريقين باتا على صلح وسلام ، فاندس قلة عثماني في المعسكرين وأنشعوا الحرب بينهما فجأة في الصباح ، فبطل معسكر ظن أن الغدر جاء من المعسكر الآخر

دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فاطله معاوية وامتنع من مبايعته ، فسار على إلى الشام في سبعين ألفا من أهل العراق ، وسار إليه معاوية وعمر بن العاص في أهل الشام في ستين ألفا وقيل في مائة وعشرين ألفا فالتقوا بصفين بناحية الفرات ، ودخلت سنة سبع وثلاثين والجيشان بصفين ، ومضى الحرم ولم يكن بينهم قتال ، وأرسل على إلى معاوية رسلا يدعونه إلى الله وإلى الطاعة فأتوه فقالوا له : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله جازيك بما قدمت يداك ، وإنا ننشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة أو تسفك دماءها بينها . فقال للمتكلم : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال : إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر بالفضل والدين والسابقة في الإسلام والقربة من رسول الله . فقال له معاوية : ويطل دم عثمان ؟ لا والله ، لا أفعل ذلك أبدا . فلما دخل شهر صفر تنابذوا ، وبات على يعبي السكتائب ويقول : لا تقاتلهم إلا أن يبدؤوكم ، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تأخذوا شيئا من أموالهم . فاقتتلوا أياما ، وكانت بينهم وقعات كثيرة قيل كانت تسعين وقعة ، وقتل من الفريقين أكثر من سبعين ألفا ، وقتل من جنود على عمار بن ياسر من السابقين الأولين البدرين وكان من نجباء الصحابة . قال أبو عمر في ترجمته تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال لعمار تقتلك الفئة الباغية ، ولما قتل عمار أمسك عمرو بن العاص عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير ، فقال له معاوية : لم لا تقاتل ؟ قال : قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : تقتله الفئة الباغية فدل على أننا نحن البغاة . فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما تزال تدحض في بولك ، أننا قتلناه ؟ إنما قتله على وأصحابه وجاءوا به حتى ألغوه بيننا ، وإنما دفعنا عن أنفسنا قتل . فبلغ ذلك عليا فقال : إن كنت أنا قتلتته فالنبي ﷺ قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار . ولما قتل عمار حمل على في اثني عشر ألفا ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض

وتخلف جماعة من سادات الصحابة عن القتال في الفتنة ، منهم سعد بن أبي وقاص

وسعيد بن زيد وأبو اليسر وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وابن عمر وأسامة بن زيد وصهيب الرومي وأبو موسى الأشعري ورأوا السلامة في العزلة وقالوا : إذا كان غزو الكفار قاتلنا

ولما سُمَّ الفريقان تَداعوا إلى الخصومة ، ورفع أهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله ، فرضى الفريقان لحكم عليٍّ وأهل الكوفة أبا موسى ، وحكم معاوية عمرو بن العاص ، ورجع علي ومن معه إلى العراق ، ومعاوية ومن معه إلى الشام . ثم اجتمع الحكماء بدومة الجندل واتفقوا على أن يخلعاهما معا ويختار المسلمون خليفة يرضون به ، وقد عينوا يومئذ عبد الله بن عمر بن الخطاب . ثم اجتمعا بالناس فبدأ أبو موسى فخلع عليا ثم قام عمرو وقال : قد خلعت عليا كما خلعه وأثبتت خلافة معاوية ^(١) فرضى أهل الشام بذلك ورجعوا فبايعوا معاوية . ولما جرى التحكيم غضب خلق أزيد من عشرة آلاف من جيش علي وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروه بذلك واعتزلوه ، وهم الخوارج ، وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء ، وقطعوا السبيل ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، قال ابن عباس : فدخلت عليهم فلم أر قط قوما أشد منهم اجتهادا ، جباههم قرحة من السجود ، وأيديهم كأنها ثفن الإبل ، وعليهم قص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر ، فسلمت عليهم فقالوا مرحبا يا ابن عباس ما جاء بك ؟ قلت : أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ممن سمعوا رسول الله وعليهم أنزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم ، فقالت طائفة منهم : لا تخاصموا قريشا فان الله عز وجل يقول ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ . فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه فقلت : هاتوا ما تقدمتم ، فقالوا : ثلاثا إحداهن أنه حكم الرجال في أمر الله وقد قال الله ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ، وأنه قاتل ولم يسب ولم يغتم فإن كانوا مؤمنين ما حل

(١) الحكماء تركوا أمر الإمامة لكبار الصحابة ، ولم يقل عمرو إلا ما قاله أبو موسى . والصحيح في أمر التحكيم ما رواه الدارقطني وخليفة بن خياط من شيوخ البخاري ، وانظره في العواصم من القواصم ص ١٧٢ - ١٧٦

لنا قتالهم وسيبهم ، وإن كانوا كفاراً حل لنا قتالهم وسيبهم . وبما نفسه من إمرة المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمر الكافرين . قلت : أما قولكم حكم الرجال في دين الله فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض قولكم ، إن الله صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب ، وتلا قوله ﴿ لَا تَقْبَلُوا الصِّدْقَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ - إِلَى قَوْلِهِ - يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ وفي المرأة وزوجها فقال ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ اللَّهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ﴾ فنشدتكم الله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وحقن دماءهم أفضل أم حكمهم في ثمن أرنب وبضع امرأة ؟ قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه ؟ قالوا نعم . قلت : وأما قاتل ولم يغرم فقتل أمكم عائشة ؟ فوالله إن قتلتم ليست أمنا لقد خرجتم من الإسلام ، وإن قتلتم لنسيبنا ونستحل منها ما نستحل من غيرها فقد خرجتم من الإسلام ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : نعم . قلت : وأن قولكم محا نفسه عن إمرة المؤمنين فإن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو ، فقال : يا علي اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقالوا : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال امح يا علي واكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فوالله لرسول الله خير من علي . فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم ، فخرج على بمن معه عليهم ورام رجعتهم فأبوا إلا القتال ، فقاتلهم بالنهروان فقتلهم ، ولم ينج منهم إلا القليل

وتراترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بوصفهم وذمهم والتجريض على قتالهم ، ففي الصحيحين عن سويد بن غفلة قال قال علي رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله إن أخرج من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأين ما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتالهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » وفيها عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول

الله ﷺ يقول « يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر انراحي سهمه فيتمارى إلى نصله وإلى رصافه فيتمارى في فوقه هل علق بها من الدم شيء » وفي رواية لها عنه « آيتهم رجل إحدى يديه أو إحدى يديه مثل ثدى المرأة أو قال مثل البضعة تدرر يخرجون على خير فرقة من الناس » قال أبو سعيد لسمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك أنزل فالتس فأنى به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته . ولمسلم عن علي رضي الله عنه : لو يعلم الجيش الذين يقاتلونهم ماذا قضى لهم على لسان نبيهم لا تسكلوا عن العمل . انتهى

وفي أيامه أيضا خرجت المغالية وادعوا في عني الإلهية ، قال الحافظ ابن حجر : وروينا من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال : قيل لعلي إن هنا قوما على باب المسجد يزعمون أنك ربهم ، فدعاهم فقال لهم : ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أنا بنى وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا . فلما كان الغد غدوا عليه فجاءه قبر فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام ، قال : أدخلهم . فقالوا كذلك ، فلما كان اليوم الثالث قال : لئن قلتكم ذلك لأقتلنكم بأخبث القتل فأبوا إلا ذلك ، فقال : يا قنبر اثنى بفعلة معهم مروهم فخذ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر وقال لهم : احفروا فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحة بالنار في الأخدود وقال : إني طارحكم فيها أو ترجعوا . فأبوا أن يرجعوا . فحذف بهم فيها حتى احترقوا وقال :

ما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت نارى ودعوت قنبرا

وإسناده حسن . وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال : لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي ﷺ « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلهم لقول رسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ عليا قول ابن عباس فقال : صدق ابن عباس

ذكر مقتل علي رضي الله عنه

ذكر الزبير بن بكار وغيره : اجتمع ثلاثة نفر بمكة من بقايا الخوارج ، عبد الرحمن ابن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التيمي وعمر بن بكر التيمي ، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ويريحوا العباد منهم ، فقال ابن ملجم : أنا لكم بعلی ، وقال برك : أنا لكم بمعاولية ، وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فاعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين ، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي يريد ، فقدم عبد الرحمن بن ملجم السكوفة عازما على قتل علي ، واشترى سيفا لذلك بألف ، وسقاه السم . وروى أبو عمر أن عبد الرحمن جاء إلى علي يستحمله فحمله ، ثم قال : إن هذا قاتلي . قيل فما يمنعك منه ؟ قال : إنه لم يقتلني بعد . ولعبد الزراف عن عبيدة قال : كان علي إذا رأى ابن ملجم قال :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وكان علي كثيرا ما يقول : ما يمنع أشقاها ؟ أو ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذه ؟ ويقول : والله لتخضبن هذه من دم هذا - ويشير إلى لحيته ورأسه - خضاب دم لا خضاب عطر ولا عبير . وروى أبو عبد الرحمن السلمي عن الحسن أنه سمع أباه في ذلك السحر الذي ضرب فيه يقول : يا بني رأيت النبي ﷺ الليلة في نومي فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء والدد . فقال : ادع الله عليهم . فقلت : اللهم أبدلني خيرا منهم وأبدلهم بي من هو شر مني . ثم اتبعه وجاءه مؤذنه للصلاة فخرج ، فاعتور الرجلان ابن ملجم وشبيب بن بجرة الأشجعي فاما شبيب فوقع ضربه في النطاق وأما ابن ملجم فضربه في رأسه ، وذلك في صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان ، وفي رواية فلما ضربه ابن ملجم قال : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك . قال علي : فزت ورب الكعبة ، لا يفوتنكم الكلب ، فشد الناس عليه من كل جانب فأخذوه ، فلما أخذ قال علي : احبسوه ، فان مت فاقتلوه ولا تمثلوا به ،

وإن لم أمت فالأمر إلى في العفو أو القصاص . وقبر أول ليلة من العشر الأواخر من رمضان . واختلف في موضع قبره فقيل دفن في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل دفن في رحبة الكوفة ، وقيل دفن في نجف الحسين موضع بطريق الحيرة ، واختلف في سنة يوم مات : فقيل سبع وخمسون وقيل ثلاث وستون قاله أبو نعيم وغيره

ولما بلغ عائشة قتل على قالت : لتصنع العرب ما شئت ، فليس أحد ينهأها وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وستة أيام . وقيل أربعة عشر يوما

وكان رضى الله عنه يسير في النى بسيرة أنى بكر الصديق ، وإذا ورد عليه مال لم يبق منه مالا إلا قسمه ، ولا يترك في بيت المال إلا ما يعجز عن قسمه في يومه ذلك ، ويقول : يا دنيا غرى غبرى . ولم يستأثر من النى بشئ ولا يخص قريبا ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات . وإذا بلغته عن أحدهم خيانة كتب إليه «ويا قوم قد جاءكم موعظة من ربكم أوفوا الكيل واليزان بالتسوط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ » إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث اليك من يتسلمه منك . ثم يرفع طرفه في السماء ثم يقول : اللهم إنك تعلم أنى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقتك . قال أبو عمر : وثبت عن الحسن بن على من وجوه أنه قال : لم يترك أبى إلا ثمانمائة درهم فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشتريها لأهله . وأما تقشفه في لباسه ومطعمه فأشهر من أن يذكر ، وأما فضله وسابقتة وجهاده الكفار مع رسول الله ﷺ فأشهر من ذلك . قال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن اسحق القاضى ، لم يرو في فضائل أحد من الصحابة ما روى في فضائل على بن أبى طالب

وقيل له ألا تستخلف ؟ فقال : لا . أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : إن نحن فقدناك ولا نفقدك بايع الناس الحسن ، فقال : ما آمرهم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . ثم دعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا

وإن بغتكم ، ولا تأمغا على شئ منها قولاً الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف وكونا للظالم خصماً وللظالم عوناً ولا تأخذكم في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال : هل سمعت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم . قال أوصيك بتوقير أخويك ، ولا تقطعن أمراً دونهما . ثم قال : أوصيكم به فإنه أخوك وابن أبيكم ، فاعرفا حقه وأكرماه

قال أبو عمر بن عبد البر : وقف جماعة من أئمة أهل السنة في علي وعثمان فلم يفضلوا واحدا منهما علي صاحبه ، منهم مالك ويحيى بن سعيد القطان . وأهل السنة اليوم على تقديم أبي بكر في الفضل على عمر ، وتقديم عمر على عثمان وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم . وفي الصحيح عن ابن الحنفية قلت لأبي : من خير الناس بعد رسول الله ؟ قال أبو بكر . قلت ثم من قال . ثم عمر ، وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت ؟ قال إنما أنا رجل من المسلمين . وتواتر عنه أنه قال وهو على المنبر في خلافته : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر . ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر . وفي مسند أحمد عنه قال سبق رسول الله ، وصلى أبو بكر ، وثلاث عمر ، ثم خطبنا فتنة يعفو الله فيها عن من يشاء . وقد كان بنو أمية ينالون منه ويتقصونه فما زاده ذلك إلا سموا ورفعة ومحبة عند العلماء . قال عمر بن عبد الله بن الزبير : إن بني مروان شتموه ستين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين بنى شيئاً فهدمته الدنيا ، ولم تبن الدنيا شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته انتهى . وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الذين أوصى رسول الله ﷺ باتباع سنتهم كما في حديث العرباض بن سارية أنه رضي الله عنه قال : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وفي السنن ، وصحيح ابن حبان عن سفينة ، عن رسول الله ﷺ قال : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً . قال : أمسك قال بعضهم خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان اثنا عشر وخلافة علي ست . قال علي بن الجعد قلت لحماد : أسفينة القائل أمسك ؟ قال : نعم . خرج أبو حاتم . وهذا مغاير لما ذكره أهل التاريخ في خلافة علي وأنها أربع سنين وثمانية أشهر ، قال الطبري : الصحيح في ولاية

الأربعة أنها تسع وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام : أبو بكر سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وعثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما وعلى أربع سنين وثمانية أشهر انتهى ، فيما أن يكون أطلق الحديث على ذلك الثلاثين لقربه منها أو تكون ولاية الحسن بن علي محسوبة منها وهي تكملتها

وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم أفضل أصحاب رسول الله ﷺ ، وبعدهم بقية العشرة أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين . وأما مراتبهم على الإجمال فالمهاجرون أفضل من الأنصار ، وأما على التفصيل فسباق الأنصار أفضل من متخري المهاجرين

وقد رتب أهل التواريخ الصحابة على طبقات : الطبقة الأولى أول الناس إسلاما كحديجة وعلى وزيد وأبي بكر ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الأرقم . الطبقة الثانية أصحاب دار الأرقم وفيها أسلم عمر . والطبقة الثالثة المهاجرون إلى الحبشة . والطبقة الرابعة أصحاب العقبة الأولى وهم سباق الأنصار . والطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثانية . والطبقة السادسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين . والطبقة السابعة أهل بدر الكبرى واثمانية الدين هاجروا بين بدر والحديبية . والطبقة التاسعة أهل بيعة ارضوان ^(١) . الحادية عشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح . الثانية عشرة الذين أساموا يوم الفتح . وبعده الثانية عشرة صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه

وكان سعيد لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وغزا معه . وقال بعضهم كل من أدركه الحلم وأسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي ولو أنه لم يصحب النبي ﷺ إلا ساعة واحدة ، وهذا هو الأكثر والله أعلم . وذكر عن أبي زرقة أنه قال : مات النبي ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا كلهم رآه أو روى عنه ، ذكره غير واحد منهم القطان في مراتب الصحابة وابن الأثير في جامع الأصول . والله أعلم

ذكر خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه

لما مات علي بايع الناس الحسن ، قال أبو عمر : بايع الحسن أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع أباه قبله على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيهم من أبيه . ثم سار إلى معاوية ، وسار معاوية بجيش الشام لصدّه ، ولما تقارب الجمعان علم الحسن أن لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثرهما ، ورأى أن الصالح في جمع الكلمة وترك القتال ، فكتب إلى معاوية يرأسه أنه يصير الأمر إليه ، واشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجته ، ففرح معاوية وأجاب إلى ذلك وبعث إليه برقّ فقال : أكتب ما شئت فيه فالتزمه ، والتزم معاوية كل ما كتب واشترط ، وخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية . فلما اصطالحا دخل معاوية الكوفة وسمى ذلك عام الجماعة ، ووقع مصداق ما أخبر به الصادق المصدق عليه السلام بقوله في الحسن «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» وغضب من فعله ذلك شيعته ، وقال له بعضهم : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لا تقل ذلك ، فاني لم أذل المؤمنين وكرهت أن أقتلكم في طلب الملك . وعنه أنه قال : كانت جاجم العرب بيدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالت ، وتركها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين

وعن الشعبي قال : لما جرى الصلح بين الحسن ومعاوية قال له معاوية : قم فاخطب بالناس واذكر ما كنت فيه . فقام الحسن فخطب فقال : الحمد لله الذي هدى بنا أولكم ، وحقن بنا دماء آخركم . ألا إن أكيس السكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحق به مني أو يكون حق تركته لله وإصلاح أمة نحمد صلى الله عليه وسلم وحقن دماءهم . ثم التفت إلى معاوية فقال : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين . ثم نزل . قال عمرو بن العاص : ما أردت إلا هذا

ثم سار الحسن إلى المدينة بأهله وحشمه فأقام بها حتى مات رضى الله عنه
وقد أحببت أن أقتصر على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ، فإن فيهم كفاية إن شاء الله



ولنختتم كتابنا هذا بشئ من ألفاظ الرسول ﷺ الوحيزة القليلة اللفظ الكثيرة
المعاني الجامعة للأحكام والحكم ، وقد جمع العلماء من ذلك كثيرا ، فمن ذلك قوله
ﷺ :

إنما الأعمال بالنيات ، وقوله : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، المرء
مع من أحب ، أسلم أسلم ، الحرب خدعة ، ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك
نفسه عند الغضب ، أى داء أدوى من البخل ، الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم
القيامة ، الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، إن من
البيان سحرا ، إن من الشعر حكمة ، نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة
والفراخ ، من غشنا فليس منا ، من كاذب يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو
ليصمت ، لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ،
اليد العليا خير من اليد السفلى ، ترك الشر صدقة ، الحياء خير كله ، إن الدين يسر ،
ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا . واستعينوا بالغدوة
والرؤحة وشئ من الدلجة . الغنى غنى النفس ، أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل ،
تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها فاظفر بذات الدين ترَبَّتْ يداك ، كل مسكر حرام ،
ألقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر ، الولد للفراش وللعاهر الحجر ، المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده . المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، كن فى الدنيا كأنك
غريب أو عابر سبيل . كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ،
اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ، انصر أخاك ظالما أو مظلوما ،
اعملوا فكل مؤسر لما خلق له ، ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا

عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعة الله ، من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه
أضمن له الجنة ، العائد فى هيبته كالكلب يعود فى قيئه ، مطل الغنى ظلم ، وإذا أتبع
أحدكم على مليء فليتبّع ، ابدأ بن تَعُول ، كل معروف صدقة ، الكلمة الطيبة صدقة ،
الدنيا حنوة خضرة ، إن مما ينبت أربع ما يقتل حبطا أو يلم ، كلهم راع وكلهم مسئول
عن رعيته



وكل ما ذكرنا مما تقدم فى الصحيحين أو أحدهما . ومما ذكر فى غيرها قوله ﷺ
للأنصار : إنكم لتقتلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ، وقوله : عدة المؤمن كالأخذ
باليد ، بورك لأمتى فى بكورها . لا تزال أمتى بخير ما لم يتخذوا الأمانة مغنما والزكاة
مفرما احتوا التراب فى وجوه المداحين ، رأس الحكمة معرفة الله ، يا خيل الله اركبى
وأبشرى بالجنة ، الآن حى الوطيس ، لا ينتطح فيها عنزان ، لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين ، لا ينجى على المرء إلا يده . ليس الخير كالعائنة ، ساقى القوم آخرهم شربا ،
الجالس بالأمانة ، لو بنى جبل على جبل لذل الباغى منها ، قيدوا العلم بالكتابة ، خير
المال عين ساهرة لعين نائمة ، خير المال سكة مأبورة أو مهر مأمورة ، المسلم مرآة المسلم ،
رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ، السعيد من وعظ بغيره ، عفو الملوك بقاء
الملك ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء ، السكر والخدعة فى النار ، ليس منا من
لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، المستشار مؤتمن . الدال على الخير كفاعله ، الندم
توبة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، حبك الشئ يعبى ويصم ، السفر قطعة من
العذاب ، المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا ، الرجل أحق
بصدر مجلسه وصدر دابته ، الناس معادن كعادن الذهب والفضة . تمام التحية المصافحة ،
من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، الغائب
من الذنب كمن لا ذنب له ، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، أعط الأجير أجره قبل أن

يحف رشحه ، ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه ، اتقوا النار ولو بشق تمرة ، لا خير لك بصحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه ، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، الدعاء سلاح المؤمن ، خير الأمور أوسطها ، إذا أناكم كريم قوم فأكرموه ، اشفعوا تُوجروا وتحمدوا . ما هلك امرؤ عن مشورة ، ما عال من اقتصد ، ما قل وكفى خير مما كثر وألحى ، شر الندامة يوم القيامة ، شر المعذرة عند الموت ، أقبلوا ذو الهيئات عثراتهم ، إياكم وخضراء الدمن ، قيل يا رسول الله من ؟ قال المرأة الحسنة في المنبت السوء ، البلاء موكل بالمنطق ، اليمين الفاجرة تدع الديار بلائع ، لا يدخل الجنة نمام ، لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود ، إنسجبن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . زُرْ غُيًّا تزد حبًا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ، الدين النصيحة ، صنائع المعروف تقي مصارع السوء . صدقة السر تطفى غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ، لا تظهر الشهادة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك ، اليوم الرهان وغداً السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار ، ما ملأ ابن آدم شراً من بطن ، أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به ، كل الصيد في جوف القرا ، دع ما يريك إلى ما لا يريك . قل الحق ولو كان مرا ، أحب للمسلمين ماتحب لنفسك . اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن . ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس ، الصدق يهدي إلى البر ، والكذب يهدي إلى الفجور ، كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتراً أو أجذم ، البخيل من ذكرتُ عنده ولم يصلّ على ، الأعمال بخواتيمها



وهذه الأحاديث منها ما هو في الصحيح أيضاً ، ومنها ما هو في السنن والمساند وهو

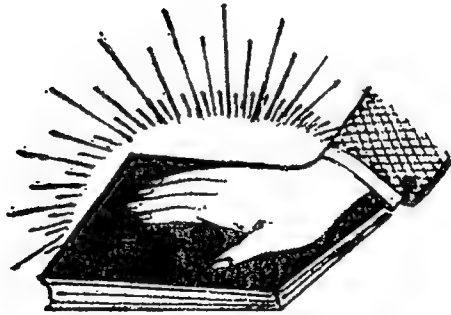
في مرتبة الصحة ومنها ما هو في مرتبة الحسن ، ومنها ما هو ضعيف رفعه إلى النبي ﷺ وهو صحيح أو حسن أو موقوف على الصحابي . والله أعلم



في آخر المخطوطة التي اعتمدنا عليها في الطبع مانصه :

وقد وقع الفراغ من هذا الكتاب الجليل القدر ، المحتوى على سيرة سيد البشر محمد ﷺ وشي من أحواله وأعماله وأخلاقه ومغازيه وقبالة وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ﷺ ورضي عنهم أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى بقية أصحابه أجمعين ، على يد أفقر العباد إلى رحمة ربه مبارك بن عبد الله بن مبارك غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، بتاريخ سبع عشر ليلة مضت من أحد شهور سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والألف من مهاجرة ﷺ .

تمت بحمد الله وعونه



فهرس

صفحة	صفحة
٢٥ وصف ما كانت عليه الكعبة.	٣ مقدمة الاشر
٢٦ توسيع عمر بن الخطاب المسجد الحرام	٤ ترجمة المؤلف
٢٧ رسالات الله وطروء الوثنية عليها.	٨ الفسب المحمدى ، وولادته ﷺ
٢٩ وثنية عمرو بن لحي الخزاعى	٩ بيوت قريش التى تجتمع به ﷺ فى أجداده
٣٠ البهيرة ، والوصيلة ، والسائمة ، والحامى	١١ عمود نسبه ﷺ فى خيام البشر
٣١ أصنام الحجاز وأماكنها	١٢ أبوه وأمه وبشائر ظهوره
٣٦ أديان العرب فى الجاهلية	١٣ رضاعه من ثوية عتيقة أبى لهب
٣٧ أسباب انتشار الوثنية	١٣ شق بطنه وصدره
٣٩ عود إلى البهيرة والسائمة والوصيلة.	١٤ موت أمه وجده
والحامى	١٤ جدته النجارية أم عبد المطب
٤٠ أمر الحس	١٥ الاسقةاء به ﷺ وهو طفل
٤١ أهل الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ	١٦ خروجه مع عمه إلى الشام ، وكلمة بحيرا فيه
٤١ رباب الشقى من عبد القيس	١٦ زواجه بأى المؤمنين خديجة
٤٢ قس الإيادى وزيد بن عمرو والعدوى	١٧ حال مكة قبل قريش ، وظهور قصى
٤٣ مؤامرة أربعة من قريش على الوثنية : زيد بن عمرو ، وورقة ، وابن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش	١٩ دار الندوة ، وتوزيع السلطة بين بنى قصى
٤٧ أمية بن أبى الصلت	٢٠ حلف المطيبين ، وحلف الفضول
٥١ عبد عمرو بن صيفى	٢١ رحلة الشتاء والصيف
٥١ قصة سلمان الفارسى	٢١ المطلب ، وعبد المطلب ، واكتشاف زمزم
٥٦ صفاته ﷺ فى الكتب المنقدمة	٢٣ إعادة بناء الكعبة
٦٥ إنذار الكهان بظهوره ﷺ	٢٤ تحكيمه ﷺ فى وضع الحجر الاسود بموضعه

صفحة	صفحة
١١٢ موت أبي طالب	٦٨ خبر سواد بن قارب
١١٤ النفر الذين كانوا يؤذونه ﷺ	٧٠ إنذار اليهود به ﷺ
١١٨ سفر النضر للقاء اليهود في يثرب	٧١ مبعثه ﷺ لما بلغ أربعين سنة
١٢١ استماع كبار قريش لقراءته ﷺ	٧٥ فوائد تتعلق ببده الوحي
في جوف الليل	٨٠ حديث أبي سفيان رهرقل عنه ﷺ
١٢٢ خبر الوليد بن المغيرة	٨٣ أول من آمن به ﷺ
١٢٣ خبر عتبة بن ربيعة	٨٨ ابتداء فرض الصلاة
١٢٤ خبر المستهزئين	٩٠ إنذاره ﷺ عشيرته الأقربين
١٢٩ نزول سورة عبس	٩١ مطالبة قريش أبا طالب بكف
١٣٠ نزول سورة السكوت	ابن أخيه
١٣١ من قامت عليه حجة بحق كان	٩٢ الهجرة الأولى إلى الحبشة
متعقبا إذا طلب غيرها	٩٦ مساعي قريش عند النجاشي
١٣٨ قدوم وفد من الحبشة عليه ﷺ	٩٨ السكتاب النبوي إلى النجاشي
وهو بمكة	وإسلامه
١٣٩ دالية الأعشى ميمون في الإسلام	٩٩ خروج أبي بكر مهاجرا وتوسط
١٤١ خروجه ﷺ إلى الطائف للدعوة	ابن الدغنة
١٤٤ لإسلام الطفيل الدوسي	١٠٠ لإسلام حمزة بن عبد المطلب
١٤٥ حادث الإسراء	١٠٢ لإسلام عمر بن الخطاب
١٤٧ لإخباره ﷺ قريشا بالإسراء	١٠٤ ازدياد ضعف قريش على النبي ﷺ
١٤٨ متى كان الإسراء؟	المسلمين
١٥٠ مبدأ الهجرة ودعوة قبائل العرب	١٠٦ دخول أبي طالب وبني هاشم
١٥٣ عرضه ﷺ نفسه على الأنصار	الشعب، وتعليق قريش الصحيفة
في الموسم	في جوف السكبة
١٥٦ لإيقاد مصعب بن عمير إلى المدينة	١٠٧ لامية أبي طالب
إماما ومرشدا	١٠٩ نقض الصحيفة
١٥٨ بيعة العقبة	١١٠ دالية أبي طالب
١٦١ أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى	

صفحة	المدينة	صفحة
١٦٤	تشاور قريش في دار الندوة	٢٣٣
١٦٧	الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة	٢٣٩
	وخروجه	٢٤٠
١٧١	مروره ﷺ بخيمتى أم معبد	٢٤١
١٧٤	وصوله ﷺ إلى المدينة	٢٤١
١٧٧	بناء المسجد النبوى	٢٤٣
١٧٩	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٢٤٥
١٨١	تشريع الأذان للصلاة	٢٥٧
١٨٢	ما جرى بمكة لبيوت المهاجرين منها	٢٦٠
١٨٤	الإذن بالقتال	٢٦١
١٨٨	آداب الإسلام في القتال	٢٦٣
١٨٩	عداء اليهود للإسلام ، وتسمية	٢٦٤
	بعض المنافقين	٢٦٧
١٩٦	المهاجرون ورباء المدينة	٢٦٨
١٩٧	صار الكفار بعد الهجرة ثلاثة	٢٦٩
	أقسام	٢٦٩
١٩٨	تمزيقه ﷺ للجهاد بالبعوث	٢٧١
	والسرايا	٢٧٨
٢٠١	تحول القبلة من بيت المقدس إلى	٢٨٥
	الكلعبة	٢٨٧
٢٠٣	فرض صيام رمضان	٢٩٦
٢٠٤	غزوة بدر الكبرى	٢٩٧
٢١٣	مقتل أبي جهل وصناديد قريش	٢٩٨
٢١٩	الاستشارة في أمر الأسارى	٢٩٩
٢٢٢	وصول خبر بدر إلى مكة	٣٠٠
٢٢٤	تسمية من شهد بدرا من المسلمين	٣٠١
		٣٠٤
		٣٠٤

صفحة	صفحة
٣٩٩ سرية قطبة بن عامر إلى قبالة	٣١٣ غزوة خيبر
٣٩٩ سرية الضحاك بن سفيان إلى	٣١٩ مقاسم أسهم خيبر
بني كلاب	٣٢١ بعض ما حدث في غزوة خيبر
٣٩٩ سرية علقمة بن محرز إلى البحر الأحمر	٣٢٦ وهان قريش على من يظفر بخيبر
٤٠٠ سرية على إلى صنم طيء ليهدمه	٣٢٧ خبر الحجاج بن علاط السلمي
٤٠٣ اعتزاله ﷺ نساءه شهرا	٣٢٨ زواجه ﷺ بصفية بنت حيي
٤٠٣ غزوة تبوك	٣٣٠ سرايا انجاهدين بعد خيبر
٤٠٩ صلح صاحب أيلة في غزوة تبوك	٣٣٢ عمرة القضاء
٤١٠ بعض الأحداث في غزوة تبوك	٣٣٥ غزوة مؤتة
٤١٤ خبر مسجد الضرار	٣٣٨ غزوة ذات السلاسل
٤١٦ وصوله ﷺ إلى المدينة من تبوك	٣٣٩ سرية أبي قتادة إلى بطن ذي لضم
٤١٦ حديث كعب بن مالك حتى تاب	٣٤٠ بعث الغابة
الله عليه	٣٤٠ غزوة الفتح
٤٢١ الأحداث بعد العودة من تبوك	٣٥٣ صلاة الشكر بمنزل أم هانئ
٤٢٧ قدوم وفود العرب عليه ﷺ	٣٥٣ خطبته ﷺ بعد الفتح
٤٢٩ وفد بني عامر بن صعصعة	٣٥٥ اجتماع الناس للبيعة على الصفا
٤٢٩ وفد عبد القيس	٣٥٦ سرية خالد إلى بني جذيمة
٤٣٠ وفد بني حنيفة	٣٥٨ مافي فتح مكة من الفقه واللطائف
٤٣١ وفد طيء . وفد كندة	٣٦١ غزوة حنين
٤٣٢ قدوم قروة بن مسيك المرادي	٣٦٨ سرية أبي عامر الأشعري إلى
٤٣٣ قدوم عمرو بن معدى كرب ،	أوطاس
والأشعريين	٣٧١ غزوة الطائف
٤٣٣ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي	٣٧٨ وفد هوازن إلى النبي ﷺ
٤٣٤ وفد بني الحارث بن كعب	٣٨٤ الفوائد والحكم في قصة هوازن
٤٣٥ وفد همدان	وثقيف
٤٣٦ وفد مزينة . وفد نجران	٣٩٢ قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ
٤٤٣ يوث على إلى أهل نجران	٣٩٦ السرايا والبعوث في سنة تسع
٤٤٣ وفد قروة بن عمرو الجذامي	

صفحة	صفحة
ببيت عائشة	٤٤٤ قدوم ضمام بن ثعلبة وافد بني
٤٧٦ مروا أبا بكر فليصل بالناس	سعد بن بكر
٤٧٧ حديث : اتخذوا قبور أنبيائهم	٤٤٥ وفد طارق بن عبد الله وقومه
مساجد ،	٤٤٥ وفد تجيب
٤٧٧ قول العباس لعلی : تعال نسأله	٤٤٦ وفد بني سعد هذيم
فيمر هذا الامر ؟	٤٤٧ وفد بني أسد . وفد بهراء
٤٧٨ الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم	٤٤٧ وفد عذرة . وفد بلي . وفد ذي
٤٧٩ إن للوت سكرات	مرة . وفد خولان . وفد محارب
٤٨٠ وفاته صلوات الله وسلامه عليه	٤٤٨ وفد صداء . وفد غسان . وفد
٤٨١ وقع المصيبة ، وخطبة أبي بكر	سلامان . وفد عيس . وفد
٤٨٢ أمر سقيفة بني ساعدة	عامر . وفد الازد
٤٨٣ البيعة لخليفة رسول الله ﷺ	٤٥٠ وفد بني المنتفق ، وحديث لقيط
٤٨٥ المتخلفون عن البيعة	ابن عامر
٤٨٦ طلب فاطمة ميراثها	٤٥٣ تفسير حديث لقيط
٤٨٧ غسله ﷺ وتكفينه ودفنه	٤٥٥ وفد النخع
٤٨٨ ذكر الردة	٤٥٦ حديث زرارة بن عمرو في الفتنة
٤٨٩ مراجعة عمر في أمر المرتدين	٤٥٧ بعث جرير البجلي لتخريب ذي
٤٩٠ خروج أبي بكر لتكوين المعسكر	الخلصة
٤٩١ مسير خالد لقتال طليحة	٤٥٧ وفاة ابراهيم ابن النبي ﷺ .
٤٩٢ مسيره إلى اليمامة لحرب مسيلة	وبعض أحداث السنة
٤٩٣ مسيره إلى العراق لحرب الحيرة	٤٥٩ حجة الوداع
وفارس	٤٦٤ متعة الحج
٤٩٣ صلح الحيرة وأول جزية وقعت	٤٦٦ بقية حجة الوداع
بالعراق	٤٧٤ قفوله ﷺ إلى المدينة . وبدء
٤٩٤ انتصار العلاء بن الحضرمي	مرضه
بالبحرين	٤٧٥ وداعه أهل البقيع بالاستغفار لهم
٤٩٥ خبر الأسود العنسي وقتله باليمن	٤٧٦ استئذانه نساءه أن يمرض

صفحة	صفحة
الشهيد	٤٩٥ أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن
٥١٢ موقف عائشة وحفصة من الكارثة	٤٩٦ بعث الجيوش الإسلامية لفتح الشام
٥١٢ رأى الحسن السبط	٤٩٧ حصار دمشق وفتحها
٥١٢ وقعة الجمل	٤٩٧ وفاة الصديق . وكتابة العهد لعمر
٥١٢ إرسال علي جريراً إلى معاوية	٤٩٨ إبلاغ العهد لأمراء الأجناد
يطلب منه البيعة	٤٩٩ تركه أبي بكر عند موته
٥١٤ وقعة صفين	٥٠٠ خلافة أمير المؤمنين عمر
٥١٤ المتخلفون عن الفتنة من سادات الصحابة	٥٠٠ ما فتحه الله للإسلام في خلافة عمر
٥١٥ التحكيم وظهور الخوارج	٥٠١ مقتل عمر
٥١٥ مناظرة ابن عباس للخوارج	٥٠٢ رؤيا عمر قبل مقتله
٥١٦ تواتر الأحاديث بدم الخوارج والغلو	٥٠٢ رواية شاهد عيان لمقتل عمر
٥١٧ ظهور المغايبين بالوهية على وتحريقهم	٥٠٤ وصية عمر في قضاء ديونه
٥١٨ مقتل علي ، ووضع قبره	٥٠٤ استئذانه عائشة بأن يدفن مع صاحبيه
٥١٩ لمحة من سيرة علي	٥٠٥ جعله أمر الخلافة شورى في السنة
٥١٩ قوله في الاستخلاف : أنتم أبصر	٥٠٥ خلافة أمير المؤمنين عثمان
٥٢٠ وصيته لبعثه	٥٠٦ ما فتحه الله للإسلام في خلافته
٥٢٠ قوله : خير الناس بعد النبي ﷺ	٥٠٧ بطر الخارجين عليه وبغيتهم
أبو بكر ثم عمر	٥٠٨ أصبر فأنك تقطر عندنا القابلة
٥٢١ تفاضل الصحابة وطبقاتهم	٥٠٩ كلمة سعيد بن المسيب في مقتل عثمان
٥٢٢ خلافة الحسن وصلحه مع معاوية	٥٠٩ وقع الكارثة وشعر حسان فيها
٥٢٣ جوامع الكلم من حديث رسول الله ﷺ	٥١٠ خلافة أمير المؤمنين علي
٥٢٧ الفهرس	٥١١ التحفز للمطالبة بدم الخليفة